

الفَصْلُ
فِي

الْمَلِكِ الْأَهْوَلِ، قَالَ لِنَحْكُمُ

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن خزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦هـ

الجزء الثاني

تحقيق

الدكتور عبد الرحمن عميرة

كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الدكتور محمد إبراهيم نصير

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الجيـل

بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِدارِ الْجِيلِ

الطبعة الثانية

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



توطئة

هذا هو الجزء الثانى من كتاب « الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل » لأبى محمد على ابن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ .

تحدث فيه أبو محمد عن الأناجيل الأربعة ، وعن الرسائل التى يقدسها النصارى ، ويستمدون منها عقيدتهم ، وقد أثبت بالبرهان القاطع أن هذه الأناجيل ليست من عند الله ، ولا يصح أن تكون أساساً يُعتمد عليه فى التماس العقيدة والدين .

وقد أقرّ النصارى أنفسهم أولهم وآخرهم ، أربوسيههم وملكههم ، نسطوريههم ويعقوبيههم ، مارونيههم وبولفانيههم - أن هذه الأناجيل تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة .

فالأول : ألفه « متى » اللاواى تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام .

والثانى : ألفه « مرقس » الهاروى تلميذ شمعون بن يونا المسمى « باطرة » بعد اثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح .

والثالث : ألفه « لوقا » الطبيب الأنطاكى تلميذ « شمعون باطره » بعد تأليف « مرقس » .

والرابع : تاريخ ألفه « يوحنا بن سبداى » تلميذ المسيح بعد رفع المسيح بوضع وستين

سنة .

وليس لهم بعد هذه الأناجيل كتب يعظمونها إلا « الأفركسيس » وهو كتاب ألفه « لوقا » الطبيب المذكور في أخبار الحواريين ، وأخبار صاحبه « بولس » البنياميني وسيرهم . وكتاب « الوحي والإعلان » الذي ألفه « يوحنا بن سبداى » ذكر فيه ما رآه من الأحلام وخرافات كثيرة .

والرسائل القانونية : وهى سبع رسائل ، ثلاث منها ليوحنا بن سبداى ، ورسالتان لباطرة ، ورسالة ليعقوب بن يوسف النجار ، والسابعة لأخيه « يهوذا بن يوسف » . ورسائل بولس : وهى خمس عشرة رسالة .

ووضع لهم الملك « دكريد » كتاباً من تأليف المتأخرين من أساقفتهم وبطاركتهم كان يسير عليه نصارى الأندلس .

فجميع نقل النصارى يرجع إلى ثلاثة فقط وهم : بولس ، ومارقس ، ولوقا وهؤلاء الثلاثة لم ينقلوا إلا عن خمسة فقط وهم : باطرة ، ومثى ، ويوحنا ، ويعقوب ويهوذا . وكل هؤلاء أثبت أبو محمد أنهم أكذب البرية وأخبثهم .

فالذين آمنوا برسالة المسيح فى حياته مائة وعشرون رجلاً وامرأة فقط ، وكل من آمن به كان مستترا يدعو إلى دينه سرّاً ، ومن أظهر دينه قتل أو رجم أو صلب ، وبقي النصارى على هذا الحال مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح ، وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله تعالى إلا فصولاً يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم .

فلما تنصّر « قسطنطين » ملك الروم أظهر النصارى دينهم ، وكشفوا أمرهم ، فانتشر فيهم دخول « المثنائية » تقية ، ولم يكن فيهم غير مثنائية مدلسون عليهم فأمكنهم بذلك أن يدخلوا من الضلال ما شاءوا . وبالنظر السريع إلى ما ورد فى الأناجيل يتضح التناقض بينها وبين التوراة من جهة ، وبين كل إنجيل وإنجيل من جهة أخرى ، بل فى الإنجيل الواحد يظهر التضارب والتباين ، وقد ضرب أبو محمد أمثلة كثيرة نشير إلى بعضها فى هذه المقدمة .

ففى التوراة : لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة ولد له ولد كسبه وجنسه يسمى « شيث » .

وفى الأناجيل : لما أتى لآدم مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث ...

وفى التوراة : فلما عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد « إينوش » .

وعند النصارى : لما عاش شيث مائتى سنة وخمس سنين ولد « إينوش » .

وأورد « أبو محمد » كثيراً من هذه المناقضات .

وبين التوراة وإنجيل متى تناقض واضح في سلسلة نسب المسيح ، ففيهما اختلاف في العدد ، واختلاف في الأسماء ، وسقط لبعض الأسماء ، فإن صدقت كتب اليهود فقد كذب « متى » ، وإن صدق « متى » فقد كذبت التوراة .

وفي أول إنجيل « متى » نسب المسيح بن داود بن إبراهيم ، ثم لم يأت إلا بنسب يوسف النجار روج مريم !! والمسيح عنده ليس هو ولد يوسف أصلاً ، فهم يقولون إنه ابن الله من مريم ، وإنه إله وابن إله وامرأة .

فقد تناقض مع نفسه ، وناقض العيسوية من اليهود ، والآريوسية والمقدونية من النصارى فهم يقولون كالمسلمين : إنه عبد آدمى خلقه الله تعالى في بطن مريم عليها السلام من غير ذكر .

ويختلف إنجيل « لوقا » مع إنجيل « متى » في نسب يوسف النجار ، فمتى ينسبه إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام ، و« لوقا » ينسبه إلى آباء آخرين .

وفي الأناجيل كثير من الحمق والباطل :

ففى إنجيل « لوقا » أن إبليس فاد المسيح فانقاد له المسيح ، ثم طلب إليه أن يلقي نفسه من فوق صخرة عالية ، والله سيحفظه ، فلم يستجب . وطلب منه أن يسجد له ليعطيه ملكاً عظيماً فلم يستجب !!

فكيف ينقاد المسيح - وهو إله على زعمهم -- إلى أبلis ؟! وكيف يمني إبليس بملك أشياء - وهو صاحب الملك في نظرهم ، وواهب الملك لإبليس ولغيره !!.

ومن التناقض بين إنجيل « متى » وإنجيل « مرقس » :

يقول « متى » : إن أول صحبة « باطرة » وأخيه « أندرياس » للمسيح كانت بعد سجن يحنى بن زكريا .

ويقول « مرقس » : « إن أول صحبتها له كانت قبل أن يسجن يحنى بن زكريا » .

واختلفت الأناجيل في تحديد الموضع الذى التقيا فيه بالمسيح .

وأورد أبو محمد نصوصاً كثيرة يكذب بعضها بعضاً ، فالمسيح يقول : « ما جئت لأنقض التوراة بل جئت لأتممها » .. وأكد في غير موضع أن ما جاء في التوراة لا يُنسخ ثم ينسب إليه ما يخالف ذلك ، وما يدعو إلى نقض ما جاء في التوراة ، ونسخ ما ورد فيها من أحكام .

فالمسيح يحرم الطلاق إلا لزنى ، ويحرم الزواج المطلقة ، والتوراة تبيح الطلاق ، ففى التوراة : « من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق » .

وفي إنجيل « بولس » نهي عن الختان ، وفي التوراة تأكيد على ضرورة الختان .

وباطرة : أباح أكل لحم الخنزير وكل حيوان حرّمته التوراة .

ونقضوا شرائع التوراة من تحريم السبت ، وأعياد اليهود ، وغير ذلك .

وفي التوراة أمر بالقصاص ، ونُسب إلى المسيح أنه قال : « قد قيل العين بالعين ، والسنّ بالسن ، وأنا أقول : لا تكافئوا أحداً بسيئة ، ولكن من لطمك على خدك الأيمن فانصب له الآخر » .

وفي التوراة - التي قال عنها المسيح : « لا تبید منها (ياء) واحدة قبل أن تبید السماء والأرض أو حرف واحد - فيها : « أن مَنْ صُلب في خشبة فهو ملعون » وفي الأناجيل كلها : أن المسيح صلب في خشبة هو وباطرة ، وشمعون ، وأندرياش وفلبس ، وبولس « فعلى قول المسيح - المفترى عليه - أنه هو وأصحابه ملعونون .

وفي إنجيل « متى » أن المسيح قال لهم : ليكن دعاؤكم على ما أصف لكم : يا أبانا السماوي تقدّس اسمك » ، ثم قال بعد ذلك : « وقد علم أبوك أنكم ستحتاجون إلى جميع هذا » وفي آخر الإنجيل قال : « إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم » فمن أين خصوه بأنه ابن الله دون سائرهم كلهم ؟.. !!

وينسب إلى المسيح : « أنه قال : إنما جئت لألقى في الأرض السلام والمحبة » ثم ينسب إليه أنه قال : ما جئت لأصنع في الأرض سلاماً ، ولكني جئت لأفرك بين المرأة وزوجها ، وبين الابن وأبيه .

والتناقضات كثيرة تجل عن الحصر ، ويمكن أن نشير إجمالاً إلى ما جاء خاصاً بالمسيح عليه السلام ، فهو في أناجيلهم مرة : ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف النجار ، وثالثة هو ابن داود ، وهو ابن الإنسان مرة ، وهو إله يخلق ويرزق ، ومرة هو خروف الله ، ومرة هو الله والله فيه ، ومرة هو في تلاميذه وهم فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ومرة لا يحكم على أحد ، ولا تنفذ إرادته ، ومرة هو نبي وغلّام ، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه ، ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولّاه هو ، وصار يشرف الله تعالى ، ويعطى مفاتيح السماوات ، ويولى أصحابه خطة التحريم والتحليل في السماوات وفي الأرض ، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعطش ويشرب ، ويعرق من الخوف ، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تيناً يأكله ، ويفشل فيركب حمارة ، ويؤخذ فيلطم وجهه ، ويضرب رأسه بالقصبة ، ويرزق في وجهه ، ويضرب ظهره بالسياط ، وتقر به الشرط وتهكمون به ، ويسقى الخل في الحنظل ، ويصلب بين سارقين ، وتسمّر يداه ، ومات ودفن ، ثم يحيى بعد الموت ، ولم يكن له هم إذ عاد إلى

الحياة بعد الموت حين اجتمع بأصحابه إلا أن يطلب شيئاً يأكله فأطعموه الخوت المشوى ، وسقوه العسل ، ثم انطلق إلى شغله .

هذا كله ورد في أناجيلهم .

أما كتبهم الأخرى فحافلة بالكذب والكفر والهوس .

ففى رسائل يوحنا اللاهوتي يتحدث عن المسيح بعد صلبه - على زعمهم - فيقول : إنه رآه فى وسط سبعة منابر من ذهب ، متسربلاً بثوب إلى الرجلين ، ومتمنطقاً عند-ثدييه بمنطقة من ذهب ، أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون ، وصوته كصوت مياه كثيرة ، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب ، وسيف ماض ذو حدين ، فلما رأيته سقطت عند رجله كحيت فوضع يده اليمنى علىّ قائلاً لا تخف ، أنا هو الأول والآخر . فهل هذا القول إلا استخفاف وتماجن أهكذا يكون الإله فى نظرهم !!

وفى رسائل يهوذا ويعقوب ، يقولون : « قال الله والد ربنا المسيح ، وفعل الله والد سيدنا المسيح » كأنهم يخبرون عن نسب من الأنساب ، وولادة من الولادات !!! ويقول « بولس » فى إحدى رسائله : « إن اختنتم فإن المسيح لا ينفعكم » وسائر التلاميذ كانوا مختونين فوجب أن المسيح لا ينفعهم ، فإن كان بولس صادقاً فإن المسيح لن ينفعهم ، وإن كان كاذباً فكيف يأخذون دينهم عن كذاب ؟.. !!

ومن هوسهم قولهم : « إن المسيح أتى ليأخذ بجراحة آلامنا ، وبكلومه ذنوبنا » وهذا كلام لا مدلول له فأى ألم أخذ المسيح بجراحه ، وكيف تؤخذ ذنوب الناس بكلومه وفى طيات هذا القول دعوة إلى ارتكاب الذنوب ، وعمل الآثام دون خوف ، مادام المسيح سيكفر عن هذه الخطايا ، ويأخذ بكلومه ذنوب الناس .. أين هذا التماجن من قول الله تعالى : وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . (فاطر : ١٨) ومن قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » (المذثر : ٣٨) .

ومضى ابن حزم يفند ما ورد فى الأناجيل ، وفى رسائل القديسين - على زعمهم - ويثبت بالدليل والبرهان أنها محرّفة مبدّلة ، ولا يمكن أن تكون من عند الله - جلّ الله تعالى - عن هذا التناقض .

ثم يتحدث ابن حزم بعد ذلك عن التشابه فى القرآن الكريم ، ويذكر ما أورده بعض اليهود والنصارى من اعتراضات ، ويردّ عليها بالأدلة النقلية والعقلية التى تبدّد كل شك ، وتمحو كل غموض .

من ذلك ما رددوه من اختلاف المسلمين في قراءة القرآن ، فبعض القراء يزيد حرفاً ، وبعضهم يسقطه . وبعض الصحابة والتابعين قرءوا القرآن بألفاظ زائدة ومبدلة لا يستحل جمهور المسلمين القراءة بها .

وأن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحف المسلمين ، وأن عثمان بن عفان أبطل قراءات كثيرة صحيحة وأسقطها حين كتب المصحف الذي جمع المسلمين عليه .

والروافض يزعمون أن أصحاب النبي عليه السلام بدلوا القرآن ، وأسقطوا منه وزادوا فيه ... وغير ذلك من الاعتراضات التي انبرى لها ابن حزم ووضّحها ، وأزال ما دار حولها من لبس وغموض .

فقد بين أن القراءات كلّها منقولة « نقلاً صحيحاً فبأى قراءة من هذه القراءات قرأنا القرآن فهي قراءة صحيحة لأن الخلاف بينها لا يعدو أن يكون خلافاً في اللهجات العربية .

وأما أننا لا نستحل ما قرأه الصحابة والتابعون بالزيادة أو بالنقص - فهذا صحيح ، لأن الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ ، ونحن لا نقلدهم في شيء مما قالوه ، وإنما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله ﷺ بالمشافهة أو بالسماع لما ثبت من عدالتهم وصدقهم ، أما ما قالوه برأى أو بظن فلسنا مكلفين به .

وأما ما قبل من أن مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفنا فباطل وظن لا يقوم على دليل ، لأن مصحف عبد الله بن مسعود فيه قرآته ، وهي قراءة عاصم المشهورة عند المسلمين .

وما قيل من أن مصحف عثمان يختلف عن بقية المصاحف فهذا باطل أيضاً لأن عثمان لم يل الخلافة إلا وكل بلد من بلاد المسلمين فيها مصحف - وإنما خشي عثمان أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين ، أو يهيم واهم فيبدل شيئاً من المصحف عمداً - فيكون اختلافاً يؤدي إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجتمعة عليها ، وبعث بها إلى الأمصار ...

وأما دعوى الروافض بتبديل القرآن فالروافض ليسوا من المسلمين بل هم فرقة ضلت وزاغت عن الدين .

ثم تحدّث أبو محمد عن نقل القرآن الكريم وكيف تمّ ، وأثبت أنه نقل صحيح متواتر لم يتهياً مثله لليهود في نقل التوراة ، كما لم يتهياً للنصارى في نقل الإنجيل .

وذكر فصولاً اعترض بها جهال الملحدين على ضعفة المسلمين ، وحمل على بعض المسلمين الذين لا يفقهون من الأحاديث غير ما يتعلق بالإسناد ، وجمع الغرائب دون أن يتعمقوا في فقه المعنى ، وتعرّف الأحكام .

ففى أيام ابن حزم كثر اشتغال الناس بعلم الفلك ، والنجوم ، ونسب إليها بعضُهم أموراً تتعلق بحياة الإنسان ومصيره ، ووهبوا النطق والقدرة والتدبير ولم يجد هؤلاء الملحدون من علماء الدين فى عصره من تمكنه ثقافته وعلمه من الرد عليهم وتفنيد حججهم .. فرأى أبو محمد أن من عظيم الأجر أن يتصدى لهذه الفئة ، ويبين لهم ما أشكل عليهم ، ويوضح للمسلمين وهن ما أوردوه .. فبين أن هذه الكواكب مخلوقات لا تنطق ولا تدبر وإن كان لها تأثير فى العالم فلا يعدو أن يكون تأثيرها كتأثير النار فى الإحراق ، والماء فى الرى ، والسّم فى إفساد المزاج ، والطعام فى التغذية ، والفلفل فى حذو اللسان ، والإهليج فى القبض .. وكل ذلك غير ناطق والكواكب والأفلاك تجرى هذا المجرى فلا تدبر لها ولا تصرف .

وتعرض أبو محمد للحديث عن كروية الأرض ، فساق أدلة من القرآن والسنة على أنها كروية ، ومن ذلك قول الله تعالى : « يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ ، وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ » . (الزمر : ٥) .

وقوله تعالى : « كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (الأنبياء : ٣٣) .

فقد أخبر سبحانه وتعالى أن الشمس والقمر والنجوم تسبح فى الفلك ، ولم يخبر أن لها سكوناً ، فلو لم تستدر لكانت على آباد الدهور بل فى الأيام اليسيرة تغيب عنا حتّى لا نراها أبداً . ولو مشت على طريق واحد وخط مستقيم أو معوج غير مستدير لكنا أمامها أبداً . وهذا باطل بالمشاهدة ، فصَحَّ بما نراه من كروها من غرب إلى شرق ، ومن شرق إلى غرب أنها دائرة ضرورة .

وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا » (يس : ٣٨) فقال عليه السلام : « مستقرُّها تحت العرش »^(١) .

وقد علمنا أن مستقر الشيء هو موضعه الذى يلزم فيه ، ولا يخرج عنه ، وإن مشى فيه من جانب إلى جانب .

وتحدث أبو محمد عن الملل المخالفة لدين الإسلام ، التى تخالف عقيدة التوحيد ، فأثبت فسادها وبطلانها ، وبين بالبراهين القطعية إثبات الأشياء وجودها ، وحدوثها كلها جواهر وأعراضاً ، ثم إن لها محدثاً واحداً مختاراً لم يزل لا شىء معه ، وأنه فعل لا لعلّة ، وترك لا لعلّة بل كما شاء لا إله إلا هو . ثم أقام الدليل على صحة النبوات ، ثم على صحة نبوة محمد عليه السلام ، وأنّ ملته هى الحق ، وكل ملة سواها باطل ، وأنه آخر الأنبياء عليهم السلام ، وملته آخر الملل ونخاتمها .

وتحدث أبو محمد حديثاً ضافياً عن الفرق الإسلامية : أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والخوارج ، والشيعة ، وذكر ما تميزت به كل فرقة وعمدتها فيما اتجهت إليه .

فالمرجئة عمدتهم الكلام على الإيمان والكفر ما هما ؟ وعن الوعيد ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

والمعتزلة عمدتهم الكلام في التوحيد ، وصفات الباري ، ويزيد بعضهم الكلام في القدر ، والتسمية بالفسق والإيمان والوعيد .

والشيعة عمدتهم الكلام في الإمامة ، والمفاضلة بين أصحاب النبي عليه السلام وعليهم الرضوان - واختلفوا فيما عدا ذلك .

والخوارج عمدتهم : الكلام في الإيمان والكفر ما هما ؟ والوعيد ، والإمامة واختلفوا فيما عدا ذلك .

وقد تحدث أبو محمد عن كل فرقة ، وناقشهم في آرائهم ، وانتهى إلى أن أهل السنة هم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدع والضلال .

ولم يقف أبو محمد عند هذا الحد بل تحدث عن كل موضوع من الموضوعات التي أثارت الشبه والاعتراضات فأورد فيه آراء الفرق الإسلامية ، ثم أنهى الحديث فيه ببيان الرأي الصحيح بسنده الوثيق .

فتكلم في التوحيد ، ونفى التشبيه ، وأسماء الله تعالى ، وانتهى في ذلك إلى أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى ولا أن يخبر عنه من طريق الاستدلال باسم يشاركه فيه شيء من خلقه ، ولكننا نقول : إنه تعالى لا يجهل شيئاً أصلاً ، وهذه صفة لا يستحقها أحدٌ دونه تعالى . ونقول : لا يغفل ألبتة ، ولا يضل ، ولا يسهو ولا ينام ، ولا يتحير ، ولا ينحل ، ولا يخفى عليه متوهم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، ولا ينسى ، وكل هذا لا يستحقه مخلوق دونه تعالى أصلاً . ثم نقر بما جاء به القرآن والسنة لا نزيد فيه ولا ننقص ، ولا نخيله ، فنؤمن بأنه بخلاف المعهود فيما يقع عليه ذلك اللفظ من خلقه .

وتكلم أبو محمد عن كل ما ورد في القرآن أو في السنة منسوبا إلى الله تعالى ، من الوجه ، واليد ، والعين ، والجنب ، والقدم ، والتنزل فبين أن ذلك كله يراد به ذات الله تعالى لا ما تقوله الجسّم والمشبّهة فهو مثل قوله تعالى : « وما ملكت أيمانكم » فهو لا يريد اليمين حقيقة ولكنه يقصد و « ما ملكتكم » .

ثم تحدث عن الماهية فقال : ما هية الله هي أنيته نفسها - ولا جواب لمن سأل : ما هو

البارى ؟ غير ما أجاب به موسى عليه السلام على فرعون حين سأله وما رب العالمين ؟ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين » . لأن الله حمد منه هذا الجواب ومدحه .

وختم حديثه فى هذا الجزء بالحديث عن : السخط ، والرضا ، والعدل ، والصدق ، والمملك ، والخلق ، والجود ، والإرادة ، والسخاء ، والكرم ، وما يخبر عنه بالقدرة عليه ، وكيف يصح السؤال فى ذلك كله .

ولم يختلف فى تناوله هذه الصفات ، فهو يورد الآراء المختلفة لذوى النحل ثم ينهى ذلك بالرد عليها ، وبيان الرأى الصحيح الذى يعتمد على البراهين النقلية والعقلية .

بقى أن نختم هذه المقدمة بأننا حرصنا كل الحرص على تقديم هذا الكتاب للقارىء فى صورة خالية من الأخطاء ، ومن السقط ، ومن التحريف - على قدر جهودنا المتواضعة .

وقد عنيانا فى هذا الجزء وفى بقية الأجزاء بالترجمة للأعلام التى وردت فيه ترجمات مختصرة ، وأرشدنا إلى مراجع هذه الترجمات ليستزيد من أراد الاستزادة ، كما عنيانا بضبط الألفاظ المشتبهة ، والأعلام ، ونقيناها من الأخطاء الكثيرة التى وقعت فى الطبعتين السابقتين (أ ، ب) .

هذا فضلا عن التبويب والتنسيق ، والتنظيم ، والعناية بالترقيم ، وغير ذلك مما يجب القارىء فى قراءته ، ويسر له السبيل إلى المعنى .

والله سبحانه وتعالى - ينفع بهذا العمل - ويجعل قطوفه دانية الجنى ، قريبة التناول إنه سميع

مجيب .

الحققان

ابتداء ذكر الأناجيل

قال أبو محمد : وأما الإنجيل وكتب النصارى فنحن إن شاء الله عزّ^(١) وجل موردون^(٢) من الكذب المنصوص في أناجيلهم ومن التناقض الذى فيها أمراً لا يشك كل من رآه في أنهم لا عقول لهم وأنهم مخذولون جملة .

وأما فساد دينهم فلا إشكال فيه على من له مُسَكَّةُ عقل ، ولسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عزّ وجلّ ، ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا إلى ذلك في التوراة والكتب المنسوبة إلى الأنبياء^(٣)، التى عند اليهود لأن جمهور اليهود يزعمون أن التوراة التى بأيديهم منزلة من^(٤) الله عز وجل على موسى عليه السلام . فاحتجنا إلى إقامة البرهان على بطلان دعواهم في ذلك . وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها لأتّهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح ، ولا أن المسيح عليه السلام^(٥) أتاهاهم بها ، بل كلهم أولهم عن آخرهم أريوسيين ، وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبيهم ومارونيهم^(٦)، ويولقانيّهم لا يختلفون في^(٧) أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة .

فأولها تاريخ ألفه متى اللاوائى (تلميذ المسيح) بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام

(١) في (أ ، ب) : تعالى بدلاً من (عز وجل) .

(٢) في (خ) : [موردون ما من الكذب] بزيادة [ما] .

(٣) في (أ ، ب) : عليهم السلام .

(٤) في (أ ، ب) : [من عند الله] .

(٥) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (عليهم السلام) .

(٦) ترجمنا لهذه الطوائف في الجزء الأول .

(٧) في (أ ، ب) « من » بدلاً من « في » .

وكتبه بالعبرانية في بلد يهوذا^(٨) بالشام يُكوّن نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط ، والآخر تاريخ ألفه ماركش الهاروني^(٩) (تلميذ شمعون^(١٠) بن يونا^(١١) المسمّى باصرة) بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح^(١٢) . وكتبه باليونانية في بلد أنطاكية^(١٣) ، من بلاد الروم ويقولون : إن شمعون المذكور هو ألفه ثم محاسمه من أوله ، ونسبه إلى تلميذه ماركش ، يُكوّن أربع عشرة^(١٤) ورقة بخط متوسط ، وشمعون المذكور تلميذ المسيح .

والثالث تاريخ ألفه لوقا^(١٥) (الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون باصرة^(١٦)) كتبه باليونانية في بلدة إقاية^(١٧) ، بعد تأليف ماركش المذكور بكون من قدر إنجيل^(١٨) متى .

والرابع تاريخ ألفه يوحنا^(١٩) بن سبداي تلميذ المسيح ، بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية في بلد استيه^(٢٠) يكون أربعاً وعشرين ورقة بخط متوسط ، ويوحنا هذا نفسه هو ترجم إنجيل متى صاحبه من العبرانية إلى اليونانية .

ثم ليس النصراني كتاب قديم يعظمونه بعد الأناجيل^(٢١) إلا الأفركسيس وهو كتاب ألفه لوقا

(٨) يهوذا : أحد حوارى يسوع ، خانه وأسلمه إلى أعدائه مقابل ثلاثين قطعة من الفضة ، شق نفسه بعد خيائه . وهو غير (يهوذا) الرسول أحد الرسل الاثني عشر ، فهذا يدعى تداوس أولباس ويكنى بأخر يعقوب تمييزاً له عن يهوذا الاسخريوطى الذى أسلم المسيح لخصومه (الموسوعة العربية الميسرة) .

(٩) ماركس : هو المسمّى في الإنجيل الحالى (مرقس) ، وإنجيله الحالى مكون من ثلاث وثلاثين صفحة ، وعدد أصحاباته ستة عشر إصحاحاً .

(١٠) في (أ) : شمعون الصفا .

(١١) في (أ) : توما .

(١٢) في (أ) : عليه السلام .

(١٣) أنطاكية : بالفتح ثم السكون ، والياء مخففة ، أول من بناها « انطيوخس » وهو الملك الثالث بعد الإسكندر وهى قصبة العواصم من الثغور الشامية ، موصوفة بالزراعة والحسن وطيب الهواء ، وعذوبة الماء ، دخلها الرشيد فى بعض غزواته فاستطابها ، ولكنه خرج منها بنصيحة من أهلها ، وبها قبر حبيب النجار الذى نزل فيه قول الله تعالى : « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى » وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم (معجم البلدان : ٢٦٩/١) .

(١٤) في (أ ، ب) : أربعة وعشرون ورقة .

(١٥) إنجيل لوقا الحالى مكون من تسع وثمانين صفحة ، وأربعة وعشرين إصحاحاً .

(١٦) في (أ ، ب) : بزيادة (أيضاً) .

(١٧) إقاية :

(١٨) أى يبلغ مقداره إنجيل متى ، وقد أشار أبو محمد إلى أن إنجيل متى ثمان وعشرون ورقة ، ولكن إنجيل متى الحالى مكون من ثمانية وعشرين إصحاحاً ، وعدد صفحاته ست وخمسون صفحة .

(١٩) إنجيل يوحنا مكون من واحد وعشرين إصحاحاً ، وعدد صفحاته أربع وأربعون صفحة .

(٢٠) في (ب) : (أشنيه) بالشين . وأستيا : بالفتح ثم السكون وكسر التاء وياء وألف من أشهر مدن الثغور بضم المعجمة ، وهى جبال بين هراة وغزنة (معجم البلدان : ١٧٦/ظ) .

(٢١) في (أ ، ب) : (الأناجيل الأربعة) .

الطبيب المذكور ، في أخبار الخواريين^(٢٢) وأخبار صاحبه بولش^(٢٣) البنياميني ، وسيرهم وقتلهم يكون نحو خمسين ورقة بخط مجموع .

وكتاب الوحي والإعلان^(٢٤) ألفه يوحنا بن سبداى المذكور ، وهو كتاب في غاية السحف والركاكة ، ذكر فيه مارأى^(٢٥) من الأحلام وإذ أسرى به وخرافات باردة .

والرسائل القانونية وهى سبع رسائل فقط منها ثلاث رسائل ليوحنا بن سبداى المذكور ، ورسالتان لباطرة شمعون المذكور ، ورسالة واحدة ليعقوب ابن يوسف النجار ، وأخرى لأخيه يهودى بن يوسف تكوّن كل رسالة من ورقة إلى ورقتين في غاية الرد والغثاثة . ورسائل بولش تلميذ شمعون باطرة وهى خمس عشرة رسالة تكوّن كلها نحو أربعين ورقة ، مملوءة حمقا ورعونة وكفرا ، ثم^(٢٦) كتاب لهم بعد ذلك فلا خلاف بينهم^(٢٧) أنه من تأليف المتأخرين من أساقفتهم ، وبطاركتهم كمجامع البطاركة والأساقفة الكبار البسة ، وسائر مجامعهم الصغار وفقهم في أحكامهم الذى عمله لهم « ذكريد^(٢٨) » الملك وبه يعمل نصارى الأندلس ، ثم لسائر النصارى أحكام أخرى^(٢٩) أيضاً عملها لهم من شاء الله تعالى أن يعملها من أساقفتهم لا يختلفون في هذا كله ، إنه كما قلنا : ثم أخبار شهدائهم فقط فجميع نقل^(٣٠) النصارى أوله عن آخره حيث كانوا هو راجع إلى الثلاثة الذين^(٣١) سمينا فقط ، وهم بولش ومارقش ولوقا ، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط ، وهم باطره ومتى ويوحنا ويعقوب ويهوذا ولا مزيد .

وكل هؤلاء فأكذب البرية وأخبثهم على ما نبين بعد هذا^(٣٢) إن شاء الله تعالى . على أن بولش حكى في الأفركسيس وفي إحدى رسائله ، أنه لم يبق مع باطرة إلا خمسة عشر يوما ، ثم لقيه

(٢٢) الخواريون هم : بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، وأندراوس ، وفيلبس ، وتوما ، وبرثولماوس ، ومتى ، وعقوب بن حلفى ، وسيمعان الغيور ، ويهوذا أخو يعقوب . وقد ترجم عنوان الكتاب ترجمة حالية تحت اسم أعمال الرسل بدلا من أخبار الخواريون . (راجع أعمال الرسل في الكتاب المقدس : الإصحاح الأول . طط ، ذط) . ولكن القرآن الكريم لم يذكر أسماءهم .

(٢٣) بولش البنياميني هو بولس الرسول كما في الإنجيل الحالى .

(٢٤) كتاب الوحي والإعلان . جاء في الترجمة الحالية ضمن الكتاب المقدس بعنوان : رؤيا يوحنا اللاهوتى ، ويقع في اثنين وعشرين إصحاحا .

(٢٥) في (أ ، ب) : « ما رآه في الأحلام » .

(٢٦) في (أ ، ب) : « ثم كل » .

(٢٧) في (أ ، ب) : « في أنه » .

(٢٨) في (أ ، ب) : ركويد .

(٢٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (أخرى)

(٣٠) في (ج) : (نقل) بالماء المردة .

(٣١) في (أ ، ب) : (الذى) . وقد أورد النديم في مقالته الأولى الفن الثانى فصلا عن الكلام على التوراة التى في يد اليهود وأسماء كتبهم وأخبار علمائهم ومصنفهم ، كما أورد فصلا آخر عن (الكلام على إنجيل النصارى وأسماء كتبهم وعلمائهم ومصنفهم ، فليرجع إليه من أراد الوضوح والاستزادة المهرست المقالة الأولى - الفن الثانى ص ٢٥ في الطبعة دانشكان طهران) .

(٣٢) في (أ ، ب) : « ذلك » .

مرة أخرى وبقي معه أيضاً يسيراً ، ثم لقيه الثالثة فأخذها جميعاً وصلباً إلى لعنة الله . إلا أن الأناجيل الأربعة والكتب التي ذكرنا أن عليها معتمدتهم فإنها عند جميع فرق النصارى في شرق البلاد^(٣٣) وغيرها على نسخة واحدة ، ورتبة واحدة ، لا يمكن أحد أن يزيد فيها كلمة ولا أن ينقص منها أخرى ، إلا افتضح عند جميع النصارى . لأنها مبلغة كما هي إلى ماركس ولوقا ويوحنا لأن يوحنا^(٣٤) هذا هو الذي نقل إنجيل متى عن متى ورسائل بولس مبلغة كذلك إلى بولس .

واعلموا أن أمر النصارى أضعف من أمر اليهود بكثير لأن اليهود كانت لهم مملكة ، وجمع عظيم مع موسى عليه السلام وبعده ، وكان فيهم أنبياء كثير ، ظاهرون آمرون مطاعون ، كموسى^(٣٥) وهرون ويوشع^(٣٦) وشموال^(٣٧) وداود وسليمان عليهما السلام . وإتاما دخلت الداخلة في التوراة بعد سليمان عليه السلام ، إذ ظهر فيهم الكفر وعبادة الأوثان ، وقتل الأنبياء وحرقت التوراة ونهب البيت مرة بعد مرة ، واتصل كفر جميعهم إلى أن تلفت دولتهم على ذلك .

وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا مائة وعشرون رجلاً فقط ، هكذا في الإفركسيس ، ونسوة منهن امرأة وكيل هردوس وغيرها ، كن ينفقن عليه أموالهن ، هكذا في نص إنجيلهم وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين في حياته ، وبعده يدعون إلى دينهم^(٣٨) سرا لا يكشف منهم^(٣٩) أحد وجهه إلى الدعاء إلى ملته ، ولا يظهر دينه ، وكل من ظفر به منهم فإنه^(٤٠) قتل بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسف النجار ، وأسطيبن الذي يسمونه بكر الشهداء وغيره ، وإما صلب كما صلب باصرة واندرياش أخوه وشمعون أخو يوسف النجار ، وفلبش^(٤١) وبولس وغيرهم^(٤٢) أو قتلوا بالسيف كما قتل يعقوب أخو يوحنا

(٣٣) في (أ ، ب) : « شرق الأرض » .

(٣٤) في (أ ، ب) : « هو الذي » .

(٣٥) في (خ) : « لموسى » .

(٣٦) يوشع : هو ابن نون من أنبياء بني إسرائيل بعثه الله نبيا ، فدعا بني إسرائيل وأخبرهم أنه سى ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فقاتلهم يوم الجمعة قتالاً شديداً حاي أمسوا وغربت الشمس ، ودعا الله تعالى فردت عليه الشمس فهزم الجبارين (الطبرى : ٢٢٧/١) نقلا عن هامش الملل والنحل حـ ٢ ص ١٠ نشر مكتبة الحسين التجارية سنة ١٩٤٨ م .

(٣٧) ورد في الكامل لابن الأثير : تحت اسم (أشموئيل) وذكر أنه اس بالى . وقد بعثه الله في بى إسرائيل لما طال عليهم الدلاء ، وأخذ الثابوت منهم ، وضرب جالوت ملك الكنعانيين الجزية ، فدعوا الله أن يعث لهم نبيا يقاتلون معه ، فأرسل إليهم أشموئيل ومعناه (سمع الله دعائى) ، وقدر في الكتاب المقدس تحت اسم « صموئيل » . وقد دعا الله أن يرسل إليهم ملكا قويا يقاتلون معه حالوت ، فاستجاب الله دعاءه وأرسل إليهم لجالوت فحاربوا تحت لوائه وانتصروا . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القصة في قوله تعالى « ألم تر إلى الملائكة من بى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنسى لهم ابعت لنا ملكا نقاتل في سبيل الله . . (الآيات من ٢٤٦ - ٢٥١) البقرة . وخبر هذا النبى ورد في الكامل في التاريخ لابن الأثير : ١٢١/١ - ط : دار الكتاب العربى بيروت ١٩٦٧ .

(٣٨) في (أ ، ب) : (دينه) .

(٣٩) في (أ ، ب) : (أحد منهم) .

(٤٠) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (فإنه) .

(٤١) في (أ ، ب) : (فليش) .

(٤٢) في (أ ، ب) : « وغيرهما » وهو خطأ .

وطوما^(٤٣) وبرتوما ويهوذا بن يوسف النجار ، ومتى . أو بالسلم كما قتل يوحنا بن سبداى ، ويقوا^(٤٤) على هذه الحال لا يظهرون ألبته ، ولأهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة ، بعد رفع المسيح عليه السلام .

وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله تعالى إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم ، وخزيًا لهم ، فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين الملك ، فمن حينئذ ظهر النصراني وكشفوا دينهم ، واجتمعوا وأمنوا ، وكان سبب تنصره أن أمه هلاى كانت بنت نصراني فعشقتها أبوه وتزوجها ، فولدت له قسطنطين ، فربته على النصرانية سرًا ، فلما مات أبوه وولى هو أظهر النصرانية ، بعد أعوام كثيرة من ولايته ، ومع ذلك فما قدر على إظهارها حتى رحل عن رومية مسيرة شهر إلى القسطنطينية وبنائها ، ومع ذلك فإنما كان أرويسيا هو وابنه بعده يقولان : إن المسيح عبد مخلوق ، نبي الله تعالى فقط وكل دين كان هكذا فمحال أن يصح فيه نقل متصل ، لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يوجد^(٤٥) إلا سرًا تحت السيف ، لا يقدر أهله على حمايته ، ولا على المنع من تبديله ، ثم لما ظهر دينهم بتنصر^(٤٦) قسطنطين كما ذكرنا فشا فيهم دخول المنانية تقية^(٤٧) ولم يكن فيهم غير^(٤٨) منانية مدلسون عليهم ، فأمكنهم بهذا أن يدخلوا^(٤٩) من الضلال ما أحبوا ، ولا يمكن ألبته أن ينقل أحد عن شمعون باطرة ولا عن يوحنا ، ولا عن متى ولا ماركش^(٥٠) ولا لوقا^(٥١) ولا بولش^(٥٢) آية ظاهرة ، ولا معجزة فاشية^(٥٣) ، لما ذكرنا أنهم كانوا مختلفين مستترين مظاهرين بدين اليهود من التزام السبت وغيره ، طول حياتهم . إلى أن ظفر بهم فقتلوا . وكل ما يضيفه النصراني إلى هؤلاء من المعجزات فأكذوبات موضوعة ، لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد ، كالذى تدعى اليهود لأخبارهم ، ورعوس مثانيهم ، وكالذى تدعى المنانية لماى سواء بسواء^(٥٤) وكالذى تدعى الروافض لمن يعظمونه وكالذى تدعى طوائف من المسلمين لقوم صالحين

(٤٣) فى (أ ، ب) : (طوما) .

(٤٤) فى (أ ، ب) : (فيقوا) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : « يؤخذ » بدلا من (يوجد) .

(٤٦) فى (أ ، ب) : « تنصر » وهو تحريف .

(٤٧) فى (أ ، ب) : « بغته » وهو تحريف .

(٤٨) فى (خ) : غير ما بطريارك منانية « الخ . وفى الأصل : « وكان فيهم » .

(٤٩) فى الأصل : « أم يدخلوا بهذا من الضلال فيما أحبوا » .

(٥٠) فى (أ ، ب) : « عن » .

(٥١) فى (أ ، ب) : « عن » .

(٥٢) فى (أ ، ب) : « عن » .

(٥٣) فى (أ ، ب) : باهرة .

(٥٤) فى (خ) : سقطت كلمة (سواء) .

كإبراهيم^(٥٥) بن أدهم ، وأبي مسلم^(٥٦) الخولاني ، وشيبان^(٥٧) الراعي ، وغيرهم وكل ذلك كذب وإفك وتوليد لأن^(٥٨) من ذكرنا فإنما نقله راجع إلى من لا يدرى ، ومن لا يقوم بكلامه حجة . ولا صح برهان سمعى ولا عقلى بصدقه .

وهكذا كان أصحاب مائى مع مائى إلا أنه ظهر نحو ثلاثة أشهر إذ مكر به بهرام بن^(٥٩) بهرام الملك ، وأوهمه أنه قد آمن به حتى ظفر بجميع أصحابه ، فصلب مائى وصلب جميع^(٦٠) أصحابه ، إلى لعنة الله . فكل معجزة لم تنقل نقلا يوجب العلم الضرورى كافة عن كافة حتى تبلغ إلى المشاهدة فالحجة لا تقوم بها على أحد ، ولا يعجز عن توليدها من لا تقوى^(٦١) له .

قال أبو محمد : معتمد النصارى كله الذى لا معتمد لهم غيره فى^(٦٢) قولهم بالتثليث ، وأن المسيح إله وابن الله ، واتحاد اللاهوت^(٦٣) بالناسوت ، والتحامه به إنما هو كله على أناجيلهم وعلى ألفاظ تعلقوا بها مما فى كتب اليهود ، كالزبور وكتاب أشعيا ، وكتاب أرميا ، وكلمات يسيرة من التوراة ، وكتب^(٦٤) سليمان ، وكتاب زخريا ، وقد نازعهم اليهود فى تأويلها فحصلت دعوى مقابلة لدعوى ، وما كان هكذا فهو باطل وممّوه^(٦٥) ، لأن التوراة وكتب الانبياء بأيديهم وبأيدي اليهود سواء ، لا يختلفون فيها ليصححوا نقل اليهود لسواد تلك الكتب ، ثم يجعلوا

(٥٥) إبراهيم بن أدهم : هو ابن منصور التميمي أبو إسحاق ، زاهد كان أبوه من أهل الغنى فى بلخ ، ففقه ورجل إلى بغداد ، وجال فى العراق والشام والحجاز ، وأخذ عن كثير من العلماء ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين ، جاءه عبد لأبيه يحمل عشرة آلاف درهم إليه ، ويخبره أن أباه قد مات فى بلخ ، وخلف له مالا عظيما ، فأعتق العبد ووهبه الدراهم ، ولم يعبا بمال أبيه . مات فى سوفن (حصن من بلاد الروم) توفى عام ١٦١ هـ (الأعلام : ٢٤/١) .

(٥٦) هو : عبد الله بن ثوب الخولاني ، تابعى ، فقيه ، عابد ، زاهد ، نعتة الذهبى برىحانة الشام ، أصله من اليمن ، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ، ولم يره ، فقدم المدينة فى خلافة أبى بكر ، وهاجر إلى الشام ، وفى أكثر المصادر : كانت وفاته بدمشق سنة ٦٢ هـ ، وقبره بدايا ، وكان يقال له : أبو مسلم حكيم هذه الأمة (الأعلام : ٢٠٣/٤) .

(٥٧) هو : شيبان أبو محمد الراعى ، كان فى العبادة فائقا ، وبالتوكل على ربه عز وجل واثقا ، حدث أحمد بن نصر عن محمد بن حمزة المرتضى قال : كان شيبان الراعى إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه فجاءت سحابة فأظلمته فاغتسل ، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه ثم يعود إليها فيجدها على حالتها لم تتحرك .

(حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء : للمحافظ الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، المجلد ٣١٧/٨) .

(٥٨) فى (أ ، ب) : بزيادة (كل) .

(٥٩) هو بهرام بن هرمز مزين سابور : قتل مائى الزنديق ، وقد حكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، ثم ولى ابنه بهرام بن بهرام

بن هرمز .

(٦٠) فى (أ ، ب) : وصلبهم كلهم .

(٦١) فى (أ ، ب) : (من لا يقوم له) .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (من) بدلا من (فى) .

(٦٣) فى (أ ، ب) : « اللاهوتية بالناسوتية » .

(٦٤) فى (أ ، ب) : « كتاب سسليمان » .

(٦٥) فى (أ ، ب) : (وموهوا بأن) .

تلك الألفاظ^(٦٦) حجة لهم ، دعواهم وتأويلهم ليس بأيديهم حجة غير هذا أصلاً . ولا جملة سوى هذه .

وقد أوضحنا بحول الله وقوته فساد أعيان تلك الكتب ، وأوضحنا أنها مفتعلة مبدلة لكثرة ما فيها من الكذب ، وأوضحنا^(٦٧) فساد نقلها وانقطاع الطريق منهم إلى من نسبت إليه تلك الكتب بما لا يمكن أحد دفعه ألينة بوجه من الوجوه . وبيننا أيضاً^(٦٨) بحول الله وقوته فساد نقل النصارى جملة ، وإقرارهم بأن أناجيلهم ليست منزلة ولكنها^(٦٩) مؤلفة لرجال ألفوها فبطل كل تعلق لهم والحمد لله رب العالمين .

* * *

ثم نورد إن شاء الله تعالى تكذيبهم في دعواهم أن التوراة عند اليهود وعندهم سواء ، ونورد ما يخالفون فيه نص التوراة التي بأيدي اليهود ؛ حتى يلوح لكل أحد كذب دعواهم الظاهرة في^(٧٠) تصديقهم لنصوص التوراة التي عند اليهود . وترى^(٧١) تكذيبهم لنصوصها ، فيبطل بذلك تعلقهم بما فيها ، وبما^(٧٢) نقل اليهود ، إذ لا يصح لأحد الاحتجاج بتصحيح ما يكذب .

ثم نذكر بعون الله وقوته مناقضات الأناجيل والكذب الفاحش المفضوح الموجود في جميعها ، وبالله تعالى التوفيق .

فيرتفع الإشكال جملة في ذلك ويستوى في معرفة بطلان كل ما بأيدي الطائفتين كل من اغترّ بكتماهم لما فضحناه منا ومنهم من الخاصة والعامة ، ومن سائر الملل أيضاً ، ويصحح عند كل من طالع كلامنا هذا أن الذين كتبوا الأناجيل وألفوها^(٧٣) كانوا كذابين ، مجاهرين بالكذب لتكاذبهم فيما أوردوه فيها من الأخبار ، وأنهم كانوا مستخفين مهلكين لمن اغترّ بهم والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالإسلام ، السالم من كلّ غش ، البرىء من كل توليد ، الوارد من عند الله تعالى لا من عمل^(٧٤) أحد دونه .

(٦٦) في (أ ، ب) : (التي فيها الحجة لهم) .

(٦٧) في (أ ، ب) : (بزيادة) أيضاً .

(٦٨) في (أ ، ب) : [آفا] .

(٦٩) في (أ ، ب) : « ولكنها كتب » .

(٧٠) في (أ ، ب) : (من) بدلا من (في) .

(٧١) في (خ) : (وقوى تكذيبهم) .

(٧٢) في (أ ، ب) : (وبما في) .

(٧٣) في (خ) : (والقوها) وهو تصحيف .

(٧٤) في (أ ، ب) : « لا من عند » .

« ذكر ما تثبته النصارى بخلاف نص التوراة وتكذيبهم لنصوصها التي بأيدي اليهود »

وادعاء بعض علماء النصارى أنهم اعتمدوا في ذلك على التوراة التي ترجمها السبعون شيخًا ، لبطليموس لا على كتب عزرا الوراق ، و اليهود مؤمنون بكلتا النسختين ، والخلاف عند النصارى موجود فيهما .

قال أبو محمد : في توراة اليهود التي لا اختلاف فيها بين الربانية والعنانية والعيسوية منهم : « لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة سنة ، ولد له ولد كشبهه وجنسه وسماه شيث^(١) » .

وعند النصارى بلا خلاف^(٢) من أحد منهم ولا من جميع فرقهم « لما أقي لآدم^(٣) مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث » . وفي التوراة التي عند اليهود كما ذكرنا : « فلما^(٤) عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد إينوش^(٥) » وعند النصارى كلهم : « لما عاش شيث مائتي سنة وخمس سنين ولد إينوش » .

وفي التوراة^(٦) عند اليهود كما ذكرنا : « أن إينوش لما عاش تسعين سنة ولد قينان^(٧) » وعند النصارى كلهم « أن إينوش لما عاش تسعين سنة ومائة^(٨) ولد قينان » وفي التوراة^(٩) عند اليهود كما ذكرنا : « أن قينان لما عاش سبعين سنة ولد مهلل^(١٠) » وعند النصارى كلهم « أن قينان

(١) سفر التكوين : (إصحاح ٦/٥) .

(٢) في (أ ، ب) : (بلا اختلاف بين) .

(٣) في (أ ، ب) : (على آدم) .

(٤) في (أ ، ب) : (لما) .

(٥) في (أ ، ب) : (نيوش) . وفي التوراة الحالية : (أنوش) (راجع سفر التكوين : الإصحاح ٦/٥ ، ٧) .

(٦) في (أ) : التي عند اليهود . في (ب) : (عند التي) .

(٧) سفر التكوين : (٩/٥) .

(٨) في (أ ، ب) : التي عند .

(٩) في التوراة الحالية اسمه : (مهلل) (راجع سفر التكوين : ١٢/٥ ، ١٣) .

لما عاش مائة سنة وسبعين سنة ولد مهللal « وفي التوراة عند اليهود كما ذكرنا : « أن مهللal لما بلغ خمساً وستين سنة ولد يارد^(١١) » وعند النصارى كلهم : « أن مهللal لما بلغ مائة سنة وخمساً وستين ولد يارد » واتفقت الطائفتان^(١٢) في عمر يارد إذ^(١٣) ولد له خنوخ^(١٤) وفي التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن خنوخ لما بلغ خمساً وستين سنة ولد له^(١٥) متوشالx وأن جميع عمر خنوخ كان ثلاثمائة سنة وخمساً وستين سنة ، وعند النصارى كلهم أن خنوخ لما بلغ مائة سنة وخمساً وستين سنة ، ولد متوشالx وأن جميع عمر خنوخ كان خمسمائة سنة وخمساً وستين سنة . ففى هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين فى موضعين .

أحدهما : سن خنوخ إذ ولد له متوشالx والثانى كمية عمر خنوخ ، واتفقت الطائفتان على عمر متوشالx إذ ولد له لايخ^(١٦) ، وعلى عمر لايخ إذ ولد له نوح ، وعلى عمر نوح إذ ولد له سام وحام ، ويافث ، وعلى عمر سام إذ ولد له أرفخشاذ^(١٧) .

وفى التوراة التى أن عند اليهود كما ذكرنا أن أرفخشاذ لما بلغ خمساً وثلاثين سنة ولد له متشالx^(١٨) وأن عمر أرفخشاذ كان أربعمائة سنة وخمساً وثلاثين سنة . وعند النصارى كلهم ان أرفخشاذ لما بلغ مائة سنة وخمساً وثلاثين سنة ولد له قينان ، وأن عمر أرفخشاذ كان أربعمائة سنة وخمساً وستين سنة ، وأن قينان لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له شالخ ، فبين الطائفتين فى هذا الفصل وحده اختلاف فى ثلاثة مواضع .

أحدها : عمر أرفخشاذ جملة ، والثانى : سن أرفخشاذ إذ ولد له ولده . والثالث : زيادة النصارى من^(١٩) أرفخشاذ وشالخ قينان وإسقاط اليهود له ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن شالخ لما بلغ ثلاثين سنة ولد له عابر^(٢٠) وأن عمر شالخ كان أربعمائة سنة وثلاثين سنة ، وعند النصارى كلهم أن شالخ لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له عابر ، وأن عمر شالخ كله كان أربعمائة سنة وستين سنة .

(١١) فى (خ) (يارد) بالزأى . وفى التوراة الحالية (يآرد) (التكوين : ١٦/٥ - ١٨) .
 (١٢) فى (خ) : الطائفة .
 (١٣) فى (خ) : (وإذ) .
 (١٤) فى التوراة الحالية اسمه : (أُنخُونُخ) (سفر التكوين : ١٨/٥ - ٢١) .
 (١٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (له) .
 (١٦) فى التوراة الحالية : (لأمك) (سفر التكوين : ٢٦/٥ ، ٢٨) .
 (١٧) فى التوراة الحالية : أُرُفُكُشَاد .
 (١٨) فى (أ ، ب) [شالx] بالخاء . ولكن اسمه فى التوراة الحالية : [شَالِخ] بالخاء المهملة .
 (١٩) فى (أ ، ب) (بين) بدلاً من (من) .
 (٢٠) سفر التكوين : (١١ : ١٤) .

ففى هذا الفصل تكاذب من^(٢١) الطائفتين فى موضعين :

أحدهما : سن شالغ إذ ولد له عابر والثانى : كمية عمر شالغ : وعند اليهود كما ذكرنا فى التوراة أن قالع^(٢٢) إذ بلغ ثلاثين سنة ولد له « راغو »^(٢٣) وعند النصارى كلهم أن قالع لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له « راغو » وفى توراة اليهود كما ذكرنا أن راغو لما بلغ اثنين وثلاثين سنة ولد له ساروع^(٢٤) وعند النصارى كلهم أن راغو لما بلغ مائة سنة واثنين وثلاثين سنة ولد له ساروع ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن ساروع إذ بلغ ثلاثين سنة ولد له ناحور . وكان عمر ساروع كله مائتى عام وثلاثين عاما . وعند النصارى كلهم ، أن ساروع إذ بلغ ثلاثين سنة ومائة سنة ولد له ناحور ، وأن عمر ساروع كله كان ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة ، ففى هذا الفصل بين الطائفتين تكاذب فى موضعين :

أحدهما : عمر ساروع جملة والثانى : سن ساروع إذ ولد له ناحور ، وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن ناحور لما بلغ تسعا وعشرين سنة ولد له تارح^(٢٥) ، وأن عمر ناحور كله كان مائة سنة وثمانيا وأربعين سنة . وعند النصارى أن ناحور لما بلغ تسعا وسبعين سنة ولد له تارح ، وأن عمر ناحور كله كان مائتى عام وثمانية أعوام ، ففى هذا الفصل بين^(٢٦) الطائفتين تكاذب فى موضعين :

أحدهما : عمر ناحور كله والثانى : سن ناحور إذ ولد له تارح . وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا أن تارح كان عمره كله مائتى عام وخمسة أعوام ، وعند النصارى كلهم أن تارح كان عمره كله مائتى عام وثمانية أعوام .

قال أبو محمد : فتولد بين الطائفتين^(٢٧) من الاختلاف المذكور زيادة^(٢٨) ألف عام وثلاثمائة عام وخمسين عاما عند النصارى ، فى تاريخ الدنيا على ما هو عند اليهود فى تاريخها ، وهى تسعة عشر موضعا كما ذكرنا^(٢٩) فوضح اختلاف التوراة عندهم .

ومثل هذا من التكاذب لا يجوز أن يكون من عند الله عز وجل أصلا ، ولا من قول نبي ألبتة . ولا من قول صادق عالم من عرض الناس ، فبطل بهذا بلا شك أن تكون التوراة وتلك

(٢١) فى (أ ، ب) (بين) .

(٢٢) فى (أ ، ب) (فالغ) وفى التوراة الحالية (فالج) : (سفر التكوين : ١٧/١١ ، ١٨) .

(٢٣) فى التوراة الحالية اسمه : (رغو) (تكوين : ١٨/١١ ، ١٩) .

(٢٤) فى (أ ، ب) : (ساروع) بالشين . واسمه فى التوراة الحالية : (سروج) تكوين : ٢٠/١١ .

(٢٥) فى (أ ، ب) : (تارخ) بالخاء ، وهو فى التوراة الحالية المهمل .

(٢٦) فى (أ ، ب) : (تكاذب بين) . (راجع سفر التكوين : من الإصحاح الخامس إلى الإصحاح ١١) .

(٢٧) فى (أ ، ب) : (فتولد من الاختلاف المذكور بين) .

(٢٨) فى (أ ، ب) : (زيادة عن) .

(٢٩) فى (أ ، ب) : (كما أوردنا) .

الكتب منقولة نقلا يوجب صحة العلم . لكن نقلا فاسداً مدخولاً مضطرباً . ولابد للنصارى ضرورة من أحد خمسة أوجه ، لا مخرج لهم عن أحدها .

إما أن يصدقوا نقل اليهود للتوراة وأنها صحيحة عن موسى عليه السلام عن الله تعالى ، ولكتبهم وهذه طريقتهم في الحجاج والمناظرة ، فإن فعلوا فقد أقرّوا على أنفسهم وعلى أسلافهم الذين نقلوا عنهم دينهم بالكذب ، إذ خالفوا قول الله عز وجل وقول موسى عليه السلام ، أو يكذبوا موسى^(٣٠) في ما نقل عن الله تعالى وهم لا يفعلون ذلك^(٣١).

أو يكذبوا نقل اليهود للتوراة ولكتبهم ، فيبطل تعلقهم بما في تلك الكتب مما يقولون إنه إنذار بالمسيح عليه السلام ، إذ لا يجوز لأحد أن يحتاج بما لا يصح نقله .

أو يقولوا كما قال بعضهم : إنهم إنما عولّوا فيما عندهم على ترجمة السبعين شيخاً ، الذين ترجموا التوراة وكتب الأنبياء لبطليموس . فإن قالوا هذا فإنهم لا يخلون ضرورة من أحد وجهين : إما أن يكونوا صادقين في ذلك ، أو يكونوا كاذبين في ذلك ، فإن كانوا كاذبين^(٣٢) فقد سقط أمرهم والحمد لله رب العالمين ، إذ لم يرجعوا إلا إلى المجاهرة بالكذب .

وإن كانوا صادقين في ذلك فقد حصلت تورأتان مختلفتان^(٣٣) متعارضتان ؛ توراة السبعين شيخاً وتوراة عزرا . ومن الباطل المحال^(٣٤) الممتنع كونهما جميعاً حقاً من عند الله عز وجل . واليهود والنصارى كلهم مصدق مؤمن بهاتين التورأتين معاً ، سوى توراة السامرة^(٣٥) فلا بد ضرورة من أن تكون إحداها حقاً ، والأخرى مكذوبة . فأيهما كانت المكذوبة فقد حصلت الطائفتان على الإيمان بالباطل ضرورة ، ولا خير في أمة تؤمن بيقين الباطل ، ولئن^(٣٦) كانت توراة السبعين شيخاً هي المكذوبة فلقد كانوا شيوخ سوء كذابين ملعونين ، إذ حرقوا كلام الله وبدلوه ، ومن هذه صفته فلا يحل أخذ الدين عنه ولا قبول نقله ، ولئن^(٣٧) كانت توراة عزرا المكذوبة فقد

(٣٠) في (أ ، ب) : (عليه السلام) .

(٣١) في (أ ، ب) : (هذا) .

(٣٢) في (أ ، ب) : (في ذلك) .

(٣٣) في (أ ، ب) : (متخالفتان) .

(٣٤) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (المحال) .

(٣٥) في (أ ، ب) : السامرة . والسامرة : هم توراة خاصة تخالف توراة اليهود ، ولا يعرف زمن ظهورها ، وقد اجتهد العلماء في تحديد زمانها فلم يوفقوا له ، والذي يعرف أنه كان إلى القرن السادس عشر مجهولاً ، وفي السابع عشر جلب العالم « أسيريوس » نسخاً منها من الشرق ، وفي الوقت نفسه جلب المسيو « هارلي دوسانس » سفير فرنسا لدى تركيا نسخة منها مع كتب أخرى . (دائرة معارف القرن العشرين) .

(٣٦) في (أ ، ب) : (وإن) .

(٣٧) في (أ ، ب) : (وإن) . وقد ذكر النديم في فهرسته أن جميع ما أنزل الله تعالى من الكتب مائة كتاب وأربعة وقد أنزل الكتاب الخامس على موسى وهو عشرة صحائف ، ثم نزل التوراة على موسى عليه السلام بعد الصحف بزمان في عشرة ألواح ، فلما نزل موسى من الجبل ووجد أصحابه قد عبدوا العجل رمى بها فتكسرت ثم ندم فسأل الله عز وجل أن يردها عليه فأوحى الله له أني أردتها في لوحين ، وفعل الله ذلك فأخذ اللوحين لوح الميثاق ، والآخر لوح الشهادة (الفهرست : الفن الثاني من المقالة الأولى) .

كان كذاباً إذ حرف كلام الله ولا يحل أخذ شيء من الدين عن كذاب ولا بد من أحد الأمرين .
أو تكون كلتاها كذباً وهذا هو الحق اليقين الذى لا شك فيه لما قدمنا ممّا فيها^(٣٨)
من الكذب ، الفاضح الموجب للقطع بأنها مبدلة محرفة وسقطت الطائفتان معاً ، وبطل دينهم
الذى إنما مرجعه إلى هذه^(٣٩) الكتب المكذوبة . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : فتأملوا هذا الفصل وحده ، ففيه كفاية فى تيقن بطلان دين الطائفتين
فكيف سائر^(٤٠) ما أوردناه .. إذا استضاف إليه .. ؟ !!

وفى التوراة وعند اليهود وعند النصارى اختلاف آخر اكتفينا منه بهذا القدر ، والحمد لله
رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالإسلام المنقول إلينا نقل الكواف ، إلى رسول الله ، المعصوم
ﷺ ، البرىء من كل كذب وكل^(٤١) محال ، الذى تشهد له العقول بالصحة^(٤٢) .

(٣٨) فى (خ) : (فيه كذب) .
(٣٩) فى (أ ، ب) : (تلك) .
(٤٠) فى (أ ، ب) : (بسائر) .
(٤١) فى (أ ، ب) : (ومن كل) .
(٤٢) فى (أ ، ب) : (والحمد لله رب العالمين) .

« ذكر مناقضات الأناجيل الأربعة والكذب الظاهر الموجود ^(١) فيها » .

قال أبو محمد : أول ذلك ^(٢) أن أول مبدأ إنجيل متى اللوائى ، الذى هو أول الأناجيل بالتأليف والرتبة ، مُصَحَّفٌ نِسْبَةً يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم وإبراهيم وَلَدَ إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، وليهوذا وَلَدَ مِنْ ثامار ^(٣) : فارض ^(٤) وتارح ، ثم إن فارض ولد حصروم ^(٥) ، وحصروم ولد إدام ^(٦) ، وإدام ولد عميناذاب ^(٧) ، وعميناذاب ولد نجشون ^(٨) ، ونجشون ولد أشلومون ^(٩) ، وأشلومون ولد له من راحاب : بوعز ، وبوعز ولد له مِنْ ذوث ^(١٠) : عوبيد ^(١١) ، وعوبيد ولد له أيشاى ^(١٢) ، وإيشاى ولد له داود الملك ، وولد داود الملك أشلومون ^(١٣) ، وأشلومون ولد رجبعام ^(١٤) ، ورجبعام ولد أبيوب ^(١٥) ، وأبيوب ولد أشا ^(١٦) ، وأشا ولد يهوشافاط ، ويهوشافاط ولد يهورام ^(١٧) ، ويهورام

(١) فى (أ ، ب) : (الموضوع) .

(٢) فى (أ ، ب) زيادة (مبدأ الخلق) وهى زيادة تغل بالمعنى .

(٣) فى (أ ، ب) : ثامان .

(٤) فى إنجيل متى الحالى اسمهما : « فَارِص وَزَارَح » (الإصحاح ٣/١) .

(٥) فى (أ ، ب) : حضروم بالضاد ، ولكن اسمه فى إنجيل متى الحالى : (حَضْرُون) (الإصحاح : ٣/١) .

(٦) فى (أ ، ب) : إرام ، ولكنه فى إنجيل متى (أرام) بفتح الهمزة .

(٧) فى إنجيل متى : (عميناذاب) بالبدال المهملة .

(٨) فى إنجيل متى : (نَجْشُون) بالنون والحاء . وفى (أ ، ب) زاد (الخارج من مصر أخو زوجة هارون) .

(٩) فى إنجيل متى : (سلمون) .

(١٠) فى إنجيل متى اسمها (رَاعُوْث) . وفى (أ ، ب) : (روث) .

(١١) اسمه فى إنجيل متى : (عوبيد) بالبدال المهملة .

(١٢) فى إنجيل متى : (يَسَّى) .

(١٣) فى إنجيل متى : (سليمان) .

(١٤) فى (أ ، ب) : (رجبعام) .

(١٥) فى إنجيل متى : (أُيِّيَا) .

(١٦) فى إنجيل متى : (آسا) بالسین المهملة .

(١٧) فى إنجيل متى : (يورام) .

ولد أحزياهو^(١٨)، وأحزياهو ولد يوثام ، ويوثام ولد أحاز ، وأحاز ولد أحزياهو^(١٩)، وأحزياهو ولد منشأ^(٢٠)، ومنشأ ولد آمون ، وأمون ولد يوشياهو^(٢١)، ويوشياهو ولد يخنيا^(٢٢)، وإخوته وقت الرحلة إلى بابيل^(٢٣)، وبعد ذلك ولد لنحنيا صلتايل^(٢٤)، ولسلتايل ولد زربابيل^(٢٥)، وزربابيل ولد أبيوب^(٢٦)، ولأبيوب ولد الياجيم^(٢٧)، ولألياجيم ولد آزور^(٢٨)، وآزور ولد صدوق ، وصدوق ولد أجيم^(٢٩)، واجيم ولد اليوث^(٣٠)، واليوث ولد العزار^(٣١)، والعزار ولد شان^(٣٢)، وشان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف خطيب^(٣٣) مريم التي ولدت يسوع الذي يدعى مسيحًا ، فصار من إبراهيم إلى داود أربعة عشر أبًا^(٣٤). ومن داود إلى وقت^(٣٥) الرحلة أربعة عشر أبًا ، ومن الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أبًا ، فجميع الموالد من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولودا .

قال أبو محمد : في هذا الفصل خلاف لما في كتب^(٣٦) اليهود والتوراة ، التي هي عندهم في النقل كالتوراة ، وهما كتاب ملاخيم^(٣٧)، وكتاب ويراهاشيم^(٣٨) فقال ههنا تارح بن يهوذا . وفي التوراة زارح بن يهوذا ، وهذا اختلاف في الاسم ، وكذب من أحد الخبرين ، والأنبياء لا يكذبون .

وقال ههنا احزياهو بن بهورام ، وفي كتب اليهود أحزيا بن يورام ، وهذا اختلاف في الأسماء ووحى الله تعالى لا يحتمل هذا ، فأحد النقلين كاذب بلا شك . وقال ههنا يوثام بن أحزياهو وفي كتب اليهود المذكورة يوثام بن عزريا ، بن أمصيا بن يواش^(٣٩) بن أحزيا ، فأسقط ثلاثة آباء

- (١٨) في إنجيل متى : (غُرْيَا) .
- (١٩) في إنجيل متى : (جَرْقِيَا) . وفي (أ ، ب) (أحزيا) بدون (هو) .
- (٢٠) في إنجيل متى : (مَنْسَى) .
- (٢١) في إنجيل متى : (يُوْشِيَّا) بدون (هو) .
- (٢٢) في إنجيل (يَكْنِيَا) . وفي (أ ، ب) : (ولد لنحنيا) .
- (٢٣) في إنجيل متى : (عند سبي بابل) .
- (٢٤) في إنجيل متى : (سَلْتَيْيِل) .
- (٢٥) في إنجيل متى : (زَرْبَابِيل) . وفي (أ ، ب) : (زربابيل) .
- (٢٦) في إنجيل متى : (أَبِيهُود) . وفي (أ ، ب) : (أبيوس) .
- (٢٧) في إنجيل متى : (الْيَاقِيم) .
- (٢٨) في إنجيل متى : (عَازُور) .
- (٢٩) في إنجيل متى : (أُخِيم) بالخاء .
- (٣٠) في إنجيل متى : (الْيُود) .
- (٣١) في إنجيل متى : (الْيَعَازَر) .
- (٣٢) في إنجيل متى : (مَثَان) . وفي (أ ، ب) : (مثن) .
- (٣٣) في إنجيل متى : (رَجُل مريم) .
- (٣٤) في إنجيل متى : (جِيلَا) .
- (٣٥) في إنجيل متى : (إلى سبي بابل) .
- (٣٦) في (أ ، ب) : (في التوراة وكتب اليهود) .
- (٣٧) في (أ ، ب) : ملاخيم .
- (٣٨) في (أ ، ب) : (ويراهايم) .
- (٣٩) في (أ ، ب) : (ابن أس) .

مما في كتب اليهود وهذا عظيم جدا . فإن صدقوا كتب اليهود وهم مصدقون لها^(٤٠) فقد كذب متى وجهل .

ولئن صدقوا متى فإن كتب اليهود كاذبة ، لا بدّ من أحد ذلك . فقد حصلوا على التصديق بالشئ وضدّه معاً . وقال ههنا : أحزياهو بن أحاز بن يوثام . وفي كتب اليهود المذكورة حزقيا ابن أحاز بن يوثام ، وهذا اختلاف في الاسم . والوحى لا يَحتمل هذا . فأحد النقلين كاذب بلاشك . وقال ههنا : يخنيا^(٤١) بن يوشياهو بن آمون ، وفي كتب اليهود التي ذكرنا يخنيا بن الياقيم ابن يوشيا بن آمون ، فأسقط متى الياقيم وخالف في اسم يوشيا بن آمون^(٤٢) ، وهذا عظيم وكما قدمنا من كذبهم ولا بدّ . إذ يصدقون بالشئ والصدّ له معاً . وهم لا يختلفون في أن متى رسول معصوم أجلّ عند الله من موسى ومن سائر الأنبياء كلهم عليهم السلام ، وهو قد قال في أول كلمة من إنجيله : « مصحف نسبة المسيح بن داود بن إبراهيم » ثم لم يأت إلا بنسب يوسف النجار زوج مريم الذى هو^(٤٣) عندهم ربيب إلههم زوج أمه . فكيف يقول : إنه يذكر نسبة المسيح ثم يأتى بنسبة يوسف النجار ؟ والمسيح عند هذا التيس البوّال ليس هو ولد يوسف أصلاً . فقد كذب هذا القدر كذباً لا خفاء به ، ولا مدخل للمسيح في هذا النسب أصلاً بوجه من الوجوه . إلا أن يجعلوه ولد يوسف النجار وهم لا يقولون هذا ولا نحن ولا جمهور اليهود .

أما هم فيقولون : إنه ابن الله من مريم ، وإنه إله وابن إله وامرأة ، تعالى الله عن هذا . وأما نحن والعيسوية من اليهود معنا ، والآريوسية والبولقانية والمقدونية من النصارى ، فنقول إنه عبد آدمى خلقه الله تعالى ، في بطن مريم عليها السلام ، من غير ذكر .

وأما جمهور اليهود^(٤٤) فيقولون إنه لغير رَشْدَةٍ حاشا له من ذلك ، بل إن طائفة قليلة من اليهود يقولون انه ابن يوسف النجار ، وما نرى متى إلا شاهداً لقولهم ومحققاً له . وإلا فكيف يبدأ بأنه يذكر نسب المسيح إلى داود ثم لا يذكر إلا يوسف النجار إلى داود .. ؟ ولو أنه ذكر نسبة^(٤٥) أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر ، لكنه لم يذكر نسب مريم أصلاً ، ثم لم يستح النذل من أن يحقق ما ابتداء به^(٤٦) ، فبعد أن أتم نسب يوسف النجار قال : من الرحلة إلى المسيح أربعة عشر أباً ، فجميع المواليد من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولوداً ، فأكدّ هذا الملعون كذبه

(٤٠) في (أ ، ب) : (بها) .

(٤١) في (أ ، ب) : (نَحْلِيَا) .

(٤٢) في (خ) : سقطت كلمة (ابن آمون) .

(٤٣) في (أ ، ب) : (عندهم هو) .

(٤٤) في (أ ، ب) : (لعنهم الله) .

(٤٥) في (أ ، ب) : (نسب) .

(٤٦) في (خ) : (يحقق ابتداء) .

وأن^(٤٧) المسيح ولد يوسف ، لابد ضرورة من أحدهما ، وإلا فكيف يكون من الرحلة إلى المسيح أربعة عشرأباً .. ؟ والمسيح ليس هو ابنا لأحدهم ، ولا هم آباء له . وكيف يكون من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولوداً ولا مدخل للمسيح في تلك الولادات إلا كمدخله في ولادات أهل الهند ، وأهل الصين وأهل ططفه^(٤٨) ، وسقر وسقرال ولا فرق .. ؟

هذه فضائح الدهر ومالا يأتي به إلا أفحش^(٤٩) البرية . ونعوذ بالله من الخذلان . ثم كذب آخر وجهل زائد ، وهما قوله فمن^(٥٠) إبراهيم إلى داود أربعة عشرأباً .

قال أبو محمد : هذا كذب إنما هم على ما ذكرنا ثلاثة عشر : إبراهيم وإسحق ، ويعقوب ، ويهوذا ، وزارح ، وحصرور ، وآرام ، وعميناذاب ، ونجشون ، واشلومون ، وبوعز ، وعوبيذ ، وأنشأى فهؤلاء ثلاثة عشرأباً . ثم داود ولا يجوز ألبة أن يعد داود في آباء نفسه ، فيجعل أباً لنفسه وهذه ملحنة ، ثم قال : ومن داود إلى الرحلة أربعة عشرأباً ، وليس كذلك لأن نخنيا هو الراحل بنص قول متى ، وأنه لم يولد له على قوله صليثال^(٥١) إلا بعد الرحلة ، فهم : أشلومون ورجيعام^(٥٢) وأيوب^(٥٣) وأشا ، ويوشافاظ ، ويهورام وأحزياهو ، ويوثام ، وأحاز ، وأجزياهو ، ومنشا^(٥٤) وآمون ويوشاهو ويخنيا .

وقد عدّ داود قبل فإن عدّة ههنا فقد حققوا الكذب في الفصل الذي قبله ، وإن لم يعدوه^(٥٥) ههنا فقد كذبوا في هذا العدد^(٥٦) الثاني ، أو جعلوا يخنيا أباً لنفسه وهذا هوس . ثم قال : ومن الرحلة إلى المسيح أربعة عشرأباً ، وهذا فصل جمع كذبتين عظيمتين .

إحدهما : أنه إذا عد صليثال من بعده إلى يوسف النجار فليسوا إلا اثني عشر رجلاً فقط . وهم صليثال^(٥٧) وأيوب والياجيم ، وازور ، وصدوق ، واجيم واليوث ، والعزار ، وزربابيل^(٥٨) ، وماثان ، ويعقوب ويوسف . فإن عدّ فيهم يخنيا كانوا ثلاثة عشر ، وهو يقول أربعة

(٤٧) في (خ) : (أو أن) .

(٤٨) في (أ ، ب) : (أهل طلعة) .

(٤٩) في (أ ، ب) : (أنجس) .

(٥٠) في (أ ، ب) : (فبين) .

(٥١) في (أ ، ب) : (صليثال) .

(٥٢) في (أ ، ب) : (ورجيعام) .

(٥٣) في (أ ، ب) : (وأيوبس) .

(٥٤) في (أ) : (وميشا) .

(٥٥) في (أ ، ب) : (وإن عدوه هناك) .

(٥٦) في (خ) : (سقطت كلمة العدد) .

(٥٧) في (أ ، ب) : (وزربابيل) .

(٥٨) في (أ ، ب) : (لم يذكر زربابيل) .

عشر فاعجبوا لهذا الحمق ولهذا الضلال ، واعمجبوا من رعونة كل^(٥٩) من جاز هذا عليه واعتقده ديناً ؟ !

ثم إن كان عنى أنهم آباء المسيح فيوسف والد المسيح وكفى ، وهذا^(٦٠) عندهم كفر ، فقد كفر متى أو كذب وجهل لابد من أحد ذلك ، ثم قوله فمن إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولوداً ، وهذا كذب فاحش وجهل مفرط ، لأنه إذا عدَّ إبراهيم ومن بعده إلى يوسف ، وعد يوسف أيضاً فإنما هم أربعون فقط . فإن عدَّ المسيح وجعله ولد يوسف لم يكونوا أيضاً إلا واحداً وأربعين فقط . فاعجبوا ممن يدين الله تعالى بهذا الحمق واحمدوه على السلامة .

هذا إلى الكذب المفضوح الذى فى نسب داود عليه السلام إلى بخشون^(٦١) بن عميناذاب ، لأن بخشون بنص توراتهم هو الخارج من مصر ، وهو مقدم بنى يهوذا ، ولم يدخل بنص التوراة أرض القدس . لأن كل من خرج من مصر ابن عشرين سنة فصاعداً ، ماتوا كلهم فى التيه بنص التوراة . فإذا عدَّت الولادات من أشلومون بن بخشون الذى دخل أرض القدس^(٦٢) إلى داود عليه السلام وجدوا أربعة فقط . وهم داود بن إنشاي^(٦٣) بن عويذ ابن يوعز^(٦٤) بن أشلومون ، الداخلى مصر المذكور ولا يختلفون يعنى اليهود والنصارى معاً ، أن من دخول أشلومون المذكور مع يوشع وبنى إسرائيل الأرض المقدسة إلى مولد داود عليه السلام خمسمائة سنة وثلاثاً وسبعين سنة . فيجب على هذا أن يقول : إن أشلومون لم يدخل الأرض المقدسة إلا^(٦٥) ابن أقل من سنة ، وإنه لم يولد لكل واحد منهم ولده المذكور إلا وله مائة سنة ونيف وأربعون سنة ، وكتبهم تشهد ككتاب ملاخيم^(٦٦) وديراهميم^(٦٧) وغيرهما ، ونقطع أنه لم يعيش أحد من بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام مائة سنة وثلاثين سنة إلا يهويارع^(٦٨) الكوهين^(٦٩) الهارونى وحده . فكم هذا الكذب وهذا الإفصاح فيه .. ؟ وهذه الشهرة العظيمة لا ينفكون من كذبة إلا إلى أخرى ، ومن سوءة إلا إلى سوءة ، ونعوذ بالله من البلاء . فاعجبوا لما افتتح به هذا الكذاب كتابه^(٧٠) ..؟؟ وتأليفه ماذا جمع هذا الفصل على صغره وأنه أسطار يسيرة من الكذب والجهل .. ؟

(٥٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .

(٦٠) فى (أ ، ب) : (وكفى بهذا عندهم كفراً) .

(٦١) فى (أ ، ب) : (بخشون) بالخاء .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (المقدس) .

(٦٣) فى (أ) : (ابن آشان) .

(٦٤) فى (أ ، ب) : (بوغر) بالراء المهملة .

(٦٥) فى (أ ، ب) : (إلا وهو أقل) .

(٦٦) فى (أ ، ب) : (ملاخيم) بالخاء .

(٦٧) فى (أ ، ب) : (براهيميم) .

(٦٨) فى (أ ، ب) : (يهوارع) .

(٦٩) فى (أ ، ب) : (الكوهين) .

(٧٠) فى (أ) : سقطت كلمة (كتابه) .

« وأحسن ما في خالد وجهه .. فقس على الغائب بالشاهد » .

ثم ذكر لوقا الطبيب في الباب الثالث منه نسب المسيح عليه السلام ، فقال : إنه كان يظن أنه ابن يوسف النجار ، المنسوب إلى علي^(٧١) إلى ناثان^(٧٢) ، إلى لاوى ، إلى ملكى إلى يمتاع^(٧٣) إلى يوسف إلى متاثيا إلى حاموص^(٧٤) إلى ناحوم إلى أشلا^(٧٥) إلى أبجا^(٧٦) إلى ماهاث^(٧٧) إلى متشيا^(٧٨) إلى صمغى^(٧٩) إلى يصداد^(٨٠) إلى يهندع^(٨١) إلى يوحنا إلى رشا^(٨٢) إلى زربابيل^(٨٣) إلى صلثيال^(٨٤) إلى ملكى^(٨٥) إلى نادى^(٨٦) إلى مرا^(٨٧) إلى أربع^(٨٨) إلى قرصام^(٨٩) إلى اليمدان^(٩٠) إلى هار^(٩١) إلى يشوع^(٩٢) إلى اليعزار^(٩٣) إلى يوريم^(٩٤) إلى ماثا^(٩٥) إلى لاوى^(٩٦) إلى شمعون^(٩٧) إلى يهوذا^(٩٨)

* * *

(٧١) في الإنجيل الحالى للوقا : (هالى) (راجع إنجيل لوقا : الإصحاح ٣ / من ٢٣ - إلى آخره) .

(٧٢) في الإنجيل الحالى (مثنائ) (المرجع السابق) .

(٧٣) في إنجيل لوقا : (يمتا) .

(٧٤) في إنجيل لوقا : (غاموس) .

(٧٥) في إنجيل لوقا : (حسلى) .

(٧٦) في إنجيل لوقا : (نجائى) . وفى (أ ، ب) (أنحا) وهو تحريف .

(٧٧) في إنجيل لوقا : (ماث) . وفى (أ ، ب) : (فاهاث) .

(٧٨) في إنجيل لوقا : (ماثيا) . وفى (أ ، ب) : (منيشا) .

(٧٩) لوقا : (شيمغى) . وفى (أ ، ب) : (صمغا) .

(٨٠) في لوقا : (ابن يوسف) . وفى (أ ، ب) : (مصداق) .

(٨١) في لوقا : (ابن يهوذا) .

(٨٢) في لوقا : (ريسا) .

(٨٣) في لوقا : (زربابيل) . وفى (أ ، ب) : (روبابيل) .

(٨٤) في لوقا : (شالقييل) .

(٨٥) في لوقا : (ابن نيري) .

(٨٦) في لوقا : (ابن آدمى) . وفى (أ ، ب) : (بادی إلى ملكى) .

(٨٧) في لوقا : (ابن قُصم) .

(٨٨) في لوقا : (ابن المودام) . وفى (أ ، ب) : (اليران) .

(٨٩) في لوقا : (ابن عير) .

(٩٠) في لوقا : (ابن بوسى) .

(٩١) في لوقا : (ابن أليخازر) .

(٩٢) في لوقا : (ابن يوريم) .

(٩٣) في لوقا : (ابن مثنائ) .

(٩٤) في لوقا : (ابن لاوى) .

(٩٥) في لوقا : (ابن شمعون) .

(٩٦) في لوقا : (ابن يهوذا) .

(٩٧) في لوقا : (ابن يوسف) .

(٩٨) في لوقا : (ابن يونا) .

إلى يوسف^(٩٩) إلى يونا^(١٠٠) إلى الياجيم^(١٠١) إلى ملكان^(١٠٢) إلى أنان^(١٠٣) إلى عيشاع^(١٠٤) إلى مناثا^(١٠٥) إلى ناثان^(١٠٦) إلى داود^(١٠٧) النبي عليه السلام ، ثم ذكر نسب داود كما نسبته^(١٠٨) متى حرفاً حرفاً .

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ما أفحشها وأوحشها ، وأقذرها وأوضرها ، وأرذلها وأذلها ، متى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار^(١٠٩) .. ؟؟ ثم ينسب يوسف إلى الملك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبا فأبا . ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متى حتى يخرجهم إلى ناثان بن داود ، أخى سليمان بن داود ، ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذباً فيكذب متى أو لوقا ، ولابد أن يكون كلا النسبتين كذباً فيكذب الملعونان لوقا^(١١٠) ومتى جميعاً ، ولا يمكن ألينة أن تكون كلا النسبتين حقاً ، ولوقا عندهم - لوقا الله صورهم وألاق وجوههم ولقاهم البلاء ، وألقى عليهم الدمار واللعنة ، في الحالة^(١١١) - فوق جميع الأنبياء عليهم السلام فهذه صفة أناجيلهم . فاحمدوا الله تعالى أيها المسلمون^(١١٢) على السلامة والعصمة .

وقال بعض أكابر من سلف منهم من مُضِلِّهم : إن أحد هذين النسبتين هو نسب الولادة ، والنسب الآخر نسب إلى إنسان تبناه على ما كان في قديم زمن بنى إسرائيل من أن من مات ولا ولد له تزوج^(١١٣) أخوه امرأته ، وينسب^(١١٤) إلى الميت من ولدت من هذا

-
- (٩٩) في لوقا : (ابن ألياقيم) .
 - (١٠٠) في لوقا : (ابن مَلِكَا) .
 - (١٠١) في لوقا : (ابن مَثِيان) .
 - (١٠٢) في لوقا : (ابن مَثَاثَا) .
 - (١٠٣) في لوقا : (ابن ناثان) .
 - (١٠٤) في لوقا : (ابن داود) .
 - (١٠٥) في لوقا : (ابن يَسَّى) .
 - (١٠٦) في لوقا : (ابن عوبيد) .
 - (١٠٧) في لوقا : (ابن لوعز) .
 - (١٠٨) في (أ ، ب) : كما ذكره .

(١٠٩) راجع إنجيل متى الإصحاح الأول . وفيه : أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من روح القدس ، فيوف رجاءها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ، ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذ ملاك الرب قد ظهر له في حلن قائلاً : يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . الخ (الفقرات من ١٨ - ٢٤) .

وهذا يخالف ما قرره ابن حزم ، فلعل الإنجيل قد تعرض لتغيير وتبديل آخر . .

(١١٠) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (لوقا ومتى) .

(١١١) في (أ ، ب) : (في الجلالة) .

(١١٢) في (أ ، ب) : (المؤمنون) .

(١١٣) في (أ ، ب) : وتزوج آخر .

(١١٤) في (أ ، ب) : (نسب) .

الحى ، فقلنا لمن عارضنا منهم بهذا الهوس ، من لك بهذا ؟ وأين وجدته للوقا أو لمتى ؟ والدعوى لا يعجز عنها أحد وهى باطلة ، إلا أن يُعضِّدها برهان . وبعد هذا فأى النسبتين هو نسب الولادة .. ؟ وأيهما هو نسب الإضافة لا الحقيقة ؟ فأيهما قال قلب عليه قوله ، وقيل له هذه دعوى بلا برهان . فإن قال : إن لوقا لم يقل إن فلانا ولد فلانا كما قاله متى لكن قال : المنسوب إلى على قلنا : وهكذا قال فى آباء على أبا فأبا إلى داود ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى نوح ثم إلى آدم عليهم السلام سواء سواء ، فى اسم بعد اسم وفى أب بعد أب ولا فرق . أفترى نسب داود إلى إبراهيم ، وإبراهيم إلى نوح ، ونوح إلى آدم ، كان أيضاً على الإضافة لا على الحقيقة .. ؟ كما قلت فى نسب يوسف إلى على ، هذا عجب . فإذ لا سبيل إلى ما يصحح^(١١٥) هذه الدعوى فهى كذب ، ووضح الكذب فى أحد النسبين ضرورة عياناً ، والحمد لله رب العالمين .

(١١٥) فى (أ ، ب) : (تصحيح) .

« فصل »

وفى الباب الثالث من إنجيل متى فلحق يسوع - يعنى المسيح - بالمفاز وساقه الروح إلى هنالك ، وليث به^(١١٦) ليقيس إبليس نفسه فيه ، فلما أن صام^(١١٧) أربعين يوما بلياليها - جاع فوقف إليه الجساس وقال له : إن كنت ولد الله فأمر هذه الجنادل تصير لك^(١١٨) خبزاً . فقال : يسوع قد صار مكتوباً بأن عيش المرء ليس بالخبز وحده ، لكن فى كل كلمة تخرج من فم الله تعالى .

وبعد هذا أقبل إليه^(١١٩) إبليس فى المدينة المقدسة^(١٢٠) ، وهو واقف فى أعلى بنيانها وقال له : إن كنت ولد الله فترام من فوق ، فإنه قد صار مكتوباً بأنه سيعث ملائكته^(١٢١) يرفدونك ، ويدفعون عنك ، حتى لا يصيب قدمك مكروه ، فأجابه يسوع وقال له : قد صار مكتوباً أيضاً ألا يقيس أحد العبيد^(١٢٢) إلهه . ثم عاد إليه إبليس وهو فى أعلى جيل منيف فأظهر له زينة جميع الدنيا . وشرفها وقال له : إني سأملكك كل^(١٢٣) ما ترى إن سجدت لى . فقال له يسوع : اذهب يا منافق مقهقرا ، فقد كتب إلا يُعبد أحدٌ غيرُ السيّد الإله^(١٢٤) ، ولا يُخدم سواه ، فتأيس عنه إبليس عند ذلك وتنحى عنه ، وأقبلت الملائكة وتولت خدمته^(١٢٥) .

(١١٦) فى (أ ، ب) : (فيه) .

(١١٧) فى (أ ، ب) : « مضى » بدلاً من (صام) .

(١١٨) فى (خ) : سقطت « لك » .

(١١٩) فى (أ ، ب) : سقطت (إليه) .

(١٢٠) فى (خ) : سقطت « المقدسة » .

(١٢١) فى (أ ، ب) : « ملائكة » .

(١٢٢) فى (خ) : « السيد » .

(١٢٣) فى (خ) : سقطت كلمة ' كل » .

(١٢٤) فى (أ ، ب) : « إله » .

(١٢٥) راجع إنجيل متى (الإصحاح الرابع الفقرات من ظ - ١١) .

وفي الباب الرابع من إنجيل لوقا : « فانصرف يسوع من الأردن محشواً من روح القدس ، وقاده الروح إلى القفار ، ومكث به^(١٢٦) أربعين يوماً ، وقايسه إبليس فيه ، ولم يأكل شيئاً في تلك الأربعين يوماً ، فلما كملها جاع فقال له إبليس : إن كنت ابن الله فأمر هذا الحجر أن يصير خبزاً فأجابه يسوع وقال له : قد^(١٢٧) صار مكتوباً أنه ليس عيش الآدمي في الخبز وحده إلا في كل كلمة لله ، ثم قاده إبليس إلى جبل منيف عال ، وعرض عليه ملك جميع الدنيا في^(١٢٨) وقته . وقال له : سأملكك هذا السلطان ، وأبرأ إليك^(١٢٩) بعظمتي لأني قد ملكته وأنا أعطيه من وافقني ، فأن سجدت لي كان لك أجمع . فأجابه يسوع^(١٣٠) : قد صار مكتوباً أن تعبد السيد إلهك ، وتخدمه وحده ، ثم ساقه إلى برشلام^(١٣١) وصعدته ووقفه على صخرة البيت في أعلاه وقال له : إن كنت ولد الله فتسبب^(١٣٢) من ههنا ، لأنه مكتوب أنه^(١٣٣) . يبعث ملائكته لحررك وحملك في الأكف حتى لا تعثر بقدمك في حجر ، ولا يصيبك مكروه ، فأجابه يسوع وقال له : قد كتب أيضاً أن لا تقيس السيد إلهك^(١٣٤) » .

~ * ~

قال أبو محمد : في هذا الفصل عجائب لم يسمع بأظم منها .

أولها : إقرار الصادق عندهم بأن إبليس قاد المسيح عليه السلام مرة إلى جبل منيف وانقاد له ومضى معه ، وقاده مرة أخرى إلى أعلى صخرة^(١٣٥) بيت المقدس ، فما تراه إلا ينقاد لإبليس حيث قاده ، ولا يخلو من أن يكون قاده فانقاد له مطيعاً سامعاً ، فما تراه إلا منصرفاً تحت حكم الشيطان وهذه والله منزلة رذلة جداً ، أو يكون قاده كرهًا فهذه منزلة المصروعين ، الذين يتخبطهم الشيطان من المس ، وحاشا للأنبياء من كلتا الصفتين فكيف إله وابن إله بزعمهم .. ؟ وما سمع قط بأحق من هذا الهوس ، ونحمد الله تعالى على عظيم نعمته ثم الطامة الأخرى ، كيف يطمع إبليس عند هؤلاء النوكي في أن يسجد له خالقه وفي أن يعبد ربه وفي أن يخضع له من فيه روح

(١٢٦) في (أ ، ب) : وفيه .

(١٢٧) في (خ) : سقطت كلمة (قد) .

(١٢٨) في (أ ، ب) : « من » بدلاً من (في) .

(١٢٩) في (أ ، ب) : « وقال له » .

(١٣٠) في (أ ، ب) : « وأنزلك » .

(١٣١) في التوراة الحالية (أورشليم) راجع (إنجيل لوقا : ٩/٤) .

(١٣٢) في (أ ، ب) : « فتسبب » وهو تحريف .

(١٣٣) في (أ ، ب) : « أن يبعث ملائكة » .

(١٣٤) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح ٤ الفقرات من ظ - ١٤) .

(١٣٥) في (أ ، ب) : « صخرة في » .

(١٣٦) في (أ ، ب) : (لم) .

اللاهوت .. ؟ أم كيف يدعو إبليس ربه وإلهه إلى أن يعبد .. ؟ والله إلى لأقطع أن كفر إبليس وحمقه لما^(١٣٦) يبلغا قط هذا المبلغ . فهذه آبدة الدهر ، ثم عجب آخر كيف يُمنّى إبليس رب الدنيا وخالقها وخالقه^(١٣٧) ، ومالكها ومالكه ، وإلهها وإلهه في أن يملكه زينة الدنيا .. ؟ فهذه كما تقول عامتنا « أعطه من خبزة كسيرة » ما هذه الوسوس التي لا ينطق بها الإلسان من حقّه سكنى المارستان ؟ أو عيّار كافر مستخف بقوم نوكنى يوردهم ولا يصدرهم !! ما شاء الله كان .

فإن قالوا : إنما دعا الناسوت وحده وإياه عنى إبليس^(١٣٨).

قلنا : فإن اللاهوت والناسوت عندكم متّحدان بمعنى أنهما صارا شيئاً واحداً ، والمسيح عندكم إله معبود وقد قلتم ههنا : إن إبليس قاد المسيح فانفقاد له المسيح ، ودعاه إبليس إلى عبادته والسجود له ، ومناه إبليس بملك الدنيا ، وقال للمسيح وقال له المسيح أو قال ليسوع وقال له يسوع ، وعلى قولكم إنه إنما خاطب الناسوت وحده^(١٣٩) فإنما دعا نصف المسيح ونصف يسوع ، وإنما منى بزينة الدنيا نصف المسيح ، فقد كذب لوقا ومتى على كل حال ، وأهل الكذب هما فكيف ونص كلامهما - جُذّت ألسنتهما في لظى - يمنع من هذا .. ؟ ويوجب أن إبليس إنما دعا اللاهوت لأنه قال له : إن كنت ابن الله فافعل كذا ، ولو لم يكن^(١٤٠) في الأناجيل إلا هذا الفصل الأبخر وحده^(١٤١) لكفى ، فكيف وله فيها نظائر جمّة .. ؟ !! ونحمد الله على السلامة .

(١٣٧) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (وخالقه) .

(١٣٨) في (أ ، ب) : بزيادة (وحده) .

(١٣٩) في (أ) : سقطت كلمة (وحده) .

(١٤٠) في (أ ، ب) : « ولو لم يكن هذا » بزيادة (من هذا) .

(١٤١) في (خ) : سقطت كلمة (وحده) .

« فصل »

قال أبو محمد : وذكر في الفصل الذي تكلمنا عليه أن المسيح عليه السلام أحشى^(١٤٢) من روح القدس ، وفي أول باب من إنجيل لوقا أن يحيى بن زكريا أحشى من روح القدس في بطن أمه ، وأن أم يحيى احشيت أيضًا من روح القدس^(١٤٣)، فما ترى للمسيح من روح القدس إلا كالذى ليحيى ، ولأم يحيى من روح القدس ولا فرق فأى فضل له عليهما .

(١٤٢) في (أ ، ب) : « احشى » . وفي إنجيل (فرجع من الأردن ممتلئاً) (١/٤) .
(١٤٣) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح الأول الفقرات من ٨ - ١٦) .

لقاء باطرة وأندرياش بالمسيح « فصل »

قال أبو محمد : وفي الباب الثالث من إنجيل متى فلما بلغه عن^(١٤٤) حبس يحيى بن زكريا تنحى إلى جلجال ، وتخلّى من مدينة الناصرة ، ورحل وسكن في كفر « ناحوم » ، على الساحل في زابلون^(١٤٥) وتفتالى ، ليتم قول شيعيا النبي حيث قال : أرضُ زابلون وتفتالى وطريق البحر خلف الأردن وجلجال الأجناس ، وكل من كان بها في ظلمة يبصرون نوراً عظيماً ، ومن كان ساكناً في ظلل الموت فيها يطلع النور عليهم ، ومن ذلك الموضع ابتداء يسوع بالوصية ، وقال : توبوا فقد تدانى ملكوت السماء . وبيننا^(١٤٦) هو يمشى على ريف^(١٤٧) بحر جلجال إذ بصر بأخوين . أحدهما : يدعى شمعون المسمى باطرة . والآخر : أندرياش وهما يدخلان شباكهما في^(١٤٨) البحر ، وكانا صيادين فقال لهما : اتبعاني اجعلكما صيادي الادميين ، فتخليا وقتهما^(١٤٩) من شباكهما واتبعاه ، ثم تحرك من ذلك الموضع وبصر بأخوين أيضاً^(١٥٠) وهما يعقوب ويوحنا ابني سيداي ، في مركب مع أبيهما يعدان شباكهما فدعاهما ، فتخليا ذلك الوقت من شباكهما ومن أبيهما ومتاعهما ، واتبعاه . هذا نص كلام متى في إنجيله حرفاً^(١٥١) حرفاً .

(١٤٤) في (أ ، ب) : سقطت (عن) .

(١٤٥) في (أ ، ب) : (زابلون) بالراء .

(١٤٦) في (خ) : (وبيناه) .

(١٤٧) في (أ ، ب) : (ريف البحر بحر جلجال) .

(١٤٨) في (خ) : سقطت كلمة (في) .

(١٤٩) في الأصل : (فتخليا وقتهما ذلك) .

(١٥٠) في (خ) : سقطت كلمة (أيضاً) .

(١٥١) إنجيل متى : (الإصحاح الرابع الفقرات من ١٣ - ٢١) وفيه اختلاف في الأسماء فيحى في التوراة يوحنا ، وباطره هو بطرس والأخوان

هما : سمعان وأندراوس .

وفي أول باب من إنجيل ماركس قال : فبعد أن ثل بيحيى أقبل يسوع إلى جلجال ملك الله ، وقال : إن الزمان قد تمَّ وتدانى ملك الله ، فتوبوا وتقبلوا الإنجيل . فلما خطر جوار بحر^(١٥٢) جلجال ، نظر إلى شمعون واندرياش وهما يدخلان شباكهما في البحر ، وكانا صيادين ، فقال لهما : يسوع اتبعاني أجعلكما صيادين للآدميين ، فتركا ذلك^(١٥٣) الشبكة واتبعا ، ثم تمادى قليلا وأبصر يعقوب ابن سيداي ، وأخاه يوحنا وهما في المركب يهندمان شباكهما^(١٥٤) ، فدعاهما فتركا والدهما مع العمالين بأجرة في المركب ، واتبعا . هذا نص كلام ماركس في إنجيله^(١٥٥) حرفاً حرفاً .

وقال في الباب الرابع من إنجيل لوقا : وبينما الجماعات يوماً تزدهم عليه رغبة في استماع كلام الله ، وكان في ذلك الوقت واقفاً على ريف بُحيرة بُشيرات^(١٥٦) إذ بصر بمركبين في البحيرة ، قد نزل عنهما أصحابهما لغسل شباكهم ، فدخل يسوع أحدهما الذي كان لشمعون^(١٥٧) ، وسأله أن يتنحى به عن الريف قليلاً ، فقعده في المركب وجعل يوصي الجماعات منه ، فلما أمسك عن الوصية قال لشمعون : لحج وألقوا جرافاتكم للصيد^(١٥٨) ، فقال له شمعون : يا معلم قد عنيينا طول الليل ولم نصب شيئاً ، ولكن سنلقى الجرافة بأمرك وقولك : فلما ألقاها قبضت على حيتان كثيرة جليلة ، فكادت تنقطع الجرافة من كثرتها ، فاستعانوا بأصحاب المركب الثاني ، وسألوه أن يعينوا على إخراجهم لها ، فاجتمعوا عليها وشحنوا منها المركبين حتى كادا أن يغرقا . فلما بصر بذلك شمعون الذي يدعى باطرة سجد ليسوع ، وقال : اخرج عني يا سيدي لأني إنسان مذنب .

وكان قد حارو كل من كان معه لكثرة ما (جمعا) من الحبثان ، وحرار يعقوب ويوحنا ابن سيداي^(١٥٩) ، قال يسوع لشمعون : لا تخف فإنك ستصطاد اليوم الآدميين ، فأخرجوا إلى الريف الآخر مركبهم ، وتخلوا من جميع ما كان معهم^(١٦٠) واتبعوه ، هذا نص كلام لوقا^(١٦١) في إنجيله حرفاً حرفاً .

وفي أول باب من إنجيل يوحنا بن سيداي قال : وفي يوم آخر كان يحيى بن زكريا المعمد

(١٥٢) في (خ) : سقطت كلمة (بحر) .

(١٥٣) في (أ ، ب) : بزيادة (الوقت) .

(١٥٤) في (أ ، ب) : (شبكتهما) .

(١٥٥) راجع إنجيل مرقس (الإصحاح الأول . الفقرات من ٩ - ٢١) .

(١٥٦) في (خ) : بحيرة « بُشيرات » . وفي إنجيل « لوقا » (بحيرة جَنَيَّازَت) (الإصحاح ١٠/٥) .

(١٥٧) في إنجيل لوقا : (لِسْمَعَانَ) المرجع السابق .

(١٥٨) في (أ ، ب) : (الصيد) وهو تحريف ظاهر .

(١٥٩) في إنجيل لوقا : (ابنا زَيْدِي) (الإصحاح ١٠/٥) .

(١٦٠) في (أ ، ب) : (لهم) .

(١٦١) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح الخامس . الفقرات من ١ - ١٢) .

واقفاً ومعه تلميذان من تلاميذه ، فبصر يسوع ماشياً فقال : هذا خروف الله فسمع ذلك منه التلميذان ، واتبعا يسوع فالتفت إليهما يسوع إذ رآهما يتبعانه وقال لهما : ما الذى طلبتما .. ؟ قالاً له يا معلم أين مسكنك ؟ فقال لهما : أقبلأ فأبصره فتوجهها معه ورأيا مسكنه وباتا عنده ذلك اليوم .

وكانوا^(١٦٢) فى الساعة العاشرة وكان أحد التلميذين اللذين اتبعاه أندرياش^(١٦٣) أخو شمعون المسمى باطرة ، أحد الاثنى عشر فلقي أخاه شمعون ، وهو أحد اللذين سمعا من يحيى واتبعا ، إذ نظر إليه وقال له : وجدنا المسيح . ثم أقبل إليه به فلما بصر به المسيح قال له : أنت شمعون بن يونا ، وأنت تسمى كيف^(١٦٤) وترجمته الحجر . وهذا نص كلام يوحنا فى إنجيله^(١٦٥) حرفاً حرفاً .

* * *

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه الفضائح وتأملوها ، اتفق متى ومارقش ، على أن أول ما كانت صحبة شمعون باطرز ، وأخيه أندرياش ابنى يونا للمسيح عليه السلام ، فإنها كانت بعد أن سجن يحيى بن زكريا عليه السلام ، إذ وجدهما المسيح وهما يدخلان شبكتهما فى البحر للصيد ، وقال لوقا : إنه وجدهما أول ما صحباه ، إذ وجدهما قد نزلا من المركب لغسل شباكهما ، وأنهما كانا قد تعبوا طول الليل ولم يصيدا شيئاً .

وقال يوحنا : إن أول ما صحباه إذ رآه أندرياش أخو شمعون باطرة وهو واقف مع يحيى بن زكريا ، وأنه كان تلميذاً ليحيى ، وأن يحيى حينئذ كان يعمد الناس ، فلما سمع اندرياش قول يحيى إذ رأى المسيح هذا خروف الله ، ترك يحيى وصحب المسيح ، وذلك فى الساعة العاشرة ، وبات عنده تلبك الليلة ، ثم مضى إلى أخيه شمعون باطرة وأخبره ، وأتى به إلى المسيح فصحبه ، وهى^(١٦٦) أول صحبته له فبعضهم يقول : أول صحبة باطرة وأخيه أندرياش للمسيح كانت بعد سجن يحيى بن زكريا ، وهو قول متى ومارقش . وبعضهم يقول : إن أول صحبة شمعون باطرة واندرياش للمسيح كانت قبل أن يسجن يحيى بن زكريا^(١٦٧) وهو قول يوحنا ، وبعضهم يقول : أول

(١٦٢) فى (أ ، ب) : (وكانا) .

(١٦٣) فى إنجيل يوحنا (أَلْدَرَاوُسُ أَخُو سَمْعَانَ بطرس) .

(١٦٤) فى إنجيل يوحنا (تدعى صفا) .

(١٦٥) راجع إنجيل يوحنا - (الإصحاح الأول . الفقرات من ٣٥ - ٤٢) .

(١٦٦) فى (خ) : (وهو) .

(١٦٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة « ابن زكريا » .

صحبة باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ وجدتهما يدخلان شبكتهما للصيد جميعاً ، فتركاها وصحباها من حينئذ ، وهو قول متى ومارقش .

وبعضهم يقول : أول صحبة باطرة وأندرياش للمسيح كانت إذ رآه أندرياش وهو واقف مع يحيى ، وهو تلميذ ليحى يومئذ ، فرأى المسيح ماشياً فقال يحيى : هذا خروف الله ، فترك أندرياش يحيى وصحب المسيح من حينئذ ، ثم مضى إلى أخيه شمعون وعرفه أنه وجد المسيح وأتى به إليه فصحبه من حينئذ ، وهو قول يوحنا . فهذه أربع كذبات فى نسق .

إحدهما : فى الوقت الذى كان ابتدا صحبتهما للمسيح فيه .

والأخرى فى الموضع الذى كانت فيه أول صحبتهما للمسيح عليه السلام .

والثالثة : فى رتبة صحبتهما للمسيح أمعا^(١٦٨) أم أحدهما قبل الثالى .. ؟

والرابعة : فى صفة الحال التى وجدتهما عليها أول ما صحباها وبالضرورة ندرى أن أحد هذه الاختلافات الأربعة كذب بلا شك ، ومثل هذا لا يمكن ألبة أن يكون من عند الله عز وجل ، ولا من عند نبى ولا من عند صادق ، بل من كذاب عيار لا يبالى بما حدث ، وأغرب شىء فى ذلك قولهم كلهم : إن يوعنا بن سيداى هو ترجم إنجيل متى من العبرانية إلى اليونانية ، فإذا رأى هذه القصص فى إنجيل متى بخلاف ما عنده فلا بد ضرورة من أن يكون عرف أن قول متى كذب^(١٦٩) أو عرف أنه حق ، لابد من أحدهما ضرورة .

فإن كان قول متى كذبا فقد استجاز يوحنا أن يورد الكذب عن صاحبه المقدس ، الذى هو عندهم أكبر من موسى ، ومن سائر الأنبياء عليهم السلام ، وإن كان قول متى حقاً فقد قصد يوحنا إيراد الكذب فيما أخبر هو به فى إنجيله ، لابد من أحدهما ، ولقد كانت هذه وحدها تكفى فى بيان أن الأناجيل من عمل كذابين ملعونين ، شامت وجوههم ، وحاقت بهم لعنة الله تعالى .

(١٦٨) فى (أ) : (معا) .

(١٦٩) فى (خ) : سقط من قوله (أو عرف أنه حق إلى قوله : كذبا) .

فصل

وفي الباب الرابع من إنجيل متى ، أن المسيح قال : لتلاميذه : لا تحسبوا أني أتيت^(١٧٠) لنقض التوراة وكتب الأنبياء ، إنما أتيت لإتمامها آمين . أقول : لكم إلى أن تبيد السماء والأرض لا تبيد « يا » واحدة ، ولا حرف واحد من التوراة ، حتى يتم الجميع فمن حلَّ عهدًا من هذه العهود الصغيرة وحمل الناس على تحليله ، فسيدعى في ملكوت السموات صغيرًا ، ومن أتمه وحضر الناس على إتمامه فسيدعى في ملكوت السموات عظيمًا^(١٧١).

وفي الباب السادس عشر من إنجيل متى : ستحول السموات والأرض ولا يحول كلامي . قال أبو محمد : وهذه نصوص تقتضي التأييد وتمنع من النسخ جملة ، ثم لم يمض بعد الفصل الأول المذكور إلا أسطار يسيرة حتى ذكر متى أنه قال لهم : المسيح^(١٧٢) قد قيل من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق . قال : وأنا أقول لكم : من فارق امرأته إلا لزنا فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا ، ومن تزوج مطلقة فهو فاسق . وهذا نقض لحكم التوراة الذي ذكر أنه لم يأت لنقضها لكن لإتمامها .

ثم يحكون عن بولس الملعون أنه نهى عن الختان ، وهو أؤكد شرائع التوراة ، وعن شمعون

(١٧٠) في (أ) : « جئت » .

(١٧١) راجع إنجيل متى - (الإصحاح ١٧/٥ - ٢٠) .

(١٧٢) الذي في إنجيل متى : « قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتطلق . قال لهم : إن موسى من أجل فساد قلوبكم أذن لكن أن تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هكذا . وأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا ، وتزوج بأخرى يزنى ، والذي يتزوج بمطلقة يزنى . . الخ (الإصحاح ١٩/٣ - ١٢) .

باطرة المسخوط أنه أباح أكل الخنزير ، وكل حيوان وطعام حرمة التوراة ، ثم هم قد نقضوا شرائع التوراة كلها أولها عن آخرها .

من السبت وأعياد اليهود وغير ذلك ، وهم مع هذا العمل لا يختلفون في أن المسيح وجميع تلاميذه بعده^(١٧٣) لم يزالوا يلتزمون السبت وأعياد اليهود وفصحهم إلى أن ماتوا على ذلك ، وأن المسيح إنما أخذ ليلة الفصح وهو يفصح على سنة اليهود ، وشريعتهم فكيف هذا .. ؟ ولابد لهم من أن يضيفوا الكذب إلى المسيح جهاراً إذ^(١٧٤) أخبر أنه لم يأت لنقض التوراة ثم نقضها ، فصح أنه أتى لما أخبر أنه لم يأت له من نقضها ، وهذا كذب لا مرحل^(١٧٥) عنه . ولا بدّ لهم من أن يقرّوا أن المسيح مسخوط ، يدعى في ملكوت السموات صغيراً لا عظيماً لأنه هكذا أخبر^(١٧٦) عن من حلّل عهداً صغيراً من عهودها ، وهو قد حلّ عهداً كبيراً من عهودها ، إذ حرم الطلاق وقد أباحت التوراة ونهى عن القصاص ، الذي جاءت به التوراة وقال قد قيل : العين بالعين ، والسن بالسن ، وأنا أقول لا تكافؤوا أحداً بسيئة ، ولكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الآخر^(١٧٧).

قال أبو محمد : ولابد لهم من أن يشهدوا على أنفسهم أولهم عن آخرهم ، وسالفهم عن خالفهم^(١٧٨) بمعصية الله تعالى ومخالفة المسيح ، وأنهم يدعون في ملكوت السموات صغاراً ، إذ نقضوا حكم التوراة ، أولها عن آخرها ، ولا يمكنهم ههنا دعوى النسخ ألبتة ، لأنهم حكوا كما أوردنا عن المسيح أنه قال : أقول لكم : إلى أن تبديد السماء والأرض لا تبديد « يا » واحدة ولا حرف واحد ، من التوراة حتى يتم الجميع . فمنع من النسخ جملة ، وإن في هذا لعجباً لا نظير له ، وحقاً وضلاً ما كنا نصدق بأن أحداً يدين به ، لولا أنا^(١٧٩) شاهدناهم ونسأل الله السلامة .

ثم ذكر في الباب الثامن عشر من إنجيل متى أن المسيح قال للحواريين الاثنى عشر بأجمعهم وفي جملتهم يهوذا الاشكريوطا الذي دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما : كل ما حرمتموه على^(١٨٠)

(١٧٣) في (خ) : سقطت كلمة (بعده) .

(١٧٤) في (خ) : (إذا) .

(١٧٥) في (أ ، ب) : (لا مدخل) وهو تحريف .

(١٧٦) في (أ ، ب) : (أخير هو) .

(١٧٧) في (أ ، ب) : [الأيسر] .

(١٧٨) في (خ) : سقطت (عن خالفهم) .

(١٧٩) في (خ) : (ولو أننا شاهدناهم) .

(١٨٠) في (أ ، ب) : (في) بدلاً من (على) .

الأرض يكون محرّمًا في السماء ، وكل ما حللتموه على الأرض يكون محللاً في السماء .
وفي الباب السادس عشر من إنجيل متى أنه قال هذا القول لباطرة وحده .

قال أبو محمد : وهذا تناقض عظيم ، كيف يكون التحليل والتحرير للحواريين ، أو لباطرة مع قوله إنه لم يأت لتبديل التوراة لكن لإتمامها .. ؟ وأنه من نقض عهدًا من عهودها صغيرًا دُعى في ملكوت السموات صغيرًا ، وأن السماء والأرض تبيدان قبل أن تبيد من التوراة « يا » واحدة أو حرف واحد ، ولئن كان صدق في هذا فإن في نص التوراة أن الله قد لعن من صُلب في خشبة ، وهم يقولون إنه صلب في خشبة ، ولا شك في أن باطرة وشمعون أخوا يوسف ، وأندرياش أخو باطرة ، وفليش وبولش صلبوا في الخشب . فعلى قول المسيح عليه السلام لا يبيد شيء من التوراة حتى يتم جميعها ، فكل هؤلاء ملعونون بلعنة الله تعالى . فاعجبوا لضلال هذه الفرقة المخدولة ، فما سمع بأطم من هذه الفضائح أبدًا^(١٨١).

(١٨١) سقطت كلمة (أبدًا) من (خ) .

« فصل »

وفي الرابع^(١٨٢) من إنجيل متى : أن المسيح قال لهم أنا أقول لكم : كل من سحق على أخيه بلا سبب فقد استوجب القتل ، وإن أضرت إليك عينك اليمنى فافقأها وأذهبها عن نفسك ، فذهابها عنك أحسن من إدخال جميع^(١٨٣) جسدك الجحيم . وإن أضرت يدك اليمنى إليك فابرأ منها ، فذهابها منك أحسن من إدخال جميع^(١٨٤) جسدك النار .

قال أبو محمد : وهذه شرائع يقرون أن المسيح عليه السلام أمرهم بها كلهم^(١٨٥) بلا خلاف من أحد منهم لا يرون القضاء بشيء منها ، فهم على مخالفة المسيح بإقرارهم ، وهم لا يرون الختان ، والختان كان ملة المسيح ، وكان مختونا . والمسيح وتلاميذه لم يزالوا إلى أن ماتوا يصومون صوم اليهود ، ويفحصون فحوصهم ، ويلتزمون السبت إلى أن ماتوا ، وهم قد بدّلوا هذا كله ، وجعلوا مكان السبت الأحد وأحدثوا صومًا آخر^(١٨٦) ، « بعد أزيد من مائة عام بعد رفع المسيح ، فكفى بهذا كله ضلالًا وكفرًا ، وليس منهم أحد يقدر على إنكار شيء من هذا .

فإن قالوا : إن المسيح أمرهم باتباع أكابرهم قلنا : لا عليكم ، رأيتم لو أن بطارقتكم اليوم أجمعوا على إبطال ما أحدثته بطارقتكم بعد مائة عام من رفع المسيح وأحدثوا صيامًا آخر ويوماً آخر

(١٨٢) في (أ ، ب) : (وفي الرابع عشر) وقد جاء هذا النص في إنجيل متى الحالى في (الإصحاح الخامس لا الرابع ولا الرابع عشر : المقورات من ٢٢ - ٣١) .

(١٨٣) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (جميع) .

(١٨٤) في (أ) : سقطت كلمة (جميع) .

(١٨٥) في (أ ، ب) : (وكفهم) وهو تحريف ظاهر .

(١٨٦) في (خ) : سقط الكلام من قوله (بعد أن أزيد إلى صيامًا آخر) .

غير يوم الأحد وفصحاً آخر ، وردّوكم^(١٨٧) إلى ما كان عليه المسيح من تعظيم السبت وصوم اليهود ، وفصحهم أكان يلزمكم اتباعهم ؟ فإن قالوا : لا ، قلنا : ولم ؟ وأي فرق بين اتباع أولئك - وقد خالفوا ما مضى^(١٨٨) عليه - الحواريين وبين اتباع هؤلاء فيما أحدثوه آنفاً ؟ فإن قالوا : إن أولئك لعنوا ومنعوا من تبديل ما شرعوا . قلنا لهم : وأيّ لعن وأي منع أعظم من منع المسيح من تبديل شيء من عهود التوراة ؟ ثم قد بدّله من أطعموه في تبديله له ، فقد صار منع من بعد المسيح أقوى من منع المسيح .

وإن قالوا : نعم كنا نتبعهم . أقرّوا أن دينهم لا حقيقة له ، وأنه إنما هو اتباع ما شرعه أكابرهم ، من تبديل ما كانوا عليه . ويقال لهم : رأيتم إن أحدث بعض بطارقتكم شرائع وأحدث الآخرون منهم شرائع^(١٨٩) أخرى ، ولعنت كل طائفة منهم من عمل بغير ما شرعت ، كيف تكون الحال ؟ فأيّ دين أنتن وأوسخ ، أو أضل أو أفسد ، من دين هذه صفته ؟ ولقد كان لهم فيما أوردناه في هذا الفصل كفاية في بطلان كل ما هم عليه لو كان لهم مسكة عقل ، وحق لكل دين مرجعه إلى متى الشرطي ويوحنا المستخف ، ومارقش المزيّد^(١٩٠) ولوقا الزنديق ، وباطرة اللعين ، وبولش المدسوس^(١٩١) للإضلال لهم في دينهم أن تكون هذه صفته ، والحمد لله على عظيم نعمته علينا .

(١٨٧) في (خ) : زيادة (ويقال لهم : رأيتم لو أن غيرهم ردّوكم) .

(١٨٨) في (أ ، ب) : (ما نص) .

(١٨٩) العبارة في الأصل (وأحدث الآخرون منهم آخر) والمعنى عليه لا يستقيم .

(١٩٠) في (أ ، ب) : (المرتد) .

(١٩١) في (أ ، ب) : (الموسوس) .

« فصل »

وفى الباب الخامس من إنجيل متى : أن المسيح عليه السلام قال لهم : ليكن دعاؤكم على ما أصف لكم : يا أبانا السماوى تقدس اسمك ثم قال بعد ذلك^(١٩٢) : وقد علم أبوكم أنكم ستحتاجون^(١٩٣) إلى جميع هذا . وفى آخر الإنجيل أنه قال لهم : إلى ذاهب إلى أبى وأبيكم ، إلهى وإلهكم فما ترى للمسيح من البُنة الله تعالى إلا ما لسائر الناس ولا فرق ، فمن أين خصوه^(١٩٤) بأنه ابن الله دون سائرهم كلهم ؟ إلا أن كذبوه فى هذا القول . فليختاروا أحد الأمرين ولا بد . ثم من أين خصوا كل من سوى المسيح بأن الله تعالى إلهه ، ولم يقولوا : إن الله إله المسيح كما قال هو بلسانه ، فلا بدّ ضرورة من الإقرار بأن الله هو إله المسيح ، وأن سائر الناس أبناء الله أو يكذبوا^(١٩٥) المسيح فى نصف كلامه ، وحسبك بهذا فساداً وضلالاً تعالى الله أن يكون أباً لأحد ، أو أن يكون له ابن لا المسيح ولا غيره ، بل هو تعالى إله المسيح ، وإله كل من هو غير المسيح أيضاً .

(١٩٢) فى (خ) : سقطت كلمة (ذلك) .

(١٩٣) فى (خ) : ستحتاجون .

(١٩٤) فى (أ ، ب) : (حصوه) .

(١٩٥) فى (خ) : (أو مكذبوه) .

« فصل »

وكثيراً ما يحكمون^(١٩٦) في جميع الأناجيل في غير ما موضع أنه إذا أخبر المسيح عن نفسه سمي نفسه ابن الإنسان ، ومن المحال والحمق أن يكون إله^(١٩٧) ابن إنسان ، أو أن يكون ابن إله وابن إنسان معاً ، أو أن يلد إنسان إلهاً ، ما في الحمق والمحال والكفر أكثر من هذا . ونعوذ بالله من الضلال .

(١٩٦) في (أ ، ب) ٠ (يحكون) .

(١٩٧) في (أ ، ب) : (الإله) .

إحياء المسيح الموتى بإذن الله

« فصل »

وفي الباب التاسع من إنجيل متى « فبينما يسوع يقول هذا^(١٩٨): أقبل إليه أحد أشراف ذلك الموضع وقال له : إن ابنتي توفيت وأنا أرغب إليك أن تذهب إليها ، وتمسها بيديك^(١٩٩) لتحيا » ثم ذكر أنه لما دخل بيت القائد ونظر^(٢٠٠) بالنوائح والبواكى قال هن : اسكتن فإن الجارية لم تمت ولكنها راقدة ، فاستهزأت الجماعة به . ولما خرجت الجماعة عنها دخل عليها فأخذ بيدها ثم أقامها حية^(٢٠١). وذكر هذه القصة نفسها في الباب السابع من إنجيل لوقا ، إلا أنه قال فيها : إن أباهما قال له قد أشرفت على الموت وأنه نهض معه فلقبه رسول يخبره بأن الجارية قد ماتت ، فلا تُعَنِّه وأن المسيح قال لأبيها : لا تخف وآمن فتحيا . فلما بلغ البيت لم يدخل مع نفسه في البيت إلا باطرة ويحيى ويعقوب وأبوى الجارية ، وكانت الجماعة تبكى وتلتدم^(٢٠٢) فقال لهم : لا تبكوا فإنها راقدة وليست ميتة ، فاستهزؤوا به معرفة ، بموتها فأخذ بيدها ودعاها وقال يا جارية قومي فانصرف^(٢٠٣) فيها روحها ، وقامت من وقتها وأمرت^(٢٠٤) بأن تطعم طعماً وحاراً أبوها^(٢٠٥) وأمرهما ألا يعلم^(٢٠٦) أحد

(١٩٨) في (أ ، ب) : (إذ) .

(١٩٩) في (أ ، ب) : (بيدك) .

(٢٠٠) في (أ ، ب) : (وأبصر) .

(٢٠١) إنجيل متى : (الإصحاح ٩ الفقرات من ١٨ - ٢٦) .

(٢٠٢) تلتدم . وفي إنجيل لوقا (ويلطمون) . واللدن : اللطم والضرب بشيء ثقيل (قاموس) .

(٢٠٣) في (أ ، ب) : (فانصرف عنها زوجها) وهو تحريف .

(٢٠٤) في (أ ، ب) : (وأمر) .

(٢٠٥) في (أ ، ب) : « وجاء أبوها » .

(٢٠٦) في (أ) : (ألا يعلم) (راجع إنجيل لوقا : الإصحاح ٨ الفقرات من ٤١ - ٥٦) .

بما فعل . وذكر مثل ذلك في الباب الخامس من إنجيل^(٢٠٧) ماركس .

قال أبو محمد : في هذا الفصل مصائب جمّة أحدها : كان يكفي في أنه إنجيل موضوع مكذوب اولها حكايته عن المسيح أنه كذب جهاراً إذ قال لهم لم تمت إنما هي^(٢٠٨) راقدة ليست ميتة فإن كان صادقاً في أنها ليست ميتة ، فلم يأت بآية ولا بعجبية ، وحاشى لله أن يكذب نبي فكيف إله .. ؟ !! وليس لهم أن يقولوا : إن الآية هي إبرؤها من الإغماء ، لأن في نص إنجيلهم أنه قال لأبيها : آمن فتحيا ابنتك ، فلا بد من الكذب في أحد القولين .

والثانية : أن متى ذكر أن أباه جاء إلى المسيح وهي قد ماتت وأخبره بموتها ودعاه ليحيها ، ولوقا يقول : إن أباه أتى إلى المسيح وهي مريضة لم تمت وأتى به ليبرئها بعد ، وأن الرسول لقيه في الطريق وقال له : لا تُعَنَّه فقد ماتت ، فأحد النذلين كاذب بلا شك ، فعليهما لعائن الله وسخطه فلا يجوز أخذ الدين عن كذاب .

والثالثة ، انفراد المسيح عن الناس عند مجيئة بهذه الآية حاشى ، أبيها وثلاثة من أصحابه ، ثم استكتامه إياهم ذلك ، والآيات لا يطلب لها الخلوات ولا تستر عن الناس ، وفي الأناجيل مثل هذا كثير ، من أنه لم يقدر في بعض الأوقات على آية مرة بحضرة بلاطس ، ومرة بحضرة اليهود ، وأنه قال لمن طلب منه آية : إنكم لا ترون آية إلا آية يونس عليه السلام ، إذ بقى في بطن الحوت ثلاثاً ، وما كان هكذا فإنما هي أخبار مسترابة وكذبات مفتعلة ، ونقل عن من لا خير فيه ، وبالله تعالى التوفيق .

(٢٠٧) راجع إنجيل مرقس : (الإصحاح الخامس الفقرات من ٢٢ - ٤٣) .
(٢٠٨) في (أ ، ب) : (حية راقدة) .

أسماء الحواريين وإعطائهم سلطاناً

« فصل »

وفي الباب العاشر من إنجيل متى أن المسيح جمع إلى نفسه اثني عشر رجلاً من تلاميذه ، وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ، أن ينفوها وأن يبرءوا كل مرض وهذه أسماءهم .

أولهم^(٢٠٩) شمعون المسمّى باطرس ، واندرياس أخوه ، ويعقوب بن سيداي ، ويحيى^(٢١٠) أخوه ، وفلبس^(٢١١) وبرتلوما وطوما ومتى بن الجاني^(٢١٢) ويعقوب ويهوذا أخوه ، وشمعون الكنعاني ، ويهوذا الاشكروطا الذي دل عليه بعد ذلك فبعث يسوع هؤلاء الاثني عشر^(٢١٣) ، وقال لهم : لا تسلكوا في سبيل الأجناس ، ولا تدخلوا مدائن السامريين ، ولكن اختصروا^(٢١٤) إلى الضأن التالفة من بنى إسرائيل .

ففى هذا الفصل طامتان إحداهما : قوله : إنه أعطى أولئك الاثني عشر وسميهم بأسمائهم كلهم سلطاناً على الأرواح النجسة ، وأن يبرءوا كل مرضى ، وسمى فيهم يهوذا ولم يدع للإشكال وجهها ، بل صرح بأنه الذى دلّ عليه بعد ذلك اليهود حتى أخذوه وصلبوه بزعمهم ، وضربوه بالسياط ، ولطموه والتهاو^(٢١٥) به ، وكذبوه لعنهم الله تعالى ، فكيف يجوز أن يقرب الله تعالى ويعطى

(٢٠٩) في (خ) : سقطت كلمة (أولهم) .

(٢١٠) في (أ ، ب) : (ويوحنا) بدلاً من يحيى .

(٢١١) في (أ ، ب) : (وفلبس) .

(٢١٢) في (أ ، ب) : (ومتى الحال) بعير (أين) .

(٢١٣) أسماء الاثني عشر كما وردت في إنجيل متى هي : الأول سمعان الذى يقال له بطرس ، وأندراوس أخوة ، فيلبس ، برثلماوس ، توما ومتى العشار ، يعقوب بن خلفى ، ولباوس الملقب تداوس وسمعان القانونى ، ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه (الإصحاح العاشر : ٤/١) .

(٢١٤) في (أ ، ب) : (احتضروا) بالناء المثناة والضاد .

(٢١٥) في (أ ، ب) : (واستهزءوا به) .

السلطان على الجن والإبراء من كل مرضى .. ؟ من يدري أنه هو الذى يدل عليه ويكفر بعد ذلك ، هذا مع قول يوحنا : (من سرقة يهوذا^(٢١٦)) وخبث باطنه) فى إنجيله أن يهوذا المذكور كان سارقاً ، وأنه كان يخطط كل ما يهدى إلى المسيح ، ويذهب به فلا بد ضرورة من أحد وجهين بلا ثالث أصلاً .

إما أن يكون المسيح اطلع على ما اطلع عليه يوحنا من سرقة يهوذا وخبث باطنه ، وأعطاه مع ذلك الآيات المعجزات ، وجعله واسطة بينه وبين الناس ، وجعل له أن يحرم ويحلل فيكون ما حلل وحرم محرماً ومحلاً فى السموات ، فهذه مصيبة وترفع^(٢١٧) بالكفار ، وتقديم لمن لا يستحق وسخرية بالذين ، وليس هذا صفة إله ولا من فيه خير ، أو يكون خفى على المسيح من خبث نية يهوذا ما عرف غيره ، فهذه عظمة من^(٢١٨) إله يجهل ما خلق . فهل سمع قط بأحمق من هذه القصص ومن يعتقدها حقاً .. ؟ !!

والثانية : قوله لا تسلكوا فى سبيل الأجناس ، ولا تدخلوا مدائن السامريين ، واختصروا إلى الضأن المبددة من نسل إسرائيل ، وأنه لم يبعث إلا إلى الضأن التالفة من بنى إسرائيل ، وهذا إنما أمرهم بأن يكملوه بعد رفعه بإقرارهم كلهم ، أنه طول كونه فى الأرض لم يفارقه أحد منهم ، ولا نهضوا داعين إلى بلد آخر ألبتة ، فقد خالفوا أمره^(٢١٩) وعصوه ؛ لأنهم^(٢٢٠) لم يذهبوا إلا إلى الأجناس ، فهم عصاة لله تعالى فساق بإقرارهم .

(٢١٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله : من سرقة يهوذا وخبث باطنه .

(٢١٧) فى (أ ، ب) : (وتوقع) .

(٢١٨) فى (أ ، ب) : (أن يكون الإله) .

(٢١٩) فى (أ ، ب) : (خالفوه) .

(٢٢٠) فى (خ) : (لأنه) .

« فصل »

وفي هذا الباب نفسه^(٢٢١) أن المسيح قال لتلاميذه : وإذا طُلبتم في هذه المدينة فاهربوا إلى أخرى آمين ، أقول لكم : لا تستوعبوا مدائن بنى إسرائيل ، حتى يأتى ابن الإنسان - يعنى رجوعه إلى الدنيا - ظاهراً بعد رفعه إلى جميع الناس^(٢٢٢).

وفي الباب السابع من إنجيل ماركس ، وفي أول الباب التاسع من إنجيل لوقا ، أن المسيح قال لهم : إن من هؤلاء الوقوف بعض قوم لا يذوقون الموت ، حتى يروا ملك الله مقبلاً بقوة^(٢٢٣).

قال أبو محمد : وكذب هذا القول^(٢٢٤) قد ظهر علانية ، فقد استوعبوا مدائن بنى إسرائيل وغيرها ، ولم يروا ما وعدهم به من رجوعه بالقدره علانية قبل أن يموت كل من بحضرته يومئذ ، وحاشا لله أن يكذب نبي ، فكيف إله ؟!! وفي هذا الفصل وحده كفاية لو كان عقل^(٢٢٥) في أن الذين كتبوا هذه الأناجيل كانوا كذابين قوم سوء ، فإن قالوا : فإن في صحيح حديثكم أن نبيكم ﷺ قال وأشار إلى غلام بحضرته من بنى النجار إن استكمل هذا عمره أدرك الساعة ،

(٢٢١) في (أ) : بإقرارهم .

(٢٢٢) النص كما في إنجيل متى : « ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى ، فإلى الحق أقول لكم لا تكلمون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان (الإصحاح ٢٣/١٠) .

(٢٢٣) النص كما في إنجيل مرقس : « الحق أقول لكم : إن من القيام ها هنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى (الإصحاح ٣٩/٨) .

(٢٢٤) في (أ ، ب) : المقول .

(٢٢٥) في (أ ، ب) : (لو كان ثم عاقل) .

فمات ذلك الغلام في حد الصبا^(٢٢٦) وإنه كان يقول للأعراب إذا سأله متى تقوم الساعة ؟ فيشير إلى أصغرهم ويقول : إن استكمل^(٢٢٧) هذا عمره لم يأت الموت حتى تقوم الساعة « قلنا : هذا الغلط غلط فيه قتادة^(٢٢٨) ومعبد^(٢٢٩) بن هلال ، فحدثنا به عن أنس^(٢٣٠) على ما توهماه من معنى الحديث ، ورواه ثابت بن مسلم^(٢٣١) ، البنائي عن أنس كما قاله رسول الله ﷺ بلفظه^(٢٣٢) فقال : قامت عليكم ساعتكم « وهكذا رواه الثقات أيضاً عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبي ﷺ كما رواه ثابت عن أنس وقالت : إنه عليه السلام قال إن هذا لا يستوفي عمره حتى تقوم عليه ساعتكم يعنى وفاة أولئك المخاطبين له ، وهذا هو الحق الذى لا شك فيه ، ولا خلاف من^(٢٣٣) أن ثابتاً البنائى أثقف لألفاظ الأخبار من قتادة ومعبد ، فكيف وقد وافقته أم المؤمنين .. ؟ ونحن لا ننكر غلط الراوى^(٢٣٤) إذا قام البرهان على أنه خطأ ، وقد صح في القرآن والأخبار الثابتة من طريق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وابنه وغيرهما عن النبي ﷺ أنه لا يدري أحد^(٢٣٥) متى تقوم الساعة ، غير الله تعالى « ولو قال النصارى واليهود مثل هذا في نقلة كتبهم ما عنفناهم ، ولا أنكرنا عليهم وجود الغلط في نقلهم ، وإنما ننكر عليهم أن ينسبوا - يعنى اليهود والنصارى -

(٢٢٦) نص الحديث كما حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة ؟ وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد . فقال رسول الله ﷺ : « إن يعيش هذا الغلام فعسى ألا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » (صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة - الحديث ١٣٧) .
(٢٢٧) في (أ ، ب) : يستكمل .

(٢٢٨) قتادة : هو أبو الخطاب قتادة ، دعامه بن عزن بن عمر بن ربيعة بن عمرو بن الحرس ابن سدوس البصرى . كان من كبار العلماء التابعين ، قال أبو عبيدة : ما كنا نفقد في كل يوم راكباً من ناحية بنى أمية على باب قتادة يسأله عن خبر أو نسب أو شعر . وقال : قتادة أجمع الناس . قال معمر : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى : « وما كنا مقرنين » فلم يجبنى . فقلت : إلى سمعت قتادة يقول (مطيقين) . فسكت . فقلت ما تقول يا أبا عمرو ؟ فقال : حسبك قتادة فلولا كلامه في القدر - وقد قال ﷺ : « إذا ذكر القدر فأمسكوا » - لما عدلت به أحداً من أهل دهره . ولد قتادة سنة ٦٠ هـ وتوفي سنة ١١٠ هـ وقيل سنة ١١١ هـ (دائرة معارف القرن العشرين - دار المعارف - بيروت) .

(٢٢٩) هو معبد بن هلال العنزي البصرى . روى عن عقبة بن عامر الجهنى وأنس بن مالك والحسن البصرى ، ونفيع أوى داود الأعمى ، وعن رجل من أهل الشام . روى عنه قتادة . قال الدورى عن ابن معين : مشهور . وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . (تهذيب التهذيب : دار صادر بيروت ١٩٦٨) .

(٢٣٠) هو : أنس بن مالك بن النضر الخزرجى الأنصارى من أصحاب رسول الله عليه السلام ، وقد كان عمره في بدء الهجرة النبوية عشر سنين فلهذا لم يقاتل في بدر . وروى الإمام البخارى أن أنسا رضى الله عنه شهد مع النبي ﷺ ثمانى غزوات ، ثم شهد - بعد التحاق الرسول العظيم بالرفيق الأعلى - سائر الغزوات والفتوح الإسلامية ، وكان من المكثرين لرواية الحديث ، فقد روى له من الحديث ستة وثمانون ومائتا ألف حديث . وسكن البصرة بعد فتحها ، وتوفي بها سنة ٩٣ هـ (الاستيعاب : ١) بتصرف .

(٢٣١) هو أبو محمد البصرى ، قال ابن علية إنه مات سنة ١٢٧ هـ . وقال جعفر بن سليمان سنة ١٢٣ هـ قال ابن حبان في الثقات : إنه كان من أعبد أهل البصرة ، يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ، ويصوم الدهر ، وكان ثقة مأموناً . توفي في ولاية خالد القسرى (تهذيب التهذيب لابن حجر - دار صادر بيروت) .

(٢٣٢) في (خ) : سقطت كلمة (بلفظه) .

(٢٣٣) في (أ ، ب) : (في أن) .

(٢٣٤) في (أ ، ب) : (غلط الرواة) .

(٢٣٥) في (أ ، ب) : لا يدري متى تقوم الساعة .

إلى الله تعالى الكذب البحت ، ويقطعون أنه من عنده تعالى وننكر على النصارى أن يجعلوا من
صح عنه الكذب معصوماً ، يأخذون عنه دينهم ، وأن يحققوا كل خبر متناقض وكل قضية يكذب
بعضها بعضاً . ونعوذ بالله من الخذلان .

« فصل »

وفي هذا الباب نفسه أن المسيح قال لهم : لا تحسبوا أني جئت لأدخل بين أهل الأرض الصلح إلا السيف وإنما قدمت لأفرق بين المرء وزوجه^(٢٣٦) وابنه ، وبين الابنة وأمها ، وبين الكنة وخنتتها ، وأن يعادى المرء أهل خاصته^(٢٣٧).

وفي الباب الثاني عشر من إنجيل لوقا أن المسيح قال لهم : إنما قدمت لألقى في الأرض ناراً وإنما إرادتي^(٢٣٨) إشعالها ولنغطس^(٢٣٩) فيها جميعها ، وأنا بذلك منتصب^(٢٤٠) إلى تمامه أتظنون أني أتيت لأصلح بين أهل الأرض^(٢٤١)؟ ولكن لأفرق بينهم فيكون خمسة مفترقين في بيت ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة ، الأب على الولد والولد على الأب والابنة على الأم والأم على الابنة ، والختنة على الكنة والكنة على الختنة^(٢٤٢) فهذان فصلان كما ترى .

وفي الباب التاسع من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام قال : لهم لم نبعث لتلف الأنفس لكن لسلامتها^(٢٤٣).

(٢٣٦) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (وزوجه) .

(٢٣٧) هامش مكرر .

(٢٣٨) في (أ ، ب) : (أراد لي) النص : « لا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً ، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماها . وأعداء الإنسان أهل بيته . (إنجيل متى : الإصحاح ١٠ / ٤ - ٢٦) .

(٢٣٩) في (أ ، ب) : (والتعطش) .

(٢٤٠) في (خ) : (منتصب) .

(٢٤١) في (أ ، ب) : (بزيادة) (لا) .

(٢٤٢) راجع إنجيل لوقا : (الإصحاح ١٢ / ٤٩ - ٥٣) .

(٢٤٣) النص : لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص : إنجيل لوقا : (الإصحاح ٩ / ٥٦) .

وفي الباب العاشر من إنجيل يوحنا ان المسيح قال : من سمع كلامي ولم يحفظه فلست أحكم أنا عليه فإن لم آت لأحكم على الدنيا ، وأعاقبها لكن لأسلم^(٢٤٤) أهل الدنيا .

قال أبو محمد : هذان الفصلان ضد الفصلين اللذين قبلهما ، وكل واحد من المعنيين يكذب الآخر صراحاً ، فإن قيل إنه إنما أراد^(٢٤٥) أنه لم يبعث لتلف الأنفس ، التي آمنت به . قلنا : قد عمّ ولم يخص ، وبرهان بطلان تأويلكم هذا من أنه إنما عني أنه لم يبعث لتلف النفوس المؤمنة به أنها^(٢٤٦) نص هذا الفصل . في الباب التاسع من إنجيل لوقاهو كما نوره إن شاء الله تعالى قال عن المسيح : إنه بعث بين يديه رسلاً وجعلوا طريقهم على السامرة ليعدوا له بها فلم يقبلوه لتوجهه إلى برشلام ، فلما رأى ذلك يوحنا ويعقوب قالوا له : يا سيدنا أوافقهم أن تدعو فتزل عليهم نار من السماء وتحرق عامتهم كما فعل إلياس .. ؟^(٢٤٧) فرجع إليهم وانتهرهم وقال : الذي أنتم له أرواح لم يبعث الإنسان لتلف الأنفس ، لكن لسلامتها ثم توجهوا إلى حصن آخر .

قال أبو محمد : فارتفع الإشكال وضح أنه لم يعن بالأنفس التي بعث لسلامتها بعض النفوس دون بعض ، لكن عني كل نفس كافر به ومؤمنة به لأنه كما تسمعون^(٢٤٨) إنما قال ذلك إذا أراد أصحابه هلاك الذين لم يقبلوه ، فظهر تكاذب الكلام الأول ، وحاشا لله أن يكذب^(٢٤٩) المسيح عليه السلام ، لكن الكذب بلا شك من الفساق الأربعة الذين كتبوا تلك الأناجيل المحرقة المبدلة .

ثم في هذا الفصل نصٌ جليٌّ على أنه مبعوث مأمور ، فصح أنه نبي كما يقول أهل الحق إن كانوا صدقوا في هذا الفصل وبالله تعالى التوفيق .

(٢٤٤) في (أ ، ب) : [إلى تبليغ] .

(٢٤٥) في (أ) : سقطت كلمة (أراد أنه) .

(٢٤٦) في (ط) : (إنه نص) .

(٢٤٧) إلياس : هو ابن أخي هارون أخى موسى عليه السلام وقد أشار إليه القرآن في قوله تعالى : « وكرها ، ويحيى وإلياس كل من

الصالحين » (الأنعام : ٨٥) .

(٢٤٨) في (أ ، ب) : (لا كما يسمعون) .

(٢٤٩) في (أ ، ب) : (الرسول المسيح) .

« فصل »

وفي الباب المذكور نفسه أن المسيح قال : من قبل نبيا على اسم نبى فإنه يكافأ بمثل أجر النبى^(٢٥٠).

قال أبو محمد : وهذا كذب ومحال ، لأنه لا تفاضل للناس عند الله تعالى فى الآخرة ، إلا بأجورهم التى يعطيهم الله تعالى فقط ، لا بشيء آخر أصلاً ، فمن كان أجره فوق أجر غيره فهو بالضرورة أفضل منه ، والآخر بلا شك دون ، ومن كان أجره مثل أجر آخر فهما بلا شك سواء فى الفضل ، هذا يعلم ضرورة بالحس ، فلو كان كل من اتبع نبياً له مثل أجر النبى لكان أهل الإيمان كلهم فى الآخرة سواء لا فضل لأحد على أحد عند الله تعالى ، وهذا يعلم أنه كذب ومحال بالضرورة ، ولو كان هذا لوجب أن يكون أجر كل كلب^(٢٥١) من النصارى مثل أجر باطره والتلاميذ وبولش ومارقش ولوقا ، وليس منهم أحد يقول بهذا ، ولا يدخله فى الممكن فكلهم متفق على أن إلههم كذب ، وحاشا لله من أن يكذب نبى من أنبيائه ، أو رجل صادق من أهل الإيمان وبالله تعالى التوفيق .

(٢٥٠) النص : « من يقل بيا باسم بنى فأجر نبى يأخذ » (إنجيل متى : الإصحاح ١٠ / ٤١) .

(٢٥١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كلب) .

الكلام فى يحيى عليه السلام

« فصل »

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل متى أن المسيح عليه السلام قال وقد ذكر يحيى بن زكريا أنا أقول لكم : إنه أكثر من نبي وهو الذى قيل فيه وأنا باعث ملكى بين يديك ليعد لك^(٢٥٢) طريقك .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل كذب فى موضعين .

أحدهما : قوله فى يحيى إنه أكثر من نبي وهذا محال ، لأنه لا يخلو يحيى وغير يحيى منس إلا أن يكون رسولا نبيا ، ويحيى رسول بإجماعهم ، وإن كان لم يوح إليه فهذه منزلة يستوى فيها الكافر والمؤمن ، ولا يجوز أن يكون من لا يوحى الله تعالى إليه مثالا لمن^(٢٥٣) استخضه عز وجل بالوحى إليه ، فكيف أن يكون أكثر منه .. ؟

والكذبة الثانية : قوله إن يحيى هو الذى قيل فيه وأنا باعث ملكى بين يديك لأن يحيى عليه السلام على هذا^(٢٥٤) ملك ، وهذا كذب بحت لأنه إنسان ابن رجل وامرأة ، عاش إلى أن قتل ،

(٢٥٢) النص : لكن ماذا خرجتم لتظنوا أنبيا . نعم أقول لكم وأفضل من بى . فإن هذا الذى كتب عنه . هأنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهبط طريقك قدامك الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت السماوات أعظم منه (إنجيل متى - الإصحاح ١١/٩ - ١٢) فيوحنا هو يحيى .
(٢٥٣) فى (أ ، ب) : [مثل من استخلصه] .
(٢٥٤) فى (أ ، ب) : [على هذا القول] .

وليس هذا صفة الملك ، ويحيى لم يكن ملكاً . وفي هذا الفصل الذى^(٢٥٥) بعد هذا أنه قال : إن يحيى آدمى فهذا القول كذب على كل حال ، وحاشا لله أن يكذب نبي ، ولا رجل فاضل ، وصح أن متى الشرطى النذل هو الذى كذب ، فعليه ما على الكذابين أمثاله .

(٢٥٥) فى (أ ، ب) : (لكن بعد هذا) وهو تحريف .

« فصل »

وفي الباب المذكور ، أن المسيح قال لهم : آمين أقول لكم لم يولد أحد من الآدميين أشرف من يحيى المعمّد ، ولكن من كان صغيراً وفي ملكوت السماء فهو أكبر منه .

قال أبو محمد : تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم ، وقرة عيون الأعداء ، وقولا^(٢٥٦) لا يمكن أن يقوله ولا ينطق به صبي ، يرجى فلاحه ، ولا أمة وكفاء^(٢٥٧) إلا أن تكون مدخولة . العقل ، أثبت أنه لم يولد في الآدميين أشرف من يحيى .. ؟ وإذا كان كما زعم أن الصغير في ملكوت السماء أكبر من يحيى ، فكل مؤمن^(٢٥٨) يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أفضل^(٢٥٩) من يحيى ، فوجب من هذا أن كل مؤمن من بنى آدم فهو أفضل من يحيى ، وأن يحيى أرذل وأصغر من كل مؤمن . فما هذا الهوس .. ؟ وما هذا الكذب وما هذا العيارة^(٢٦٠) السمجة في الدين .. ؟ وكم هذا التناقض .. ؟ والله ما قال المسيح قط شيئاً من هذه الرعونة ، وما قالها إلا الكذاب متّى ونظراؤه عليهم اللعنة^(٢٦١) ، فلقد كانوا في غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين .

(٢٥٦) في (أ ، ب) : (وهو لا يمكن) .

(٢٥٧) في (أ ، ب) : (وكفاء) بالعين وهو تحريف . والكفاء الفاسدة (قاموس) .

(٢٥٨) في (أ ، ب) : (فكل من يدخل) .

(٢٥٩) في (أ ، ب) : (أكبر) .

(٢٦٠) في (أ ، ب) : (العباوة) .

(٢٦١) في (أ ، ب) : (لعنة الله) .

« فصل »

وفي الباب المذكور : أن المسيح قال لهم : كل كتاب ونبوة فإن منتهاها إلى يحيى .
قال أبو محمد : في هذا الفصل كذبتان على صغره . إحداهما : قوله قيل : إن يحيى^(٢٦٢)
أكثر من نبي مع ما في الإنجيل من أن يحيى سئل فقل له^(٢٦٣) أنبيأ أنت ؟ قال : لا . وقال
ههنا ، إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى ، فمرة ليس هو نبيا ، ومرة هو نبي^(٢٦٤) الأنبياء ، ومرة هو
أكثر من نبي ، تبارك الله كم هذا التخليط والكذب الفاحش .. ؟ !!
والأخرى قوله : فيه إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى ، وليس بعد النهاية^(٢٦٥) نبي فهو على هذا
آخر الأنبياء .

وفي الباب الرابع عشر من إنجيل متى : أن المسيح قال لهم : أنا باعث إليكم أنبياء وعلماء
وستقتلون منهم وتصلبون ، فقد كذب^(٢٦٦) بأن يحيى آخر الأنبياء ، ومنتهى النبوة إليه ، والنصارى
مقرؤن بأنه قد كان بعده أنبياء ، وأن نبيا أتى إلى بولش وأنذره بأنه سيصلب . ذكر ذلك لوقا في
الافركسيس . فقد حصلوا على تكذيب المسيح في قوله وفي بعض هذا كفاية .

(٢٦٢) في (أ ، ب) : (أن يحيى أكبر) .

(٢٦٣) في (ط) : سقطت كلمة (له) .

(٢٦٤) في (أ ، ب) : (آخر الأنبياء) .

(٢٦٥) في (أ ، ب) : (وليس بعد النهاية شيء) .

(٢٦٦) في (أ ، ب) : (كذب القول) .

« فصل »

وفي الباب المذكور أن المسيح قال لهم : أتاكم يحى وهو لا يأكل ، ولا يشرب ، فقلتم هو مجنون ، ثم أتاكم ابن الإنسان يعنى نفسه^(٢٦٧) فقلتم : هذا جواف^(٢٦٨) شروب الخمر ، خليع صديق المستخرجين والمذنبين^(٢٦٩).

قال أبو محمد : فى هذا كذب وخلاف^(٢٧٠) للنصارى ، أما الكذب ، فإنه قال ههنا : إن يحى كان لا يأكل ولا يشرب ، حتى قيل فيه : إنه مجنون من أجل ذلك .

وفي الباب الأول من إنجيل ماركس : أن يحى بن زكريا عليهما السلام هذا كان طعامه الجراد ، والعسل الصحراوي^(٢٧١)، وهذا تناقض ، وأحد الخبرين كذب بلا شك ، وأما خلاف قول النصارى فإنه ذكر أن يحى كان لا يأكل ولا يشرب ، وأن المسيح كان يأكل ويشرب ، وبلا شك^(٢٧٢) من أغناه الله عز وجل عن الأكل والشرب من الناس فقد أبانه ورفع درجته على^(٢٧٣) من لم يغنه عن الأكل والشرب منهم ، فيحى أفضل من المسيح بلا شك على هذا .

(٢٦٧) فى (أ ، ب) : (يأكل ويشرب) .

(٢٦٨) فى (أ ، ب) : (جواف) .

(٢٦٩) النص : « لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان جاء اسلا إنسان يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشرب خمر ، محب للعشائين والخطاة ، والحكمة تبررت من بيها (إنجيل متى . الإصحاح ١٨/١١ - ١٩) .

(٢٧٠) فى (أ ، ب) : (لقول النصارى) .

(٢٧١) النص : « وكان يوحنا يلبس وبر الإبل ومطقة من حلد على حقويه ويأكل حراذًا وعسلا بريًا » (إنجيل مرقس . الإصحاح

ط/٦ - ٨) .

(٢٧٢) فى (أ ، ب) : (أن) .

(٢٧٣) فى (أ ، ب) : (عن من) .

وقصة ثالثة : وهى اعتراف المسيح على نفسه بأنه يأكل ويشرب ، وهو عندهم إله فكيف يأكل الإله ويشرب ؟ ما فى الهوس أكثر من هذا . فإن قالوا : إن الناسوت منه هو الذى كان يأكل ويشرب . قلنا : وهذا كذب منكم على كل حال ؛ لأنه إذا كان المسيح عندكم لاهوتًا وناسوتًا معًا فهو شيطان ، فإن كان إنما أكل^(٢٧٤) الناسوت وحده فإنما أكل الشيء الواحد من جملة الشيعين ، ولم يأكل الآخر ، فقولوا : إذا أكل نصف المسيح ، وشرب نصف المسيح ، وإلا فقد كذبتكم فى كل حال ، وكذب أسلافكم فى قولهم أكل المسيح ، ونسبتم إلى المسيح الكذب فى خبره^(٢٧٥) عن نفسه أنه يأكل ، وإنما يأكل نصفه لاكله ، والقوم أنذال بالجملة .

(٢٧٤) فى (أ ، ب) . (يأكل)

(٢٧٥) (بحره) .

« فصل »

وفي الباب المذكور أن المسيح قال : لا يعلم الولد^(٢٧٦) غير الأب ، ولا يعلم الأب غير الولد^(٢٧٧). قال أبو محمد : هذا عجب جدا ؛ لأن المسيح عندهم ابن الله بلا خلاف منهم والله تعالى - عن كفرهم - هو والد المسيح وأبوه ، وهكذا يطلق النذل باطرة في رسائله المنته متى ذكر الله عز وجل قال : الله والد ربنا المسيح آمرا كذا وكذا ، ثم ههنا قال : إن المسيح قال : إنه لا يعلم الأب إلا الابن ، ولا يعلم الابن إلا الأب ، فقد وجب ضرورة أن التلاميذ وسائر النصارى لا يعرفون^(٢٧٨) الله تعالى أصلاً ، ولا يعرفون المسيح ألبته ، فهم جهال بالله تعالى وبالابن ، ومن جهل الله تعالى ولم يعرفه فهو كافر ، فهم كلهم كفار أسلافهم وأخلافهم ، أو كذب المسيح في هذا الكلام ، أو كذب النذل متى ، لأبد والله من أحدها ، وقد أعاذ الله تعالى عبده ورسوله^(٢٧٩) من الكذب ، فبقيت الاثنتان وهما والذى سمك السماء حق ، وأن النصارى لكفار^(٢٨٠) جهال بالله عز وجل ، وأن الشرطى متى لكذاب^(٢٨١) كافر ملعون ، فعلى جميعهم^(٢٨٢)

(٢٧٦) و (أ) : (لا يعلم الولد)

(٢٧٧) البص . « كل شئ - دفع إلى من أرى ، وليس أحد يعرف الابن إلا الأب ، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن » (إنجيل متى : الإصحاح

٢٧ - ٢٨) .

(٢٧٨) و (أ) - (ب) : (لا يعلمون) .

(٢٧٩) و (أ) - (ب) : (المسيح) .

(٢٨٠) و (ب) : (سقطت كلمة) لكفار (

(٢٨١) و (أ) - (ب) : (منفق جاهل)

(٢٨٢) و (ب) : (ما يستحقون من الله) .

لعنة الله . نعم وفي هذا القول الملعون الذى أضافوه إلى المسيح عليه السلام القطع بأن الملائكة والأنبياء السالفين كلهم ليس منهم أحد يعرف الله تعالى ، فاعجبوا^(٢٨٣) لكفر هذا اللعين متى ؟ !! وعظيم حماقته^(٢٨٤) ومن قلده في دينه ونحمد الله على السلامة^(٢٨٥) كثيرًا .

(٢٨٣) في (ب) : (فاعجبوا لعظيم فسق هذا الأحق متى) .

(٢٨٤) في (ب) : (حماقة من قلده) .

(٢٨٥) في (ح) : سقطت كلمة (على السلامة) .

مطالبة المسيح بآية « فصل »

وفى الباب المذكور أن بعض التورائين قال للمسيح : يا معلم^(٢٨٦) إنا نريد أن تأتينا بآية فقال لهم المسيح : يا نسل السوء ، ونسل الزنا تسألون آية ولا ترون^(٢٨٧) منها آية غير آية يونس النبي .. ؟ فكما أن يونس كان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كذلك يكون ابن الإنسان فى جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها^(٢٨٨).

قال أبو محمد : لو لم يكن فى أناجيلهم^(٢٨٩) إلا هذا الفصل الملعون وحده لكفى فى بطلان جميع أناجيلهم ، وجميع دينهم . فإنه قد جمع عظيمتين .

إحداهما : تحقيق أنه لم يأت مخالفه قط بآية ، وإقرار المسيح بذلك بزعمهم ، وأن آياته التى يذكرون إنما كانت خفية وفى السر بحضرة النزر القليل الذين اتبعوه ، ومثل هذا لا يقوم^(٢٩٠) حجة على المخالف ، أو تحقيق الكذب على المسيح فى أنه يخبر أنهم لا يرون آية وهو يريهم الآيات لابد من إحداهما .

(٢٨٦) فى (ح) . سقطت (يا معلم) .

(٢٨٧) فى (ح) ' سقطت (ترون) .

(٢٨٨) راجع إنجيل متى : (الإصحاح ١٢ الفقرات من ٣٨ - ٤١) .

(٢٨٩) فى (أ ، ب) ' (إنجيلهم) .

(٢٩٠) فى (أ ، ب) : (لا تقوم به حجة) .

والفصل الثانی وهو الطامة الكبرى ، حکایتهم عن المسيح أنه قال عن نفسه : كما بقى یونس فی بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها ، كذلك يبقى هو فی جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها ، وهذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها ؛ لأنهم مجمعون فی جميع أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة^(٢٩١) فی دخول ليلة السبت ، وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد ، فلم يبق فی جوف الأرض إلا ليلة وبعض أخرى ، ويوماً ويسيراً من يوم ثان فقط ، وهذه كذبة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح ، لابد منها أو كذب أصحاب الأنجيل ، وهم أهل الكذب وحسبنا الله .

(٢٩١) فی (أ ، ب) . (مع) بدلاً من (في) .

« فصل »

وفي الباب الثالث عشر من إنجيل متى أن المسيح قال : « يشبه ملكوت السماء بحبة ، خردل ، ألقاها رجل في فدانها ، وهي أدق الزرايع^(٢٩٢)، فإذا أنبتت استعلت على جميع البقول والزرايع ، حتى ينزل في أغصانها طير السماء ويسكن إليها^(٢٩٣) » .

قال أبو محمد : حاشا للمسيح عليه السلام أن يقول هذا الكلام ؛ لكن النذل الذي قاله كان قليل البصيرة بالفلاحة ، وقد رأينا نبات الخردل ، ورأينا من رآه في البلاد البعيدة ، فما رأينا قط ولا أخبرنا من رأى شيئاً منه يمكن أن يقف عليه طائر ، ومثل هذه المسامحات^(٢٩٤) لا تقع لنبي أصلاً فكيف لله عز وجل .

(٢٩٢) في (أ . ب . ج . د) (كلها) .

(٢٩٣) النص : « يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أحدها إنسان وررعها في حقله . وهي أصغر جميع البذور ولكن متى تمت فهي أكبر البقول ، وتصير شجرة حتى إن ضيور السماء تأتي وتأتي في أغصانها » (إنجيل متى . الإصحاح ١٣ / ٣١ - ٣٢) .

(٢٩٤) لعلها : (السحافات) فهي التي تلائم أسلوب ابن حزم .

النبي لا يعدم حرمة إلا في بلده

« فصل »

وفي آخر الباب المذكور أنَّ المسيح رجع إلى بلاده ، وجعل يوصي جماعتهم بوصايا يعجبون منها ، وكانوا يقولون : من أين أوتي هذه العلوم ، وهذه القدرة ؟ أما هذا ابن الحَدَّاد وأمه مريم ، وإخوته يعقوب ، ويوسف ، وشمعون ، ويهوذا ، وأخواته ، أما هؤلاء كلهم عندنا فمن أين أوتي هذا .. ؟ وكانوا يشكون فيه . فقال لهم يسوع : « ليس يعدم النبي حرمة إلا في بيته وبلده »^(٢٩٥) ولتشككهم وكفرهم لم يطلع في ذلك الموضوع عجائب كثيرة .

وفي الباب الخامس من إنجيل ماركس قال : وكانت الجماعة تسمع منه وتعجب^(٢٩٦) العجب الشديد من وصيته ، ويقولون : من أين أوتي هذا ؟ وما هذه الحكمة التي رزقها ؟ ومن أين هذه الأعاجيب التي ظهرت على يديه ؟ أليس هو ابن الحَدَّاد ، وابن مريم أخو يوسف ويعقوب وشمعون ويهوذا ؟ أليس أخواته هنَّ هاهنا معنا ؟ وكان يقول لهم يسوع : لا^(٢٩٧) يكون نبي بغير حرمة إلا في وطنه وبين عشيرته ، وفي أهل بيته ، وليس كان يقوى أن يفعل هنالك آية ، لكن وضع يديه على مرضى قليل فأبرأهم^(٢٩٨).

(٢٩٥) النص : « ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجملهم حتى هتوا » . وقالوا من أين هذا هذه الحكمة والقوآت ، أليس هذا ابن النجار ، أليست أمه تدعى مريم . وإخوته يعقوب ويوسى وشمعون ويهوذا ، أليس أخواته جميعاً عندنا ، فمن أين هذا هذه كلها ، فكانوا يعثرون له . وأما يسوع فقال لهم : ليس بي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته . ولم يصع هناك قوآت كثيرة لعدم إيمانهم . (انجيل متى - الإصحاح ١٣ - الفقرات من ٥٤ - ٥٨) .

(٢٩٦) في (أ . ب . ج) : (وتعجب منه) .

(٢٩٧) في (أ . ب . ج) : (ليس يكون) .

(٢٩٨) راجع إنجيل مرقس - الإصحاح السادس - الفقرات من ١ - ٦ وفيه : « أليس هذا النجار ابن مريم » .

وفي الباب الثاني من إنجيل لوقا ؛ « فلما دخل الوالد المسيح البيت » وبعد هذا بيسير قال : « فكان يعجب منه أبوه وأمه^(٣٠٠) » ويَعْدُه بيسير قول مريم أمه له : « وقد طلبك أبوك وأنا معك^(٣٠١) » .

وفي الباب السابع منه : أقبلت إليه أمه^(٣٠٢) وإخوته .

وفي الباب الثاني^(٣٠٣) من إنجيل يوحنا : وبعد هذا نزل إلى قفر ناحوم ، ومعه أمه وإخوته وتلاميذه .

وفي الباب السابع من إنجيل يوحنا : وكان إخوته لا يؤمنون به .

قال أبو محمد : في هذه الفصول ثلاث طوام نذكرها طامة طامة إن شاء الله تعالى .

أولها : اتفاق الأناجيل الأربعة على أنه كان له والد معروف من الناس ، وإخوة وأخوات سمى الإخوة بأسمائهم ، وهم أربعة رجال سوى الأخوات ، ولا نقول^(٣٠٤) في ذلك إلا على إقرار منهم^(٣٠٥) : بأن له والدًا طلبه معها ، وهو يوسف الحداد أو النجار ، فأما أمه فقد اتفقنا نحن واليهود ، وجمهور النصارى على أنها حملت به حمل النساء ، وولدتها كما تلد النساء أولادهن ، إلا طائفة من النصارى قالت : لم تحمل به ، لكن^(٣٠٦) دخل من أذننها وخرج من فرجها في الوقت كالماء في الميزاب ، ولكن بقي علينا أن نعرف : كيف تقول أمه عليها السلام عن النجار أو الحداد إنه أبوه ووالده ؟ فإن قالوا : إن زوج الأم يسمى في اللغة أبا قلنا : هبكم أن هذا كذلك ؟! كيف العمل في هؤلاء الذين اتفقت عليهم الأناجيل على أنهم إخوته وأخواته ، وإنما هم أولاد يوسف النجار أو الحداد .. ؟ وما وجد في اللغة العبرانية أن^(٣٠٧) أن الربيب من غير الأم يسمى أبا ، إلا أن يقولوا : إن مريم ولدتها من النجار ، فقد قال هذا طائفة من قدمائهم منهم :

(٢٩٩) في (أ) : (الباب الثامن) .

(٣٠٠) إنجيل لوقا - الإصحاح الثاني - الفقرات من ٢٧ - ٣٤ .

(٣٠١) إنجيل لوقا - الإصحاح ٢ - الفقرات ٤٨ .

(٣٠٢) في (أ) : سقطت كلمة (أمه) .

(٣٠٣) في (أ ، ب) : (الباب الثامن عشر) .

(٣٠٤) في (أ ، ب) : « ولا يعوّ » .

(٣٠٥) في (أ ، ب) : (أمه) .

(٣٠٦) في (أ ، ب) : (ولكن) .

(٣٠٧) في (ج) : سقطت كلمة (وجد) وكلمة (العبرانية أن) .

(٣٠٨) في (أ ، ب) : (يليان) .

« بيار^(٣٠٨) » مطران « طليطلة^(٣٠٩) » ، ونحن نبرأ إلى الله تعالى مما يقول هؤلاء الكفرة أن يكون لإله معبود أم أو خال أو خاله ، أو ابن خاله أو ربيب ، أو أخت ، أو أخ ، وتباً لعقول يدخل هذا فيها من أن لله تعالى ربيباً هو زوج أمه .

وليس يمكنهم أن يقولوا : إنما أراد كُتَّاب الأناجيل أنهم إخوته في الإيمان والدين ، لأن « يوحنا » قد رفع الإشكال في ذلك وقال : « معه إخوته وتلاميذه » فجعلهم طبقتين :

وقال أيضاً : إن إخوته كانوا لا يؤمنون به ، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن من يلعب بعذرة^(٣١٠) ، وما يخرج من أسفله^(٣١١) يصدق بشيء من هذا الحق ، ولكن تبارك من أرادنا بهذا أنه لا ينتفع أحد ببصره ولا بسمعه ، ولا بتمييزه إلا أن يهديه خالق الهدى والضلال . نسأل الله الذى هدانا للملة الإسلام البيضاء الواضحة السليمة من كل ما ينافره العقل - ألا يضلنا بعد إذ هدانا حتى نلقاه على ملة الحق ، ونحله الحق ، ومذهب الحق ، ناجين من ملل^(٣١٢) الكفر ، وندخل الضلال ، ومذاهب الخطأ^(٣١٣) .

وكُل ما أوردناه^(٣١٤) بيان واضح ، في أن الذين ألفوا الأناجيل كانوا عيارين ، مستخفين بمن أضلّوه ، متلاعبين بالدين .

والثانية^(٣١٥) : إقرارهم بأن المسيح لم يكن يقوى في ذلك المكان على آية ، ولو كان لهم عقل لعلموا أن هذه ليس صفة إله يفعل ما يشاء ، بل صفة عبد مخلوق مدبر لا يملك من أمره شيئاً ، كما قال لرسول الله ﷺ :

« قل إنما الآيات عند الله^(٣١٦) » .

الثالثة : إقرارهم أن المسيح عليه السلام سمعهم ينسبونه إلى ولادة الحداث ، وأنه أبوه ، ولم ينكر ذلك عليهم .

(٣٠٩) طليطلة : عاصمة مقاطعة في أسبانيا بإقليم قشتالة الجديد . يرجع تاريخها إلى ما قبل الرومان ، ازدهرت كعاصمة بعد ٥٠٧ ق م . نعت قمة ازدهارها إبان حكم العرب من ٧١٢ إلى ١٠٨٥ م باعتبارها حاضرة للأمير ثم عاصمة لمملكة مستقلة بعد ١٠٣١ م . ومركزاً للثقافة العربية والأندلسية واليهودية إبان حكم العرب ، وملوك قشتالة الذين اتخذوها مقراً لهم . ومن معالمها العربية جسر القنطرة عبر -ر تاحه . وهى مركز عظيم من مراكز الفس الإسلامى . اشتهرت في العصر الإسلامى ويعدده صناعة النحف المعدنية . (الموسوعة الميسرة) .

(٣١٠) في الأصل (بقدره) بالقاف ، وهو تحريف لا يتفق مع اطراد الأسلوب .

(٣١١) في (أ ، ب) : (سفله)

(٣١٢) في (أ ، ب) : (من خللى) .

(٣١٣) في (أ) : (الخطأ) .

(٣١٤) في (أ ، ب) : (وفي كل ما أوردنا) .

(٣١٥) في (أ ، ب) : (والطامة الثانية) .

(٣١٦) سورة : الأنعام : ١٠٩ .

فقد حققوا عليه أحد شيئين لا ثالث لهما ألّبتة : إمّا أنه سمع الحق من ذلك فلم ينكره ، وفي هذا ما فيه من خلاف قولهم جملة .

وإمّا أنه سمع الباطل والكذب فأقرّ عليه ولم ينكره . وهذه صفة سوء وتلبيس في الدين . قال أبو محمد : وفي هذه الفصول مما لم يطلق الله تعالى أيديهم على تبديله من الحق قوله : « لا يعدم النبي حرمة إلا في وطنه ، وأهل بيته » .

فيا عقول الأطفال ، ويا أدمغة الأوز : لو عقلتم أما كنتم^(٣١٧) تقولون فيه ما قال في نفسه ، وما يشهد^(٣١٨) العيان بصدقه وصحته^(٣١٩) فيه ؟! وتتركون الرعونة التي لم تقدروا منذ ألف عام بيان ما تعتقدونه منها بقلوبكم ، ولا قدرتم على العبارة^(٣٢٠) عنها بالسنتكم ، وكلما رمت وجهها من وجوه النوك انفتق عليكم باب من لا قبل لكم به ونعوذ بالله من الضلال .

(٣١٧) و (أ ، ب) : أما كان يكفيكم أن تقولوا « .

(٣١٨) في (أ ، ب) : (وما شهد) .

(٣١٩) في (خ) : لا توجد كلمة (وصحته) .

(٣٢٠) في الأصل [العبارة] بالدال - وهو تحريف .

تضارب الأقوال حول باطرة « فصل »

وفي الباب السادس عشر من إنجيل « متى » أن المسيح قال لباطرة : إليك أبرأ بمفاتيح السماوات ، فكل ما حرّمته في الأرض يكون محرّمًا في السماوات ، وكل ما حلّته على الأرض يكون حلّالًا في السماوات^(٣٢١) .

وبعد هذا الكلام بأربعة أسطر أن المسيح قال لباطرة نفسه : متّصلا بالكلام المذكور : « اتبعني يا مخالف ، ولا تعارضني فإنك جاهل بمرضاة الله تعالى ، وإنما تدرى مرضاة الآدميين^(٣٢٢) » .

قال أبو محمد رضى الله عنه : في هذا الفصل على قلته - وإنه قليل وممتن كبعض ما يشبهه ممّا يكره ذكره - سؤاتان عظيمتان :

إحدهما : أنه برىء إلى باطرة النذل بمفاتيح السماوات ، وولاه خطة إلهية لا تجوز لغير الله

(٣٢١) النص : « وأنا أقول لك أيضًا . أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ابن كنيسة ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السماوات » (إنجيل متى - الإصحاح ١٦/١٨ - ٢٠) وباطره هو بطرس .

(٣٢٢) النص : « فأخذه بطرس إليه ، وابتدأ ينتهره قائلاً : حاشاك يا ربّ ، لا يكون لك هذا ، فالتفت وقال لبطرس : اذهب عني يا شيطان ، أنت مغرّة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (إنجيل متى ١٦٠ / ٢٢ ، ٢٣) .

تعالى وحده ، لا شريك له ، من أن كل ما حرّمه في الأرض^(٣٢٣) كان حراماً في السماوات وكل ما حلّله في الأرض^(٣٢٤) كان حلالاً في السماوات .

والثانية : أنه أثر براءته إليه بمفاتيح السماوات ، وتوليته له خطة الربوبية ، إمّا شريكاً لله تعالى في التحريم والتحليل ، وإمّا منفرداً دونه عز وجل بهذه الصفة .

قال له في الوقت : « إنه مخالف معارض له^(٣٢٥) جاهل بمرضاة الله تعالى ، (مخالف له^(٣٢٦)) لا يدري إلّا مرضاة الآدميين » .

فوالله لئن كان صدق في الآخرة لقد خرق^(٣٢٧) في الأولى ؛ إذ ولّى ما لا ينبغي إلّا لله تعالى جاهلاً بمرضاة الله تعالى ، مخالفاً له لا يدري إلّا مرضاة^(٣٢٨) الناس ، وإنّ هذه لسوءة الأبد ؛ إذ من هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح كنيف ، أو بيت زبل . ولكن كان صدق وأصاب في الأولى لقد كذب في الثانية ، ووالله ما قال المسيح قط^(٣٢٩) ما ذكروا عنه في الأولى ، لأنها مقالة كافر شرّ خلق الله تعالى ، وما يبعد أنه قال له الكلام الثاني ، فهو والله كلام حق ، يشهد^(٣٣٠) به اللعين الكافر « باطرة » شاه وجهه ، وعليه سخط الله وغضبه .

ثم عجب ثالث : أننا قد ذكرنا قبل أن في الباب الثامن عشر^(٣٣١) من إنجيل « متى » أن المسيح أشرك مع « باطرة » في هذه الخطة التي أفرد بها هاهنا سائر الاثنى عشر تلميذاً ، ومن^(٣٣٢) جملتهم السارق ، الكافر ، الذي دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهماً أخذها منهم ، وأتته قال لجميعهم : « ما حرّمتموه في الأرض كان حراماً في السماوات ، وما حللتموه في الأرض كان حلالاً في السماوات » .

فيا ليت شعري كيف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولّاهم من ذلك ، فأحلّ بعضهم شيئاً وحرّمه آخر منهم ؟

كيف يكون الحال في السماوات وفي الأرض ؟

(٣٢٣) في (ح) : سقطت كلمة (في الأرض) .

(٣٢٤) في (خ) : سقطت كلمة (في الأرض) .

(٣٢٥) في (خ) : لا توجد كلمة (له) .

(٣٢٦) في (خ) : زيادة (مخالف له) وقد حذفت من (أ) .

(٣٢٧) في الأصل (حرق) وهو تحريف .

(٣٢٨) في (أ ، ب) : (رضاء) .

(٣٢٩) في (أ ، ب) : (شيئاً مما ذكروا) .

(٣٣٠) في (أ ، ب) : « يشهد المنافق على اللعين به باطرة » .

(٣٣١) في (أ) : (الثاني عشر) ، (راجع الإنجيل متى . الإصحاح ١٨ / ١٨ ، ١٩) .

(٣٣٢) في (أ ، ب) : (وفي) بدلاً من (من) .

لقد يقع أهلها مع هؤلاء السفلة في سفل وفي حرمةٍ وحلٍ معًا .

فإن قيل : لا يجوز أن يختلفوا . قلنا : سبحانه الله وأيّ خلاف أعظم من تحليل يهوذا إسلامه إلى اليهود ، وأخذته ثلاثين درهماً رشوة على ذلك ، إلا إن كان عزله عن خطيته الإلاهية بعد أن ولّاه إياها ، فلعمري إن من قدر أن يوليها إنه لقادر على أن يعزل^(٣٣٣) عنها ، ولعمري لقد رذلت هذه المنزلة عند هؤلاء الأرذال حقاً إذ وليها^(٣٣٤) السراق ومن لا خير فيه ، ثم يعزلون عنها بلا مؤونة ، تعالى الله ، والله لو دكت الجبال والأرض دكاً ، وخرت السماوات العلى ، وصعق بكل ذى روح عند سماع كفر هؤلاء الخسّاس ، لما كان ذلك بكثير^(٣٣٥) . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولا يخلو هذا القول من أحد وجهين لا ثالث لهما :

إمّا أنه أراد أن « باطرة » والتلاميذ المولين هذه الخطة لا يحللون شيئاً ، ولا يحرمون إلا بوحى من الله عز وجل .

فإن كان هذا فقد كذب في قوله الذى ذكرنا قبل أن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى بن زكريّا عليهما السلام ، لأن هؤلاء أنبياء على هذا القول .

وإمّا أنه أراد : أنه قد جعل لباطرة ولأصحابه ابتداءً الحكم في التحريم والتحليل من عند أنفسهم بلا وحي من الله تعالى .

فيجب على^(٣٣٦) هذا أنهم منى حرموا شيئاً حرّمه الله تعالى اتباعاً لتحريمهم ، ومتى حلّلوا شيئاً حلّله الله تعالى اتباعاً لتحليلهم .

فلئن كان هذا فإنها لحظة خسف ، وترى^(٣٣٧) « باطرة » وأصحابه الأوغاد قد صاروا حكماً على الله تعالى ، وقد^(٣٣٨) صار عز وجل تابعا لهم . وحاشا لله تعالى من هذا كله ، وما نرى « باطرة » المنتن وأصحابه الأرذال^(٣٣٩) حصلوا من مفاتيح السماوات ، ومن خطة الألوهية إلا على خلق اللّحى^(٣٤٠) ، وإنها أحق لحى بالنتف . وعلى ضرب الظهور بالسياط والصلب ، أمّا باطرة دبره إلى فوق ، ورأسه إلى أسفل . والحمد لله رب العالمين .

(٣٣٣) و (أ ، ب) : (العزل) .

(٣٣٤) في (أ ، ب) : (يليها) .

(٣٣٥) في (أ ، ب) : (بكير) .

(٣٣٦) و (خ) : (من هذا) .

(٣٣٧) في (أ ، ب) : (وبرى لباطرة الذل) .

(٣٣٨) في (أ ، ب) : (ولقد) .

(٣٣٩) و (أ ، ب) : (الردلة) وفي (ط) (الردالة) .

(٣٤٠) في (أ ، ب) : سقطت : (وإنها حق لحى)

(بيان أن ما يسميه النصارى بالحواريين هم غير الحواريين المنصوص عليهم في القرآن)

قال أبو محمد : ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمّونهم النصارى ، ويزعمون أنهم كانوا حواريتين للمسيح عليه السلام كباطرة و « متّى » الشرطى ، و « يوحنا » و « يعقوب » و « يهوذا » الأخسّاء لم يكونوا^(١) قط مؤمنين ، فكيف حواريتين ؟ بل كانوا كذابين كفاراً^(٢) مستخفين بالله إمّا مقرين بالوهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك ، غالين فيه كغلو السابئية ، وسائر الفرق الغالية فى علىّ رضى الله عنه ، وكقول الخطابية^(٣) بالوهية أبى الخطاب ، وأصحاب الحلاج بالوهية الحلاج ، وسائر كفار الباطنية^(٤) عليهم اللعنة من الله والغضب . وإمّا مدسوسين

(١) و (أ) : (لم يكونوا فقط)

(٢) سقطت كلمة (كفاراً) .

(٣) الخطابية : طائفة من الشيعة أتباع أبى الخطاب الأندلسى الذى تتلمذ لجعفر الصادق ، ورغم أن الألوهية حلت فيه ، كما حلت فى أستاذه من قبل ، واستباح مع أتباعه ما حرّم الله ، فتركوا الفرائض ، وشهد بعضهم لبعض زوراً ، وقد تبرأ منهم جعفر ، وحاربهم الدولة ، وأسر أبو الخطاب وقتل (٧٥٥ م) . وتفرق أتباعه ، وامتنحت دعوته بالإسماعيلية ، وتطلق الخطابية اليوم أيضاً على أتباع محمود خطاب السبكي الذى دعا إلى التمسك بصريح السنة ، وجدّد مذهباً عملياً قريباً من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأتباعه فى مصر . (الموسوعة العربية الميسرة - بتصرف - الطبعة الثانية ١٩٧٢ م) .

(٤) الباطنية : هم عدد من الفرق المنتمية إلى الإسلام ، ولكنها ابتعدت عنه لآرائها المتطرفة ، فهى تؤول القرآن الكريم تأويلاً يناقض تعاليم الإسلام ، ومن مبادئهم أن الإله خلق النفس فالإله هو الأزل والفس هو الثانى ، وهما مديراً هذا العالم وتنهوهُما الأول والثانى . وقولهم هذا هو قول المجوس الذين يضيفون الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدث إلا أن الباطنية عبرت عنهما بالأول والثانى ، وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهرمن ، ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا بيبغى أن تحمر المساجد كلها . والباطنية هم الذين أشاروا على الرشيد أن يتخذ فى خوف الكعبة مجمره ، وأن تصير الكعبة بيت نار . ومن مؤسسى الباطنية : ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان ، ومحمد بن قرمط (راجع الفرق بين الفرق : للبغدادى - بتصرف ص ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

من قبل اليهود كما تزعم اليهود لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام وإضلالهم ، كانتصاب عبد الله بن سبأ^(٥) الحميري ، والمختار^(٦) بن أبي عبيد ، وأبي عبد الله^(٧) العجاني ، وأبي زكريا^(٨) الخياط ، وعليّ النجار^(٩) وعليّ ابن الفضل^(١٠) الجنيد . وسائر دعاة القرامطة^(١١) والمشاركة لإضلال شيعة عليّ رضي الله عنه ، فوصلوا من ذلك إلى حيث عرف ، وسلم الله من ذلك من لم يكن من الشيعة .

وأما الخواريون الذين أثنى الله عليهم فأولئك أولياء الله حقاً ندين^(١٢) الله تعالى بمحبتهم ولا ندرى أسماءهم ، لأن الله تعالى لم يسمهم لنا ، إلا أننا نبئ ، ونوقن ، ونقطع ، أن « باطرة »

(٥) عبد الله بن سبأ : هو رأس الطائفة السبئية ، وكانت تقول بالرومية على . أصله من اليمن ، قيل كان يهودياً وأظهر الإسلام ، رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ، ودخل دمشق في أيام عثمان ، فأخرجوه أهلها فانصرف إلى مصر ، وجهر بدعته ، ومن مدهه رجعة النبي فكان يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب برجوع محمد ، يقال له : ابن السوداء لسواد أمه . ويقال للسبئية الطيارة لزعمهم أنهم لا يموتون ، وإنما موتهم طيران نفوسهم في الغس ، ويقولون بالتاسع والرجعة . قال أبو حنيفة العسقلاني : ابن سبأ من غلاة الزنادقة أحسب أن علياً حرقه بالنار ابن عساكر ٤ / ٤٢٨ .

(٦) المختار بن أبي عبيد : (١ - ٦٧ هـ) : هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق ، من رعماء الثائرين على بني أمية ، انقطع إلى بني هاشم ، ولما قتل الحسين سنة ٦١ هـ اعترف المختار عن عبيد الله بن زياد أمير البصرة فقبض عليه ابن زياد وحلده وحبسه ، ونفاه إلى الطائف ، ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ عاهد عبد الله بن الزبير واستأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته فذهب ولكنه وجهه لقتال من قاتلوا الحسين ، وتبع قتلة الحسين فقتل منهم شمر بن ذي الجوش الذي قتل الحسين ، وعظم خبره حتى شاع في الناس أنه ادعى النبوة - وما كتب في سيرته أخبار المختار لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي . (الأعلام : للزركلي) .

(٧) أبو عبد الله العجاني : هو أبو عبد الله العردى من الباطنية ويدعى علم النجوم ، ويتعصب للمجوس ، وصنف كتاباً ذكر فيه أن القرن الثامن عشر من مولد محمد (ص) يوافق الألف للعاشر وهو بوية المشتري والقوس ، وقال عند ذلك يرحح إنسان بعبد الدولة المحوسية ، ويستولى على الأرض كلها ، وزعم أنه يملك مدة سبع قرنان ، (الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٢٨٦) . ولم نجد بين الفرق التي أشار إليها ابن حزم من تسمى باسم (العجاني) فعمل هذا تحريف وقع في اسمه ، وقد طال البحث عنه في شتى المصادر والمراجع فلم نثر على من تسمى بهذا الاسم ، فوجدنا (العردى) هو الذي ذكر في كثير من المصادر كشذرات الذهب للمسعودي ، والممل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادي .

(٨) أبو زكريا الخياط : الذي عثرنا عليه هو أبو الحسين الخياط ، وقد أورده النديم في الفهرست ضمن أرباب المعتزلة الذين ألفوا الكتب ، واشتهروا بالاعتزال بعد واصل بن عطاء ، ومنهم : بشر بن خالد ، وعليّ الأسواري ، وعيسى بن صبيح ، وجعفر بن حرب ، وغيرهم ، ولم نجد من كنى هذه الكنية (أبو زكريا) فرجع عندنا أنه هو أبو الحسين الخياط هذا ، وقد بحثنا في كثير من المظان عن أبي زكريا هذا (راجع المقالة الخامسة - الفن الأول من الفهرست للنديم ص ٢٢٠) .

(٩) عليّ النجار : هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، أبو عبد الله ، كان من جملة المجرة ومتكلمهم واحتير رئيساً لفرقة النجارية ، وله مع النظام مجالس ومناظرات ، وله كتب الاستطاعة والإرجاء والقضاء والقدر ، وقد أخذ عن بشر المريسي مذهبه (فهرست النديم : ٢٢٨) .

(١٠) هو أبو علي محمد بن أحمد بن الحفيد ، من أكابر الشيعة الإمامية ، وله من الكتب كتاب نور اليقين ونصرة العارفين ، كتاب تبصرة العارف ونقد الزائف ، وقد أورده النديم في مقالاته الخامسة الفن الخامس حين تحدث عن الإسماعيلية ، وأورد أسماء المصنفين لكتبهم ، وأسماء هذه الكتب (فهرست النديم ٢٤٦) ولهذا يصحح العلم على هذا النحو .

(١١) القرامطة : هم أصحاب دعوة انتشرت في بعض البلاد الإسلامية ٩٠١ هـ بزعماء أحد الإسماعيليين ، زعزت العالم الإسلامي ثم انتهى أمرها حينما اصطدمت بالحملة الصليبية ، كان رأس الطريقة القرمطية داعياً إسماعيلياً اسمه « حمدان » ولقبه قريظي أي أحمر العينين ، انتشرت هذه الدعوة في اليمن حينما بعث ميمون القداح الكوفي أحد دعاة ولد عبيد الله المهدي الفاطميين باثنين من الدعاة إلى اليمن هما : علي بن الفضل ، ومصور بن حسن ، ونجح علي بن الفضل نجاحاً كبيراً ، واستولى على ذمار وصنعاء ، وتغلب على جيوش الإمام الهادي . واستباح عليّ كثيراً من الحرمات ، وادّعى النبوة ، ولم يهدأ الحال إلا بقتله مسموماً ، واستمرت مبادئهم حتى قضى عليها الإمام ابن حميد الدين بعد توليه الملك ، واستولى على ما كان لديهم من مخطوطات لشرح مذهبهم وتعاليمهم (الموسوعة الميسرة ط ثانية) . والحديث عنها مفصل في فهرست النديم : الفن الخامس من المقالة الخامسة : ص ٢٣٩ .

(١٢) في (أ ، ب) : (لدين الله عز وجل محبهم) وهو تحريف .

الكذاب ، و « متى » الشرطى ، و « يوحنا » المستخف ، و « يهوذا » و « يعقوب » النذلين ،
و « مارقش » الفاسق ، و « لوقا » الفاجر^(١٣) ، و « بولش^(١٤) » اللعين ما كانوا قط من الحواريين
لكن من الطائفة التى قال الله تعالى فيها ، « وكفرت طائفة^(١٥) » وبالله تعالى التوفيق .

(١٣) فى (خ) . (القميّار) .

(١٤) فى (أ ، ب) : (الجاهل) بدلاً من اللعين

(١٥) سورة الصف : ١٤

تنبؤات المسيح عما يلقاه من أتباعه

« فصل »

وفي آخر الباب السادس عشر من إنجيل متى : وأعلم ياسوع من ذلك الوقت تلاميذه بما ينبغي أن يفعله من دخول « برشلام » ، وحمل العذاب من أكابر أهلها وعلمائهم ، وقتلهم له ، وقيامه في الثالث فخلا به « باطرة » وقال له : « تعفى عن هذا يا سيدى ، ولا يصيبك منه شئ »^(١٦) .

وفي الباب السابع عشر من إنجيل متى : أن المسيح قال لتلاميذه : سيبلى ابن الإنسان في أيدي الناس ويقتل ويحيا في الثالث - يعنى نفسه - فحزنوا لذلك حزناً شديداً^(١٧) .

وفي أول الباب الثامن من إنجيل ماركس : أن المسيح قال لتلاميذه : « إن ابن الإنسان سيبلى في أيدي الآدبيين ، ويقتلونه ، فإذا قتل يقوم في اليوم الثالث »^(١٨) .

وأنهم لم يفهموا مراده بهذا الكلام .

وفي قرب آخر الباب الثامن من إنجيل لوقا : أن المسيح قال للاثنى عشر تلميذاً « إنا نصعد »^(١٩) إلى « برشلام » ونكمل كل ما نبأت به الأنبياء عليهم السلام عن ابن الإنسان ،

(١٦) راجع النص في انجيل متى الإصحاح ١٦ الفقرات من ٢١ - ٢٣

(١٧) النص في انجيل متى الحالى (الإصحاح ١٧ / ٢٢ ، ٢٣) .

(١٨) انجيل مرقس - الإصحاح ٨ الفقرات : ٣١ - ٣٣ .

(١٩) و (أ ، ب) : (أنا متصعد) .

ويسيرو^(٢٠) به إلى الأجناس يستهزئون به ويجلدونه ، ويبصقون فيه . وبعد جلدتهم إياه يقتلونه ، ونحيا في اليوم الثالث^(٢١) .

فلم يفهموا عنه ممّا ألقى شيئاً ، وكان هذا عندهم معقداً لا يفهمونه .

* * *

قال أبو محمد رضى الله عنه : في هذه الفصول ثلاث كذبات من طوائف الكذب^(٢٢).

إحداها : اتفاق الأناجيل المذكورة كما أوردنا على أن المسيح أخبرهم عن نفسه أنه يقتل ، وجميع الأناجيل الأربعة متفقة عند ذكرهم لصلبه على أنه مات على الخشبة حتف أنفه ، ولم يقتل أصلاً ، إلا أن في بعضها أنه طعنه بعد موته أحد الشرط برمح في جنبه ، فخرج من الطعنة دم وماء .

وفي هذا إثبات الكذب على المسيح ، واتفاقهم كما أوردنا على أنه أخبرهم بأنه يقتل ، واتفاقهم كلهم على أنه لم يقتل ، وهذه سوءة جداً . وحاشا لله أن يكذب نبي أو ينذر بباطل . هذه علامة الكذابين ، لا علامة أهل الصدق .

وثانيها^(٢٣) : اتفاق الأناجيل المذكورة - كما أوردنا - على أنه قال : « ويقوم في الثالث » . ثم اتفقت الأناجيل كلها على أنه « لم يحيى » ولا قام إلا في الليلة الثانية ، وأنه دفن في آخر يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت وحسبك أنهم ذكروا أنه لم يخطط استعجالاً لثلاث تدخل عليهم ليلة السبت ، وأنه قام^(٢٤) ليلة الأحد قبل الفجر ، وهذه كذبة ثالثة^(٢٥) فاحشة نسبوها إلى المسيح ، وحاشا له من^(٢٦) مثلها .

وكذبة ثالثة^(٢٧) : وهى إخبار (متى) أنهم فهموا مراده بهذا القول ، وأنهم حزنوا حزناً شديداً لذلك ، وأن « باطرة » قال له : « تعفى عن هذا يا سيدى ، ولا يصيبك منه شيء » . وأخبار

(٢٠) في (ح) : (وتبرءون به إلى الأجناس)

(٢١) انجيل لوقا - الإصحاح ٩ الفقرات : ٢٠ - ٢٢ .

(٢٢) في (أ) : (الكذاب) .

(٢٣) في (ب) (لا تعاقبهم) .

(٢٤) في (ح) : (وثانية) .

(٢٥) في (أ ، ب) : (أقام) .

(٢٦) في (أ ، ب) : (سقطت كلمة (ثالثة)) .

(٢٧) في (ح) : (منها) .

(٢٨) حقها أن تكون (وكذبة رابعة)

« ماركش » و « لوقا » أنهم لم يفهموا مراده بهذا الكلام ، وهذا كذب^(٢٩) فاحش لا يجوز أن يقع من صادقين ، فكيف من معصومين ؟! فلاح يقينا عظيم كذب^(٣٠) الذين وضعوا هذه الأناجيل . وأنهم كانوا فساقا لا خير فيهم . وبالله تعالى التوفيق .

(٢٩) في (أ ، ب) . (تكاذب)
 (٣٠) في (أ ، ب) : (الكذب من الذين) .

دعوة المسيح أتباعه إلى الإيمان

« فصل »

وفي الباب السابع عشر من إنجيل متى : أن المسيح قال لتلاميذه : « لمن كان لكم إيمان على قدر حبة الخردل ، لتقولن للجبل ارحل من هنا فيرحل ، ولا يتعاصى عليكم شيء » وقبله متصلا به أن تلاميذه عجزوا عن إبراء رجل به جن ، وأن المسيح أبرأه ، وأن تلاميذه قالوا له : لم عجزنا نحن عن برائه قال : تشكُّكم .

وفي الباب الحادى عشر من إنجيل متى^(٣١) : أن المسيح دعا على شجرة تين خضراء فيبست من وقتها . فعجب التلاميذ ، فقال لهم المسيح : « آمين أقول لكم ، لمن آمنتم ولم تشكُّوا ليس تفعلون هذا فى التينة وحدها ، لكن متى قلمت لهذا الجبل : لنقلع ، واطَّرح فى البحر لم يقف لكم » .

* * *

(٣١) لم ترد هذه العبارات فى الإصحاح الحادى عشر من إنجيل متى وإنما وردت فى الإصحاح الحادى والعشرين (راجع الإصحاح ٢١ - الفقرات من ١٨ - ٢٢) والنص كما جاء فى هذا الإصحاح : « وفى الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع ، فنظر شجرتين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط فقال لها : لا يمكن منك ثمر بعدُ إلى الأبد ، فيبست التينة فى الحال ، فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة فى الحال ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : الحق أقول لكم إن كالم لكم إيمان ولا تشككون أمر التينة فقط بل إن قلمت أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون » .

وفي الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال لتلاميذه : من آمن بى سيفعل الأفاعيل التى أفعّلها أنا ، وسيفعل أعظم منها^(٣٢) .

قال أبو محمد : فى هذه الفصول ثلاث^(٣٣) طوام من الكذب عظيمة .

لا يخلوا التلاميذ المذكورون ثم هؤلاء الأشقياء بعدهم إلى اليوم ، من أن يكونوا مؤمنين بالمسيح عليه السلام أو غير مؤمنين ، ولا سبيل إلى قسم ثالث .

فإن كانوا مؤمنين فقد كذب المسيح فيما وعدهم به فى هذه الفصول جهاراً . - وحاشا له من الكذب - وما منهم أحد قط قدر على أن تأتمر له ورقة ، فكيف على قلع جبل وإلقائه فى البحر ؟!

وإن كانوا غير مؤمنين به فهم بإقرارهم هذا ، كفاً ، ولا خير فى كافر ، ولا يجوز أن يصدّق كافر ، ولا أن يؤخذ الدين عن كافر .

ولابدّ لهم من أن يجيبوا إذا سألناهم : أفى قلوبكم مقدار حبة خردل من إيمان أم لا ؟ وتؤمنون بالمسيح أم لا ؟

إن قالوا : نعم . نحن مؤمنون به ، وإيمان فى قلوبنا .

قلنا : فقد^(٣٤) كذب المسيح يقيناً فيما أخبر به من أن من آمن^(٣٥) وفى قلبه مقدار حبة خردل من إيمان يأمر الجبل بأن ينقلع فينقلع ، والله ما فيكم أحد يقدر على تبييس شجرة بدعائه ، ولا على قلع جبل من موضعه .

وإن قالوا : ليس فى قلوبنا قدر حبة خردل من إيمان ، ولا نحن مؤمنون به ، قلنا : صدقتم والله حقاً . وشهدوا على أنفسهم « وضلّ عنهم ما كانوا يفترون^(٣٦) » صدق الله عزّ وجل ، وأنبياءه عليهم السلام - وكذب « متى » و « باطرة » و « يوحنا » و « ماركس » و « لوقا » ، وسائر النصارى الكذابين .

(٣٢) النص كما جاء فى الإصحاح الحادى عشر : « من آمن بى ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حيّاً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » (راجع الإصحاح ١١ - ٢٦ ، ٢٧) .

(٣٣) فى (خ) : لم تذكر كلمة (ثلاث) .

(٣٤) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (فقد) .

(٣٥) فى (أ ، ب) : (ومن أن من فى قلبه) .

(٣٦) الآية : قد خسروا أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون . الأعراف ٥٣ وفى الآية ٣٧ من السورة نفسها : « وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » .

ولقد قلت هذا لبعض علمائهم فقال^{٣٧}: إنما عنى شجرة الخردل التى تعلوا على جميع الزرايع حتى يسكن الطير فيها .

فقلت له : لم يقل فى الإنجيل^(٣٧) مثل شجرة الخردل ، إنما قال مثل حبة الخردل ، وقد وصفها المسيح بإقرارهم بأنها أصغر^(٣٨) الزرايع .

وأيضاً : فإنه ليس إلا مؤمن أو كافر . وأما الشك : فإنه متى دخل الإيمان شكٌ بطل ، وحصل صاحبه فى الكفر ، فكيف ولم يدعنا المسيح بإقرارهم فى شكٍ من هذا التأويل الفاسد ، بل زعموا : أنه قال لهم : « لتشككم لئن كان لكم إيمان قدر حبة خردل لتقولن للجبل ... » .

وقال فى إنجيل يوحنا : كما أوردنا : « لئن آمنتم ولم تشكوا ... » فإنما أراد بيقين بهذه النصوص : التصديق الذى هو خلاف الشك ، لا غاية العمل الصالح .

وقال : كما أوردنا فى إنجيل يوحنا - « من آمن بى سيفعل الأفاعيل التى أفعل أنا » فعن هذا الإيمان به سألتكم : أفى قلوبكم هو أم لا ؟

فقولوا : ما بدا لكم .

قال أبو محمد : وأما أنا فلو^(٣٩) سمعت هذا القول ممن يدعى النبوة لما ترددت فى اليقين بأنه كذب ، والله ما قالها المسيح قط ، وما اخترع هذا الكذب إلا أولئك السفلة ؛ متى ويوحنا ، وأمثالهم . والعجب كله : إقرار متى فى الفصل المذكور كما أوردنا : أن المسيح قال له ولأصحابه : إنهم إنما عجزوا عن إبراء المجنون لتشككم^(٤٠) ، فشهد^(٤١) عليهم بالشك ، وأنه لو كان لهم إيمان لم يعجزوا عن ذلك .

فلا يخلو المسيح عليه السلام فيما حكوا عنه من^(٤٢) أن يكون كاذباً أو صادقاً ، فإن كان كاذباً : فهذه صفة سوء ، والكاذب لا يكون نبياً ، فكيف إلهاً ؟ وإن كان صادقاً : فإن الذين أخذوا عنهم دينهم ويسمونهم تلاميذ ، وأنهم فوق الأنبياء - كفارٌ شكّاك . فكيف يأخذون دينهم عن كفارٍ شكّاك ؟

(٣٧) و (أ ، ب) : (الأناجيل) .

(٣٨) و (أ ، ب) : (أدق) .

(٣٩) و (ج) : (فقد) .

(٤٠) و (أ ، ب) : (لشكهم) .

(٤١) و (ج) : (لشكهم) .

(٤٢) و (أ ، ب) : (زيادة) (الكذب) .

لا يخرج لهم من إحداها ، ولو لم تكن إلا هذه في أناجيلهم^(٤٣) لكفت في إبطالها ، وإبطال جميع ما هم عليه من دينهم المتن .

ثم العجب كله ، كيف يشهد عليهم بالشك وهم يحكون أنه قد ولّاهم خطة الإلهية وولّاهم رتبة الربوبية في أن كل ما حرّموه في الأرض كان حراماً في السماوات ، وكل ما حلّوه في الأرض كان حلالاً في السماوات . فكيف يجتمع هذا مع هذا ؟

وهل يأتي التناقض من دماغه سالم أو فيه آفة يسيرة ؟. بل هذا والله توليد أفاك كاذب ، واختراع عيار متلاعب ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(٤٣) في (أ ، ب) : (في أناجيلهم كنها)

« فصل »

وفي قرب آخر الباب الثامن عشر من إنجيل متى : أن المسيح قال لتلاميذه : « إذا اجتمع إثنان منكم على أمر فليس يسألان شيئاً على الأرض إلّا أجابهم إليه أبى السّماوى ، وحيث اجتمع إثنان أو ثلاثة على اسمى فأنا متوسطهم^(٤٤) »

قال أبو محمد : هذا الفصل ظريف جدّاً ، وكذب لا يطلّ ظهوره ، ولا يخلوا أن يكون عنى بهذه المخاطبة تلاميذه خاصة ، أو كلّ من آمن به ؟

وأىّ الأمرين كان فهو كذب ظاهر ، وما يشك أحدٌ فى أن تلاميذه سألوه أن يجيبهم من دعوة إلى ما دعوه إليه من دينهم ، وأن يخلص من فتن^(٤٥) من أصحابهم^(٤٦) ، فما أعطاهم شيئاً من ذلك الذى أسماه أباه السّماوى .

فإن قيل : لم يسألوه قط شيئاً من ذلك .

قلنا : هذه طامّة أخرى . لكن كان هذا فهم غاشّون للناس غير مرّدين لصلاحهم ، بل ساعون فى هلاكهم ، هيهات . هذه منزلة ما أعطاه الله تعالى أحداً من خلقه .

(٤٤) النص كما جاء فى الإنجيل الحالى : « إن اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السماوات . لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » . (إنجيل متى - الإصحاح ١٨ ، الفقرات من ١٩ ، ٢٠) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : (وأن يخلص من فتن) .

(٤٦) فى (أ ، ب) : (أصحابه) .

صدق الله ورسوله ﷺ إذا أخبر^(٤٧) أن ربه تعالى قال : سواء عليهم أَسْتَغْفِرْتَ لهم أم لم تَسْتَغْفِرْ لهم لَنْ يَعْفَرَ الله لهم^(٤٨).

وأنه أخبرنا عليه السلام : أنه دعا ألا يجعل بأسنا بيننا بعده^(٤٩)، فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك . هذا هو الحق الذي لا نزيد فيه ، والقول الذي صحبه الصدق ، والحمد لله رب العالمين .

لم يفخر بما لم يُعط ، ولا أنزل نفسه فوق قدرها ﷺ .

(٤٧) في (أ ، ب) : (أخبرنا) .

(٤٨) المنافقون : ٦٠ .

(٤٩) ورد هذا الحديث في مسلم في باب الفتن . ٣٠٠ وفي ابن ماجة في باب الفتن : ٩ ، ٢٣ ، وفي الموطأ : ٣٥٠ ، وفي مسند أحمد : ٥٠ ، وفي القرآن الكريم تهديد من الله لعباده في قوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عدائنا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، وبسكم شيئا ، ويديق بعضكم بأس بعض » : ٦٥ الأنعام

الدعوة إلى التسامح

« فصل »

وفي الباب المذكور أن المسيح قال لهم : « إن أساء إليك أخوك^(٥٠) فعاقبه وحدك فيما بينك وبينه ، فإن سمع منك فقد ربحته ، وإن لم يسمع منك فخذ إلى نفسك رجلاً أو رجلين لكيما تثبت كل كلمة بشهادة شاهدين أو ثلاثة ، فإن لم يسمع فأعلم بخبره الجماعة ، فإن لم يسمع^(٥١) للجماعة فليكن عندك بمنزلة المجوسى والمستخرج .

ثم بعده بأسطار يسيرة قال : وعند ذلك تدانى إليه باطرة وقال له : يا سيدى فإن أساء إلىّ أخى أتامرنى أن أغفر له سبعا ؟ فقال له يسوع : لن^(٥٢) أقول لك سبعا ولكن سبعين فى سبعة^(٥٣).

قال أبو محمد : هذا ضد قوله فى الثالثة : فليكن عندك بمنزلة المجوس والمستخرج ولا سبيل إلى الجمع بينهما .

(٥٠) النص : « وإن أحصأ إليك أخوك فادهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ، إن سمع منك فقد رحت أحاك ، وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحد أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة ، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى ومعدر (الإصحاح ١٨ - الفقرات من ١٥ - ١٨ من إنجيل متى) .
(٥١) فى (أ ، ب) (فإن سمع الجماعة) وهذا تحريف وخطأ .
(٥٢) فى (أ ، ب) (لست)
(٥٣) انجيل متى - الإصحاح ١٨ / ٢١ ، ٢٢) .

« فصل »

وفى الباب الموفى عشرين من إنجيل متى : أَنَّ أم ابني^(٥٤) شىذاي أقبلت إليه مع ولديها فخشعا^(٥٥)، ورغبت إليه فقال لها : ما تريدان ؟ فقالت : أحبُّ أن تقعدَ ابنتي هذين أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فى ملكك .

فقال يسوع : تجهلين السؤال . أئصبِرَّان على شرب الكأس الذى أشرب ؟ فقالا : نصبر . فقال لهما : ستشربان بكأسى وليس إلَّيَّ مجلسكما عن يمينى وشمالى ء إلَّا من وهب له ذلك أبى^(٥٦).

قال أبو محمد : ففى هذا الفصل بيان أنه ليس إليه من الأمر شىء ، وأنه غير الأب كما يقولون ، بخلاف دينهم ، فإذا هو غير الأب وكلاهما إله ، فهما إلهان اثنان متغايران ، أحدهما قوى والآخر ضعيف ، لأنه بإقراره ليس له قدرة على تقريب أحد إلَّا من وهب له ذلك الذى يسمونه أبًا ، وليت شعرى كيف يجتمع ما ينسبون إليه هاهنا من الاعتراف بأنه ليس بيده أن

(٥٤) فى (خ) : (السى سيداي) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (فحنت) بدلًا من (فخشعا) .

(٥٦) النص كما جاء فى إنجيل متى الحالى : « حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع أبنيا وسجدت منه شىفاً . فقال لها : ماذا تريدان ؟ قال له : قل أن يجلس ابناى هذان ، واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك ، فأجاب يسوع وقال : لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصيغة التى أصطبغ بها أنا ؟ قالوا له : نستطيع . فقال لهما : أما كأسى فشربانها وبالصيغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلَّا للذين أعد لهم من أبى » (الإصحاح ٢٠ الفقرات من ٢٠ - ٢٤) .

يجلس أحدًا عن يمينه ولا عن شماله .. ؟ وإنما هو بيد الله تعالى مع ما ينسبون إليه من أنه قدر على إعطاء مفاتيح السماوات والأرض لأنزل من وجد وهو « باطرة » ، وأنه يفعل كما يفعله الأب ، وأن الله تعالى قد تبرأ إليه من الحكم ، وأن الله عز وجل ليس يحكم بعد على أحد ، وسائر تلك الفضائح المهلكة مع تكاذبها ، وتدافعها وشهادتها بأنها ليست من عند الله تعالى ، ولا من عند نبي أصلاً ، لكن توليد كاذب^(٥٧) كافر وبالله تعالى نعوذ .

* * *

« فصل »

وفي الباب الحادى عشر^(٥٨) من إنجيل متى : فلما تدانى المسيح من « برشلام » وكان فى موضع يقال له « تنفيا » جوار جبل الزيتون بعث رجلين من تلاميذه ، وقال لهما : اذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، وستجدان فيه حمارة مربوطة بفلوها فحلاّ عنهما ، وأقبلا إلىّ بهما ، فإن تعرضكما أحد فقولا : إن السيّد يريدنا فیدعكما من وقته . وكان ذلك ليتم به قول النبی القائل لابنه صهيون : سيأتيك ملكك متواضعا على حمارة وابن أتان . فتوجه التلميذان وفعلا كما أمرهما به ، وأقبلا بالحمارة وفلوها ، وألقوا ثيابهم عليها ، وأجلسوه من فوقها^(٥٩).

* * *

وفي الباب التاسع من إنجيل ماركس^(٦٠) : فلما بلغ المسيح « تنفيا » إلى جبل الزيتون ، أرسل اثنين من تلاميذه وقال : اذهبا إلى الحصن الذى بجبالكما ، فإذا دخلتما ستجدان فلوًا مربوطًا^(٦١)

(٥٨) فى انجيل متى الإصحاح الحادى والعشرين وليس الحادى عشر كما فى الأصل .
(٥٩) النص كما فى الانجيل الحالى : « ولما قربوا من أورشليم ، وجاءوا إلى بيت فاحى عند جبل الزيتون حيثئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما : اذهبا إلى القرية التى أمامكما فلولقتا تيجدان أتاناً مربوطة وجحشا معها ، فحلاهما واتياى بهما ، وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا : الرب محتاج إليهما ، فلولقتا يرسلهما ، فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبي القائل : قولوا لابنة صهيون : هو ذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان . فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع ، وأتيا بالأتان والجحش ووضعوا عليهما ثيابهما فجلس عليهما » (الإصحاح الحادى والعشرون : الفقرات : ١ - ٨ من انجيل متى) .
(٦٠) جاء هذا النص فى الإصحاح الحادى عشر من انجيل مرقس لا فى الباب التاسع ، ومراجعة النص وجدنا مضمونة لم يختلف عما ورد فى النص الذى ذكره أبو محمد كثيراً (راجع انجيل مرقس - الإصحاح ١١ ، الفقرات من ١ - ٨) .
(٦١) فى (أ ، ب) : (فلو أمر بوظا) وهو تحريف ظاهر .

لم يركبه بعد أحد من الآدميين ، جَلَّاه وأقبلا به إلىَّ ، فإن قال لكما أحد ما هذا الذي تفعلان ؟ فقولا له : إن السيّد يحتاج إليه فيخلّيه لكما ، فانطلقا ووجدّا الفلو مربوطاً قبالة رحبة الباب في رفاقين^(٦٢) فجلَّاه فقال لهما بعض الوقوف هنالك : مالكما تحلّان الفلو ؟ فقالا له : كالذي أمرهما يسوع فتركوه لهما ، وساقا الفلو إلى يسوع ، ليحملوا^(٦٣) عليه ثيابهم وركب^(٦٤) من فوق .

* * *

قال أبو محمد : فهاتان قضيتان كل واحدة منهما تكذب الأخرى ، متى يقول ركب حمارة ، ومارّش يقول ركب فلواً ، والعجب كله من استشادهم لذلك بقول النبي^(٦٥) : « يأتيك ملكك راكباً على حمارة وابن أتان » ، وما كان المسيح قط ملك برشلام فهذه كذبة أخرى .
وأطرف شيء استشادهم لصحة أمره بركوبه حمارة ، أترأه لم يدخل « برشلام » إنسان على حمارة سواه ؟ !!

هذه بالله ضحكة من مضاحك السخفاء . ولقد أخبرني الحسن بن بقّي صاحبنا نور الله وجهه : أنه وقف عالم من علمائهم على هذا الفصل ، قال . فقال : إنما هذا رمز والحمارة : هي التوراة ، فأضحكني قوله . وقلت له : فالإنجيل هو : الفِلُو . وقال فسكت . وعلم أنه أتى بما يوجب السخرية به .

* * *

(٦٢) في (أ ، ب) : (رفاقين) وهو تحريف ، لأن « الرفق » هو الحبل الذي يربط به الحمار .

(٦٣) في (أ ، ب) : (فحملوا) .

(٦٤) النص هكذا . وكان حقه أن يقول (وركبا) بالثنية أو (ركب أحدهما) .

(٦٥) في (خ) : (بقول الذي يأتيك) .

« فصل »

وفي الباب الثالث عشر^(٦٦) من إنجيل متى : أن يسوع قال لهم : إذا قام الناس لا يتزوجون ، ولا يتناكحون ، لكنهم يكونون كأمثال ملائكة الله تعالى في السماء .

وفي الباب السادس عشر^(٦٧) من إنجيل متى ، وأيضاً في الباب الثاني عشر من إنجيل ماركس ، أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أخذه : لا شربت بعدها من نسل الزرجون حتى أشربها معكم جديدة في ملكوت الله تعالى .

وفي الباب الرابع عشر من إنجيل لوقا : أن المسيح قال للحواريين الاثنى عشر : أنتم الذين صبرتم معي في جميع مصائبى ، فأنا أخلص لكم الوصية على حال^(٦٨) ما لخص لى أبى ، لتطعموا وتشربوا على مائدتي في الملك ، وتجلسوا على عروش حاكمين على إثني عشر سبطاً من ولد^(٦٩) إسرائيل .

(٦٦) جاء هذا النص في الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى ونصه : فأجاب يسوع وقال لهم : تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ، لأنهم في القيامة لا يزوجون ، ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء (الإصحاح ٢٢ ، الفقرات ٢٩ - ٣١) والإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس : ٣٤ - ٣٦ .

(٦٧) لم يذكر هذا النص في الإصحاح السادس عشر وإنما جاء في الإصحاح السادس والعشرين هكذا : « وأقول لكم إلى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة ، هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبى (الفقرات من ٢٩) .

(٦٨) في (أ ، ب) : (على ما لخص) .

(٦٩) في (أ ، ب) : (من بنى) .

قال أبو محمد : ففى الفصل الأول أن الناس فى الآخرة لا يتحاكمون^(٧٠)، وفى الفصول الثلاثة بعده أن فى الجنة أكلاً وشرّاً للخبز والخمر على الموائد . والنصارى ينكرون كل هذا ، ولا معونة عليهم فى تكذيبهم للمسيح مع إقرارهم بعبادتهم له ، وأنه ربهم لا سيما فى الفصل الأول ، أن الناس فى الجنة كالملائكة ، وفى التوراة التى يصدقون بها أن الملائكة أكلت عند لوط وعند إبراهيم عليهما السلام الفطائر واللحم واللبن والسمن ، وإذا كانت الملائكة يأكلون والناس فى الجنة مثلهم ، فالناس فى الجنة يأكلون ويشربون بلا شك ، بموجب التوراة والإنجيل ، ولا سيما ، وقد أخبروا أن المسيح بعد أن مات ورجع إلى الدنيا ، ولقى تلاميذه طلب منهم ما يأكل فأتوه بحوت مشوى ، فأكل معهم وشرب شراب عسل بعد موته ، فإذا كان الإله يأكل الحيتان المشوية ويشرب عليها العسل فأى نكرة^(٧١) فى أكل الناس وشربهم فى الجنة ؟ وإذا كان الله تعالى عندهم اتخذ ولدًا من امرأة اصطفاها فأى عجب فى اتخاذ الناس النساء فى الجنة ؟ وهذا هو طبعهم الذى بناهم الله عز وجل عليه - ألا أن فى دعوة^(٧٢) هؤلاء النوكى لعبرة لمن اعتبر . والحمد لله على السلامة .

وعجب آخر وهو وعده للاثنى عشر تلميذًا بأنهم يقعدون على عروش حاكمين على إثنى عشر سبطًا من بنى إسرائيل ، فوجب ضرورة كون^(٧٣) يهوذا الأشكريطى فيهم ، ولا يجوز أن يخاطب بهذا أصحابه دونه ، لأنه قد أوضح أنهم إثنا عشر على إثنى عشر سبطًا من بنى إسرائيل - وجب ضرورة كون الأشكريطى فيهم ، وهذا الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما ، فلا بد من أنه لم يذنب فى ذلك ، وهذا كذب ، لأنه قد قال فى مكان آخر : « ويل لذلك الإنسان الذى قيل فيه » كان^(٧٤) أحب إليه لو لم يخلق .

أو كذب المسيح فى الوعد المذكور ، لابد من إحداها ضرورة .

(٧٠) فى (أ ، ب) : لا يتحاكمون .

(٧١) فى (أ ، ب) : (مكرة) وهذا تحريف .

(٧٢) فى (أ ، ب) : (رعوة) بدلًا من (دعوة) .

(٧٣) فى (خ) : سقط قوله (فوجب ضرورة كون) .

(٧٤) فى (أ ، ب) : سقط (قيل فيه) .

« فصل »

وفي الباب الثالث من إنجيل متى : أنَّ المسيح كاشف علماء بنى إسرائيل ، وقال :
ما تقولون في المسيح ؟ وابن من هو ؟
قالوا : هو ابن داود .

فقال لهم : كيف يسميه داود بالروح إلها حيث كنت قال الله إلهي : اقعد عن يميني
حتى أجعل من أعاديك كرسيًا لقدميك .
فإن كان « داود » يدعونه إلها كيف هو ولده ؟
فلم يقدر أحد منهم على مراجعته^(٧٥).

* * *

قال أبو محمد : هذا هو الحق من قول المسيح عليه السلام ، ولقد أنكر عليه السلام المنكر
حقاً ، والعجب أنَّ هؤلاء الأنذال المنتمين إلى أتباعه عليه السلام لا يختلفون في الاحتجاج
بهذا الفصل المذكور ، هو عليه السلام قد أنكر أن يكون المسيح ابن داود ، وهم يسمونه في
الأنجيل كلها بأنه ابن « داود » . فاعجبوا .

(٧٥) هذا نص غير مذكور في الإصحاح الثالث من إنجيل متى (الحال) وإنما جاء في الإصحاح الثاني والعشرين . ونصه : « وفيما كان
الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون في المسيح ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً :
قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك ، فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه
بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بته (إنجيل متى . الإصحاح ٢٢ / ٤١ - ٤٦) .

« فصل »

وفي الباب المذكور أن المسيح قال لتلاميذه : أنتم إخوان ، ولا تنتسبوا إلى أب على الأرض ، فإنَّ أبائكم السماوى واحد^(٧٦).

* * *

قال أبو محمد : فى هذا الفصل فضيحتان عظيمتان : إحداهما : إخباره أن الله تعالى هو أبو التلاميذ ، فتراهم مثله سواء سواء ، فلم خصه النصارى بأن يقولوا : إنه ابن الله دون أن يقولوا عن تلاميذه متى ذكروهم : أنهم أبناء الله .. ؟ تعالى الله عن هذا الكفر ، وعن أن يكون أباً أو ابناً .

والأخرى قوله : « لا تنتسبوا إلى أب على الأرض » .

والنصارى والأنجيل يطلقون أن شمعون بن يوثا ، ويعقوب ويوحنا ابنا سبداى ، ويهوذا ويعقوب ابنا يوسف ، فقد أقرروا بشباتهم على معصية المسيح إذ نهاهم أن ينتسبوا إلى أب على الأرض ، وهم أبداً ملازمون لمخالفة أمره فى ذلك متدينون بعصيانه .

(٧٦) النص كما ورد فى الإصحاح الخامس من إنجيل متى : « فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أبائكم الذى فى السماوات هو كامل »
(الفقرة : ٤٨) ، ولم يذكر شيء من ذلك الإصحاح الثالث .

« فصل »

وفي الباب الخامس عشر^(٧٧) من إنجيل متى : أن المسيح أنذر تلاميذه بما يكون في آخر الزمان من الزلازل والبلاء ، وقال لهم : فادعوا ألا يكون هرويككم في شتاء ولا سبت .

* * *

قال أبو محمد : هذا بيان واضح بلزومهم حفظ السبت إلى انقضاء أمرهم ، وإلى حلول الزلازل بهم ، وهم^(٧٨) على خلاف ذلك ، هذه أمة لا عقول لهم .

* * *

(٧٧) لم يرد ذلك في الإصحاح الخامس عشر وإنما ورد في الإصحاح الرابع والعشرين ونصه : « لأنه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن » (الفقرة ٧ ، ٨) وفي الفقرة ٢٠ يقول : « وصلوا لكي لا يكون هرويككم في شتاء ولا في سبت » .
(٧٨) في (خ) : (وهو) .

التحذير من أدعياء النبوة

« فصل »

وفي الباب المذكور^(٧٩): أن المسيح قال لهم : سيعود^(٨٠) مسحاء الكذب ، وأنبياء الكذب ، ويطلعون العجائب العظيمة ، والآيات حتى يغلط من يظن به الصلاح .

وفي الباب الحادى عشر من إنجيل ماركس : سيقوم مسيحيان كذابون ، وأنبياء كذابون ، ويأتون بالآيات والبدائع ليخدعوا إن أمكن أيضاً المختارين^(٨١).

* * *

قال أبو محمد : هذا الفصل مع الفصل الأخير^(٨٢) الذى فى توراة اليهود فى السفر الخامس الذى نصه : « إن طلع فيكم نبى ، أو أدعى أنه رأى رؤيا وأتاكم بخبر ما يكون ، وكان ما وصفه . ثم قال لهم بعد ذلك : « اتبعوا آلهة الأجناس ، فلا تصغوا^(٨٣) له .

(٧٩) النص كما جاء فى الإصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى : « لأنه سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة ، وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً » (الفقرات : ٢٤ ، ٢٥) . كما جاء النص أيضاً فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس : الفقرات من ٢٢) .

(٨٠) فى (أ ، ب) : (سيتور) وهو تحريف .

(٨١) فى (أ ، ب) : (إلا المختارين) بزيادة (إلا) وهو تحريف .

(٨٢) فى (خ) : لم تذكر كلمة (الأخير) .

(٨٣) فى (أ ، ب) : (فلا تسمعوا) .

مع الفصل الذى فيه من التوراة : أن السحرة عملوا مثل عمل موسى عليه السلام فى قلب العصاحية ، وإحالة الماء دما ، والجحىء بالصفادع - كافية فى إبطال كل ما أتى به موسى والمسيح عليهما السلام ، وكل نبي يقرون بنبوته ، لأنه إذا جاز أن يأتى نبي كاذب بمعجزات ، وأمكن أن يكذب النبي الصادق فيما ينذر به ، وأمكن أن يعمل السحرة مثل شئ من آيات نبي ، فقد امتزج الحق بالباطل ولم يكن له إلى تمييز أحدهما من الآخر طريق أصلاً ، وهذا إفساد الحقائق ، وإبطال موجب الحق ، وتكذيب الحواس . وإذا أمكن عند اليهود والنصارى ما ذكرناه مما فى توراتهم وأناجيلهم ، فما الذى يؤمنهم أن موسى والمسيح عليهما السلام وسائر أنبيائهم ، إنما كانوا سحرة ، أو كذابين^(٨٤) .؟ شهدنا بالله شهادة حق أن هذه الفصول المذكورة من عمل برهمى مكذب بالنبوة جملة ، أو منالى مكذب بنبوته الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، وأن موسى وعيسى عليهما السلام لم يقولوا قط شيئاً مما فى هذه الفصول الخبيثة الملعونة .

وأما نحن فلا نجيز ألبتة أن يكذب نبي ، ولا أن يأتى غير نبي بمعجزة لا ساحر ولا كذاب ، ولا صالح الصناعة .

فإن قيل : إنكم تقولون : إن الدجال يأتى بالمعجزات .

قلنا : حاشا لله من هذا ، وما الدجال إلا صاحب عجائب ، كأبى العجب^(٨٥) الشعبذ - ولا فرق إنما هو متحيل يتحيل بجمل معروفة ، كل من عرفها عمل مثل عمله ، وقد صح عن النبي ﷺ - أن المغيرة^(٨٦) بن شعبة سأل : هل مع الدجال نهر ماء وخبز ونحو ذلك ؟ فقال له رسول الله ﷺ : هو أهون على الله من ذلك^(٨٧) .

وصح أيضاً عنه عليه السلام : أن الدجال صاحب شبه . وبالله تعالى التوفيق .

(٨٤) فى (أ ، ب) : (وكذابين) .

(٨٥) فى (أ ، ب) : (كأبى العجائب) .

(٨٦) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى ، أبو عبد الله أحد دهاة العرب وقادتهم ، ولولاهم ، صحابى يقال له : مغيرة الرأى ، ولد فى الطائف ، ورحل إلى الإسكندرية وأفدأ إلى المقوقس ، ثم عاد إلى الحجاز ، أسلم وشهد الحديبية ، والجماعة وفتوح الشام ، وذهبت عينه باليرموك ، ولأه عمر بن الخطاب على البصرة ، اعتزل الفتنة بين على ومعاوية ، وحضر مع الحكمين ، ثم ولأه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات . وللمغيرة ١٣٦ حديثاً . توفى عام ٥٠ هـ .

(٨٧) جاء هذا الحديث فى صحيح مسلم رقم ٢٩٣٩ فى الفتن باب فى الدجال وهو أهون على الله عز وجل ولفظه : « عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألت قال : وما ينصبك منه ، إنه لا يضرك ، قال : قلت يا رسول الله إن معه الطعام والأنهار ، قال هو أهون على الله من ذلك » ورواه البخارى أيضاً ١٣ / ٨٠ / ٨١ فى الفتن باب ذكر الدجال . (وقد رويت أحاديث كثيرة تدل على أن الدجال يبعث ومعه نهر ماء ونار ، ويكون معنى هو أهون على الله من ذلك أى أهون من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوبهم ، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيماناً .

« فصل »

وفى الباب المذكور : أن المسيح عليه السلام قال عن ذلك اليوم ، وذلك الوقت : لا يدري أحدٌ ما بعده ، لا الملائكة ، ولا أحد غير الأب وحده .

* * *

وفى الباب الحادى عشر^(٨٨) من إنجيل مرقس : أن المسيح قال : السماوات والأرض تذهب وكلامى لا يبيد أبدًا . ومن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم أحد ما بعده ولا الملائكة فى السماء ، ولا ابن الإنسان ما عدا الأب .

* * *

قال أبو محمد : هذا الفصل يوجب ضرورة ؛ أن المسيح هو غير الله تعالى ، لأنه أخبر أن هاهنا شيئًا يعلمه الله تعالى ، ولا يعلمه هو ، وإذا كان بنص أناجيلهم^(٨٩) أن الابن لا يعلم متى

(٨٨) جاء هذا النص فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس ، ونصه : « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول ، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الأب : (الفقرات : ٣١ - ٣٣) .
(٨٩) فى (أ ، ب) : (انجيلهم) .

الساعة ؟ والأب يعلم متى هي ؟ فبالضرورة القاطعة نعلم أن الابن غير الأب ، وإذا كان كذلك فهما اثنان متغايران ؛ أحدهما يجهل ما لا يجهله الآخر . وهذا الشرك الذى عليه يحومون ، وهذا ما يبطله العقل ؛ أن يكون إلهان أحدهما ناقص ، فصح ضرورة أن من هو غير الله تعالى فهو مخلوق ومربوب ، وبطل هو سهم وتخليطهم والحمد لله رب العالمين . أو يكذبوا المسيح في هذا الفصل ولابد .

* * *

جحد بعض التلاميذ للمسيح

« فصل »

وفي الباب السادس والعشرين من إنجيل متى : أن المسيح قال لباطرة ليلة أخذ : آمين أقول لك^(٩٠)، إنك ستجحدني في هذه الليلة قبل صرخة الديك ثلاثا . فقال له باطرة : لا يكون هذا ولو بلغت القتل^(٩١).

* * *

وفي الباب الثاني عشر من إنجيل ماركس^(٩٢) : أن المسيح قال لباطرة : آمين أقول لك ، إنك أنت اليوم في هذه الليلة قبل أن يرفع الديك صوته مرتين ستجحدني ثلاثا ، فكان باطرة يعيد القول ، حتى لو أمكنتني أن أموت معك لست أجحدك .

* * *

(٩٠) في (أ ، ب) : (لكم) .

(٩١) هذا الحوار كان بين يسوع وبطرس كما ورد في الإصحاح ٢٦ الفقرات من ٢٤ ونصها : « قال له يسوع الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصبح الديك تنكرني ثلاث مرات ، قال له بطرس : ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » .

(٩٢) جاء النص في الإصحاح ١٤ من إنجيل مرقس الفقرات من ٢٧ وفيها : « فقال يسوع لبطرس : الحق أقول لك إنك اليوم في هذه الليلة قبل أن يصبح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات ، فقال بأكثر تشديد ، ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » .

وفي الباب التاسع عشر^(٩٣) من إنجيل لوقا : أن المسيح قال لباطرة : أنا أعلمك أنه لا يصرخ الديك هذه الليلة حتى تجحدني ثلاثا ، وأنت لم تعرفني .

وفي الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال لباطرة : آمين آمين أقول لك لا يصرخ الديك حتى تجحدني ثلاثا^(٩٤) .

فاتفق متى ، ولوقا ، ويوحنا على أنه قال له : إنك تجحدني ثلاث مرات قبل أن يصرخ الديك ، وهكذا وصف^(٩٥) كل واحد منهم عن باطرة أنه هكذا فعل ، إذ ميزه^(٩٦) الغلام والأمة والقوم الذين كانوا يصطلون على النار .

وقال ماركش : إنه قال قبل أن يصرخ الديك مرتين تجحدني ثلاث مرات ، وهكذا وصف ماركس عن باطرة ، أنه فعل^(٩٧) ليلئذ .

فإنَّ خادم^(٩٨) الكوهن قال^(٩٩) له : أنت من أصحاب يسوع فجحد ثم صرخ الديك ثم قالت الخادم^(١٠٠) للواقفين هنالك : هذا من أولئك فجحد ثانية ، ثم قال له الواقفون هنالك حقاً إنك^(١٠١) منهم ؟ فجحد ثلاثة أيضاً ثم صرخ الديك ثانية . فعلى قول ماركش كذب « متى » و « لوقا » و « يوحنا » ، لأن الديك صرخ قبل أن يجحده ثلاث مرات . أو كذب المسيح - عليه السلام - في إخباره بذلك إن كان هؤلاء صدقوا ، لا بدَّ من إحداهما .

وعلى قول « متى » و « لوقا » و « يوحنا » كذب ماركش أيضاً كذلك ، لأن الديك صرخ قبل أن يجحده ثلاث مرّات . أو كذب المسيح . لا بدَّ من إحداهما ، والكذب واقع في أحد الخبيرين ولا بد .

ثم طامة أخرى ؛ وهى إتفاق « متى » و « ماركش » : على أن المسيح أخبر باطرة بأنه سيجحده تلك الليلة ، وأنَّ باطرة ردَّ خبره ، وقال له : لا يكون هذا .

فلولا أن المسيح كان عند « باطرة » ممن يكذب في خبره ، ما كذبه مواجهة مرة بعد مرة ، أو كفر باطرة إذ كذب ربه أو نبياً . لا بدَّ من إحداهما .

(٩٣) لم يذكر هذا في الإصحاح التاسع عشر وإنما ورد في الإصحاح الثانى والعشرين الفقرات من ٣١ .

(٩٤) إنجيل يوحنا . (الإصحاح الثالث عشر لا الحادى عشر . الفقرات من ٢٦ - ٢٨) .

(٩٥) فى (أ ، ب) : (أوصف) .

(٩٦) فى (أ ، ب) : (إذ ميئ) وهو تحريف .

(٩٧) فى (أ ، ب) : (وأنه) .

(٩٨) فى (أ ، ب) : (خادمة) .

(٩٩) فى (أ ، ب) : (قالت) .

(١٠٠) فى (أ ، ب) : (للخادمين) .

(١٠١) فى (أ ، ب) : (أنت) .

فإن كان كفر باطرة ، فكيف يعطى مفاتيح السموات لمرتد كافر مكذب لله تعالى ؟
أو لنبي من الأنبياء جهاراً ؟ أم كيف يولى^(١١٢) رتبة التحريم والتحليل من يكذب الله تعالى
أو نبيه ؟ أو كيف يؤخذ الدين عن من يكذب ربه ، أو كذب خبر نبي من الله تعالى جهاراً في
آخر ساعة كان فيها معه ، وختم بذلك عمله ؟

ما سمعنا بأوسخ عقولاً من أمة هذه صفة دينهم ، وكتابهم ، وأئمتهم ، ونعوذ بالله من
الخذلان .

وفي الباب الثامن والعشرين من إنجيل متى : أن الخشبة التى صلب عليها أخذ لحملها
سخرة شيمون^(١١٣) .

وفي الباب الثالث عشر من إنجيل ماركس : أن تلك الخشبة التى صلب عليها يسوع أخذ
لحملها شيمون القيروانى والد الاسكندر ، ودونه^(١١٤) .

وفي الباب الموفى عشرين من إنجيل لوقا : أنه سخر لحمل تلك الخشبة شمعون القيروانى^(١١٥) .

وفي الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا : أن يسوع نفسه هو الذى حملت عليه الخشبة
التي صلب فيها^(١١٦) ، وهذا خلاف ما حكاه^(١١٧) أصحابه .

ولقد قررت بعض علمائهم على هذا فقال لى : كانت طويلة جداً فحملها هو وشمعون
المذكور . فقلت له : ومن أين لك هذا ؟ وأين وجدته ؟ وسياق أخبار مؤلفى الأناجيل لا تدل
على هذا ، ولو قلت إنه ممكن أن سخر كل واحد منهما لحملها بعض الطريق لكان أدخل
في سياق الخبر^(١١٨) .

(١٠٢) فى (أ ، ب) : (يتول) .

(١٠٣) النص كما جاء فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى لا الثامن والعشرين : « وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه
سمعان فسخره ليحمل صليبه » (راجع الفقرة ٣٢ من الإصحاح ٢٧) .

(١٠٤) النص كما جاء فى الإصحاح ١٥ من إنجيل مرقس لا الثالث عشر : « فسحروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيروانى
أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه » . (راجع الفقرة ١١) .

(١٠٥) وفى إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ الفقرة ٢٦ : « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليه الصليب
ليحمله خلف يسوع » .

(١٠٦) جاء ذلك فى الإصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا : الفقرة ١٧ : « فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع
الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجته حيث صلبوه » .

(١٠٧) فى (أ ، ب) : (حكى) .

(١٠٨) واضح من مضاهاة النصوص التى يناقشها ابن حزم بالنصوص الموجودة حالياً فى الأناجيل التى بين أيدينا الآن فروق فى الإصحاحات
التي ذكرت فيها ، كما أن هناك فروقاً فى الصياغة مما يدل على أن هذه الأناجيل تتعرض للتحريف والتغيير من وقت إلى آخر ، حتى ولو اتهمنا ابن حزم
بعدم الدقة فى نقل هذه النصوص ، ففيها كثير من الإشارات التى تدل على ذلك مثل تحريف الأعلام والأماكن ، واختلاف النصوص المنسوبة إلى يسوع
من إنجيل إلى إنجيل .

روايات الأنجيل وما تدعيه من صلب المسيح

« فصل »

وفي الباب الثامن عشر من إنجيل متى أنه صلب معه لصان ، أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، وكانا يشتمانه ، ويتناولانه محرّكين رؤوسهما ويقولان : يا من يهدم البيت ويبنيه في ثلاثٍ سلّم نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب^(١٠٩).

وفي الباب الثالث عشر من إنجيل ماركس : أنه صلب معه لصان ، أحدهما عن يمينه ، والثاني عن شماله ، واللذان صلبا معه كانا يستعجزانه^(١١٠).

وفي الباب الموفى عشرين من إنجيل « لوقا » : وكان أحد اللصين المصلوبين معه يسبه ويقول : إن كنت أنت المسيح فسلّم نفسك وسلّمنا ، فأجابه الآخر وكشر عليه وقال : أما تخاف الله وأنت في آخر عمرك ؟ وفي هذه العقوبة ؟

أما نحن فكوفئنا بما استوجبنا ، وهذا لا ذنب له . ثم قال ليسوع : يا سيدى : اذكرنى إذا نلت ملكك . فقال له يسوع : آمين أقول لك . اليوم تكون معى فى الجنة^(١١١).

(١٠٩) النص الذى ورد فيه ذلك جاء فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى لا الثامن عشر وفيه فى الفقرة ٢٨ : « حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار » ، وكان المحتازون يجذفون عليه وهم يهزون رؤوسهم وفى الفقرة (٤٤) وبذلك أيضًا كان اللسان اللذان صلبا معه يعيرانه .

(١١٠) ذكر النص فى الإصحاح الخامس عشر لا الثالث عشر ونصه : « وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره ... واللذان صلبا معه كانا يعيرانه . (الفقرات من ٢٧ - ٣٢) .

(١١١) جاء هذا النص فى الإصحاح الثالث والعشرين على النحو التالى : « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجذف عليه قائلاً : إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا ، فأجاب الآخر وانتهره قائلاً : أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله ، ثم قال ليسوع : اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك فقال له يسوع : الحق أقول لك ، إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (الفقرات : ٣٩ - ٤٣) .

قال أبو محمد : إحدى هاتين^(١١٢) القضيتين كذب بلا شك ، لأن متى ومارقش أخبرا بأن اللصين جميعاً كانا يسبانه ، و « لوقا » يخبر بأن أحدهما كان عن يمينه وهو يسبه ، والآخر كان ينكر على الذى كان يسبه ويؤمن به ، والصادق لا يكذب فى مثل هذا ، وليس يمكن هنا أن يدعى أن أحد اللصين سبه فى وقت ، وآمن به فى وقت آخر ، لأن سياق خبر « لوقا » يمنع من ذلك ، ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبه إنكار من لم يساعده قط على ذلك ، وكلهم متفق على أن كلام اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب . فوجب ضرورة أن « لوقا » كذب ، أو كذب من أخبره ، أو أن « متى » كذب ، وكذب « مارقش » أو الذى أخبره ولا بد .

* * *

(١١٢) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هاتين) .

روايات الأناجيل بشأن قيام المسيح وحديثه مع أتباعه

« فصل »

وفي آخر إنجيل « متى^(١١٣) » بعد أن ذكر صلب المسيح وإنزاله ، برغبة يوسف الأرمادى العريف ، ودفنه فى قبر جديد محفور فى صخرة ، وغطاه بصخرة عظيمة .

وفي آخر إنجيل ماركس^(١١٤) : بعد أن ذكر صلب المسيح وإنزاله برغبة يوسف الأرمادى العريف ودفنه فى قبر عشى الجمعة والسبت داخل .

وفي آخر إنجيل « لوقا^(١١٥) » بعد أن ذكر صلب المسيح ، وأن يوسف الأرمادى أتى أول الليل فرغب فيه فأجابه بلاطش إلى إنزاله وجعله فى قبر جديد .

(١١٣) النص كما فى الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى الحالى : « ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة ، اسمه يوسف وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع ، فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فأمر بيلاطس حينئذ أن يعطى الجسد ، فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى ، ووضع فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة ، ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى » . (الفقرات ٥٧ - ٦١) .

(١١٤) وفى إنجيل مرقس الإصحاح الخامس عشر : « ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أى ما قبل السبت جاء يوسف الذى من الرامة مُشيراً شريفاً ، وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله فنجاس ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً فدعا قائد المائة وسأله : هل له زمان قد مات ولما عرف من قائد المائة وهب الجسد ليوسف ، فاشتري كتاناً فأنزله وكفنته بالكتان ووضع فى قبر كان منحوتاً فى صخرة ، ودحرج حجراً على باب القبر (الفقرات : ٤٢ - ٤٧) .

(١١٥) النص كما جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل لوقا ٠ : « وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيراً ورجلاً صالحاً باراً ، هذا لم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم ، وهو من الرامة مدينة لليهود ، وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله ، هذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع ، وأنزله ولفه بكتان ووضع فى قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضيع قط وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح .

وفي آخر إنجيل يوحنا^(١١٦) بعد أن ذكر صلب المسيح وأن يوسف الأرمادى رغب فيه وأنزله ودفنه في قبر في بستان .

ثم قال متى : وعند عشاء ليلة السبت التى تصبح^(١١٧) يوم الأحد أقبلت مريم المجدلانية ومريم الأخرى لمعاينة القبر فتزلزل بهما الموضع زلزلة عظيمة ، ثم نزل ملك السيد من السماء ، وأقبل ورفع الصخرة وقعد عليها ، وكان منظره كمنظر البرق ، وثيابه أنصع بياضاً من الثلج ، فمن خوفه صعد الحرس ، وصاروا كالأموات .

فقال الملك للمرأتين : لا تخافا ، قد علمت أنكما أردتما يسوع المصلوب ، ليس هو هاهنا ، وقد حيى ، وقد تقدمكما إلى جلجال كما قال . فانظروا إلى الموضع الذى جعل فيه السيد وانهضا إلى تلاميذه ، وقولا لهم : إنه قد حيى وفيها ترونه ، فهضتا مسرعتين بفرح ونوح^(١١٨) عظيم وأقبلتا إلى التلاميذ وأخبرتاهم الخبر ، فتلقاها يسوع وقال : السلام عليكما . فوقفتا ، وتراميتا إلى رجله ، وسجدتا له .

فقال لهما يسوع : لا تخافا ، إذهبا^(١١٩) إلى إخوانى ليتوجها إلى جلجال وفيها يروننى . فأقبل بعض الحرس إلى المدينة ، وأعلم قواد القسيسين بما أصابهم فرشؤهم بمال عظيم ليقول الحرس : إن التلاميذ طرقوهم ليلاً وسرقوه ، وذهبوا به وهم رقود . ففعلوا وانتشر الخبر فى اليهود إلى اليوم .

* * *

(١١٦) النص كما جاء ، فى الإصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا : « ثم إن يوسف الذى من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع ، فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع وجاء أيضاً نيقوديموس الذى أتى أولاً إلى يسوع ليلاً ، وهو حامل مزيج مر وعود نحو مائة مئة فأخذوا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأظلياب ، كما لليهود عادة أن يكفونوا ، وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان ، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط ، فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريباً . (الفقرات : ٣٨ - ٤٢) .

(١١٧) الذى فى إنجيل متى الحالى : « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع » ولم يذكر يوم الأحد . (الإصحاح الثامن والعشرون) .

(١١٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (ونوح) . وفى إنجيل متى : الإصحاح الثامن والعشرين : (بخوف وفرح عظيم) . (الفقرة : ٨) .

(١١٩) فى (أ ، ب) : (اذهبا اعلمنا) بزيادة كلمة (اعلمنا) . وفى إنجيل متى الحالى (اذهبا قولا) .

وتوجه الأحد عشر تلميذًا إلى الجلجال^(١٢٠) إلى الحبل الذى كان دُلم عليه يسوع ، فلما بصروا به خنعوا له ، وبعضهم شك فيه .

* * *

وقال ماركس^(١٢١) : فلما خلا يوم السبت^(١٢٢) اشترت « مريم » المجدلانية ، ومريم أم يعقوب و « شلوما » حنوطا ليأتين به ، ويدهنه ، وأقبلن يوم الأحد بكرة جدًا إلى القبر وبلغن هنالك وقد طلعت الشمس ، وهن يقلن من يحول لنا الحجر عن القبر ؟ فنظرن فإذا بالحجر قد حوّل ، فدخلن فى القبر ، فأبصر فتى جالسًا عن اليمين متغطيًا بثوب أبيض فقال لهن : لا تفزعن فإن يسوع الناصرى المصلوب^(١٢٣) قد قام ، وليس هو هاهنا ، فانطلقن وقلن لتلاميذه ولباطرة : إنه قد حى ، وقد تقدمكم إلى جلجال ، وهناك تلقونه . فقام بكرة يوم الأحد وتراءى أولًا^(١٢٤) لمريم المجدلانية فمضت وأعلمت الذين كانوا معه ، فلم يصدقوها ، وبعد هذا تظاهر لاثنتين منهم وهما مسافران إلى قرية فى صفة أخرى ، فأحبرا سائرهم فلم يصدقوا أيضًا .

وآخر الأمر بينما الأحد عشر تلميذًا متكئين إذ تظاهر لهم وقبح كفرهم ، وقسوة قلوبهم .

وقال « لوقا^(١٢٥) » : فلما انفجر الصبح يوم الأحد بكرة جدًا أقبل النسوة إلى القبر يحملن حنوطا فوجدن الحجر مقلوعًا عن القبر ودخلن فيه فلم يجدن السيد فيه فتحيرن فوقف لهن رجلان فى ثياب بيض وقال لهن : لا تطلبن حيًا بين أموات ، قد قام ليس هو هاهنا ، فانصرفن وأعلمن الأحد عشر تلميذًا ، ومن كان معهم ، فلم يصدقوهن ، وقام باطرة مسرعًا إلى القبر فرأى الكفن وحده فعجب وانصرف .

ثم تراءى المسيح لرجلين منهم كانا ناهضين إلى حصن يقال له : أماؤش على سبعة أميال

(١٢٠) فى الإنجيل الحالى : (الجليل) : الفقرة : ١٧ من الإصحاح ١٨ من إنجيل متى .

(١٢١) فى إنجيل ماركس الحالى : « وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وشلوما حنوطًا ليأتين ويدهنه ، وباكرًا جدًا فى أول الأسبوع أتت إلى القبر إذ طلعت الشمس ، وكُن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر » (الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس ، الفقرات من ١ - ٤) .

(١٢٢) فى (أ ، ب) : (المطلوب) .

(١٢٣) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (أولًا) .

(١٢٤) النص كما جاء فى إنجيل لوقا : « ثم فى أول الأسبوع أول المعجرات أتت إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس فوجدن الحجر

مدحرجًا عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع .

ونصف من أورشليم ولم يعرفاه حتى ارتفع عنهما وغاب . وانصرفا في الوقت إلى « أورشليم » ووجدا الأحد عشر تلميذاً مجتمعين مع أصحابهم فأخبراهم بالخبر ، فبينما هم يخوضون في هذا وقع يسوع في وسطهم وقال : السلام عليكم أنا هو فلا تخافوا ، فجزعوا وظنوه شيطاناً فقال لهم : لِمَ فرعتم ؟ أبصروا قدميَّ ويديَّ أنا هو فإن الشيطان ليس له لحم ولا عظام ، ثم قال : أعندكم شيء يؤكل ؟ فأتوه بقطعة حوت مشوى ، وشربة عسل فأكل وبرىء إليهم بالبقية ، ثم أوصاهم وارتفع عنهم .

* * *

وقال يوحنا : ففي يوم الأحد : أقبلت مريم صباحاً ، والظلمات لم تنجل بعد إلى القبر فرأت الصخرة مقلوعة عن القبر فرجعت إلى شمعون باطرة ، وإلى التلميذ الآخر يعنى يوحنا بهذا نفسه ، وقال لهما : نزع سيدي من القبر ، ولا ندرى أين وضعوه ؟

فنهض « باطرة » والتلميذ الآخر إلى القبر فوجد الأكفان موضوعة ، ثم رجعا ووقفت « مريم » باكية فتميلت إلى القبر فرأت ملكين منتصبين فقالا لها : من تريدين ؟ فظنت أنه الجان ، فقالت له : يا سيدي إن كنت أخذته أنت فقل لي أين وضعته ؟ فقال لها يا مريم : فالتفت وقالت : يا معلمي . فقال لها يسوع : لا تمسني لم أصعد بعد إلى أبي ، اذهبي إلى إخواني وقولي لهم : إلى صاعد إلى أبي وأبيكم ، إلهي وإلهكم . فأتت فأخبرتهم . ثم بينا التلاميذ مجتمعون أقبل يسوع ووقف في وسطهم وقال : السلام عليكم وعرض عليهم يديه وجنبه ثم ذكر أن « طوما » أحد التلاميذ الأثنى عشر لم يكن حاضراً فيهم في هذا الظهور ، فلما أتى وأخبروه قال : لكن لم أبصر في يديه إصصاق المسامير ، ولم أدخل إصبعي في موضع المسامير في جنبه لا آمنت ، فلما كان بعد ثمانية أيام اجتمعوا كلهم والأبواب مغلقة ، فأقبل يسوع ووقف وسطهم وقال لطوما : أدخل إصبعك وابصر كفي ، وهات يدك وأدخلها إلى جنبى ، ولا تكن كافراً بل كن مؤمناً .

فقال له طوما : سيدي وإلهي ، ثم تراءى عند بحيرة الطبرية لشمعون باطرة ، وطوما ، وتطهالى ، وابنى سىداى ، واثنين من التلاميذ سواهم ، وهم يصيدون في مركب في البحر .

* * *

قال أبو محمد : فاعجبوا لهذه القصة وما فيها من الكذب والشنع ، يقول « متى » : إنَّ مريم ومريم أتتا إلى القبر عشية ليلة السبت التى تصبح فى يوم الأحد ، فوجدتا قد قام .
ويقول ماركش : إن مريم ومريم وغيرهما أتتا إلى القبر بعد طلوع الشمس من يوم الأحد فوجدتا قد قام قبل ذلك .

ويقول لوقا : إن النسوة أتين إلى القبر بكرة يوم الأحد فوجدتا قد قام^(١٢٦) ، والظلمة لم تنجل بعد ، فهذه كذبات منهم فى وقت بلوغهن إلى القبر ، وفيمن جاء إلى القبر ، أمريم وحدها ؟ أم مريم ومريم أخرى معها ؟ أم كلتاها ومعهما نسوة أخرى .

ويقول متى : إنَّ مريم ومريم رأتا الملك إذ نزل من السماء ، ورفع الصخرة بحضرتيها بزلزلة عظيمة ، وصعد الحرس . وقال الملك للمراتين : لا تخافا إنه قد قام .

ويقول ماركش : إن النسوة وجدن الصخرة قد قلعت بعد ، وأنه وقف إليهن رجلان مبيضان فأخبراهن بقيامه .

ويقول يوحنا : إن مريم وحدها أتت ووجدت الصخرة قد قلعت ولم تر أحداً ورجعت حائرة وأخبرت شمعون ، ويوحنا حاكى القصة ، فنهضا معها إلى القبر فلم يجدا فيه أحداً ، وانصرفا فالتفتت هى فإذا المسيح نفسه واقف وسلم عليها ، وأخبرها بقيامه ، فهذا كذب آخر فى وقت قلع الصخرة ، وهل وجد عند القبر ملك واحد ، أو ملكان إثنان ، أو لم يوجد فيه أحد أصلاً .. ؟

ويقول متى : إن المراتين أتتهن بوصية فصدقوهما ، وأنهم نهضوا كلهم إلى جلجال وهنالک اجتمعوا معه .

ويقول ماركش : إنه ترائى لمريم وأخبرتهن ، ولم يصدقوها ، ثم تراءى لأثنين فأخبراهم فلم يصدقوها ، ثم نزل عليهم كلهم .

ويقول لوقا : إنهم لم يصدقوا النساء ، وأن باطرة نهض إلى القبر ولم يجد شيئاً ، ولا رأى أحداً ، وأنه نزل منهم بأورشليم فأراه حينئذ وأكل معهم الخوت المشوى ، وهذه صفة من لم يقصده إليهم إلا الجوع وطلب الأكل .

ويقول يوحنا : إنه تراءى لعشرة منهم حاشا « طوما » ثم تراءى لهم ولطوما .

(١٢٦) لى (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : (قد قام قبل ذلك . ويقول لوقا : إن النسوة أتين إلى القبر بكرة يوم الأحد فوجدته قد قام) .

قال أبو محمد : ومثل هذا الاختلاف في قصة واحدة عن مقام واحد كذب لا شك فيه ، ولا يمكن أن يقع من معصومين ، فصح أنهم كذابون لا يتحرّون الصدق فيما حدثوه^(١٢٧) وما كتبوه في هذه القضية .

ثم في هذه القصة : قول ماركش عن المسيح « إنه بعد موته قبّح^(١٢٨) كفر تلاميذه ، وقسوة قلوبهم » . فإذا شهد المسيح على تلاميذه بعد رفعه بالكفر وقسوة القلوب ، فكيف يجوز أخذ الذين عنهم ؟ أم كيف يجوز أن يعطى الإله مفاتيح السماوات ، ويولى منزلة التحريم والتحليل كافرًا قاسي القلب ؟ !!

وكل هذا برهان واضح على أن أناجيلهم كتب مفتراه ، ومن عمل كذابين كفّار .

ثم في هذه القصة : أن مريم والتلاميذ كلهم كانوا يلتزمون بعد المسيح صيانة السبت وتعظيمه ، وترك العمل فيه ، ولذلك أخر عمل الحنوط إليه حتى دخل يوم الأحد ، فقد صحّ يقينا أن هؤلاء المخاذيل ليسوا على دين المسيح ، ولا على ما مضى عليه تلاميذه ، بل على دين آخر ، فسحقاً لهم وبعداً ، والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا معشر أهل^(١٢٩) الإسلام .

* * *

(١٢٧) في (أ ، ب) : (حدثوا به) .

(١٢٨) في (أ ، ب) : (فتح) وهو تحريف .

(١٢٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (أصل) .

قولهم لا يدخل الجنة غني « فصل »

وفي الثامن من إنجيل ماركس^(١٣٠): أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه : إن دخول الجمل
في سمّ الخياط أهون^(١٣١) من دخول المثرى في ملكوت الله .

* * *

قال أبو محمد : هذا قطع من كلامه بأن كل غني لا يدخل الجنة أبدًا ، وفي أتباعه أغنياء
كثير ، وما رأينا قط أمة أحرص على جمع المال من الدراهم وغير ذلك ، وادخاره ومنعه دون
أن ينتفعوا منه بشيء ، ولا أن يتصدقوا منه بشيء من الأساقفة والقسيسين ، والرهبان في كل دير ،
وكل كنيسة ، في كل بلد ، وكل وقت . فعلى موجب كلام إلههم أنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط ، وهذا والله حق ، وأنا على ذلكم من الشاهدين .

* * *

(١٣٠) النص كما جاء في إنجيل مرقس : « يا بني ما أعسر دخول المتكلمين على الأموال إلى ملكوت الله ، مرور جمل من ثقب إبرة أبسر من أن
يدخل غنى إلى ملكوت الله » (الإصحاح العاشر : ٢٤ ، ٢٥) .
(١٣١) و (أ ، ب) : (أبسر) .

شراء الدنيا بالآخرة

« فصل »

وفي الباب الثامن من إنجيل مرقس^(١٣٢): أن باطرة قال ليسوع المسيح : ها نحن قد خلعنا الجميع واتبعناك ، فأجابه يسوع وقال له : « آمين أقول لكم ، ليس من أحد ترك بيتًا أو إخوة ، أو أخوات ، أو والدًا ، أو والدًا ، أو والدًا ، أو أولادًا لأجل الإنجيل إلا ويعطى مائة ضعف مثله الآن في هذا الزمان من البيوت ، والإخوة والأخوات ، والأمهات والأولاد ، والفدادين مع السعادة^(١٣٣) وفي العالم الكائن الحياة الدائمة » .

قال أبو محمد : هذا موعد كاذب مضمون لا يمكن الوفاء به ، وهبك^(١٣٤) يُخَرِّجُونَ هذا على أنه يعوّض هذا من أهل دينه أولادًا أو إخوة وأخوات ، وأمّهات ، كيف الحين في وعده من آمن به ، وترك ما له أن يعوّض عن الفدان الذى يترك مائة فدان ؟ وعن البيت مائة بيت الآن عاجلاً في الدنيا ؟ سوى ما له في الآخرة ، وهذا كما ترى .

(١٣٢) النص كما جاء في إنجيل مرقس : « وابتدأ بطرس يقول له : ها نحن قد تركنا كل شيء واتبعناك ، فأجلب يسوع وقال : الحق أقول لكم ، ليس أحد ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات ، أو أبًا أو إمامًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا لأجل ، ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتًا وإخوة وأخوات وأمّهات وأولادًا وحقولًا مع اضطهادات ، وفي الدّهر الآتى الحياة الأبدية » . (الإصحاح العاشر ، الفقرات من ٢٨ - ٣١) .

(١٣٣) هكذا في الأصل ، والظاهر أنها (الشقاء) لأن الكلمة التى جاءت في الإنجيل : (مع اضطهادات) .

(١٣٤) هكذا في الأصل . وصواب العبارة : « وهب أنهم » .

تضارب أقوال الأناجيل

« فصل »

وفي الباب الثامن من إنجيل ماركس^(١٣٥): أن رجلاً قال للمسيح أيها المعلم الصالح ، فقال له المسيح ، لم تقول لي « يا صالح^(١٣٦) » الله هو الصّالح وحده .

وفي الباب التاسع من إنجيل يوحنا^(١٣٧): أن المسيح قال : أنا الرّاعى^(١٣٨) الصالح .

فمرة ينكر أن يكون صالحاً وأن لا صالح إلا الله ، ومرة يقول : إنه صالح . وكل هذا كذب عليه من توليد هؤلاء الأندال .

* * *

(١٣٥) النص كما جاء في الإصحاح العاشر من إنجيل مرقس لا الثامن كما ذكر ابن حزم : « وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحدٌ صالحاً إلا واحد وهو الله » (الفقرات : ١٧ - ١٩) .

(١٣٦) في (أ ، ب) : (صالح) بغير (يا) .
(١٣٧) جاء هذا النص في الإصحاح العاشر لا التاسع وهو : « أنا هو الرّاعى الصّالح ، والرّاعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (الفقرات : ١١ ، ١٢) .
(١٣٨) في (خ) : (إن) .

فقدان الإنجيل الذى أتى به المسيح عليه السلام

« فصل »

وفى آخر إنجيل ماركس^(١٣٩) : أن المسيح قال لتلاميذه ، اذهبوا إلى جميع الدنيا وبشروا جميع الخلائق بالإنجيل ، فمن آمن وعمد^(١٤٠) يكون سالماً ، ومن لم يؤمن يعاقب . وهذه الآيات تصحب الذين يؤمنون وهى سيماهم^(١٤١) على اسمى ، ينفون الجن ، ويتكلمون باللغات الجديدة ، ويقلعون الثعابين ، وإن شربوا شربة قاتلة لم تضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فينقحون .

١٤٢

قال أبو محمد : فى هذا الفصل أعجوبتان من الكذب ؛

إحداهما : بشروا بالإنجيل ، فدلّ هذا على إنجيل أتاهاهم به المسيح ، وليس هو عندهم الآن ، وإنما عندهم أناجيل أربعة متغايرة من تأليف أربعة رجال معروفين ليس منها إنجيل ألف^(١٤٢) إلا بعد رفع المسيح عليه السلام بأعوام كثيرة ، ودهر طويل ، فصح أن ذلك الإنجيل الذى أخبر المسيح بأنه أتاهاهم به ، وأمرهم بالدعاء إليه قد ذهب عنهم لأنهم لا يعرفون له أصلاً . هذا لا يمكن^(١٤٣) .
سواه .

(١٣٩) النص كما جاء فى إنجيل مرقس الحالى : « وقال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يُدّن ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ، ويتكلمون بالسنة جديدة ، يحملون حيّات ، وإن شربوا شياً مميتاً لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون » (الإصحاح ١٦ / ١٥ - ١٨) .

(١٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (وعمد) . والظاهر أنها محرفة فى الأصل وصوابها كما جاء فى النص الحالى (واعتمد) .

(١٤١) لم تذكر هذه الجملة (وهى سيماهم على اسمى) فى الإنجيل الحالى .

(١٤٢) فى (أ ، ب) : (إلا ألف) .

(١٤٣) فى (أ ، ب) : (ما لا يمكن) .

والفصل الثانی قولهم : إنه وعد كل من آمن بدعاء التلاميذ فإنهم يتكلمون بلغات لم يعرفوها ، وإنهم ينفون الجن عن المجانين ، وإنهم يضعون أيديهم على المرضى فينقهن ، وإنهم يقلعون الثعابين ، وإن شربوا شربة قتالة لا تضرهم .

قال أبو محمد : وهذا وعد ظاهر الكذب جهاراً ، ما منهم^(١٤٤) أحد يتكلم بلغة لم يعلمها ، ولا منهم أحد ينفي جنياً ، ولا منهم أحد يضع يده على مريض فيبرأ ، ولا منهم أحد يقلع ثعباناً ، ولا منهم أحد يسقى السم فلا يؤذيه ، وهم معترفون بأن « يوحنا » صاحب الإنجيل قتل بالسم ، وحاشا الله أنه يأتي نبي بمواعيد خاسئة كاذبة ، فكيف الإله^(١٤٥) ؟!

فاعلموا أن الأنذال الذين كتبوا هذه الأناجيل أسهل^(١٤٦) شيء عليهم نسبة الكذب إلى المسيح عليه السلام .

(١٤٤) في (خ) : (ما منكم) .
 (١٤٥) في (أ ، ب) : (فكيف إله) .
 (١٤٦) في (أ ، ب) : (كان أسهل) .

« فصل »

وبعد هذا الفصل متصلاً به : « والرَّبِّ لما أن تكلم بهذا قبض إلى السماء ، وجلس عن يمين الله^(١٤٧) » .

* * *

قال أبو محمد : هذا شرك أحق ، رب يُقْبَضُ ، إن هذا لعجب !! ورب يجلس عن يمين الله تعالى !!

هذان ربَّان ، وإلهان ، الواحد أجُلُّ من الثَّاني لأنَّ المقعود عن يمينه أسنى مرتبة من المقعد على اليمين بلا شك . ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٤٧) النص كما جاء في إنجيل مرقس : « ثم إن الرَّبَّ بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء ، وجلس عن يمين الله ، وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعلم معهم » . (الإصحاح ١٦ / ١٩ ، ٢٠) .

« فصل »

وفى أول إنجيل لوقا : أن نفرًا قبلنا راموا وصف الأشياء التى كملت فينا كالذى دلنا عليه معشر الذين عاينوا الأمر ، وكانوا حملة الحديث ، فرأيت أن أقفوا أثرهم من أوله على التجريد ، وأكتب لك أيها الكريم لأن تفهم حق الكلام الذى علمته ، واطلعت عليه ، وأنت به ماهر^(١٤٨).
هذا يبين أن الأناجيل توارىخ مؤلفه ، كما ترى بنص كلام « لوقا » .

* * *

(١٤٨) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاني ، ونُخذًا للكلمة ، رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعته كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز « ثاوفيلس » ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به . (الفقرات من ١ / ٥ الإصحاح الأول) .

إثبات تأليف الأنجيل

« فصل »

وفي أول إنجيل « لوقا »^(١٤٩) الذى هو تاريخه المؤلف فى أخبار المسيح ، قال لوقا : كان بعد « هيرودس » والى بلد « يهوذا » كوهن يدعى « زكريا » من دولة أيلحا ، وزوجته من بنات هارون ، وتسمى « اليشبات » ثم ذكر كلاماً فيه يجىء^(١٥٠) جبريل الملك عليه السلام إلى مريم أم المسيح عليهما السلام وأنه قال فى جملة كلام كثير : وقد حملت^(١٥١) « اليشبات »^(١٥٢) قرينتك على قدمها ، وعقرها . فأخبر أن « اليشبات » هارونية ، وأنها قريبة^(١٥٣) مريم ، فعلى هذا فمريم أيضاً هارونية ، والنصارى كلهم متفقون على ما فى جميع الأنجيل من أن المسيح هو ابن « داود » ، ومن نسل « داود » عليه السلام .

(١٤٩) النص كما جاء فى إنجيل « لوقا » الحالى : كان فى أيام « هيرودس » ملك اليهودية كاهناً اسمه زكريا من فرقة أيلحا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها « اليشبات » وكان كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ، ولم يكن لهما ولد إذ كانت اليشبات عاقراً ، وكان كلاهما متقدمين فى أيامهم » ثم بعد كلام كثير قال له الملاك : « لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك اليشبات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا » (الإصحاح الأول من ٥ - ٨) .

ثم قال بعد كلام كثير : « وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى المدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت « داود » اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيها المنعم عليها ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء ، فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ؟ فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم قد وجدت نعمة عند الله ، وهأنت ستحبلين وتلدين ابناً ، وتسمينه « يسوع » .. فقالت مريم : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ فأجاب الملاك وقال لها : ... وهو ذا « اليشبات » نسيبتك هى أيضاً حبلت بآبى فى شيخوختها . (الإصحاح الأول ١٣ - ١٤) .

(١٥٠) فى (أ ، ب) : (بجىء) .

(١٥١) فى (أ ، ب) : (حبلت) .

(١٥٢) فى (أ ، ب) : (اليشبات) .

(١٥٣) فى (أ ، ب) : (قرينه) .

وفي مواضع كثيرة منها : « يورثه الله ملك أبيه داود » ، وأن العُمى ، والمباطين^(١٥٤) والمرضى ، والمجانين ، والجن كانوا يقولون له : يا ابن « داود » فلا ينكر ذلك عليهم . ولا تختلف النصارى واليهود في أن المسيح المنتظر هو من ولد « داود » .

والمسيح مع هذا كله كان^(١٥٥) قد أنكر في الباب السادس عشر من إنجيل « متى » كما أوردنا من قبل أن يكون المسيح من ولد « داود » فكيف هذا الاختلاط والتلون ؟ ومنع هذا كله فما ترى على ما ذكرنا نسبة^(١٥٦) النصارى إلا إلى أنه ولد يوسف النجار الداوودى ، الذى يزعمون أنه كان زوج مريم ، وهذه طامة وسوأة لا يدرى لها وجه أن ينتسبوا إلى رجل لم يلد له !!

وأقل ما فى هذا الكذب الذى هو فى الدنيا عار ، وبرهان على الضلال ، وفى الآخرة نار ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٥٤) المباطين : المرضى بيطوهم . وفى (خ) : (الباطل) (وهو تحريف) .

(١٥٥) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كان) .

(١٥٦) فى (أ ، ب) : (تنسبه) .

« فصل »

وفي الباب الثانی من إنجیل « لوقا^(١٥٧) » : فلما دخل أبو أبوا المسيح به ، البيت ليقربا عنه ما أمر به أخذه شمعون في يديه .

وبعد ذلك في الباب المذكور : « وكان أبواه مختلفين إلى يورشليم كل سنة أيام الفصح ، فلما بلغ إثنى عشرة سنة وصعد إلى يورشليم على حال سنتهما في يوم العيد فهبطا عند انقراضه بقى يسوع في يورشليم ، وجهل ذلك أبواه ، وظناه في الطريق مقبلاً ، فسارا يومهما وهما يطلبانه عند الأقارب والأخوات ، فلما لم يجدها انصرفا إلى « يورشليم » طالبين له ، فوجداه في الثالث قاعدًا مع العلماء في البيت وهو يسمع منهم ، ويكاشفهم ، فكان يعجب منه كل من سمعه ومن يراه ، من حسن حديثه وحسن مراجعته ، فقالت له أمه : لِمَ أشخصتنا يا بني ، وقد طلبك أبوك وأنا معه محزونين ؟

فقال لهما : لم طلبتاني ؟ أتجهلان أنه يجب على ملازمة أمر أبي ؟ فلم يفهما عنه جوابه ، فانطلق معهما إلى ناصرة ، وكان يطوع لهما^(١٥٨).

(١٥٧) النص كما جاء في إنجيل لوقا الحالي : « وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس أخذه على ذراعيه رجل في أورشليم اسمه سمعان ، وبارك الله ، وقال : الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام . (الإصحاح الثاني : ٢٥ - ٣٠) .

(١٥٨) بقية النص كما في إنجيل لوقا الحالي : « وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح ، ولما كانت له اثنا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كمادة العيد ، وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبي يسوع في « أورشليم » ، ويوسف وأمّه لم يعلما ، وإذ ظناه بين الرفقة ذهباً مسيرة يوم ، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ، ولما لم يجدها رجعا إلى « أورشليم » يطلبانه . وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالسا في وسط المعلمين يسمعونهم ويسألهم ، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأحويته فلما أبصره ، اندهشا ، وقالت له أمه : يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ، هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذيين ، فقال لهما : لماذا كنتما تطلباني ألم تعلمتا أنه ينبغي أن أكون فيما لأى فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما . ثم نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما ، وكانت أمّه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها » (إنجيل لوقا : الإصحاح الثاني : الفقرات من ٤١ - ٥٣) .

قال أبو محمد : كيف يطلق لوقا النذل^(١٥٩) القميّار ، وهو عندهم أجلّ من موسى عليه السلام أن يوسف النجار والد المسيح في غير ما موضع ، ويكرر ذلك كأنه يحدث بحديث معهود . أم كيف تقول مريم لابنها : طلبك أبوك تعنى زوجها بزعمكم ؟ وكيف يكون أباه ولا أب له ؟

وإنما يطلق هذا الإطلاق في الريب لا يعرف^(١٦٠) أبوه ، فيقال له : أبوك عن ربيبه بمعنى (كافله) لأنه لا إشكال هاهنا^(١٦١) . وأما من لا أب له من بنى آدم ، فإطلاق الأبوة فيه على زوج أمه إشكال وتلبيس ، وتطريق إلى البلاء .

أم كيف تبقى « مريم » مع زوجها بزعمهم - فض الله أفواههم - أزيد من ثلاث عشرة سنة كما يبقى الرجل مع امرأته ، يغلقان عليهما بابًا واحدًا ؟

أم كيف يصح مع هذا عند هؤلاء الأثنان^(١٦٢) أنه مولود من غير ذكر ؟

أين هذا الزور المفترى من النور المفتفى ؟ قول الله تعالى حقًا في وحيه الناطق إلى رسوله الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حيث قال :

« فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ؟! قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلْنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَفْضِيًّا ، فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ : يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ، وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ... إلى قوله تعالى : « فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا : يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا : كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا^(١٦٣) .

* * *

(١٥٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (النذل القميّار) .

(١٦٠) في (أ ، ب) : (فيمن يعرف أبوه) بإسقاط حرف النفي (لا) وهو تحريف وخطأ .

(١٦١) في (أ ، ب) : (لا إشكال فيه) .

(١٦٢) في (أ ، ب) : حذف كلمة (الأثنان) . ويبدو أن الناسخ كان يتصرف فيحذف بعض الشئام . وهذا تصرف غير مقبول لأنه

ياعد بيننا وبين أسلوب المؤلف .

(١٦٣) سورة مريم : ١٧ - ٣١ .

قال أبو محمد : هذا هو الحق الواضح الذى يصدق بعضه بعضاً ، لا كذب ولا تناقض ، وهذا الذى لا يمكن سواه ، لأنه لو كان لها زوج لم ينكر أحد ولادتها ، ولو لم يقم برهان بكلامه فى المهد لما جاز عندنا ، ولا عند أحد من الناس أنها حملت به من غير ذكر^(١٦٤) ، ولكان ذلك دعوى كاذبة ، لا يجوز أن يصدّقها أحد لا سيما مع زعمهم أنها سكنت مع زوجها أزيد من ثلاثة عشر عاماً فى بيت واحد ، يَهْدِيَان عند ولادته ما يهدى الأبوان من اليهود بحكم التوراة عن ابنهما ، وتقول له أمه : هذا أبوك ، وفعل أبوك ، ثم أطم من هذا ، إقرارهم أن له أربعة إخوة ذكور : « شمعون » ، و « يهوذا » ، و « يعقوب » و « يوسف » ، وأخوات ، ثم لا يذكرون للنجار امرأة غير مريم .

فلو أن^(١٦٥) هؤلاء الأولاد للنجار من تلك المرأة ، وهذه فضيحة الدَّهر وقاصمة الظهر ، ومطلق ألسنة القائلين أنها أتت به من زوج أو من عُهر - وحاشا لله من ذلك - لقد^(١٦٦) يصحح هذا كله أنهم مدسوسون من هذا عن اليهود لإفساد مذاهبهم ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٦٤) فى (أ ، ب) : (من غير ذلك) .

(١٦٥) فى (أ ، ب) : (تكون) وهذا تحريف .

(١٦٦) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (لقد) .

« فصل »

وفي الباب الرابع من إنجيل لوقا^(١٦٧): وكانت العامة تشهد له ، وتعجب لقوله ، وما كان يوصيهم به ، وكانت تقول : أما هذا ابن يوسف النجار ؟ فقال لهم : نعم ، قد علمت أنكم ستقولون لي يا طيب داو نفسك ، وافعل في موضعك كما بلغنا أنك فعلت بكفر^(١٦٨) ناحوم آمين . أما إني أقول لكم : إنه لا يقبل أحد من الأنبياء في موضعه .

* * *

قال أبو محمد : في هذا الفصل ثلاث عظماء ، أحدها قولهم : أما هذا فابن يوسف فقال : نعم ، فهذا تحقيق أنه ولد النجار ، وحاشا لله من ذلك .
والثانية : اعترافهم واتفاقهم على أنه لم يأت بآية بحضرة الجماعة ، وإنما ذكر أنه أتى بالآيات في القفار .

والثالثة : وهى الحق قوله لهم : إنه نبي ، وهذا الذى أفلتت من تبديلهم ، وأبقاه الله عز وجل حجة عليهم . والحمد لله رب العالمين .

(١٦٧) النص كما جاء في إنجيل « لوقا » الحالى : « وكان الجميع يشهدون له ، ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ، ويقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ فقال لهم : على كل حال تقولون لي هذا المثل : أيها الطيب اشف نفسك ، كم سمعنا أنه جرى في كفر ناحوم ، فافعل ذلك هنا أيضًا في وطنك وقال : الحق أقول لكم : إنه ليس نبيًا مقبولًا في وطنه » (الإصحاح ٤ / ٢٢ - ٢٥) . وواضح من هذا النص أن المسيح لم يقل (نعم) حين ذكروا أنه ابن يوسف ، لكنه لم ينف ما قالوه ، وهذا ربما يرجع إلى أن الترجمة الحالية أسقطت بعض الكلمات ، ولكن جوهر المعنى الذى ناقشه ابن حزم مازال قائمًا .

(١٦٨) في الأصل (بقفر) ولكن الصواب في ظل الترجمة الحالية (بكفر) .

« فصل »

وفي الباب الثاني عشر من إنجيل لوقا^(١٦٩): أن المسيح قال : « من قال شيئاً في ابن الإنسان يغفر له . ومن سبَّ روح القدس لا يغفر له .

* * *

قال أبو محمد : هذا إبطال لقولهم كافٍ ، لأن ابن الإنسان عند هؤلاء الأقدار^(١٧٠) هو روح القدس نفسه .

ونص كلام المسيح هاهنا يبين أنهما شيئان متغايران ، أحدهما يغفر لمن سبَّه ، والآخر : لا يغفر لمن سبَّه ، وهذا بيان دافع للإشكال جملة ، فإن كان المسيح هو ابن الإنسان ، فليس هو روح القدس أصلاً - بنص كلامه . وإن كان هو روح القدس فليس هو ابن الإنسان كذلك أيضاً . ولئن كان ابن الإنسان هو روح القدس فقد كذب المسيح ، إذ فرَّق بينهما بجعل^(١٧١) أحدهما يغفر لمن سبه ، والآخر : لا يغفر لمن سبه وفي هذا كفاية .

(١٦٩) النص كما جاء في إنجيل « لوقا » الحالى : « وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له ، وأما من جَدَّف على الرُّوح القدس فلا يغفر له » (الإصحاح ١٢ / ١٠) .

(١٧٠) في (أ ، ب) : حذفت كلمة (الأقدار) . وهذا من تصرف الناسخ - كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

(١٧١) في (أ ، ب) : (فجعل) .

« فصل »

وفي الباب الموقى عشرين من إنجيل لوقا^(١٧٢): فلما بلغوا إلى الموضع الذى يدعى الأجرد صلبوه فيه ، وصلبوا معه السارقين العابثين عن يمينه وعن شماله .
فقال يسوع : يا أبتاه ، اغفر لهم ، لأنهم يجهلون ما يصنعونه ، ولا يدرون فعلهم .

قال أبو محمد : فى هذا الفصل شنتان عظيمتان على النصارى كافيتان فى وساخة دينهم ، وبيان فساد كل ما هم عليه جهاراً :
أولاهما : أن نسألهم فنقول لهم : المسيح إله عندكم أم لا ؟
فمَنْ قَوْلُهُمْ : نعم . فيقال لهم : إلى من دعا ، ورفع طلبته ؟
فإن كان دعا غيره ، فهو إله يدعو إلها آخر . وهذا شرك وتغاير بين الآلهة .
وهم لا يقولون هذا .

(١٧٢) النص كما جاء فى إنجيل لوقا الحالى : « ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى « جمجمة » صلبوه هناك مع المذنبين ، واحداً عن يمينه ، والآخر عن يساره ، فقال يسوع : يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (الإصحاح الثالث والعشرون : ٢٣ ، ٢٤) .

وإن كان دعا نفسه : فهذا هوس ، إنما حكمه أن يقول : قد غفرت لكم ، وهم يصرحون في الإنجيل^(١٧٣) : بأنه يغفر ذنوب من شاء . فأين كان عن هذه الصفة إذ يدعو^(١٧٤) إلها غيره . ؟
والثانية : أن يقال لهم : هل أجيبت دعوته هذه أم لا ؟
فإن قالوا : لم تجب دعوته . قلنا : ليس في الخزي أكثر من إله يدعو فلا يستجاب له ؟ !
ولا في النحس فوق هذا .

وعلى هذا فما بيده من الربوبية إلا ذنب^(١٧٥) ثور ، شارد في حدود^(١٧٦) ، كما بيد سائر المخلوقين يدعو فيجيب مرة ، ولا يجاب مرة .

وإن قالوا : بل أجيبت دعوته . قلنا لهم : فاعلموا أنكم وأسلافكم كلكم في سبكم اليهود الذين صلبوه ظالمون لهم . وكيف يستحلون سب قوم قد غفر لهم إلههم ، وأسقط عنهم الملامة في صلبهم له ؟ أما لكم عقول تعرفون بها مقدار ما أنتم عليه من الضلال الذي ليس في العالم أحد على مثله ؟ بل كل ضلالة فهي دونه .

فإن قيل : وما أنكرتم من هذا وأنتم تقولون : إن الله تعالى دعا الكفار إلى الإيمان فلم يجيبوه ؟

قلنا : نعم ، فكانوا عصاة ، والله تعالى لم يرد كون الإيمان منهم ، إنما أمرهم أمر تعجيز ، فأخبرونا أنتم من هو المدعو لهم ليغفر لهم فيجيئه أو يعصيه .. ؟ ولا مخلص من هذا .

* * *

(١٧٣) في (أ ، ب) : (الأنجيل) .

(١٧٤) في (أ ، ب) : (دعا) .

(١٧٥) في (أ ، ب) : (كذب) .

(١٧٦) في (أ ، ب) : (جدور) وهو تحريف .

« فصل »

وفى آخر إنجيل لوقا^(١٧٧): أنه بعد صلبه تراءى لرجلين من تلاميذه ، وهما لا يعرفانه فقال لهما : ما هذا الذى تخوضان فيه ، وتحزنان له ؟

فقال أحدهما : وهو الذى يسمى كلوباش : أنت وحدك غريب بأورشليم ، إذ تجهل ما كان بها هذه الأيام .

فقال لهما : وما ذلك ؟

فقالا له : من خبر يسوع الناصرى الذى كان نبياً مقتدرًا على^(١٧٨) أفعاله وكلامه عند الله وعند الناس . وكيف اجتمع قواده القسيسون على قتله وصلبه إلى آخر كلامهما ، وأنه قال^(١٧٩): يا جهال ، ويا من عَجَزَتْ عن فهم مقالة الأنبياء قلوبهم : أما كان هذا واجبًا أن يلقاه المسيح ، وبعد ذلك يبلغ إلى عظمته ؟

* * *

(١٧٧) جاء هذا النص فى إنجيل لوقا الحالى : وإذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن « أورشليم » ستين غلوة اسمها « عَمَّوَّاس » وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث ، وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه ، وكان يمشى معهما ، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته ، فقال لهما : ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين . فأجاب أحدهما الذى اسمه « كليوباس » وقال له : هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ، ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام ؟ فقال لهما : وما هى ؟ فقالا : المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنسانًا نبياً مقتدرًا فى الفعل والقول أمام الله ، وجميع الشعب ، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ... » (الإصحاح ٢٤ / ١٢ - ٢٧) .

(١٧٨) فى (أ ، ب) : (فى أفعاله) .

(١٧٩) فى (أ ، ب) : (قال لهما) .

قال أبو محمد : فهؤلاء أصحابه يقولون : إنه كان نبياً عند الله وعند الناس ، وهو يسمع بزعمهم ولا ينكر ذلك . فهلاً قالوا فيه هكذا . لقد طمس الشيطان على قلوب أبصارهم^(١٨٠) عن ذلك ، ولوى ألسنتهم عن أن يقولوا ذلك ولا مرة من الدهر ، بل كذبوه^(١٨١) أشد الكذب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(١٨٠) في (أ ، ب) : (أبصار قلوبهم) .
(١٨١) في (أ ، ب) : (يكذبونه أشد التكذيب) .

« فصل »

وفى إنجيل متى ومارقش ولوقا^(١٨٢): أنه قبل أخذه سجد ودعا وقال : يا أبت ؛ كل شئ عندك ممكن ، فاعفنى من هذا الكأس ، لكن لا أسأل إرادتى لكن إرادتك ، زاد لوقا فى إنجيله قال : فترأى له ملك السيد معزياً له فأطال صلاته حتى سال العرق منه ، وتساقطت نقط منه^(١٨٣) كتساقط نقط الدم إذا انسكب فى الأرض .

وفى إنجيل متى ومارقش : أنه صاح بأعلى صوته وهو مصلوب : إلهى إلهى ، لم أسلمتنى ، ثم فاضت نفسه .

قال أبو محمد : فياللناس ؟ أهذه صفة إله ؟ وهل يحتاج الإله إلى ملك يعزیه ؟ وهل يدعو الإله فى أن يصرف عنه كأس المنية ، وإله يعرق من صعوبة الحال إذا أيقن بالموت ، وإله يسلمه الإله ؟! أفى الحقم شئ يفوق هذا ؟

(١٨٢) الذى جاء فى انجيل متى الحالى : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلى إيلى لم شبتتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى !! فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا : إنه ينادى إيليا ، وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجه وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، وأما الباقيون فقالوا : اترك لنرى هل يأتى ألياً يخلصه ، فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح (الإصحاح ٢٧ / ٤٥ - ٥٠) . والذى جاء فى انجيل ماركس يتفق مع هذا فى المعنى وإن اختلف فى الألفاظ : (الإصحاح ١٥ / ٣٣ - ٣٦) . وفى إنجيل « لوقا » « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك أستودع روحى ، ولما قال هذا أسلم الروح » (الإصحاح ٢٣ / ٤٤) .

(١٨٣) فى (أ ، ب) : (نقطة) .

فإن قالوا : إنما هذا كله خبر عن الطبيعة الناسوتية . قلنا لهم : أنتم تقولون في كل هذا : فعل المسيح ، وقال المسيح ، فللمسيح عندكم طبيعتان : ناسوتية ولاهوتية وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة ، وكلكم تقولون : إن اللاهوت اتحد بالناسوت ، وأنتم كذبتهم ، وأنتم طرقتهم إلى كل^(١٨٤) هذا ، وأنتم أضفتم كل هذا إلى اللاهوت ، وإنما كان الحمق على أصلكم هذا الملعون : أن تقولوا : فعل نصف المسيح وقال نصف المسيح . فعلى كل حال قد كذبتهم وسخفتم . وفي هذا كفاية لمن عقل .

* * *

(١٨٤) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .

« فصل »

وفي أول إنجيل يوحنا^(١٨٥): وهو أعظم الأناجيل كفرًا ، وأشدّها تناقضًا ، وأتمّها رعونة فأول كلمة فيه : « في البدء كانت الكلمة ، والكلمة كانت عند الله ، والله كان الكلمة ، بها خلقت الأشياء ، ومن دونها لم يخلق شيء ، فالذى خلق هو حياة فيها .

فهل سمع بأعظم سخفًا ، وأتم تناقضًا من هذا الكلام الملعون هو وقائله^(١٨٦) ؟ !! كيف تكون الكلمة هي الله ؟ وتكون عند الله ؟ فالله إذا كان عند نفسه . ثم قوله : « إن الذى خلق بالكلمة هو حياة فيها » . فعلى هذا حياة الله مخلوقة فروح القدس على نص كلام هذا العيار^(١٨٧) مخلوق ، لأن روح القدس عند جميعهم هو حياة الله وهذا بخلاف جميع قول النصارى ، لأن الحياة التى فى الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا ، والله تعالى بنص كلام يوحنا هو الكلمة ، وهذا هدم للملة النصارى من قرب .

ثم أطم من هذا كله إذا كانت حياة الكلمة مخلوقة ، والكلمة هي الله ، فالله هو^(١٨٨) حامل لأعراض مخلوقة فيه . فاعجبوا ثم اعجبوا .

وبعد هذا الفصل - على ما نورد إن شاء الله تعالى - والكلمة كانت بشرًا ، مع قوله الكلمة هي الله ، فالله بشر على نص كلام هذا النذل يوحنا - عليه من الله اللعائن المتواترة .

(١٨٥) النص كما جاء في إنجيل يوحنا الحالى : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هكذا في البدء عند الله . كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس » (الإصحاح الأول : ١ - ٥) .
(١٨٦) في (أ ، ب) : سقط قوله (الملعون هو وقائله) . وهذا تصرف من الناسخ كما سبقت الإشارة إلى ذلك .
(١٨٧) في (أ ، ب) : (الرجل) بدلًا من (العيار) .
(١٨٨) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (هو) .

« فصل »

وبعد ذلك ذكر المسيح فقال : فإنه كان في الدنيا ، وبه خلقت الدنيا ، ولم يعرفه أهل الدنيا^(١٨٩).

* * *

قال أبو محمد : هذا من الحمق المزور^(١٩٠). كيف يكون في الدنيا . وبه خلقت الدنيا ؟! لئن كان إلها كما يقولون ، فهو خلق الدنيا ، ولا يجوز أن تخلق به . وإن كان إنما به خلقت الدنيا ولم يخلقها هو : فليس هو إلهاً ولا خالقاً ، إنما هو آلة من الآلات ، خلقت الدنيا بها ، وحاشا لله أن يخلق بآلة ، لكن كما قال في وحيه الناطق إلى رسوله الصادق الذي لا يتناقض كلامه ، ولا تتعارض أخباره « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »^(١٩١) .

* * *

(١٨٩) النص كما جاء في إنجيل يوحنا : « كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم ، كان في العالم ، وكُنَّ العالم به ، ولم يعرفه العالم » (الإصحاح الأول : ٦ - ١١) .
(١٩٠) في (خ) : (المردد) .
(١٩١) سورة يس : ٨٢ .
(١٩٢) في الأصل : (المتين) . وهو تحريف في نظرنا ، لأن الوصف بالمتنن هو الأول في هذا المقام ، والذي يتفق مع أسلوب ابن حزم .

وأين يجتمع قوله هاهنا ، أنه به خلقت الدنيا مع الكذب الذى يضيفونه إلى المسيح من أنه قال بزعمهم : « أنا أخلق ، وأبى يخلق ، وإن لم أعمل كما يعمل أبى فلا تصدقونى » .

حاشا لله من أن يقول نبي هذا الكذب ، وهذا الحمق إذا كان يكونان إلهين متغايرين اثنين كل واحد منهما غير الآخر ، وكل واحد منهما يخلق كما يخلق الآخر ، ثم مرة هو إله يخلق ، ومرة هو آلة يخلق بها . ألا هذا هو الضلال المبين ، والخيال المتنن^(١٩٢) .

(١٩٢) فى الأصل : (المتين) . وهو تحريف فى نظرنا . لأن الوصف بالمتين هو الأول فى هذا المعام والذى يتفق مع أسلوب ابن حزم .

ادعاء النصارى جميعاً أنهم أبناء الله

« فصل »

وبعد ذلك قال^(١٩٣): فمن تقبله منهم ، وآمن باسمه أعطاهم سلطاناً أن يكونوا أولاد الله ، أولئك المؤمنون باسمه ، الذين لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم ، ولا باه رجل لكن توالدوا من الله ، فالتحمت الكلمة ، والكلمة كانت بشراً ، وسكنت^(١٩٤) فيها ، رأينا عظمتها كعظمة ولد الله .

* * *

قال أبو محمد : في^(١٩٥) هذا الفصل من الكفر ما لو انهدت الجبال منه ، لكان غير نكير ، نسأل الله العالفة .

أيها الناس : تأملوا^(١٩٦) قول هذا النذل ، إن المؤمنين بالمسيح هم أولاد الله ، فالنصارى كلهم إذن أولاد الله ، فأى ميزة للمسيح عليهم ؛ إذ هو ولد الله وهم أولاد الله ؟ ثم انظروا^(١٩٧) لقول هذا المستخف المستهزئ بالسفلة الذين قلدوا دينهم مثله : إن المؤمنين بالمسيح لم يتوالدوا من دم ،

(١٩٣) النص كما جاء في انجيل يوحنا : « إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله ، وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنون الذين ولدوا ليس من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل بل من الله . والكلمة صار جسداً وحل بيننا ، ورأيناه مجده مجدداً كما لو حيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً . (الإصحاح ١ - ١١ / ١٤ - ١٤) .

(١٩٤) في (أ ، ب) : (فينا) .

(١٩٥) في (أ ، ب) : (وفي) .

(١٩٦) في (أ ، ب) : (فتأملوا) .

(١٩٧) في (أ ، ب) : (اعحبوا) .

ولا من شهوة اللحم ، ولا باه رجل ، ولكن توالدوا من الله هكذا هم !!
 أهكذا^(١٩٨) توالد « يوحنا » من سبداى وامرأته ؟
 ألا حياءً من عظيم المجاهرة بالباطل والكذب ؟
 « فإن قالوا : هذا مجاز . قلنا^(١٩٩) : فيماذا ؟ بل هو الكذب البحت البارد الأحمق^(٢٠٠) ،
 وهذا نفسه قلتم عن المسيح . فما الفرق بين القولين ؟
 ولعل ذلك أيضاً مجاز ، كما هذا^(٢٠١) مجاز ، فما رأينا أحمق من هؤلاء ، ولا أوقح
 من خدودهم :
 ثم اعجبوا لقوله : « فالتحمت الكلمة وسكنت فيها^(٢٠٢) » فكيف تصير الكلمة لحمًا ،
 وقد قال : إنها هى الله ، فالله إذا صار لحمًا ، وسكن فى أولئك الأقدار . حسبنا الله ونعم
 الوكيل .

(١٩٨) فى (أ ، ب) : (هكذا فكيف)

(١٩٩) فى (أ ، ب) : (قلنا : مجاز) .

(٢٠٠) فى (أ ، ب) : (والحق) .

(٢٠١) فى (أ ، ب) : (كما هو) .

(٢٠٢) فى (أ ، ب) : (فينا) .

« فصل »

ثم قال إثر هذا: « إن^(٢٠٣) الله لم يره أحدٌ ما عدا ما وصف عن الولد الفرد^(٢٠٤) الذى هو فى حجر أبيه » .

قال أبو محمد : هذا عجب آخر ، قد قال آنفاً : إن الكلمة هى الله ، وأنها التحمت ، وصارت لحمًا ، وسكنت فيهم ، فالله عز وجل على قلوبهم : صار لحمًا وسكن فيهم . فكيف لم يره أحد ؟

ثم قوله : « إلا ما وصف عنه الولد الفرد الذى هو فى حجر أبيه » .
فوجب من هذا : أن الولد غير الأب لأن من المحال الممتنع أن يكون الله فى حجر نفسه فصح ضرورة أن الابن عندهم على نصوص الأناجيل هو غير الأب ، وهم لا يشبتون على هذا ، بل مرة هو والأب عندهم شئ واحد . وكل هذا منصوب فى أناجيلهم ، وكل قضية منها تكذب الأخرى ، فكلها كذب بلا شك . ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(٢٠٣) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الأب هو خير » (الإصحاح . ١ / ١٨) .

(٢٠٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الفرد) .

« فصل »

وفى الباب الأول من إنجيل يوحنا^(٢٠٥) إذ ذكر شهادة يحيى بن زكريا - عليهما السلام -
إذ بعث إليه اليهود من « برشلام » - الكهنة واللاويين ، وكاشفوه عن نفسه . فأقرّ ولم يجحد وقال
لهم : لست أنا المسيح .

قالوا : أترأى^(٢٠٦) إلياس ؟ قال : لا . قالوا : أفأنت^(٢٠٧) نبي ؟ قال : لا .

* * *

قال أبو محمد : كيف يكون هذا مع قول المسيح فى إنجيل متى^(٢٠٨) ومارقس : كما أوردنا
قبل : إن كل نبوءة ، وكلّ كتاب فمنتهاها إلى يحيى . وقوله فيه : إنه أكثر من نبي ، فمرة هو نبي
انتهت كل نبوة إليه ، ومرة : هو أكثر من نبي .

(٢٠٥) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقرّ : أرى لست أنا المسيح . فسألوه إذا ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . ألتبى أنت ؟ فأجاب : لا » (الإصحاح الأول : ١٩ - ٢٢) .

(٢٠٦) فى (أ ، ب) : (أيراك) .

(٢٠٧) فى (أ ، ب) : (فأنت) بغير استفهام .

(٢٠٨) النص كما فى انجيل متى : « وبينما ذهب هذان ابتداء يسوع يقول للمجموع عن يوحنا .. هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك . لكن ماذا خرجتم لتنتظروا أنبيا . نعم أقول لكم وأفضل من نبي ... الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه . » (انجيل متى . الإصحاح ١١ / ٧ - ١٣) .

ومرة يقول : هو عن^(٢٠٩) نفسه : إنه ليس نبياً .

فلابدّ ضرورة من الكذب فى إحدى هذه الأقوال . وحاش لله أن يكذب المسيح ويحىي
- عليهما السلام - لكن كذب والله النذلان متى الشرطى ، ويوحنا العيَّار .

أوصاف النصارى للمسيح

« فصل »

وبعده في الباب نفسه قال : « ويوما آخر رأى يحيى المسيح مقبلاً^(٢١٠) فقال : هذا^(٢١١) خروف الله^(٢١٢) » .

قال أبو محمد : هذه طائفة أخرى .. بينما كان كلمة الله ، وابن الله ، وإلهًا يخلق صار خروف الله - وحاش لله أن يضاف إليه خروف إلا على سبيل الخلق والمملك ، إنما يضاف الخروف إلى من يتخذه للأكل أو الذبح ، أو لمن يريه للفحلة^(٢١٣) ، أو لصبي يلعب به ويصبغه بالحناء . وتعالى الله عن كل هذا .

فصح أنها من عمل عيار مستخف . ونعوذ بالله من الضلال .

* * *

(٢١٠) في (أ ، ب) : مقبلاً إليه .

(٢١١) في (أ ، ب) : هذا صار .

(٢١٢) الذي في إنجيل يوحنا الحالى : « وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (الإصحاح

١ / ٢٩) .

(٢١٣) في (أ ، ب) : (للعجلة) .

« فصل »

وبعده بيسير في الباب نفسه أن يحيى بن زكريا قال عن المسيح^(٢١٤): « شهدت بأن هذا سليل الله^(٢١٥) » .

* * *

قال أبو محمد : شهدت أنا ، ونفسي ، وجسدي ، وعقلي بشهادة الله التامة أن هذه كذبة كذبها اللعين يوحنا على رسول الله ، وابن رسوله يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وأن الله - تعالى - عن أن يكون له سليل .

وأعجب شيء نسبتهم إلى يحيى عليه السلام - أنه قال في المسيح : هذا خروف الله ، هذا سليل الله ، وإنما الخروف سليل الكباش والنعجة - اللهم العن هؤلاء الأتنان فما سمعنا بأعظم استخفافاً بالله تعالى وبرسوله - عليهم السلام - منهم .

* : *

(٢١٤) في (أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ز ، ح ، ط ، ي ، عيسى) .
(٢١٥) الذي جاء في إنجيل يوحنا : « وشهد يوحنا قائلًا : إلى قد رأيت الروح نازلًا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذلك قال لي : الذي ترى الروح نازلًا ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس ، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله . (إنجيل يوحنا ١ / ٣٢ - ٣٤) فأسند الشهادة إلى يوحنا ، وهذا دليل على ما تعرض له الإنجيل من تغيير وتحريف ، أو لعل « يوحنا » هو يحيى . ولكن ابن حرم يفرق في حديثه بين يحيى وبين يوحنا ، فيلعب « يوحنا » ويرى أنه كذب على « يحيى بن زكريا » سي الله .

ادعاء النصارى أن المسيح تسلم مقاليد الكون

« فصل »

وفي الباب الثالث من إنجيل يوحنا أن يحيى عليه السلام قال عن المسيح : « قد رضى الأب ن الولد ، وبرىء إليه بجميع الأشياء »^(٢١٦).

* : *

وفي الباب الخامس من إنجيل يوحنا أيضاً : « ولهذا كانت اليهود تريد قتله لأنه كان ليس^(٢١٧) يفسح عليهم سُنَّة السبت فقط ، لكنه كان يدعى الله أباً ويسوى نفسه^(٢١٨) به » .
وبعد بيسير : أن المسيح قال : كما يحيى الأب الموتى وقيمهم كذلك يحيى الابن من واقفه ، وما يحكم الأب على أحد لأنه برىء^(٢١٩) بالحكم إلى سليله^(٢٢٠).

(٢١٦) الذى جاء فى إنجيل يوحنا : وحدثت مباحثه من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهر ، فقال لهم يوحنا ضمن كلام كثير يشهد فيه للمسيح يقول : « الأب يحب الابن ، وقد دفع كل شئ فى يده » (الإصحاح الثالث / ٢٥ - ٣٦) .

(٢١٧) فى (أ ، ب) . (ليس كان) .
(٢١٨) الذى فى الإنجيل الحالى : « أنه أبرأ مريضاً يوم سبت : « ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه ، لأنه عمل هذا فى سبت ، فأجابهم يسوع : أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل ، فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً : إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله » (الإصحاح ٥ / ١٦ - ١٨) .

(٢١٩) فى (أ ، ب) : (يرد) .
(٢٢٠) والنص كما جاء فى الإنجيل الحالى : « لأنه كما الأب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء ، لأن الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (الإصحاح ٥ / ٢١ - ٢٢) .

قال أبو محمد : هذه الطامة أنست كل طامة سلفت - ولا حول ولا قوة إلا بالله - كيف ينطق لسان أحد بهذا الكفر الفاحش الفظيع من أن الله تعالى قد اعتزل الحكم فلا يحكم على أحد لأنه برىء بالحكم وبجميع الأشياء إلى ولده - حاشا لله من هذا - إنما عهدنا هذا من فعل الملوك إذا شاخوا ، وضعفوا ، وأرادوا الانفراد براحتهم^(٢٢١) ، ولذاتهم ، وترتيب الأمر لأولادهم لئلا ينازعهم الأمر^(٢٢٢) بعدهم غيرهم . فحيثئذ يسلمون الأمر إليهم في الظاهر . وأما في باطن^(٢٢٣) الأمر فلا . هذا كفر ، ما قدرونا أحدًا ينطق به لسانه حتى سمعناه من قبل هذا الكافر يوحنا - لعنه الله - والحمد لله رب العالمين^(٢٢٤) .

* * *

(٢٢١) في (أ ، ب) : (لراحتهم) .

(٢٢٢) في (خ) : (الأمراء) .

(٢٢٣) في (أ ، ب) : (في الباطن) .

(٢٢٤) في (أ ، ب) : والحمد لله على عظيم نعمته علينا كثيرًا .

« فصل »

وبعد بيسير في الباب الخامس من إنجيل يوحنا : أن المسيح قال : « فكما احتوى الأب الحياة في ذاته ، كذلك ملك ولده الاحتواء على الحياة في ذاته ، وأعطاه سلطاناً ، وملكه الحكومة والسلطان والحياة ، كما هي للأب لأنه ابن الإنسان^(٢٢٥) » .

قال أبو محمد : فهل سمع قط بأسخف من هذه العلة^(٢٢٦) إذ أخبر أن من أجل أن المسيح هو ابن الإنسان ، ساواه الله بنفسه ، وهذا كله يوجب أنه غير الله ، ولابد ، لأن المُنْعَطَى المملوك هو غير المُنْعَطَى ، بلا شك .

(٢٢٥) النص الخالي : « لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته ، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً ، لأنه ابن الإنسان » (الإصحاح ٥ / ٢٦ - ٢٨) .
(٢٢٦) في (أ ، ب) : (المقالة) .

« فصل »

وبعدہ بیسیر فی الباب نفسه : أن المسيح قال : « ولا أقوى أن أفعل من ذاتي شيئاً ، لكن أحكم بما أسمع ، وحكمي عدل ؛ لأني لست أنفذ إرادتي إلاّ أرادة أبي الذي بعثني ، فإن كنت أشهد لنفسي فإنّ شهادتي غير مقبولة ، ولكن غيري يشهد لي^(٢٢٧) .

* * *

وفي الباب السادس من إنجيل يوحنا أيضاً أن المسيح قال : إنما نزلت من السماء لأتم إرادة أبي الذي بعثني ، لا إرادتي^(٢٢٨) .

* * *

وفي الباب السابع من إنجيل يوحنا أنه قال المسيح : « ليس علمي لي لكن للذي بعثني^(٢٢٩) .

(٢٢٧) النص الحالي : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً ، كما أسمع أدين ، ودينونتي عادلة ، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني ، إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً ، الذي يشهد لي هو آخر » (إنجيل يوحنا - الإصحاح ٥ / ٣٠ - ٣٢) .
(٢٢٨) النص الحالي : « لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني » (الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا : ٣٨ - ٣٩) .

(٢٢٩) النص الحالي : « ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلم ، فتعجب اليهود قائلين : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ، أجابهم يسوع وقال : تعلّمي ليس لي بل للذي أرسلني » (الإصحاح السابع من إنجيل يوحنا : ١٤ - ١٧) .

وفي الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا أيضاً : « أن المسيح قال لهم : لو أحببتمونى لفرحتم بمسيرى إلى الآب ، لأن الآب أكبر منى »^(٢٣٠).

قال أبو محمد : فهل فى العبودية والتذلل بالحق لله تعالى أكثر من هذا ؟ وكيف يجتمع هذا الكلام مع الذى قبله بأسطار من أنه مساو لله ، وأن الله لا يحكم بعد على أحد ، لكن تبرأ بالحكم كله إلى ولده ، أما فى هذه المناقضات السخيفة عبرة لمن اعتبر !؟ ثم عجب آخر قوله هاهنا : « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير مقبولة » . ثم قال فى آخر الباب السابع من إنجيل يوحنا : « إن كنت شهدت لنفسى فشهادتى حق » فاعجبوا لهذا الاختلاط .

وهكذا ذكر فى الباب السادس من إنجيل يوحنا : أن جماعة من تلاميذه لما سمعوا هذه الأقوال المختلطة ارتدوا وفارقوه ، كما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

* * *

(٢٣٠) النص الحالى : « لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب ، لأن أبى أعظم منى » (إنجيل يوحنا - الإصحاح ١٤ / ٣٨) .

من معجزات المسيح عليه السلام

« فصل »

وفي الباب السادس من إنجيل يوحنا : أنه لما أطمع الخمسة آلاف من خمس خبزات وحتوتين فضل من سبعهم إثنتا عشرة سلة من خبز . قالت الجماعة هذا النبي حقاً^(٢٣١) . فياللعجب : هلاً قالوا فيه مثل هذا القول ولو مرة واحدة .

* * *

(٢٣١) النص كما جاء في إنجيل يوحنا الحالى : « وكان الفصح عيد اليهود قريباً فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعاً كثيراً مقبل إليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء ؟ ... قال له أندراوس أخو سيمان بطرس : هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان .. فأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا الناس (وكانوا نحو خمسة آلاف) وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا ، فلما شبعوا ، قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء ، فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير .. فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتى إلى العالم » (الإصحاح ٦ / ٤ - ١٥) .

« فصل »

ثم ذكر في الباب السادس^(٢٣٢) المذكور أنه أتى بكلام كثير لا يعقل من جملة أنه قال لهم : « آمين أقول لكم لكن لم تأكلوا لحم ابن الإنسان ، وتشربوا دمه لن^(٢٣٣) تنالوا الحياة الدائمة فيكم ، فمن أكل لحمي وشرب دمي ينال الحياة الدائمة ، وأنا أقيم يوم القيامة ، فلحمي هو طعام صادق ، ودمي شراب صادق ، فمن أكل لحمي وشرب دمي كان فيّ وكنت فيه » .

ثم ذكر يوحنا أنه قال جماعة من التلاميذ : هذا الكلام شاق ، ومن أجل ذلك ارتدّ جماعة من التلاميذ ، وذهبوا عنه^(٢٣٤) .

* * *

قال أبو محمد : وهذا الكلام وسواس صحيح لا يقوله إلا مختلط ، وقد أعاد الله نبيه منه .

(٢٣٢) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (الباب) .

(٢٣٣) في (خ) : (لا تنالوا) .

(٢٣٤) النص كما جاء في انجيل يوحنا الحالي : « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطي هو جسد الذى أبذله من أجل حياة العالم . فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل ؟ فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان ، وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيم في اليوم الأخير ... من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى وراء ، ولم يعودوا يمشون » (الإصحاح ٦ / ٤١

« فصل »

وفي الباب السابع من يوحنا : أن إخوة^(٢٣٥) يسوع قالوا : اذهب إلى بلد يهوذا ، واخرج من هاهنا لتعاين تلاميذك عجائبك التي تطلع ، فليس يختفى أحد بفعل يريد أن يطلع عليه ، فإذا كنت تريد هذا فأطلع على نفسك أهل الدنيا ، وكان إخوته لا يؤمنون به^(٢٣٦).

* * *

قال أبو محمد : ففي هذا أنه كان يختفى بمعجزاته ، وهذا^(٢٣٧) كما نرى .

* * *

(٢٣٥) و (خ) : (أن أخاه .. قال) .
(٢٣٦) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) . والنصر كما جاء في الإنجيل يوحنا الحالى : « وكان عيد اليهود عيداً مظالاً قريباً ، فقال له إخوته : انتقل من هنا ، واذهب إلى اليهودية لكي يرى تلاميذك أيضاً أعمالك التي تعمل ، لأنه ليس أحد يعمل شيئاً في الخفاء وهو يريد أن يكون علانية ، إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم ، لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به » . (الإصحاح ٧ / ٦٠٣) .
(٢٣٧) في (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هذا) .

« فصل »

وفى هذا الباب السابع من إنجيل يوحنا : أنه أتى إلى المسيح بامرأة قد زنت ، فلم يوجب عليها شيئاً ، وأطلقها^(٢٣٨).

* * *

قال أبو محمد : وهو^(٢٣٩) على خلاف هذا فقد زوروا المسيح ، وجوّروه ، أو فليشهدوا على أنفسهم بالجور والظلم .

* * *

(٢٣٨) النص كما جاء فى إنجيل يوحنا الحالى : « وقَدِمَ إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى زنا ، ولما أقاموها فى الوسط قالوا له يا معلم : هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل ، وموسى أوصانا فى التاموس أن مثل هذه ترحم فماذا تقول أنت ؟ ... فقال : من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر .. فخرجوا وبقي يسوع .. فقال لها يا امرأة .. أما دانك أحد ، فقالت لا أحد يا سيد ، فقال لها يسوع : ولا أنا أدنك اذهبي ولا تخطيء أيضاً » (الإصحاح ٨ / ٣ - ١٢) .

(٢٣٩) فى (أ ، ب) : (وهم) .

« فصل »

وفي آخر الباب السابع من إنجيل يوحنا أن المسيح قال : « أنا لا أحكم على أحد ، وإن حكمت فحكمي عدل ، لأني لست وحيداً لكني أنا وأبي الذي بعثني . وفي^(٢٤١) توراتكم : أن شهادة رجلين مقبولة ، وأنا^(٢٤٢) أؤدي الشهادة عن نفسي ، ويشهد لي الذي بعثني^(٢٤٣) » .

* * *

قال أبو محمد : ليت شعري !! كيف يجتمع هذا الفصل مع الذي أوردنا في الباب الثالث من إنجيل يوحنا أيضاً .. ؟ من أن الله تعالى لا يحكم بعد علي أحد لأنه قد برىء بالحكم كله إلى ولده المسيح » .

* * *

(٢٤٠) في (أ ، ب) : (وقيل في توراتكم) .

(٢٤١) في (أ ، ب) : (فإني) .

(٢٤٢) النص كما جاء في إنجيل يوحنا الحاملي الإصحاح الثامن لا السابع : « أما أنا فلمست أدين أحداً ، وإن كنت أنا أدين فدينوتي حق ، لأني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني ، وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق ، أنا هو الشاهد ويشهد لي الآب الذي أرسلني » (الفقرات : ١٦ - ١٩) .

إثبات أن المسيح رسولا نبياً

« فصل »

وفي الباب الثامن من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم : أنا رجل أدت إليكم الحق الذي سمعته عن الله^(٢٤٣).

فهذا إقراره بأنه رجل يؤدي ما سمع فقط . مع استشهادهم في الباب الثاني عشر من إنجيل « متى^(٢٤٤) » بقول أشيعا النبي في المسيح : إن الله تعالى قال فيه : هذا غلامى المصطفى ، وحببى الذى تخيرت » ، فصح أنه نبي من الأنبياء ، وعبد الله^(٢٤٥).

❖ ❖ ❖

(٢٤٣) النص كما في انجيل يوحنا الحالى : « وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله » (الإصحاح ٨ / ٤٠) .

(٢٤٤) في (خ) : (متى الذى يقول) .

(٢٤٥) في (خ) : (وعبد الله) . والنص كما في انجيل متى الحالى : « لكى يتم ما قيل بأشيعاء النبى القائل : هو ذا فتى الذى اخترته ،

حببى الذى سرت به نفسى » (اصحاح ١٢ / ١٧ ، ١٨) .

ادعاء النصارى أن المسيح هو الإله

« فصل »

وفي الباب التاسع من إنجيل يوحنا ، أن اليهود قالوا للمسيح : لسنا نرجعك^(٢٤٦) لعمل صالح إلا للشتيمة ، ولا دُعائك الربوبية ، وأنت إنسان .

فقال لهم المسيح : أما قد كنت^(٢٤٧) في كتابكم الزبور حيث يقول : أنا^(٢٤٨) قلت : أنتم آلهة ، وبنو العلى كلكم ، فإن كان اسمي^(٢٤٩) : الله الذى كلمهم آلهة - ولا سبيل إلى تحريف الكتاب ولا تبديله - فلم تقولون : فيمن بارك الله عليم ، وبعثه إلى الدنيا إنه شتم . إذا قلت إلى ابن الله ، إن كنت لا أفعل أفعال أبى فلا تصدقونى ، إلى قوله : لتعلموا أبى الآب^(٢٥٠) ، والآب منى^(٢٥١) .

وفي الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا : أن فيلثش^(٢٥٢) الحواري قال للمسيح : يا سيدنا أرنا الأب ، ويكفيننا . فقال له المسيح : طول هذا الزمان كنت فيكم^(٢٥٣) ولا تعرفونى^(٢٥٤) ، من رآنى

(٢٤٦) فى (خ) : (لسنا نرجيك) وهذا تحريف .

(٢٤٧) فى (أ ، ب) : (قد كتب) .

(٢٤٨) فى (أ ، ب) : (أما قلت) .

(٢٤٩) فى (أ ، ب) : (سَمَى) .

(٢٥٠) فى (أ ، ب) : (أبى فى الآب) .

(٢٥١) النص الحالى : « أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجعك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف ، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها ، أحاهم يسوع : أليس مكتوباً فى ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة ، إن قالت آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ، ولا يمكن أن ينقض المكتوب ، فالذى قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له : إنك تجدف لأنى قلت إلى ابن الله ، إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فأمسوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه » (الإصحاح ١٠ / ٣١ - ٣٨) .

(٢٥٢) هكذا جاء فى الأصل . وهو كما جاء فى الأناجيل المختلفة (فيلبس) بالباء والسين .

(٢٥٣) فى (أ ، ب) : (كنت معكم) .

(٢٥٤) فى (أ ، ب) : (بزيادة) (يابلس) .

فقد رأى الأب ، فكيف تقول أنت : أرنا الأب ؟ أليس تؤمن أنّي أنا في الآب ، وأن الأب هو فيّ^(٢٥٥)؟ فكيف هذا ..؟! مع قول يوحنا الذي ذكرنا في أول إنجيله أن الآب لم يره أحد قط .

* * *

(٢٥٥) النص كما في انجيل يوحنا الحالى ، الإصحاح الرابع عشر لا الحادى عشر : « قال له فيلبس يا سيد أرنا الآب وكفانا ، قال له يسوع أنا معكم زماناً هذه المدة ولم تعرفنى يا فيلبس ، الذى رأى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت : أرنا الآب ، أليس تؤمن أنّي أنا في الآب والآب فيّ . الكلام الذى أكلّمكم به لست أتكلّم به من نفسى لكن الآب الحالى فىّ هو يعمل الأعمال ، صدّقونى أنّي في الآب والآب فيّ » (الإصحاح ١٤ / ٨ - ١١) .

« فصل »

وفى الباب الحادى عشر من إنجيل يوحنا المذكور أن المسيح قال لتلاميذه : أنا فى أبى وأنتم فىّ ، وأنا فىكم .

قال أبو محمد : إذا كان هو الأب ، والأب فيه ، وهو فى التلاميذ ، والتلاميذ فيه فالأب فى التلاميذ ، والتلاميذ فى الأب ضرورة . فأىّ مزية له عليهم ، وهل هو وهم إلا سواء فى كونه وكونهم فى الله ، وكون الله فيهم وفيه ؟

ثم هذا الكلام لا يعقل ولا يفهم منه إلا الاستخفاف والكفر فقط ، لأنه إذا كان فيهم بذاته فقد صاروا له مكائناً ، وصار تعالى محدوداً ، وهذه صفة المحدث ، فإن كان فيهم بتدبيره فهكذا يدبر فى كل حى وميت ، وكل جماد ، وكل عرض . ولا فرق . ولا فضيلة فى هذا أصلاً إلا الضلال (٢٥٦).

« فصل »

وفى الباب الثانى عشر من إنجيل يوحنا أن المسيح قال لهم : لست أسمىكم بعد عبيداً لأن العبد لا يدرى ما يصنع سيده ، وقد سميتكم إخواناً^(٢٥٧).

وفى آخر الباب المذكور أن المسيح قال : أنا من الله خرجت ، ومن الأب انبعثت^(٢٥٨).

ففى أحد هذين الفصلين : أن التلاميذ قد عتقوا من عبودية البارى عز وجل ، وأنهم إخوانه ، وهو خرج من الله ، ومنه انبثق . فهم كذلك أيضاً فأىّ مزية له عليهم ؟ مع سخف هذا الكلام ، وأنه لا يدرى لهذا الانبثاق معنى أصلاً ، والانبثاق لا يكون إلا من الأجسام ضرورة .

* * *

(٢٥٧) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى : « لا أعود أسمىكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده ، لكنى قد سميتكم أحبباء » (الإصحاح ١٥ / ١٥ ، ١٦) .

(٢٥٨) النص الحالى : « إني من عند الله خرجت ، خرجت من عند الآب ، وقد أتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب » (انجيل يوحنا - الإصحاح ١٦ / ٢٧ ، ٢٨) .

ادعاء النصارى أن المسيح يشرف الله « فصل »

وفى الباب الثالث عشر من إنجيل يوحنا فى أوله : أن المسيح قال رافعاً عينيه إلى السماء :
« يا أبتاه قد آن الوقت فشرف ولدك لكيما يشرفك ولدك^(٢٥٩) » .
وبعده بيسير : أن المسيح قال لله : أنا شرفتك على الأرض^(٢٦٠) .

قال أبو محمد : هذه مصيبة الدهر لم يقنعوا للمسيح بنبوة الله حتى وصفوه بمساواته لله تعالى ، ثم لم يقنعوا بمساواته لله حتى قالوا : إن الله تعالى قد انعزل له عن الحكم ، وليس يحكم على أحد ، وأنه قد برىء بالملك والحكم كله إلى المسيح ، ثم لم يقنعوا له بالعزلة والخمول حتى جعلوا المسيح يشرف الله تعالى .

يا للناس !! هل سمعتم بأعظم من هذا الكفر ؟ ، والله والله قطعاً ما قال هذا الكلام قط مؤمن بالله تعالى أصلاً ، وما كانوا إلا دهرية مستخفين رعاء ، فعليهم أضعاف كل لعنة لعنها الله تعالى^(٢٦١) سواهم من الكفرة .

(٢٥٩) النص كما فى انجيل يوحنا الحالى : « مجد ابنك بيمجدك ابنك أيضاً » (الإصحاح ١٧ / ١ ، ٢) .

(٢٦٠) وبعدة بيسير قال : « أنا مجدتك على الأرض » (الإصحاح ١٧ / ٤) .

(٢٦١) فى (أ ، ب) : (من سواهم) .

قال أبو محمد : في إنجيل يوحنا : « أن المسيح قال : أنا أميت نفسي ، وأنا أحييها » ، فليت شعري !! كيف يمكن أن يحيى نفسه وهو ميت ؟.

* * *

قال أبو محمد : فهذه سبعون فصلاً في أناجيلهم من كذب بحت ، ومناقضة لا حيلة فيها . ومنها فصول يجمع الفصل منها ثلاث كذبات فأقل أو أكثر ، على قلة مقدار أناجيلهم ، وجملة أمرهم في المسيح - عليه السلام - أنه مرة بنص أناجيلهم : ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف ، وابن داود ، وابن الإنسان ، ومرة هو إله يخلق ويرزق ، ومرة هو : خروف الله ، ومرة هو في الله ، والله فيه ، ومرة هو في تلاميذه ، وهم^(٢٦٢) فيه ، ومرة : هو : علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد ، ولا تنفذ إرادته ، ومرة هو : نبي وغلّام . ومرة أسلمه الله إلى أعدائه . ومرة قد انعزل الله له عن الملك ، وتولّاه هو ، وصار يشرف الله تعالى ، ويعطى مفاتيح السماوات ، ومرة يولى أصحابه خطة التحريم والتحليل في السماوات والأرض . ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ، ويعطش ويشرب ، ويعرق من الخوف ، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تينا يأكله ، ويفشل فيركب حمارة ، ويؤخذ ويلطم وجهه ، ويضرب رأسه بالقصبة ، ويرزق^(٢٦٣) في وجهه ، ويضرب ظهره بالسياط ، وتقر به^(٢٦٤) الشرط ، ويتكلمون به ، ويسقى الخل في الحنظل ، ويصلب بين سارقين ، وتسمر يداه ، ومات في الساقة^(٢٦٥) ودفن ثم يحيا بعد الموت ، ولم يكن له هم إذا حيا بعد الموت واجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه^(٢٦٦) الحوت المشوى ، وسقوه العسل ، ثم انطلق إلى شغله .

هذا كله نص أناجيلهم ، وهم قد اقتصروا في دينهم من كل هذا^(٢٦٧) على أنه إله معبود فقط ، وهم يأنفون^(٢٦٨) من إله مع الله . وأناجيلهم وأمانتهم توجب أن المسيح إله آخر غير الله ، بل يقعد عن يمين الله ، وأنه أكبر منه ، وهو يخلق كما يخلق ، ويحيى كما يحيى ، فبالضرورة توجب أنهم قائلون بإلهين ولابد متغايرين .

(٢٦٢) في (أ ، ب) : (وتلاميذه فيه) .
 (٢٦٣) في (أ ، ب) : (ويرزق) وهو تحريف
 (٢٦٤) في (أ ، ب) : (يميته الشرط) . وهو تحريف .
 (٢٦٥) في (أ ، ب) : (الساعة) .
 (٢٦٦) في (أ ، ب) : (الحنز والحوت) .
 (٢٦٧) في (أ ، ب) : (من هذا كله) .
 (٢٦٨) في (أ ، ب) : (ينفون) .
 (٢٦٩) في (أ ، ب) : (من الخذلان) .

« ذكر بعض ما في كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس »

قال أبو محمد : قال يوحنا بن سبداى فى إحدى رسائله الثلاث : يا أحبائى : نحن الآن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ما نحن كائنون ، وقد نعلم أنه إذا ظهر سنكون أمثالاً له ؛ لأننا نراه كما هو^(١).

قال أبو محمد : أفى الكفر أعظم من قول^(٢) هذا الكذاب ؟ إنهم أولاد الله ، وإنهم سيكونون مثل الله إذا ظهر وقال^(٣) اللعين فى كتاب الوحي والإعلان : « إنه رأى الله عز وجل شيخاً أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون^(٤) ، والمسيح يقرأ بين يديه فى كتاب من ذهب والملائكة يقولون : هذا خروف الرب^(٥) ، والأسواق قائمة بين يديه ، القمح كذا وكذا قفيزاً بدينار ، الشعير كذا وكذا قفيزاً بدينار^(٦) ، الخمر كذا وكذا قسطاً بدينار ، والزيت كذا وكذا قسطاً بدينار . فهل هذا إلا هزل وعيارة ، وتماجن وتطايب .

(١) النص كما جاء فى رسالة يوحنا الرسول الحالية : « انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله ، من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه ، أيها الأبناء الآن نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون ؟ ولكن نعلم أنه إذا أظهر تكون مثله لأننا سنراه كما هو » (الإصحاح ٣ / ١ - ٣) .

(٢) فى (أ ، ب) : (من كفر)

(٣) فى (أ ، ب) : (هذا اللعين) .

(٤) اللبائط ككتاب : الكليس والجص .

(٥) النص كما جاء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى : « .. ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب ، وفى وسط السبع منابر شبه ابن إنسان متسربلاً بثوب إلى الرجلين ، ومتنطقاً عند ثديه بمنطقة من ذهب ، أما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون ، وصوته كصوت مياه كثيرة ، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب وسيف ماض ذو حدين فلما رأيته سقطت عند رجله كميت فوضع يده اليمنى على قائلاً لى لا تخف أنا هو الأول والآخر (الإصحاح الأول / ١٢ - ١٨) .

(٦) فى (أ ، ب) : سقط قوله : (والشعير كذا وكذا قفيز بدينار) .

وقال شمعون في إحدى رسالتيه^(٧): «يومئذ يأتي الرب كمجىء اللص^(٨)»، فلعمري!! لقد شبه ربه تشبيهاً هو أولى به، ولا معونة على هذين الكلبين، وعلى يهوذا ويعقوب اللعينين في رسائلهم الفارغة من كل خير، الباردة المملوءة من كل كفر وهوس أن يقولوا: «قال الله والد ربنا المسيح، وفعل الله والد سيدنا المسيح^(٩)»، كأنهم والله إنما يخبرون عن نسب من الأنساب، وولادة من الولادات.

وقال بولس اللعين في إحدى رسائله - وهي التي إلى أهل غلاذية^(١٠) في الباب السادس منها: «نشهد لكل إنسان يختتن أنه يلزمه أن يحفظ شرائع التوراة^(١١)». وقال أيضاً قبل ذلك: «إن اختتنتم فإن المسيح لا ينفعكم».

فاعجبوا لهذه، واعلموا أنه قد ألزمهم دينين، أما من كان مختوناً فإن شرائع التوراة كلها تلزمه ولا ينفعه المسيح. وأما من كان غير مختون فالمسيح ينفعه ولا تلزمه شرائع التوراة. وهو النذل^(١٢).

وسائر التلاميذ كانوا بإجماع من النصاري مختونين كلهم، فوجب أن المسيح لا ينفعهم، وأن شرائع اليهود في التوراة^(١٣) كلها لهم لازمة، وأكثر من بَيِّن أظهر المسلمين منهم اليوم مختنونون. فإن كان بولس صادقاً فإن المسيح لا ينفعهم وإن شرائع التوراة كلها^(١٤) لازمة لهم. وإن كان كاذباً في ذلك فكيف يأخذون دينهم عن كذاب، ولابد من أحدهما.

وقال أيضاً في إحدى رسائله: «إن يوحنا بن سبداى، ويعقوب بن يوسف النجار، وباطره: أمروه أن يكون هو يدعو إلى ترك الختان، ويكونون هم يدعون إلى الختان».

(٧) في (أ، ب): رسائله.

(٨) النص الحالي كما جاء في رسالة بطرس الرسول الثانية: «ولكن سيأتي كلص في الليل الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محرقة» ففي هذا النص يجعل الفاعل «يوم الرب» لا «الرب»، ويبدو أن هذه الترجمة غير التي اعتمد عليها أبو محمد، لأنه على هذه الترجمة لا مأخذ.. (راجع النص كاملاً في الإصحاح الثالث: ٨ - ١٠).

(٩) راجعنا رسالة يعقوب الحالية، ورسالة يهوذا فلم نجد هذا القول ولا ما يشبهه في المعنى، والذي وجدناه هو قول كل منهما: «قال رسل ربنا يسوع المسيح.. منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح.. وينكرون السيد الوحيد الله.. وربنا يسوع المسيح» (راجع رسالة يهوذا). وقد ورد في رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح» (الإصحاح الأول: ٢). وفي رسالته إلى العبرانيين: «لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك، وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً» (الإصحاح الأول: ٥ - ٧).

(١٠) في (أ، ب): (غلا ربه).

(١١) في (أ، ب): (كلها). والنص الذي ورد في رسالة بولس الحالية: «جميع الذين يريدون أن يعملوا منظرًا حسنًا في الجسد هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لتلايضطهدوا لأجل صلب المسيح فقط، لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم، وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي، وأنا للعالم لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً، ولا القُرلة بل الخليقة الجديدة» (رسالة بولس: الإصحاح السادس / ١١ - ١٧).

(١٢) في (أ، ب): لم تذكر كلمة النذل.

(١٣) في (أ، ب): لم تذكر كلمة (في التوراة).

(١٤) في (أ، ب): (كلهم لهم).

قال أبو محمد : هذا غير طريق التحقيق في الدعاء إلى الدين ، وإنما هي دعوة حيلة وإضلال مبنية لا حقيقة لها .

وقال بولس : إن يعقوب بن يوسف النجار : كان مرائياً يتحفظ من مداخله الأجناس بحضرة اليهود ، وأن بولس واجهه بذلك بأنطاكية وعنفه على ذلك .

أفيجوز أخذ الدين من امرئ مدلس ؟

وقال هذا اللعين بولس أيضاً في إحدى رسائله : « إن يسوع بينما كان في صورة الله لم يغتنم أن يكون مساوياً لله ، بل أذل نفسه ولبس صورة عبد .

* * *

قال أبو محمد : فهل سمع قط بأوحش من هذا الكفر ، أو أحق من هذا الكلام ؟ أو أسخف من هذا الاختيار ؟ وهل يتذلل الإنسان ، ويحمل كلّ بلاء في الدنيا إلا ليصل إلى رضا الله عزّ وجل فقط ؟

فليت شعري !! هل بعد الوصول إلى مساواة الله تعالى عند هؤلاء الأقدار منزلة تُبتَغى فيرفضها المسيح لينال أعلى منها ؟

اللهم قد ذكرنا تلك المنزلة ، وهي التي وصفها يوحنا اللعين في إنجيله : من أن الله تعالى عن كفرهم - اعتزل عن الملك والحكم وتولّاهما المسيح ، وتبرأ إليه بكل شيء . ثم إن المسيح شرفه تعالى عن ذلك - اللهم العن - وقد فعلت^(١٥) - عقولاً يجوز منها هذا الحمق .

* * *

وقال هذا النذل في بعض رسائله : « إنّي كنت أتمنى أن أكون محروماً من المسيح » .

قال أبو محمد : ليت شعري مَنْ ضَغَطه ؟ وما المانع له من أن يكفر بالمسيح فيبلغ مناه ويصير محروماً منه .. ؟ والله إنه لمحروم منه بلا شك .

(١٥) في (أ ، ب) : لم يذكر (وقد فعلت) .

وقال هذا النذل بولس أيضًا في بعض رسائله الخسيسة : اليهود يطلبون الآيات واليونانيون يطلبون الحكمة ، ونحن نشرع أن المسيح صلب .

وهذا القول عند اليهود فتنة الزلق^(١٦)، وعند الأجناس جهل ونقص . وعند المجتبن^(١٧) من اليهود واليونانيين : أن المسيح : علم الله وقدرته ، لأن ما كان جهلاً عند الله هو أحكم ما يكون عند الناس ، وما هو ضعيف عند الله هو أقوى ما يكون عند الناس .

* * *

قال أبو محمد : فهل في بيان قحة هذا النذل وسخريته بمن^(١٨) اتبعه ، وتحقيق ما تدعيه اليهود : أن أسلافهم دسّوا هذا النذل^(١٩) بولس لإضلال أتباع المسيح عليه السلام – أكثر من هذا الكلام^(٢٠) في إبطاله الآيات والحكم ؟!

إن أحكم ما يكون عند الناس هو الجهل عند الله فمحصول كلامه^(٢١) : اتركوا العقل وموجبه ، واطلبوا الحق وتدينوا به . نعوذ بالله مما ابتلاهم به .

* * *

وقال بولس أيضًا في بعض رسائله : إنه لا تبقى دعوة كاذبة في الدين أكثر من ثلاثين سنة .

* * *

قال أبو محمد : هو عندهم – لعنه الله – أصدق من موسى بن عمران^(٢٢) عليه السلام فإن كان صدق^(٢٣) هاهنا فما يحتاج معهم إلى برهان في صحة دين الإسلام ، ونبوة محمد

(١٦) في (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (الزلق) . والزلق محركة ككتف ونحم والفعل زلّق كفرح ونصر ذلّ .

(١٧) في (أ ، ب) : (المجتبن) .

(١٨) في (أ ، ب) : (لمن) .

(١٩) في (أ ، ب) : (الزذل) .

(٢٠) في (أ ، ب) : (القول) .

(٢١) في (أ ، ب) : (هذا الكلام) .

(٢٢) في (خ) : لا توجد كلمة (ابن عمران) .

(٢٣) في (أ ، ب) : (صادقا) .

— ﷺ — سوى هذا ، فإن لهذه الدعوة أربعمئة عام ونيفا وخمسين عامًا ظاهرة ، والحمد لله رب العالمين ، فيلزمهم أن يرجعوا إلى الحمق ، أو يكذبوا بولس بشيرهم .

* * *

وقال بعض من يعظمونه من أسلافهم ، وهو يوحنا فم الذهب ، بطريرك القسطنطينية ، في كتاب له معروف عندهم : إن الشجرة التي أكل منها آدم ، وبسببها أخرج من الجنة كانت شجرة تين ، وإن الله أنزل تلك الشجرة بعينها إلى الأرض ، وهي التي دعا المسيح عليها فيبست ، إذ طلب فيها تينًا يأكله فلم يجد ، وهي نفسها الخشبة التي صلب عليها قال : وبرهان ذلك أنك لا تجد غارًا إلا وعلى فمه شجرة تين نابثة .

فاعجبوا لهذا الهزل والعيارة والمجون ، والبرهان البديع . واعلموا أنهم بأجمعهم متفقون على أن يصوروا في كنائسهم صورة يقولون : هي صورة الباري عز وجل ، وأخرى صورة المسيح ، وأخرى صورة مريم ، وصورة باطرة ، وصورة بولس ، والصليب ، وصورة جبريل ، وصورة ميكايل ، وصورة إسرافيل ، ثم يسجدون للصور سجود عبادة ، ويصومون لها تدينًا . وهذا هو عبادة الأوثان بلا شك والشرك المحض ، وهم ينكرون عبادة الأوثان ثم يعيدونها علانية ، وحجتهم في هذا حجة عباد الأوثان^(٢٤) أنفسهم^(٢٥) ، وهي أنهم يتقربون بذلك إلى أصحاب تلك الصور ، لا إلى الصور بأعيانها . واعلموا أنهم لم يزالوا بعد المسيح بأزيد من مائة عام يصومون في شهر كانون الآخر إثر عيد الحجيح ، أربعين يومًا متصلة ثم يفطرون ثم يعيدون الفصح مع اليهود اقتداءً بالمسيح ، إلى أن أبطل ذلك عليهم خمسة من البطارقة اجتمعوا^(٢٦) على ذلك ونقلوا صيامهم وفصحهم إلى ما هم عليه اليوم ، فكيف ترون هذا الدين .. ؟ ولعب أهله به ، وحكمهم بأن ما مضى عليه المسيح والحواريون ضلال وكفر .. ؟ ولا يختلفون أصلًا في أن شرائعهم كلها إنما هي من عمل أساقفتهم وملوكهم علانية . فهل تطيب نفس من به مسكة عقل على أن يبقى ساعة على دين هذه صفته ؟ فكيف يلقي الله على دين يُقرّ بلسانه ويعلم بقلبه أنه ليس من عند الله تعالى ، ولا مما أتى به نبي ، ونعوذ بالله من الضلال^(٢٧) .

(٢٤) في (أ ، ب) : لا توجد كلمة (الأوثان) والعبارة هكذا : « غياة نفسا » .

(٢٥) في الأصل (نفسها) .

(٢٦) في (أ ، ب) : (أجمعوا) .

(٢٧) في (أ ، ب) : (الخذلان) .

ومن عظيم هوسهم قولهم كلهم : إن المسيح أتى ليأخذ بجراحة آلامنا وبكلومه ذنوبنا ، وهذا كلام في غاية السخف !! ليت شعري أى ألم أخذ بجراحه^(٢٨) أم كيف تؤخذ ذنوب الناس بكلوم المسيح ؟! وما نراهم إلا يألمون ويذنبون كما يألم غيرهم ولا فرق .

ومن فضائحهم دعواهم أن إهلاى^(٢٩) والددة قسطنطين^(٣٠) أول من تنصر من ملوك الروم ، وذلك بعد أزيد من ثلاثمائة سنة من رفع المسيح ، وجدت الخشبة التى صلب فيها المسيح والشوك الذى جعل على رأسه ، والدم الذى طار من جنبه ، والمسامير التى ضربت فى يديه^(٣١) . فليت شعري أين وجد^(٣٢) هذا السخام كله .. ؟ وأهل ذلك العين كلهم مطرودون مقتولون حيث وجدوا ، والمدينة خربة^(٣٣) أزيد من مائتى عام لا أنيس فيها^(٣٤) ، ثم من لهم بأنها تلك .. ؟ وأين بقى^(٣٥) أثر الدم والمسامير والشوك والخشبة تلك المدة العظيمة ، فى البلاد الخالية المقفرة ؟ ولا شك فى أنه إذ صُلب - كما يقولون - كان أصحابه محتفين وأعداؤه لا يلتفتون إلى أمره ، أياكون فى السخف أعظم من هذا ؟! وما عقولهم إلا عقول من يصدق بالأغرقون^(٣٦) ، والعنقاء^(٣٧) ، وكل ما لا يمكن .

واعلموا أن كل ما يدعونه لباطرة ويوحنا ومارقش وبولش من المعجزات فإنها أكذوبات موضوعة ، لأن هؤلاء الأربعة لم يكونوا قط^(٣٨) مذ^(٣٩) رفع المسيح عليه السلام ، ومذ تنصر بولش إلا مطلوبين ، مشردين ، مضروبين ، كالزنادقة مستترين .

وقد ذكر بولش عن نفسه أن اليهود ضربوه^(٤٠) خمس مرات بالقضبان ، كل مرة تسعاً وثلاثين

(٢٨) فى (أ ، ب) : (بجراحته) .

(٢٩) فى (أ ، ب) : (هيلال) . وهيلانه : هى أم قسطنطين خبرها فى الكامل لابن الأثير ١ ص ١٨٩ ، وهى التى بنت كنيسة القيامة .

(٣٠) وقيل فى سبب تنصر قسطنطين أنه كان قد كبر وساء خلقه وظهر به وضوح كبير فأرادت الروم حله من الملك فشاور نصحاء فأشاروا عليه أن يحتال بالدين ، وكانت النصرانية قد ظهرت خفية ، فقالوا له استمهلهم حتى تزور بيت المقدس فإذا رزته دخلت فى دين النصرانية ، وحملت الناس عليه فتقاتل من عصاك بمن أطاعك ، وما قاتل قوم على دين إلا نصرنا ، ففعل ذلك ، وقاتل من خالفه وانتصر عليهم فقتلهم وأحرق كتبهم وحكمتهم ، وبنى القسطنطينية ونقل الناس إليها ، وبقي ملكه وغلب على الشام . (الكامل لابن الأثير ص ١٨٩ الجزء الأول) .

(٣١) فى (أ ، ب) : (يده) .

(٣٢) فى (أ ، ب) : (وجدوا) .

(٣٣) فى (أ ، ب) : (خالية) . ويقصد مدينة (بيت المقدس) وهى التى عثرت فيها على الخشبة كما زعموا .

(٣٤) فى (أ ، ب) : (بها) .

(٣٥) فى (أ ، ب) : (يقى) .

(٣٦) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (الأغرقون) ، الذى جاء فى القاموس المحيط (أغاريقون) وهو أصل نبات أو شئ يتكون فى الأشجار المسوسة ترياق للسموم ، صالح للنساء والمفاصل ومن علّق عليه لا يلمسه عقرب (قاموس - غرق) .

(٣٧) العنقاء : الداهية ، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم (محيط - عنق) .

(٣٨) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (قط) .

(٣٩) فى (أ ، ب) : (من) .

(٤٠) فى (خ) : « زيادة كلمة (الملكوت) بعد ضربه » .

جلدة ، وأنه رجم بالحجارة في جمع عظيم ، وتدلّى من سور دمشق في قفة خوف القتل ، ومع ذلك تظاهروا^(٤١) بدين اليهود إلى أن صلبوا أو قتلوا إلى لعنة الله ، ولا يجوز أن تصحَّ معجزة إلا بنقل كافة من مثلها ، ممن شاهد ذلك ظاهراً ولكن دعوى النصارى ذلك^(٤٢) لمن ذكرنا أو لغيرهم ، من أسلافهم معجزة كدعوى المُنَانِيَّة^(٤٣) لما في سواء بسواء ، فإنه لم يزل مستتراً إلا شهوراً يسيره .. إذ اختدعه « بهرام بن بهرام الملك »^(٤٤) ، حتى ظفر به وبأصحابه فقتلهم كلهم . وكدعوى اليهود لأخبارهم السالفين ، ولرؤوس المُنَانِيَّة^(٤٥) المعجزات بالصناعات ، وكدعوى أصحاب الحلاج^(٤٦) للحلاج ، وكدعوى طوائف من المسلمين مثل ذلك من المعجزات لشيبان الراعي ، ولإبراهيم ابن أدهم ، ولأبي مسلم الخولاني ولعبد الله^(٤٧) بن المبارك .. رحمة الله عليهم وعلى غيرهم من الصالحين ، وكل ذلك كذب وتوليد من لا خير فيهم ، وإحالة على أشياء مغيبة لا يعجز عن ادعاء مثلها أحد ، وكل طائفة ممن ذكرنا تعارض دعواها بدعوى سائر الطوائف ، ولا سبيل إلى الفرق بين شيء من هذه الدعاوى .

وقد قلنا لا يمكن ألبتة وجود معجزة إلا لنبي فقط ، ثم لا تصلح إلا بنقل بقطع العذر ، ويوجب العلم للكافر والمؤمن ، إلا من كابر حسّه وغالط نفسه ، وقال هذا سحر فقط ، وكذلك ما أغتر به كثير من جهالهم مما رأوا من عظيم اجتهاد رهبانهم ، أصحاب الصوامع

(٤١) في (ح) : « مطاهرين » .

(٤٢) في (ح) : لم تذكر كلمة (ذلك) .

(٤٣) المُنَانِيَّة : تنسب إلى ماني بن فتق بانك بن أبي برزاس من الحسكانية ، واسم أمه مس ويقال (أوتاخيم) أو (مرميم) ، كان أبوه فتق ينزل في المداين في بيت الأصنام الذي يقال له (طيسفون) فلما كان في يوم من الأيام هتف به هاتف : يا فتق لا تأكل لحماً ، ولا تشرب خمرًا ولا تنكح بشرًا ، وكانت امرأته حاملاً بماني ، فلما ولدته زعموا أنها كانت ترى المنامات الحسنة وكانت ترى كأن أحداً يأخذه فيصعد به إلى الجو ثم يريده ، وكان ماني يتكلم على صغر سنه بكلام الحكمة ، فلما تم له اثنتا عشرة سنة أتاه الوحي على زعمه ، وكان الملك الذي جاءه بالوحي يسمى (النوم) ومعناه بالنبطية (القرين) فقال له : اعتزل هذه الملة فليست من أهلها ، وعليك بالنزاهة وترك الشهوات ، ولم يأل لك أن تظهر لحدائنة سنك ، فلما تم له أربع وعشرون سنة أتاه النوم فقال له : قد حال لك أن تخرج فتنادي بأمرك ، فخرج ماني يوم ملك سابور بن أردشير وزعم أنه « الفارقلط » الذي بشر به عيسى عليه السلام ، واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، ثم دعا فيروز أخا سابور بن أردشير فأوصله فيروز إلى أخيه سابور ، فلما رآه أعظمه وكر في عينه . قال ماني : مبدأ العالم كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وكل واحد منهما منفصل من الآخر ، فالنور له حمسة أعضاء : الحلم ، والعلم ، والعقل ، والغيب والفظة وخمسة أخر روحانية وهي : الحب والإيمان والوفاء والمودة والحكمة .

والظلمة له حمسة أعضاء هي : الضباب والحريق والسموم والسم ، والظلمة ، ومن اختلاط هذه العناصر تكوّن الإنسان . وظل على زندقته إلى أن ملك بهرام بن هرمز بن سابور وكان حليماً متأنياً حسن السيرة فقتل ماني الزنديق وسلخه وحشا جلده تبا وعلقه على باب من أبواب « جند يسايور » يسمى باب ماني . (راجع الفهرست للنديم : ص ٣٩١ الفن الأول من المقالة التاسعة ، الكامل لابن الأثير ص ٢٢٧ بتصرف) .

(٤٤) الصحيح أن الذي قتله هو بهرام بن هرمز بن سابور كما جاء في الكامل لابن الأثير ص ٢٢٧ .

(٤٥) في (أ ، ب) : « السبت » .

(٤٦) ورد التعريف به في الجزء الأول .

(٤٧) هو عبد الله بن المبارك بن واضح بالولاء ، التميمي المروزي ، أبو عبد الرحمن الحافظ شيخ الإسلام المحامد التاجر صاحب التصانيف والرحلات . أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومحامداً وتاجراً ، جمع الحديث والفقه والعربية ، وكان من سكان خراسان ، ومات هبت على الفرات مصرفاً من غزو الروم . له كتاب في الجهاد ، وهو أول من صنف فيه . كانت حياته بين ١١٨ - ١٨١ هـ . (الإعلام / ٤ / ٢٥٦) .

والدِّيرات والمطموس^(٤٨) عليهم أبواب البيوت ، فليعلموا أنه ليس عندهم من الاجتهاد في العبادة إلا جزء من أجزاء كثيرة مما عند المنانية ، وشدة اجتهادهم ، والذي عند الصّابئين من ذلك أعظم ، فإنه يبلغ الأمر بهم إلى أن يَخْصِي الواحد نفسه ، ويسمل عيني نفسه ، اجتهداً في العبادة .

والذي عند الهند^(٤٩) أكثر من هذا كله فإنهم لا يزالون يحرقون أنفسهم في النار تقريباً إلى البُدِّ^(٥٠) ولا يزالون يرمون أنفسهم من أعلى الجبال كذلك ، فأين اجتهاد من اجتهاد ؟ وعُبادُ الهند لا يمشون إلا عراة ، ولا يلتبسون من الدنيا بشيء أصلاً ، فأين هذا من هذا لو عقلوا ؟! ولم يرق قط أشد صرعة^(٥١) من جاهل مقلد ، لا سيما إذا اتفق أن يقال^(٥٢) له يا أسود يا ضعيف ، وإن شئت فتأمل أساقفة النصارى وقسيسهم وحثالهم تجدهم جملة^(٥٣) أفسق الخلق ، وأرياهم^(٥٤) ، وأجمعهم للمال ، لا سبيل أن تجد منهم واحداً بخلاف هذا ، وكذلك إن اعتبروا بصبر أوائلهم للقتل على دينهم ، حتى عملوا لهم الشائعات إلى اليوم ، فإن ذلك لا يتحرى^(٥٥) من صبر المنّانية على القتل في الثبات على دينهم ، ومن صبر دعاة القرامطة على القتل أيضاً ، وكل هذا لا يتعلق به إلا جاهل سخيف ، مقلد متهالك ، وإنما الحق فيما أوجبه براهين العقول ، والتي وضعها الله تعالى فينا لتمييز الحق من الباطل ، ونباها عن البهائم فقط ، ثم في الاعتدال والاقتصار على ما جاء به صاحب الشريعة ، التي قام البرهان بصحتها عن الله تعالى ، وجماع ذلك ما جرى عليه أصحاب رسول الله ﷺ في حياته وبعده عليه السلام .

* * *

وقال أبو محمد : وبقي لهما اعتراضان نذكرهما إن شاء الله تعالى :

أحدهما : أن قالوا قال الله عز وجل في كتابكم ، حكاية عن المسيح عليه السلام ، أنه

(٤٨) في (أ ، ب) : (والمطوس) وهو تحريف .

(٤٩) في (أ ، ب) : « الهند » .

(٥٠) البُدِّ : بضم الباء بيت فيه أصنام وتصاوير وهو تعريب كلمة (بُت) بالفارسية . وقال ابن مديد البد : الصنم نفسه الذي يعبد ولا أصل له في اللغة (لسان العرب) .

(٥١) في (أ ، ب) : (جريمة) . والصرعة : القطعة من الليل لأنها تنصرم وقت السحر . والصرعة العزيمة ، وقطع الأمر ، والقطعة من معظم الرمل . (محيط المحيط : للمعلم بطرس البستاني) .

(٥٢) في (أ ، ب) : جاءت العبارة هكذا : « إذا اتفق أن يكون سوداويًا ضعيفًا » وهو تحريف ظاهر .

(٥٣) في (أ ، ب) : (جتا لاقتهم .. جفلة) وهو تحريف ظاهر .

(٥٤) في (أ ، ب) : (وأزناهم) .

(٥٥) في (أ ، ب) : (لا يتجرى) .

قال : « مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ »^(٥٦) .

وقال تعالى أيضاً مخاطباً للمسيح عليه السلام : « إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »^(٥٧) .

قلنا نعم هذا خبر حق ، ووعد صدق ، وإنما أخبر تعالى عن المؤمنين ولم يسمهم ، ولا شك في أن من ثبت عليه الكذب من « باطرة » و « متي » ، و « يوحنا » و « يعقوب » ليسوا منهم لكنهم من الكفار المدعين له الربوبية كذباً وكفراً ، وأما الموعودون بالنصر إلى يوم القيامة ، المؤمنون بالمسيح عليه السلام ، فهم نحن المسلمين المؤمنين به حقاً ونبوته ورسالته ، لا من كفر به وقال إنه كذاب ، أو قال إنه إله أو ابن الله - تعالى الله عن ذلك - .

والثاني : أنهم^(٥٨) قالوا : إن في كتابكم : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا »^(٥٩) . وفيه « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ »^(٦٠) .

فهلا قلتم فيما في التوراة والإنجيل كما تقولون فيما في كتابكم ؟

قلنا بين الأمرين فرق بين^(٦١) كما بين قطبي الفلك ، وذلك أن الذي في القرآن ظاهر لا يحتاج فيه إلى تأويل ، فمعنى « وجاء ربك » « ويأتيهم الله » هو أمر معلوم في اللغة التي بها نزل القرآن ، مشهور فيها تقول : جاء الملك وأتانا الملك ، وإنما أتى جيشه وسطوته وأمره ، فليس فيما تلوتم أمر ينكر ، وليس كذلك ما كتب في توراتكم وأناجيلكم ، من التكاذب والتناقض ، والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : واعترضوا أيضاً بأن قالوا : كيف تحققون نقلكم لكتابكم وأنتم مختلفون أشد خلاف^(٦٢) في قراءتكم له .. ؟ وبعضكم يزيد حروفاً كثيرة وبعضكم يسقطها .. ؟ فهذا باب وأيضاً : فإنكم تروون بأسانيد عندكم في غاية الصحة ، أن طوائف نبيكم عليه السلام ومن تابعهم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم قرءوا القرآن بألفاظ زائدة ومبدلة ، لا تستحلون أنتم القراءة

(٥٦) سورة الصف : ١٤ .

(٥٧) سورة آل عمران : ٥٥ .

(٥٨) في (أ ، ب) : (أن قالوا) .

(٥٩) سورة الفجر : ٢٢ .

(٦٠) سورة البقرة : ٢١٠ .

(٦١) في (خ) : لم تذكر كلمة (بين) .

(٦٢) في (أ ، ب) : (الاختلاف) .

بها ، وأن مصحف عبد الله^(٦٣) ابن مسعود خلاف مصحفكم ، وأيضاً فإن طوائف من علمائكم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم يقولون إن عثمان بن عفان رضى الله عنه أبطل قراءات كثيرة صحيحة ، وأسقطها إذ كتب المصحف الذى جمعكم عليه ، وعلى حرف واحد من الأحرف السبعة ، التى بها نزل القرآن عندكم ، وأيضاً فإن الروافض^(٦٤) يزعمون أن أصحاب نبيكم بدّلوا القرآن ، وأسقطوا منه ، وزادوا فيه .

(٦٣) هو من أوائل المسلمين : هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وسكن على مقربة من المسجد ، شهد الغزوات كلها ، وقف إلى جانب أبى بكر فى حروب الردّة ، أرسله عمر إلى الكوفة ليشرّف على بيت المال ويعلم الناس أحكام الدين ، من كبار الصحابة ، ومن المحدثين والمفسرين والفقهاء الأوّل ، يتحرّى فى الأداء ، ويشدّد فى الرواية والضبط . كتب بيده مصحفاً يسمى (مصحف ابن مسعود) . وفى مسند أحمد مجموعة رواياته . توفى سنة ٣٢ هـ بالمدينة وصلى عليه الزبير بن العوام (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ح ٣ ص ٩٨٧ - ٩٩٤) .

(٦٤) الروافض : فرقة كبيرة من الفرق التى انحرفت عن الإسلام . سموا بذلك لأن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب امتنع أن يطاوعهم فى لعن أبى بكر وعمر . وقيل لأنهم رفضوا رأى الصحابة فى مبايعة أبى بكر وعمر . فهم غلاة فى حبّ على وبغض الشيعين وعائشة ومعاوية وآخرين من الصحابة . وهم الذين جعلوا الإمامة بعد الرسول ﷺ لعلى رضى الله عنه ، ثم اختلفوا فى الإمامة بعده اختلافاً كبيراً حتى بلغت فرقهم ثلاثمائة فرقة ، والمشهور منها عشرون ، منها : الإمامية والكيسانية ، والخطابية ، والزيدية والبائية والكاملية . (دائرة المعارف : بطرس السنتانى - بتصرف) .

« الكلام في بعض اعتراضات النصارى وبيان فسادها »

قال أبو محمد : كل هذا لا متعلق لهم بشيء منه على ما نبين بما لا إشكال فيه عند أحدٍ وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم : إننا مختلفون في قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفا وبعضنا يسقطها ، فليس هذا اختلافاً بل هو اتفاق منا صحيح ، لأن تلك الحروف وتلك القراءات كلها مبلغ بنقل الكواف إلى رسول الله ﷺ أنها نزلت كلها عليه ، فأى تلك القراءات قرأنا فهي قراءة صحيحة ، وهي محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص ، فبطل التعلق بهذا الفصل والله تعالى الحمد .

وأما قوله ، إنه قد روى بأسانيد صحاح عن طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن التابعين الذين نعظم ونأخذ ديننا عنهم ، أنهم قرؤوا في القرآن قراءاتٍ لا نستحل نحن القراءة بها ، فهذا حق ونحن وإن بلغنا الغاية في تعظيم أصحاب نبينا ﷺ ورضوان الله عليهم ، وتقرئنا إلى الله عز وجل بمحبتهم فلسنا نبعد عنهم الوهم والخطأ ، ولا نقلدهم في شيء مما قالوه ، وإنما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول ﷺ ، مما^(١) هو عندهم بالمشاهدة والسمع ، لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم .

وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوا برأى أو^(٢) بظن فلا نقول بذلك ، ولو أنكم أنتم فعلتم

(١) في (أ ، ب) : (بما) .

(٢) في (أ ، ب) : (ويظن) بالواو .

كذلك بأخباركم وأساقفتكم الذين بينكم وبين الأنبياء عليهم السلام ما عنفناكم ، بل كنتم على صواب وهدى ، متبعين للحق المنزل ، مجانبين للخطأ المهمل ، لكن لما^(٣) لما تفعلوا هكذا بل قلتموهم في كل ما شرعوه لكم هلكتم^(٤) في الدنيا والآخرة ، وتلك القراءات التي ذكرتم إنما هي موقوفة على الصاحب أو التابع ، فهي ضرورة وهم من الصاحب ، والوهم لا يعرّى منه أحد بعد الأنبياء عليهم السلام . أو وهم ممن دونه في ذلك .

وأما قولهم : إن مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خلاف مصحفنا فباطل ، وكذب وإفك ، مصحف عبد الله بن مسعود إنما فيه قراءته بلا شك ، وقراءته هي قراءة عاصم^(٥) المشهورة عند جميع أهل الإسلام ، في شرق الأرض وغربها ، نقرأ بها كما ذكرنا كما^(٦) نقرأ بغيرها ، مما صح أنه كل منزل من عند الله تعالى ، فبطل تعلقهم بهذا والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم ، إن طائفة من علمائنا الذين أخذنا ديننا عنهم ، ذكروا أن عثمان بن عفان رضى الله عنه إذ كتب المصحف الذى جمع الناس عليه أسقط ستة أحرف ، من الأحرف المنزلة واقتصر على حرف منها ، فهو مما قلنا . وهو ظن ظنه ذلك القائل أخطأ فيه وليس كما قال ، بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس ، وهو أن عثمان رضى الله عنه لم يل^(٧) إلا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين ، والمصاحف والمساجد والقراء يعلمون الصبيان والنساء ، وكل من دب وهب .

واليمن كلها ، وهي في أيامه مدن وقرى ، والبحرين كذلك ، وعمان كذلك ، وهي بلاد واسعة مدن وقرى وملكها عظيم^(٨) ، ومكة والطائف ، والمدينة والشام ، كلها كذلك ، والجزيرة كلها كذلك ومصر كلها كذلك ، والكوفة والبصرة كذلك ، في كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وحده ، فلو رام عثمان ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلاً .

وأما قولهم : إنه جمع الناس على مصحف فباطل ؛ ما كان يقدر على ذلك لما ذكرنا ، ولا ذهب عثمان قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه ، إنما خشى عثمان رضى الله عنه أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين ، وأن يهّم وأهّم من أهل الخير فيبدل شيئاً من المصحف^(٩) عمداً ، وهذا وهم فيكون اختلاف يؤدى إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجمعة عليها ، وبعث إلى كل

(٣) و (أ ، ب) : بدون (لما) .

(٤) و (أ ، ب) : (فهلكم) .

(٥) عاصم : هو ابن أبى النجود بهدلة الكوفى الأسدى بالولاء ، أبو بكر ، أحد القراء السبعة تابعى من أهل الكوفة ، ووفاته فيها . كان ثقة في القراءات وله اشتغال بالحديث . مات سنة ١٢٧ هـ ٧٤٥ م (الأعلام : ٤ / ١٢) .

(٦) و (أ ، ب) : وبغيرها .

(٧) و (أ ، ب) : (لم يك) .

(٨) و (خ) : لا توجد كلمة (وملكها عظيم) .

(٩) في الأصل زاد (ذلك) .

أفق مصحفًا ، لكى إن وهم واهم ، أو بدّل مبدل رجع إلى المصحف المجتمع عليه ، فانكشف الحق وبطل الكيد والوهم .

وأما قول من قال أبطل الأحرف الستة فقد كذب من قال ذلك ، ولو فعل عثمان ذلك وأراد له الخروج عن الإسلام ، ولما مَطِل ساعة . بل الأحرف السبعة عندنا موجودة كلها قائمة ، كما كانت مثبتة في القراءات المشهورة والمأثورة ، والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القرآن^(١٠) ، فإن الروافض ليسوا من المسلمين ، إنما هي فرقة^(١١) حدث أولها بعد موت رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ، وكان مبدؤها إجابة ممن خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام ، وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر ، وهى طوائف أشدهم غلوًا بإلهية على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وإلهية جماعة معه . وأقلهم غلوًا يقولون : بأن الشمس ردت على على بن أبى طالب مرتين ، فقوم هذا أقل مراتبهم في الكذب أيستشنع منهم كذب يأتون به .. ؟ وكل من لم يزره عن الكذب ديانتته أو نزاهة نفس أمكنه أن يكذب ما شاء ، وكل دعوى بلا برهان فليس يشتغل^(١٢) بها عاقل ، سواء كانت له أو عليه ، ونحن إن شاء الله تعالى نأتى بالبرهان الواضح الفاضح لكذب الروافض ، فيما افتعلوه من ذلك .

قال أبو محمد : مات رسول الله ﷺ والإسلام قد انتشر وظهر في جميع جزيرة العرب ، من منقطع البحر المعروف ببحر القلزم ، مارًا إلى سواحل اليمن كلها ، إلى بحر فارس إلى منقطعه مارًا إلى الفرات ، ثم على ضفة الفرات إلى منقطع الشام ، إلى بحر القلزم .

وفى هذه الجزيرة من المدن والقرى ما لا يعرف عدده إلا الله عز وجل ، كاليمن والبحرين ، وعمان ونجد ، وجبلى طيء ، وبلاد مضر وربيعة ، وقضاة والطائف ، ومكة كلهم قد أسلم ونوا المساجد ، ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا قد قرىء فيها القرآن في الصلوات ، وعلمه الصبيان والرجال والنساء ، وكتب ومات عليه السلام ، والمسلمون كذلك ، ليس بينهم اختلاف في شيء أصلاً ، بل كلهم أمة واحدة ، ودين واحد ، ومقالة واحدة ، ثم ولى أبو بكر رضى الله عنه سنتين وستة أشهر ، فغزا فارس والروم ، وفتح اليمامة وزادت قراءة الناس للقرآن ، وجمع الناس المصاحف كأبى بكر ، وعمر وعثمان وعلى وزيد ، وأبى زيد وابن مسعود ، وسائر الناس في البلاد ، فلم يبق بلد إلا وفيه المصاحف .

(١٠) فى (أ ، ب) : (القراءات) .

(١١) فى (أ ، ب) : (فرق) .

(١٢) فى (أ ، ب) : « يستدل » .

ثم مات رضى الله عنه والمسلمون كما كانوا لا اختلاف بينهم في شيء أصلاً ، أمة واحدة ، ومقالة واحدة ، إلا ما حدث في آخر حياة رسول الله ﷺ ، وأول ولاية^(١٣) أبى بكر رضى الله عنه ، من ظهور الأسود^(١٤) العنسى في جهة صنعاء ، ومسلمه^(١٥) في اليمامة ، يدعيان النبوة ، وهما في ذلك مقران بنوة محمد ﷺ معلنان بذلك ، وقد انقسم العرب ومن باليمن وغيرهم أربعة أقسام ، إثر موته عليه السلام ، فطائفه ثبتت على ما كانت عليه من الإسلام لم تبدل شيئاً ، ولزمت طاعة أبى بكر رضى الله عنه وهم الجمهور والأكثر .

وطائفة بقيت على الإسلام أيضاً ، إلا أنهم قالوا : نقيم الصلاة وشرائع الإسلام ، إلا أننا لا نؤدى الزكاة إلى أبى بكر ، ولا نعطي طاعةً لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ ، وكان هؤلاء كثيراً إلا أنهم دون من ثبت على الطاعة ، ويبين هذا قول الخطيئة^(١٦) العيسى .

« أطعنا رسول الله إذ كان بيننا .. فيألفنا ما بال دين أبى بكر .

أيورثها بكرًا إذا مات بعده .. فتلك لعمرؤ الله قاصمة الظهر .

وإن التى طالبتُم فمنعتم .. لكاتمر أو أحلى لدى من التمر »

يعنى الزكاة ثم ذكر القبائل الثابتة على الطاعة فقال :

« فياست بنى سعد واستاه طى .. وياست بنى دودان حاشى بنى نضر^(١٧) » .

: * *

(١٣) فى (أ ، ب) : « خلافة » .

(١٤) هو : عيلة بن كعب بن عوف العنسى المذحجى ذو الخمار ، متنى مشعوز من أهل اليمن ، كان بطاشاً جباراً ، أسلم مع القبائل اليمنية الأولى التى وفدت على النبى ، ولكنه ارتد فى عهد السبى عليه السلام فكان من أوائل المرتدين فى الإسلام ، تغلب على نجران وصنعاء ، واتسع سلطانه لأنه كان صاحب حيل وأعاجيب استهواهم بها ، وقد اغتيل فى خبر طويل أورده ابن الأثير قبل وفاة النبى عليه السلام بشهر واحد .

(١٥) هو ابن تمامة بن كبير بن حبيب الحنفى الوائلى ، أحد الذين ادعوا النبوة ، يضرب به المثل فى الكذب ، ولد ونشأ باليمامة فى وادى حنيقة من نجد ، وتلقب فى الجاهلية بالرحمن وقد أكثر من وضع الأسجاع التى يحاول بها مضاهاة القرآن الكريم ، حاربه خالد بن الوليد ، وخلص الإنسانية من شروره . (الأعلام : ح ٨ ص ١٢٥ ، ١٢٦) .

(١٦) الخطيئة العيسى : توفى ٤٥ هـ ٦٦٥ م ، وهو جرول بن أوس بن مالك العيسى أبو مليكة ، شاعر مخضرم ، كان هجاء عنيفاً ، لم يكد يسلم من لسانه أحد ، وقد اشتهر بهجاء الزبرقان بن بدر فشكاه إلى عمر بن الخطاب فسجنه بالمدينة حتى استعطفه بأبيات فتركه بعد أن دفع له بعض الصلوات ليكف عن هجاء المسلمين ، وله ديوان شعر . (الأعلام : ح ٢ ص ١١٠) .

« إبطال ما تمسكت به النصارى من بعض أقوال الرافضة »

قال أبو محمد : لكن والله بإستاه بنى نصر ، وبإست الخطيئة ، حلت الدائرة والحمد لله رب العالمين .

وطائفة ثالثة أعلنت الكفر والردة ، كأصحاب طليحة وسيجاح ، وسائر من ارتد ، وهم قليل بالإضافة إلى من ذكرنا ، إلا أن فى كل قبيلة من المؤمنين من يقاوم المرتدين ، فقد كان باليامة ثمامة بن^(١) أثال الحنفى ، فى طوائف مسلمين ، محاربين لمسيلمة ، وفى قوم الأسود أيضاً كذلك ، وفى بنى تميم ، وبنى أسد الجمهور من المسلمين ، وطائفة رابعة توقفت فلم تدخل فى أحد من الطوائف المذكورة ، وبقوا يترتبصون لمن تكون الغلبة كما لك^(٢) بن نيرة وغيره ، فأخرج أبو بكر رضى الله عنه إليهم البعوث فقتل مسيلمة ، وقد كان فيروز ، وذادوند^(٣) الفارسيان الفاضلان رضى الله عنهما قتلا « الأسود العنسى^(٤) » فلم يمض عام واحد^(٥) حتى راجع الجميع الإسلام ، أولهم

(١) البيت كما ورد فى الديوان .

فَبَاسَتْ نَسَى عَشِي وَأَفْنَاء طَلِيءَ وَيَاسَتْ بَنَى دُوْدَانَ حَاشَا بَنَى نَصْر (٢) هو ابن نيرة بن حمزة بن شداد اليربوعي ، فارس وشاعر ، يضرب به المثل فيقال : فَنَى وَلَا كَالِك وَلَآهَ الرَّسُول ﷺ الصدقات على قومه من بنى يربوع ، ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر ، اضطرب مالك فى أموال الصدقات وفرقها على قومه ، وقد قتله خالد بن الوليد فى حروب الردة وله قصة تذكرها كتب السير (الأعلام ج ٦ / ١٤٥) .

(٣) فى (أ ، ب) : « وذادويه » والصواب أنه (داذويه) كما ورد فى الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٧ وما بعدها . (٤) قصة مقتله رواها ابن الأثير فى الكامل مفصلة ، وخلاصتها : أن الأسود العنسى حين علم بمرض النسي ﷺ بعد عودته من حجة الوداع ادعى النبوة ، وتمكن بسحره وشعوذته أن يفتن الناس وكون جيشاً كثيفاً تغلب به على بلاد اليمن كلها حتى خضعت له ، وأعمل القتل فى الرؤساء فقتل شهر بن باذان عامل النبی عليه السلام على صعاء وتزوج امرأته ، وأحسن قائد جيشه قيس بن عبد يغوث بأنه يريد أن يغدر به وكان يضمير الإسلام فاتمق مع فيروز وداذويه ، وكانا قريبين من الأسود لقربة فيروز لزوجته آزاد التى تزوجها بعد مقتل زوجها ، وجاءت كتب النبی ﷺ تأمر بقتله إما مصادمة أو عيلة ، فدبر « فيروز » و« داذويه » الأمر مع زوجته وهجما عليه ليلاً وقتلاه ، وانتهت فتنته بعد أن دامت ثلاثة أشهر ، وكان مقتله أول بشاراة لأبى بكر رضى الله عنه بعد أن ولى الخلافة فى آخر ربيع الأول (الكامل لابن الأثير : ١ / ٢٢٧ - ٢٣١ بتصرف) .

(٥) فى (خ) : سقطت كلمة (واحد) .

عن آخرهم ، وأسلمت سجاح^(٦) وطليحة وغيرهم ، وإنما كانت نزغة من الشيطان كنارٍ اشتعلت فأطفأها الله تعالى للوقت ، ثم مات أبو بكر وولى عمر رضى الله عنهما ، ففتحت بلاد فارس طولاً وعرضاً ، وفتحت الشام كلها والجزيرة ، ومصر كلها ، ولم يبق بلدٌ إلا وبنيت فيه المساجد ، ونسخت^(٧) المصاحف ، وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان ، في المكاتب شرقاً وغرباً ، وبقي كذلك عشرة أعوامٍ وأشهرًا والمؤمنون كلهم لا اختلاف بينهم ، في شيء بل ملة واحدة ، ومقالة واحدة ، وإن لم يكن عند المسلمين إذ مات عمر مائة ألف مصحف ، من مصر إلى العراق إلى الشام إلى اليمن ، فما بين ذلك ، فلم يكن أقل .

ثم ولى « عثمان » رضى الله عنه فزادت الفتوح ، واتسع الأمر ، فلو رام أحدٌ إحصاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر ، وبقي كذلك اثني عشر عامًا حتى مات ، وموته حصل الاختلاف ، وابتدأ أمر الروافض^(٨).

واعلموا أنه لو رام أحدٌ أن يزيد في شعر النابغة^(٩) أو شعر زهير^(١٠) كلمة أو ينقص أخرى ، ما قدر لأنه كان يفتضح للوقت^(١١) ، وتخالفه النسخ المثبوتة ، فكيف والقرآن في المصاحف .. ؟ وهى من آخر الأندلس وبلاد البربر وبلاد السودان ، إلى آخر « السند » و« كابل » ، و« خراسان » و« الترك » ، و« الصقالبة » ، وبلاد الهند ، فما بين ذلك . فظهر حق الرافضة ومجاهرتها بالكذب .

ومما يبين كذب الروافض في ذلك ، أن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، الذى هو عند أكثرهم إله خالق ، وعند بعضهم نبيٌّ ناطق ، وعند سائرهم إمام معصوم ، مفترضة^(١٢) طاعته - ولى الأمر وملك فبقى خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعاً ،

(٦) سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية من بنى يربوع ، متنبئة مشهورة شاعرة أدبية ، عارفة بالأخبار ، نغت في زمن الردة ، وادعت النبوة بعد وفاة النبي ﷺ وكانت في بنى تغلب بالجزيرة ، وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب ، فكرت في غزو أبى بكر ، فنزلت باليمامة ، وقيل كان معها أربعون ألفاً ، سمع بها مسيلمة الكذاب فتزوجها ، أدركت صعوبة الإقدام على قتال المسلمين فانصرفت راجعة إلى الجزيرة ، ثم بلغها مقتل مسيلمة فأسلمت وهاجرت إلى البصرة ، وتوفيت فيها ، وصلى عليها سمرة بن جندب وإلى البصرة من قبل معاوية . (الأعلام : ٧٣ / ٤) .

(٧) في (أ ، ب) : ونسخت فيه .

(٨) الروافض : سبق الحديث عنها ص ١١٤ من هذا الجزء .

(٩) النابغة : هو زياد بن معاوية بن ضباب الديبالي ، جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فنقصده الشعراء ، فتعرض عليه أشعارها ، وهو أحد الأشراف في الجاهلية ، كان حظياً عند النعمان بن المنذر ، له ديوان مشهور ، عمر طويلاً ، وقد كتب عنه كثير من الناس منهم : عمر الدسوقي ، جميل سلطان ، سليم الجندى (ح ٣ من الأعلام ص ٩٢) .

(١٠) هو : زهير بن أبى سلمي ، ربيعة بن رباح المزنى من مضر ، حكيم الشعراء في الجاهلية ، ومن أصحاب المعلقات ورث الشعر عن أبيه ونحاله ، وكانت أخته شاعرة ، ابنه كعب ويحير ، ولد في مزينة بنواحي المدينة ، له ديوان ترجم كثير منه إلى الألمانية ، وقد ألف فيه المستشرق الألمانى ، ديروف كتاباً (الأعلام : ح ٣ ص ٨٧) .

(١١) في (أ) : (الوقت) وهو تحريف .

(١٢) في (أ ، ب) : مفروضة .

ظاهر الأمر ، ساكنًا بالكوفة ، مالكًا للدنيا ، حاشا الشام ومصر والفرات^(١٣) ، والقرآن^(١٤) يقرأ في المساجد وفي^(١٥) كل مكان ، وهو يؤم الناس به ، والمصاحف معه وبين يديه ، فلو رأى فيه تبديلًا كما تقول الرافضة أكان يقرهم^(١٦) على ذلك .. ؟

ثم ولى^(١٧) ابنه الحسن رضى الله عنه^(١٨) ، وهو عندهم كأبيه فجرى على ذلك . كيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا : إنَّ في المصحف حرفًا زائدًا أو ناقصًا أو مبدلًا مع هذا .. ؟ ولقد كان جهاد من حرف القرآن ، وبدل الإسلام ، أو كد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأى يسير رأوه ، ورأى خلافه فقط ، فلاح كذب الرافضة ، ببرهان لا محيد عنه . والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١٣) فى (أ) : (إلى الفرات) .

(١٤) فى (خ) : سقطت كلمة (والقرآن) .

(١٥) فى (أ) : (فى كل مكان) بعير واو العطف .

(١٦) فى (أ) : « يقر » .

(١٧) فى (أ) : (إلى ابنه) .

(١٨) الحسن بن على (٣ - ٥٠ هـ) (٦٢٤ - ٦٧٠) : هو أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم ، وثانى الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية ولد فى المدينة المنورة ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهو أكبر أولادها وأولهم ، كان عاقلاً حليماً محباً للخير ، فصيحاً من أحسن الناس منطقاً وبنديته حجج عشرين حجة ماشياً . بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبى سفيان فأطاعهم وزحف بهم معه ، وبلغ معاوية حيرة فقصده بجيشه وتقارب الجيشان فى موضع يقال له : « مسكن » بناحية من الأنبار ، فهال الحسن أن يقتل المسلمون فكتب إلى معاوية يشترط شروطاً للصالح ، ورضى معاوية فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية فى بيت المقدس عام ٤١ هـ وسمى هذا العام عام الجماعة ، وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفى مسموماً فى قول بعضهم ، ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام ، وولد له أحد عشر ابناً وبنات واحدة (الأعلام : ٢ / ٢١٣) .

« كيف تمّ نقل القرآن وأمور الدين »

قال أبو محمد رضي الله عنه : ونحن إن شاء الله تعالى نذكر صفة وجوه النقل الذى عند المسلمين لكتابهم ودينهم ، ثم^(١) لما نقلوه عن أئمتهم حتى يقف عليه المؤمن والكافر ، والعالم والجاهل عياناً إن شاء الله تعالى فيعرفون أين نقل سائر الأديان من نقلهم ، فنقول وبالله تعالى التوفيق .

إنّ نقل المسلمين لكلّ ما ذكرنا ينقسم أقساماً ستة :

أولها : شىء ينقله أهل المشرق والمغرب عن^(٢) أمثالهم جيلاً جيلاً ، لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر ، منصف غير معاند للمشاهدة ، وهو القرآن المكتوب فى المصاحف فى شرق الأرض وغربها لا يشكّون ولا يختلفون فى أنّ محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به ، وأخبر أن الله عزّ وجل^(٣) أوحى به إليه ، وأنّ من اتبعه أخذه عنه كذلك ، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا . ومن ذلك الصلوات الخمس ، فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ، ولا يشكّ أحد فى أنّه صلاها بأصحابه كلّ يوم ليلة فى أوقاتها المعهودة ، وصلاها كذلك كلّ من اتبعه على دينه حيث كانوا كل يوم هكذا إلى اليوم ، لا يشكّ أحد فى أنّ أهل السند يصلّونها كما يصلّيها أهل الأندلس ، وأنّ أهل أرمينية يصلّونها كما يصلّيها أهل اليمن ، وكصيام شهر رمضان فإنه لا يختلف كافر ولا مؤمن ،

(١) فى (خ) : سقطت كلمة (ثم) .

(٢) فى (أ ، ب) : « عن أمثالهم » مرة واحدة .

(٣) فى (خ) : « أن الله تعالى » .

ولا يشك أحد في أنه صامه رسول الله ﷺ ، وصامه معه كل من اتبعه في كل بلد كل عام ثم كذلك جيلاً فجيلاً^(٤) إلى يومنا هذا ، وكالحج فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد في أنه عليه السلام حج مع أصحابه ، وأقام مناسك^(٥) الحج ، ثم حج المسلمون من كل أفق من الآفاق^(٦) كل عام في شهر واحد معروف إلى اليوم ، وكجملته الزكاة ، وكسائر الشرائع ، التي في القرآن من تحريم القرائب والميتة والخنزير ، وسائر شرائع الإسلام وكآياته من شق^(٧) القمر ، ودعاء اليهود^(٨) إلى تمتي الموت ، وسائر ما هو في نص القرآن مقروء ومنقول ، وليس عند^(٩) اليهود ، ولا عند النصارى من^(١٠) هذا النقل شيء أصلاً ، لأن نقلهم لشريعة السبب وسائر شرائعهم إنما يرجعون فيها إلى التوراة . ويقطع^(١١) عن نقل ذلك ونقل التوراة إطباقهم أن أوائلهم كفروا بأجمعهم ، وبرئوا من دين موسى عليه السلام ، وعبدوا الأوثان علانية دهوراً طويلاً ، ومن الباطل^(١٢) المحال أن يكون ملك كافر عابد أوثان^(١٣) وأمته كلها معه ، كذلك يقتلون الأنبياء ويخنقونهم ، ويقتلون من دعا إلى الله عز وجل ، يشتغلون بسبب أو بشريعة مضافة إلى الله تعالى ، هذا^(١٤) الكذب الذي لا شك فيه .

ويقطع بالنصارى عن مثل هذا عدم نقلهم إلا عن خمسة رجال فقط قد^(١٥) وضع الكذب عليهم إلى ما أوضحنا من الكذب الذي في التوراة وفي^(١٦) الإنجيل القاضي بتبديلهما بلا شك .
والثالث : شيء نقلته الكافة عن مثلها عن مثلها^(١٧) حتى يبلغ الأمر كذلك إلى رسول الله

(٤) في (أ ، ب) : « جيلاً جيلاً » .

(٥) في (أ ، ب) : « المناسك » .

(٦) في (خ) : من الدنيا .

(٧) شق القمر : قال الإمام أحمد عن أنس قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة ففرقتين . وقال البخاري بسنده عن أنس ابن مالك : إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرهم آية ، فأراهم القمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما . (أخرجاه في الصحيحين من حديث شيبان عن قتادة . ومسلم من حديث شعبة عن قتادة) .

(٨) دعاء اليهود إلى تمتي الموت : وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمسوا الموت إن كنتم صادقين : (البقرة : ٩٤ ، ٩٥) أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال : قالت اليهود لئ يدحل الحنة إلا من كان هوذا ، فأنزل الله الآية . كما وردت الإشارة إلى ذلك في سورة الجمعة حيث يقول تعالى : « يا أيها الذين هادوا إن رعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » (الجمعة : ٦) .

(٩) في (أ ، ب) : (عن) بدلاً من (عند) .

(١٠) في (أ ، ب) : (في) بدلاً من (من) .

(١١) في (أ ، ب) : ويقطع فقل ذلك ... إطباقهم .

(١٢) في (أ ، ب) : سقطت (ومن الباطل) .

(١٣) في (أ ، ب) : (هو وأمته) .

(١٤) في (أ ، ب) : عن هذا الكذاب .

(١٥) في (أ ، ب) : (وقد) .

(١٦) في (أ ، ب) : (والإنجيل) بغير (في) .

(١٧) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (عن مثلها) الثانية .

ﷺ ، ككثير من آياته ومعجزاته التي ظهرت يوم الخندق ، وفي تبوك بحضرة الجيش^(١٨) . وكثير من مناسك الحج ، وكزكاة التمر والبرّ والشعير ، والورق والإبل والذهب والبقر والغنم ، ومعاملته أهل خيبر^(١٩) ، وغير ذلك كثير مما يخفى على العامة ، وإنما يعرفه كوافّ أهل العلم فقط ، وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شيء أصلاً ، لأنه يقطع بهم دونه ما قطع بهم دون النقل الذي ذكرنا قبل من إطباقهم^(٢٠) على الكفر الدهور الطوال ، وعدم اتصال^(٢١) الكافة إلى عيسى عليه السلام .

والثالث : ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ به^(٢٢) إلى النبي ﷺ ، يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبر عنه ونسبه ، وكلّهم معروف الحال والعين ، والعدالة والزمان والمكان ، على أن أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف إلى رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وإما إلى الصاحب وإما إلى التابع ، وإما إلى إمام أخذ عن التابع ، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن ، والحمد لله رب العالمين .

وهذا نقل خصّ الله عزّ وجلّ به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضاً جديداً على قديم الدهور مذ أربعمئة عام وخمسين عاماً^(٢٣) في المشرق والمغرب ، والجنوب والشمال يرحل في طلبه من لا يُحصي عددهم إلّا خالقهم ، إلى الآفاق البعيدة ، ويواظب على تقييده من كان من الناقل^(٢٤) قريباً منه ، قد تولّى الله تعالى حفظه عليهم ، والحمد لله رب العالمين ، فلا تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل إن وقعت لأحدهم ، ولا يمكن لفاسق أن يقحم فيه كلمة موضوعة ، والله تعالى الشكر .

وهذه الأقسام الثلاثة هي التي نأخذ ديننا منها ، ولا نتعدّها إلى غيرها ، والحمد لله رب العالمين .

(١٨) قال ابن إسحاق أصبح الناس ولا ماء معهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله إن الله عزّ وجلّ قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا : قال رسول الله ﷺ تحب ذلك يا أبا بكر قال : نعم يا رسول الله فدعا فأرسل الله سبحانه سبحانه فأمطرت حتى أرتوى الناس واحتملوا حاجاتهم من الماء . (سيرة ابن هاشم - القسم الثاني ٥٢٢ ، وصحيح مسلم ج ١ ص ٤٢) .

(١٩) قال ابن إسحاق أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة ، ثم جاءت بها فلما وضعها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسعها ، وقال : إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت . فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من فومي ما لم يحف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخير . قال ابن إسحاق فتجاوز عنها رسول الله ﷺ (سيرة ابن هشام : القسم الثاني ٣٣٨ ، وصحيح البخاري ج ٧ ص ١٨٠ بتصرف) .

(٢٠) في (ح) : (قبل إطباقهم) .

(٢١) في (أ ، ب) : (إيصال) .

(٢٢) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) .

(٢٣) أي حتى عهد ابن حزم مؤلف هذا الكتاب .

(٢٤) في (أ ، ب) : (الناقد) .

والرابع : شئ نقله أهل^(٢٥) المشرق والمغرب أو الكافة أو الواحد الثقة عن أمثالهم إلى أن يبلغ إلى من ليس بينه وبين النبي ﷺ إلا واحد فأكثر ، فسكت ذلك المبلوع إليه عن من أخبره بتلك الشريعة عن النبي ﷺ ، فلم يُعرف من هو ، فهذا نوع يأخذ به كثير من المسلمين ، ولسنا نأخذ به ألبتة ، ولا نضيفه إلى النبي ﷺ إذ لم يُعرف من حدّث به عن النبي ﷺ وقد يكون غير ثقة ، ويعلم منه غير الذي روى عنه ما لم يعرف منه الذي روى عنه . ومن هذا النوع كثير^(٢٦) من نقل اليهود ، بل هو أعلى ما عندهم ، إلا أنهم لا يقربون فيه من موسى عليه السلام كقربنا فيه من محمد ﷺ ، بل يقفون ولابدّ حيث^(٢٧) بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصراً ، في أزيد من ألف وخمسمائة عام ، وإنما يبلغون بالنقل إلى هلال ، وشمائ^(٢٨) ، وشمعون ، ومرعقيا ، وأمثالهم ، وأظن أن هم مسألة واحدة فقط يروونها عن حبر من أحبارهم عن نبيٍّ من متأخري أنبيائهم ، أخذها عنه مشافهة في كاح الرجل ابنه إذ مات عنها أخوه .

وأما النصارى : فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط على أن مخرجه من كذاب قد صح كذبه .

والخامس : شئ نقل كما ذكرنا ، إما بنقل أهل المشرق والمغرب ، أو كافة عن كافة . أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلى النبي ﷺ إلا أن في الطريق رجلاً مجروحاً^(٢٩) يكذب أو غفلة . أو محجوب الحال ، فهذا أيضاً يقول به بعض المسلمين ، ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ، ولا الأحذ بشئ منه ، وهذه صفة نقل اليهود والنصارى فيما أضافوه إلى أنبيائهم لأنه يقطع بكفرهم^(٣٠) بلا شك ولا مرية .

والسادس : نقل نُقِلَ بأحد الوجوه التي قدّمنا ، إما بنقل من بين المشرق والمغرب أو بالكافة ، أو بالثقة عن الثقة ، حتى يبلغ ذلك إلى صاحب أو تابع ، أو إمام دونهما - أنه قال كذا ، أو حكم بكذا غير مضاف ذلك إلى رسول الله ﷺ كفعل أبي بكر رضي الله عنه في سبي أهل الردّة^(٣١) ، وكصلاة الجمعة صدر النهار ، وكضرب عمر رضي الله عنه الخراج ، وإضعافه القيمة على رقيق حاطب وغير ذلك كثير جداً .

(٢٥) في (ح) : (من بين المشرق) .

(٢٦) في (ح) : (هو كثير) .

(٢٧) في (ح) : (بحيث) .

(٢٨) في (أ ، ب) : (وشمائ) .

(٢٩) في (ح) : (محرجاً) .

(٣٠) في (أ ، خ) : (بهم كفار) .

(٣١) روى أن أبا بكر أمر أن توقد نار في مصلى المدينة ثم رمى فيها إياس عبد ياليل مقيداً من يديه ورجليه وذلك لأنه جاء إلى أبي بكر فطلب أن يعينه بالسلاح لمقاتلة أهل الردة ، فأعانه بالسلاح ولكنه استعمله في قتال المسلمين والفتك بهم ، فلما أسر ألقى في النار بأمر من أبي بكر . (الكامل : لابن الأثير ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

فمن المسلمين من يأخذ بهذا ، ومنهم من لا يأخذ به ، ونحن لا نأخذ به أصلاً ، لأنه لا حجة في فعل^(٣٢) أحدٍ دون من أمرنا الله تعالى باتباعه وأرسله إلينا ببيان دينه ، ولا يخلو فاضل من وهَم ، ولا حجة فيما^(٣٣) يَهِم ، ولا يأتي الوحي ببيان وهمه .

وهذا الصنف من النقل هو صفة جميع نقل النصارى واليهود لشرائعهم التى هم عليها الآن ممّا ليس فى التوراة ، وهو صفة جميع نقل النصارى حاشا تحريم الطلاق ، إلا أن اليهود لا يمكنهم أن يبلغوا فى ذلك^(٣٤) إلى صاحب نبى أصلاً ، ولا إلى تابع له ، وأعلى من^(٣٥) يقف عنده النصارى « شمعون » ثم « بولس » ثم أساقفتهم عصرًا عصرًا .

هذا أمر لا يقدر أحدٌ منهم على إنكاره ، ولا إنكار شىء منه ، إلا أن يدعى أحدٌ منهم كذبًا من يطمع فى تجويزه عليه ممن يظن به جهلاً بما عنده فقط ، وأما إذا قرّره على ذلك من يدرون أنه يعرف كتبهم ، فلا سبيل لهم إلى إنكاره أصلاً . وبالله^(٣٦) تعالى التوفيق .

قال أبو محمد: ونقل القرآن وما فيه من إعلام النبى ﷺ كالإنذار بالغيوب ، وشق القمر ، ودعاء اليهود إلى تمنى الموت ، والنصارى^(٣٧) إلى المباهلة ، وجميع العرب إلى المجىء بمثل القرآن ، وتوبيخهم^(٣٨) بالعجز عنه ، وتوبيخ اليهود بأنهم لا يتمنون الموت ، وقصة الطير الأبايل ، ورميها أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وكثير من الشرائع ، وكثير من السنن فإنه نُقل كل ذلك عن^(٣٩) الإمامى والمضرى ، والرّبعى ، والقضاعى ، وكلهم أعداء متباينون متحاربون يقتل بعضهم بعضا ، ليس هنالك^(٤٠) شىء يدعوهم إلى المسامحة فى نقلهم له ، ثم نقله عن هؤلاء من بين المشرق والمغرب ،

(٣٢) فى (خ) : سقطت كلمة (فعل) .

(٣٣) فى (أ ، ب) : (فيمن) .

(٣٤) فى (خ) : سقطت (فى ذلك) .

(٣٥) فى (خ) : (ما تقف) .

(٣٦) فى (أ) : سقطت « وبالله تعالى التوفيق » .

(٣٧) دعا النبى ﷺ وفد نجران إلى المباهلة لما حاحوه فى أمر عيسى وادعوا أنه ابن الله ، فقال لهم النبى إنه كآدم خلقه الله من غير أب كما خلق آدم من تراب ، فكذبوا الرسول فقال لهم تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فقالوا : حتى ننظر فى أمرنا ثم تأتينا فقال ذورأبهم واسمه (العاقب) لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا ، فودّعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلى ، وقال لهم : إذا دعوت فأمّنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية . رواه أبو نعيم . وعن ابن عباس قال : لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ، ولا أهلا ، وروى : لو خرجوا لاحترقوا . وإلى ذلك تشير الآيات فى قوله تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا : ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . (٦١ آل عمران) .

(٣٨) فى (أ ، ب) : « وتوبيخهم » . وقد أشارت إلى هذا العجز آيات كثيرة فى القرآن الكريم منها قوله تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » (البقرة : ٢٣) .

(٣٩) فى (أ ، ب) : (الإمامى) بدون (عن) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : (هناك) .

وكانت العرب بلا خلاف قوماً لقاحاً^(٤١) لا يملكهم أحد كمضر^(٤٢) وربيعة^(٤٣)، وإياد^(٤٤)، وقضاة^(٤٥)، أو ملوكاً في بلادهم يتوارثون الملك كابراً عن كابر كملوك اليمن وعمان، وشهر^(٤٦) ابن بازام ملك صنعاء، والمنذر بن ساوى^(٤٧) ملك البحرين، والنجاشي^(٤٨) ملك الحبشة، وجيفر^(٤٩) وعباد ابني الجلندی ملكي عمان، فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره، وآمنوا به عليه السلام طوعاً وهم آلاف آلاف، وصاروا إخوة كبنى أب وأم، وانحل كل من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم إلى رسله طوعاً بلا خلاف غزير ولا إعطاء مال، ولا يطمع في عز بل كلهم أقوى جيشاً من جيشه، وأكثر مائلاً وسلاحاً منه، وأوسع بلدًا من بلده^(٥٠) « كذي الكلاع » وكان ملكاً متوجاً ابن ملوك متوجين، تسجد له جميع رعيته، يركب أمامه ألف عبد من عبيده سوى بنى عمه من حمير، وذى ظليم، وذى زود، وذى مران، وذى عمرو، وغيرهم كلهم ملوك متوجون في بلادهم، هذا كله أمر لا يجهره أحد من حملة الأخبار، بل هو منقول كنقل كون بلادهم في مواضعها، وهكذا كان إسلام جميع العرب، وأولهم الأوس والخزرج، ثم سائرهم قبيلة قبيلة، لما ثبت عندهم من آياته، وبهرهم من معجزاته، وما اتبعه الأوس والخزرج إلا وهو شريد^(٥١) طريد، قد نابذه قومه حسداً له، إذ كان فقيراً لا مال له، يتيماً لا أب له ولا أخ له، ولا ابن أخ ولا ولد، أمياً لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجهل، يرعى غنم قومه بأجرة يتقوت بها، فعلمه الله تعالى الحكمة دون معلم، وعصمه من كل من أراد به بلا حرس ولا حاجب ولا بواب، ولا قصر يمتنع فيه على كثرة من أراد قتله من شجعان العرب وقتاكهم،

(٤١) تقاح : كسحاب : الحى الذين لا يدينون للملوك ، أو لم يصبهم في الجاهلية سباء . (القاموس المحيط) .

(٤٢) مضر : هو مضر بن نزار وإليه ينسب الشعب المعروف الذى تنسب إليه قريش وغيرها ، وينسب إلى مضر من الخلق العلماء وغيرهم ما لا يحصى . (الباب في تهذيب الأنساب ح ٣ : ٢٢٢ بتصرف) .

(٤٣) ربيعة : إحدى قبائل العرب تنسب إلى ربيعة بن نزار صريح ولد اسماعيل بن ابراهيم صلاة الله عليهما . (الباب في تهذيب الأنساب) .

(٤٤) إياد : قبيلة تنسب إلى إياد بن نزار بن معد بن عدنان . (الباب) .

(٤٥) قضاة : اختلف في قضاة فقليل : إنه من معد وقيل من اليمن . وينسب إلى قضاة شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة منهم (كلب وجهينة وغيرها) . (المصدر السابق) .

(٤٦) في (أ ، ب) : (شهر بن بارام) .

(٤٧) المنذر بن ساوى : هو صاحب البحرين ، وتسمى الآن الأحساء ، وهو من بنى تميم ، وقد وجه النبي عليه السلام إليه العلاء بن الحضرمي بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام فأسلم (النور اليقين : لأبي الحسن الندوى : ٢٠٠ ، والسير النبوية : ٢٤٣) .

(٤٨) النجاشي : ملك الحبشة ، وهو لقب كان يلقب به كل من يملك الحبشة ، وقد اضطربت الروايات في تعيين هذا النجاشي الذى كتب إليه رسول الله كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام وقد ذكر عن الواقدي وغيره من أهل السيرة أنه هو الذى صلى عليه رسول الله ﷺ في رجب سنة تسع منصرفه من تبوك . (السيرة النبوية : لأبي الحسن على الحسنى الندوى : ٢٤٢) .

(٤٩) جيفر وعباد بنى الجلندی : كانا حاكمين على عمان ، وكان جيفر هو الملك ، وكان أسن من أخيه . وكلمة الجلندی : هى لقب وقد نعتى : (فيلاً أو كاهناً) في لهجات أهل عمان . ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب إليهما فأسلما وحسن إسلامهما . (السيرة النبوية) . وفى (أ) (عياذ) وهو تحريف .

(٥٠) في (خ) : سقطت من (بلده) .

(٥١) في (أ) : (فريد طريد) .

كعامر بن الطفيل ، وأريد بن جزء^(٥٢)، وغورث بن الحارث ، وغيرهم مع إقرار أعدائه بنبوته كمسيلمة وسجاح وطلحة ، والأسود ، وهو مكذب لهم ، فهل بعد هذا برهان أو بعد هذه الكفاية من الله تعالى كفاية .. ؟ وهو لا يبغي دُنياً ، ولا يمتنى بها من اتبعه بل أنذر الأنصار بالآثرة عليهم بعده ، وبايعوه^(٥٣) على الصبر على ذلك ، قام له أصحابه على قدم فمنعهم وأنكر ذلك عليهم ، وأعلمهم أن القيام لله تعالى لا لخلقهم ، ورضوا بالسجود له فاستعظم ذلك وأنكره إلا لله وحده ، ولا شك في أن هذه ليست صفة طالب دنيا^(٥٤) أصلاً ، ولا صفة راغب في غلبة ، أو بُعد^(٥٥) صيت ، بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كان له أدنى فهم ، فهذا هو الحق لا ما تدعيه النصارى من الكذب البحت ، في أن الملوك دخلوا دينهم طوعاً ، وقد كذبوا في ذلك لأن أول ملك تنصّر « قسطنطين^(٥٦) » بالى القسطنطينية بعد نحو ثلاثمائة عام من رفع المسيح عليه السلام ، فأى معجزة صحت عنده بعد هذه المدة ، وإنما نصرته أمه لأنها كانت نصرانية بنت نصراني تعشقها أبوه فتزوجها ، هذا أمر لا تناكر بين النصارى فيه ، والنشأة لا خفاء بما تؤثره في الإنسان ، وأما من اتبع النبي ﷺ فإنهم اتبعوه إذ بلغهم خبره في حياته عليه السلام للآيات التي كانت له بحضرة جميع أصحابه كإعجاز القرآن ، وانشقاق القمر ، ودعاء اليهود^(٥٧) إلى تمتي الموت وإخبارهم بعجزهم عن ذلك ، وأتهم لا يتمنونه أصلاً ، والإنذار بالغيوب ، ونبعان عين^(٥٨) تبوك ، فهي كذلك إلى اليوم ، ونبعان الماء^(٥٩) من بين أصابعه بحضرة العسكر ، وإطعامه

(٥٢) عامر بن الطفيل ، وأريد بن قيس بن جزء قدما على رسول الله ﷺ يريدان الغدر به ، ثم قال عامر لأريد : فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، ثم قال عامر بن الطفيل : يا محمد كن خللاً ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده ، فكرر عليه ذلك ، والرسول يرفض ، وعامر يشير إلى أريد فلم يفعل شيئاً ، عندها قال عامر بن الطفيل : يا محمد سأملأها عليك خيلاً ورجلاً فلما ولى ، قال رسول الله ﷺ اللهم اكفنى عامر بن الطفيل ، وقال عامر : عند خروجه لأريد : أين ما كنت أمرتك به ؟ قال أريد : والله ما هممت بالذى أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك . فأضرب بك بالسيف . ورجعوا إلى بلادهم . وفى الطريق مات عامر بالطاعون فى عنقه ، وأما أريد ، فأرسل الله عليه صاعقة أحرقتة مع جملة . ويقال بأنه هو الذى نزل فيه قول الله تعالى : « ورسول الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله ، وهو شديد المحال : سورة الرعد : ١٣ . (راجع سيرة ابن هشام ح ٤ ص ١٣٤ ، ١٣٥) بتصرف .

(٥٣) فى (أ ، ب) : (وتابعوه) .

(٥٤) فى (أ ، ب) : (قط أصلاً) .

(٥٥) فى (أ ، ب) : (ولا بعد صوت) .

(٥٦) مَرَّ الحديث عنه فى ص ١٦٦ .

(٥٧) وإلى ذلك أشارت الآيات الكريمات . قال تعالى : « قل يأيتها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . (الجمعة : ٦ ، ٧) .

(٥٨) نبعان عين تبوك : قصتها : أن النبي ﷺ أقام بتبوك بضعة عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ، وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق . فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتية . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم يرقبه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله فلان وفلان فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى أتية !! ثم لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم .

ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب . ثم نفخ به ومسحه بيده ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به فانحرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له جساً كحس الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه . فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه . (السيرة النبوية لابن هشام - باب حديث وادى المشقق ومائه) .

النفر الكثير^(٦١) من طعام يسير مراراً جمّة بحضرة الجموع وإخباره بأكل الأرضة^(٦٢) كل ما في الصحيفة المكتوبة على بنى هاشم ، وبنى المطلب حاشا أسماء الله تعالى فقط ، وإنذاره بمصارع^(٦٣) أهل بدر بحضرة الجيش ، موضعاً موضعاً ، وبالنور الواقع في^(٦٤) سوط الطفيل بن عمرو الدوسي ، وحنين^(٦٥) الجذع بحضرة جميعهم ، ودفع أريد عنه ، وقضاء غرماء جابر^(٦٦) ، وتزويد عمر أربعمائة راكب من تمر يسير بقى بجنبه^(٦٧) ، ورميه هوازن بتراب عمّ عيونهم^(٦٨) ، وخروجه بحضرة مائة من

(٥٩) نبعان الماء من بين أصابعه : قصة ذلك رواها الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم لبعض محاربه ومعه ناس من أصحابه فانطلقوا يسرون فحضرت الصلاة فلم يجد القوم ما يتوضؤون به فقالوا : يا رسول الله ما نجد ما نتوضأ به ، ورأى في وجهه أصحابه كراهية ذلك فانطلق رجل من القوم فجاء بقدر من ماء يسير فأخذ نبي الله ﷺ فتوضأ منه ، ثم مَدَّ أصابعه الأربع على القدح ، ثم قال : هلموا فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء . قال الحسن : سئل أنس كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو ثمانين وهكذا رواه البخاري عن عبد الرحمن ابن المبارك العنسي .

وفي حديث ابن عباس أن الرسول سأل بعض أصحابه : هل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : فأتني به . قال : فأناه بإناء فيه شيء من ماء قليل فجعل رسول الله ﷺ في فم الإناء ، وفتح أصابعه قال : فانفجرت من بين أصابعه عيون . رواه الطبراني من حديث عامر . (٦٠) إطعامه النفر الكثير قصته : أن جابر بن عبد الله كانت عنده شوبة غير سميحة قال : فقلت والله لوضعها لرسول الله ﷺ ، قال : فأمرت امرأتى فطحت لنا شيئاً من شعر ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ قال : فلما أُمسنا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق - قال - وكنا نعمل فيها نهارنا فإذا أُمسنا رجعنا إلى أهلينا - قال : قلت يا رسول الله إلى قد صنعت لك شوبة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعر فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي - وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده . قال فلما أن قلت له ذلك . قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أُنْصَرَفُوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه . قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمي الله . ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها . (السيرة النبوية لابن هشام : ٣ ط مصطفى الباني الحلبي ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ بتصرف) .

(٦١) قال ابن هشام : إن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب : يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم يدع فيها اسماً هو الله إلا أثبتته فيها ، ونفت الظلم والقطيعة والبهتان . فقال : أريك أخبرك بهذا ؟ .. قال : نعم . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهلم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي فانتها عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي . فقال القوم : رضينا ، وتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً ، وعند ذلك صرع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

(٦٢) لما تهيأ رسول الله ﷺ لقتال المشركين يوم بدر أقبل على أصحابه فاستشارهم فقالوا له : والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .. فقال ﷺ : أبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم . (الكامل لابن الأثير ح ٢ ص ٨٤) .

(٦٣) الطفيل بن عمرو الدوسي : كان رجلاً حكيماً شريفاً شاعراً لبيباً ، آمن بالرسول ﷺ ، وقال له : يا نبي الله إلى امرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعاهم إليه . قال : اللهم اجعل له آية .

قال فخرجت حتى إذا كنت بثنية تطلعي على القوم ، وقع نور بين عيني مثل الصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ، إلى أخشي أن يظنوا أنها مثله وقعت في وجهي لفراق دينهم . قال : فتحول فوقع في رأسي سوطي . قال : فجعل الناس يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط عليهم . (سيرة ابن هشام - بتصرف) .

(٦٤) قال الزبارة بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ : أنه كان يخطف إلى جدد نخلة ، فلما اتخذ المبر تحوّل إليه فحنّ فجاء رسول الله ﷺ حتى احتضنه فسكن وقال : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة . وهكذا رواه ابن ماجه . وهذا إسناد على شرط مسلم .

(٦٥) قال البخاري بسنده : حدثني جابر أن أباه توفي وعليه دين فأتيته النبي ﷺ فقلت : إن أبي ترك عليه ديناً وليس عندي إلا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه ، فانطلق معي لكي لا يفحش الغرماء فمشى حول بيدي من بيادر الثمر فدعا ، ثم آخر جلس عليه فقال : انزعوه فأوفاهم الذي لهم ، وبقي مثل ما أعطاهم . هكذا رواه هنا مختصراً ، وقد أسنده من طرق عن عامر بن شراحيل .

(٦٦) في (أ) : (من تمر يسير مثني بجنبه) وهو تحريف .

(٦٧) لما حمى الوطيس في غزوة حنين ، وثبت النبي وفر كثير من المسلمين ، قال النبي ﷺ لبلغته دلدل : البدي دلدل فوضعت بطنها على الأرض فأخذ حفنة من تراب فرمى به في وحوهم فكانت الهزيمة ، فما رجع الناس إلا والأسارى في الجبال عند رسول الله ﷺ (الكامل : ١٧٩ / ٢ بتصرف) .

قريش ، وهم لا يرونه^(٦٨) ، ودخول الغار ، وهم عليه لا يرونه ، وفتح الباب في حجر صلد في جنب الغار لم يكن قط فيه ، ولو كان هنالك يومئذ لما أمكنه الاختفاء فيه لأنه ليس بين البابين إلا أقل من ثمانية أذرع ، وهو ظاهر إلى اليوم ، كل عام وكل حين يزوره أهل الأرض من المسلمين ، ولو رام فتح الباب الثاني في ذلك الحجر أهل الأرض ما قدروا على إزاحته سالمًا عن مكانه ، ولو كان ذلك الباب هنالك حينئذ لراه الطالبون له بلا مثونة ، ولأنهم لم يكونوا إلا جموع قريش لعلهم مئون كثيرة ، وآثار رأسه المقدس في ذلك الحجر ، وضائار كتفه ومعصمه وظاهر يده باق إلى اليوم ، فعل الله تعالى ، نقل الكواف جيلًا عن جيل .

ورمى الجمار الذي يرميه ما لا يحصيه إلا تعالى كل عام ثم لا يزيد حجمه في ذلك المكان .

ورمى الله تعالى جيش أبرهة صاحب الفيل إذ غزا مكة عام مولده ﷺ بالحجارة المنكرة بأيدي طير منكرة ، ونزلت في ذلك سورة من القرآن متلوة إلى اليوم ، وكان ذلك ببركته عليه السلام وإنذاراته ، وشكوى البعير^(٦٩) إليه ، وإبراء عيني عليٍّ من الرمد^(٧٠) بحضرة الجماعات في ساعة . وسوخ قوائم فرس سراقا إذا^(٧١) تبعه . ودور الشاه^(٧٢) التي لا لبن لها مرارًا ،

(٦٨) قال ابن إسحاق : « خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ، وقد حاصر داره فتيان قريش ليقتلوه فأخذ حفة من تراب في يده فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو قول الله تعالى : « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين إلى قوله تعالى : « فأغشيهم فمهم لا يبصرون » فلم يبق رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا فأخذ الله تعالى على أبصارهم فانصرف النسي من بينهم إلى حيث أراد أن يذهب (سيرة ابن هشام - القسم الأول ٤٨٣) .

(٦٩) قال الإمام أحمد بسنده عن حابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفره حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بنى النجار ، إذ فيه جبل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعًا مشفوه إلى الأرض حتى برك بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ هاتوا خطامًا ، فحطمه ودفعه إلى صاحبه ، قال ثم التفت إلى الناس فقال : إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله ﷺ إلا عاصي الحن والإنس . تفرد به أحمد ، ورواه جابر بسياق آخر ، وفي رواية مسلم من حديث مهدي بن ميمون أن رسول الله ﷺ قال لصاحبه : إنه شكك إلى أنك تحييه وتبعه .

(٧٠) عن سلمة بن عمرو قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه برأيه وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر فقاتل ولم يكن فتح ، وقد جهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرا ، فدعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب وهو أرم ، فتغل في عينه ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك ، فما رجع حتى فتح الله على يديه (سيرة ابن هشام : ح ٣ ص ٣٨٦ بتصرف ط دار الفكر بيروت) .

(٧١) لما هاجر رسول الله ﷺ وجعلت قريش لمن يرده مائة من الإبل ، فخرج في إثره سراقا بن مالك ، ويقول : كنت أرجو أن أردّه فأخذ المائة ناقة ، فبينما فرسي يشتد بي عثر فسقطت عنه فأبیت إلا أن أتبعه ، فركبت في إثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر في فرسي فذهبت يده في الأرض وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني ، وأنه ظاهر ، فناديت وقلت : أنا سراقا انظروني أكلمكم فوالله لا أريكم ، ولا يأتكم مني شيء تكرهونه ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : قل له ، وما تتبغى منا ، فقال لي أبو بكر ، فقلت تكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك ، فكتب لي كتابًا في عظم ، ثم ألقاه إلي فجعلته في كنانتي ثم رجعت . (سيرة ابن هشام ح ٢ ص ١٠٣ بتصرف) .

(٧٢) مر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر على مزرعة فيها غلام يعرى غنمه ، فقال له : يا غلام هل عندك من لبن تسقيناه ؟ فقال : إلى =

وتسييح^(٧٣) الطعام ، وكلام الذئب^(٧٤) ومجيئه ، وقوله للحكم إذ حكى مشيته كن كذلك ، فلم يزل يرتعش إلى أن مات ، ودعاؤه للمطر فأتى للوقت وفي الصحو فأنجلي^(٧٥) للوقت . وظهور جبريل عليه السلام مرتين مرة في صورة دحية ، ثم أتى دحية بحضرة الناس ، وأخرى في صفة رجل لم يعرفه أحد ، ولا رُئي بعدها . وقوله إذ خطب بنت الحارث بن عوف ابن أبي حارثة^(٧٦) المرى فقال : له أبوها : إن بها بياضاً فقال لتكن كذلك فبرصت في الوقت ، وهى أم شبيب بن البرصاء الشاعر المشهور ، وغير هذا كثير جداً .

ومع ما ذكرنا من أن أول من تنصّر من الملوك فقسطنطين بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفع المسيح عليه السلام ، فوالله ما قدر على إظهار النصرانية حتى رحل عن رومة مسيرة شهر ، وبنى بزنطية وهى القسطنطينية ، ثم أجبر الناس على النصرانية بالسيف ، والعطاء وكان من عهوده المحفوظة ألا يولى ولاية إلا من تنصّر ، والناس سراع إلى الدنيا ، نافرون عن الأذى^(٧٧) ، وكان مع هذا كله على مذهب أريوس^(٧٨) لا على التثليث ، ولكن هذا من دعوى النصارى وكذبهم ، مضاف إلى ما يدّعون من أنهم بعد هذه المدة الطويلة ، وبعد خراب بيت المقدس مرة بعد^(٧٩) مرة ، ويقائه خراباً لا ساكن فيه نحو مائتى عام وسبعين عاماً ، وجدوا الشوك الذى وضع على رأس المسيح

== مؤتمن ، ولست ساقيكما ، فقال النبى عليه السلام : هل عندك من جزعة لم ينز عليها الفحل ؟ قلت : نعم . فأتيتهما بها فاعتقلها النبى ﷺ ، ومسح الضرع ، ودعا ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متفجرة ، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ، ثم قال للضرع ، اقلس فقلص ، فقال : فأتيته بعد ذلك ، فقلت علمنى من هذا القول ، قال : إنك غلام مُعَلَّم (طبقات ابن سعد ح ٣ ص ١٥١ ط صيدا بيروت) .
(٧٣) فى الحديث الذى رواه الترمذى قال : رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل .
(٧٤) قال الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعى فانزعها منه ، فأقمى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتق الله ؟ تنزع منى رزقا ساقه الله إلى ، فقال : يا عجيبى ذئب يكلمنى كلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ يخرّب ، يغير الناس بأنباء ما قد سبق . قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فرواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فأمر الرسول فنودى : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعى أخبرهم فأخبرهم . فقال رسول الله ﷺ : صدق ، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذّه بما أحدث أهله بعده . وهذا إسناد على شرط الصحيح ، وقد صححه البيهقى وقال الترمذى : وهذا حديث حسن غريب صحيح . (البداية والنهاية : ح ٦ ص ١٦٣ ، ١٦٤ ط جديدة ومنقحه) .

(٧٥) فى (أ) : (فأنجل) وهو تحريف . وقصة ذلك رواها البخارى : عن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة (قحط) على عهد رسول الله ﷺ فبينما النبى يخطب فى يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا . قال أنس : فرفع النبى ﷺ يديه وما نرى فى السماء قرعة (غيمة صغيرة) فولذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار السحاب كأمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيتي ﷺ ، قال أنس : فمطرنا ذلك اليوم ومن الغد وبعد الغد والذى يليه حتى الجمعة الأخرى . قال . وقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال : يا رسول الله : تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه فقال : اللهم حو إلينا ولا علينا ، فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة (حوطة) وسال الوادى شهراً ، ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجو . (صحيح البخارى : ح ٢ : ١٥ - ٣٤) .

(٧٦) هى : حمرة ابنة الحارث بن أبى حارثة ، حطها الرسول ﷺ فقال أبوها : بها سوء ولم يكن بها ، فرجع إليها فوجدها قد برصت . وهى خامسة النساء اللاتى خطبن النبى ولم يدخل بهن والأربعة الأخريات هن : أم هانئ بنت أبى طال ، وضاعة بنت عامر بن قشير ، وصفية بنت بشامة أخت الأعور العنبرى ، وأم حبيبة ابنة عمه العباس . (الكامل : ط / ٢١١) .

(٧٧) فى (أ ، ب) : (الأدلى) .

(٧٨) فى (أ ، ب) : (بعد الأخرى) .

(٧٩) آريوس : آلهة الخصام والنزاع عند اليونان تثير الشقاق بين الآلهة والبشر (الموسوعة العربية الميسرة) .

بزعمهم ، والمسامير التى ضربت فى يديه ، والدّم الذى طار من جنبه ، والخشبة التى صلب عليها ، فلا أدري ممّن العجب !!؟ ممّن اخترع مثل هذه الكذبة الغثّة المفصّوحة ، أم ممّن قبلها وصدّق بها ، ودان باعتقادها ، وصلّب وجهه للحديث بها ؟! ليت شعري أين بقى ذلك الشوك وذلك الدّم سالمين ؟ وتلك المسامير ، وتلك الخشبة طول^(٨٠) تلك المدة ؟ وأهل ذلك الدّين مطرودون مقتولون كقتل من تستر بالزّندقة اليوم ، وتلك المدينة خراب يباب^(٨١) الدّهور الطوال ، لا يسكنها أحد إلا السباع والوحش ، وقد شاهدنا ملوكًا جلّة لهم الأتباع والأولاد والشيّع والأقارب ، صلبوا فما مضت إلّا^(٨٢) مدة يسيرة حتى لم يبق لتلك الخشب أثر ، فكيف بأمر^(٨٣) من لا طالب له ، وبدول قد انقطعت ، وبلاّد قد أفقرت وخلت ونُسيت أخبارها ؟!

وهذه البردة التى كانت للنبي ﷺ ، والقصعة والسيف على أن الدّولة متّصلة لم تنخرم منذ حينئذ ، والحمد لله رب العالمين ، قد دخلت الدّاخلة فى القصعة والسيف ، حتى لا يقين فيهما^(٨٤) عندنا اليوم ، ولولا تداول الخلفاء للباس البردة أبدًا^(٨٥) أبدًا فنقل أمرها جيلًا بعد جيل ، والمنبر كذلك لما قطعنا عليهما ، ولكنّ التداول لهما أمة بعد أمة وهما قائمان ظاهران للناس ، هو أوجب اليقين بهما ، ورفع الشك فيهما ، وكذلك كل ما جرى هذا الجرى ، ثم لم يلبث دين النصارى أن مات قسطنطين أول من تنصّر من ملوك الدنيا ، ثم مات ابنه قسطنطين بن قسطنطين^(٨٦) ، وولى ملكًا ترك النّصرانية ، ورجع إلى عبادة الأوثان إلى أن مات ، ثم ولى رجل من أقارب قسطنطين فرجع إلى النّصرانية .

وأما ديانة اليهود فما صفت فيها نيات بنى إسرائيل ، وموسى عليه السلام حتى بين أظهرهم ، ومازالوا مائلين إلى إظهار عبادة الأوثان ، ثم تكذيبهم كلهم بالشرية ، التى أتاهم بها بعد موته عليه السلام طبقة بعد طبقة إلى انقطاع دولتهم ، فكيف أن يتبعه غيرهم ؟ !!

قال أبو محمّد : وبرهان ضرورى لمن تدبّره ، حسّي لا محيد عنه ، وهو أنه لا خلاف بين أحدٍ من اليهود والنصارى ، وسائر الملل فى أن بنى إسرائيل كانوا فى مصر فى أشدّ عذاب ، يمكن

(٨٠) فى (أ ، ب) . (طوال) .

(٨١) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (يباب) .

(٨٢) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (إلّا) .

(٨٣) فى (أ ، ب) : (أمر) .

(٨٤) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (فيهما) .

(٨٥) فى (أ ، ب) : (أبد الآبد) .

(٨٦) فى (أ ، ب) : لا توجد كلمة (اس قسطنطين) .

أن يكون من ذبح أولادهم ، وتسخيرهم في عمل الطوب بالضرب العظيم ، والدّل الذي لا يصبر عليه كلب مطلق ، فأتاهم موسى عليه السلام يدعوهم إلى فراق هذا الأسر الذي قتل النفس أخف منه ، وإلى الحرية ، والملك ، والغلبة والأمن ، ومضمون ممن هو في أقل من تلك الحال أن يسارع إلى كل من طمع^(٨٧) على يديه بالفرج ، وأن يستجيب له إلى كل ما دعاه إليه ، وأن^(٨٨) أكثر من في هذا البلاء يستجيز عبادة من أخرجه منه لا سيما إلى العز والحرمة ، وكانوا أيضاً أهل عسكر مجتمع ، وبنى عم^(٨٩) يمكن منهم التواطؤ ، ثم كانوا أهل بلد صغير جداً قد تكثفهم الأعداء من كل جانب .

وأما عيسى عليه السلام فما اتبعه إلا نحو اثني عشر رجلاً معروفين ونساء قليل ، وعدد لا يبلغ جميعهم وفي جملتهم الاثنى عشر إلّا مائة وعشرين فقط هكذا في نصّ إنجيلهم ، وكانوا مشردين مطرودين^(٩٠) غير ظاهرين ، ولا يقوم بمثل هذا^(٩١) ضرورة يقين العلم .

وأما محمد ﷺ : فلا يختلف أحد في شرق^(٩٢) الأرض وغربها في أنه عليه السلام أتى إلى قوم لقاح لا يقرّون بملك ، ولا يطيعون لأحد ولا ينقادون لرئيس ، نشأ على هذا آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم مذ ألوف من الأعوام ، قد سرى الفخر ، والعز ، والنخوة ، والكبر ، والظلم ، والأنفة ، في طباعهم وهم أعداد عظيمة قد ملأوا جزيرة العرب ، وهى نحو شهرين في شهرين ، قد صارت طباعهم طباع السباع ، وهم ألوف الألوف ؛ قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبداً ، فدعاهم بلا مال ولا أتباع ، بل خذله قومه إلى أن ينحطوا من ذلك العز إلى غرم الزكاة ، ومن الحرية والظلم إلى جرى الأحكام عليهم ، ومن طول الأيدي بقتل من أحبوا ، وأخذ مال^(٩٣) من أحبوا إلى القصاص من النفس . ومن قطع الأعضاء ، ومن اللطمة من أجل من فيهم لأقل عالج^(٩٤) غريب دخل فيهم ، وإلى إسقاط الأنفة والفخر ، إلى ضرب الظهور بالسياط أو بالنعال إن شربوا خمرًا ، أو قذفوا إنسانًا ، وإلى الضرب بالسياط^(٩٥) والرّجم بالحجارة إلى أن يموتوا إن زنوا ، فانقاد أكثرهم لكل ذلك طوعًا بلا طمع ولا غلبة ولا خوف ، وما منهم أحد أخذ بغلبة إلا مكة وخيبر فقط ، وما غزا قط غزوة يقاتل فيها إلا تسع غزوات ، بعضها عليه ، وبعضها له ، فصحّ ضرورة أنّهم إنما آمنوا به طوعًا لا كرهًا ، وتبدّلت طبائعهم بقدرة الله تعالى من الظلم إلى العدل ، ومن الجهل

(٨٧) في (أ ، ب) : (يطمع) .

(٨٨) في (خ) : (وإن من أكثر من) .

(٨٩) في (أ ، ب) : (بنو عمر) وهو تحريف .

(٩٠) في (ح) : سقطت (مطرودين) .

(٩١) في (أ ، ب) : (هؤلاء) .

(٩٢) في (أ ، ب) : (مشرق) .

(٩٣) في (خ) : لم تذكر هذه العبارة .

(٩٤) العالج : الرجل من كفار العجم . وفي حديث قتل عمر قال لابن عباس : قد كنت وأنبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة (لسان

العرب) .

(٩٥) في (أ ، ب) : (بالسوط) .

إلى العلم ، ومن العسف^(٩٦) والقسوة إلى العدل العظيم الذى لم يبلغه أكابر الفلاسفة ، وأسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثأر ، وصحب منهم الرجل^(٩٧) قاتل أبيه وابنه ، وأعدى الناس له ، صحبه الإخوة المتحايين دون خوف يجمعهم ، ولا رئاسة ينفردون بها دون من أسلم من غيرهم ، ولا مال يتعجلونه .

فقد علم الناس كيف كانت سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكيف كانت طاعة العرب لهما بلا رزق ولا عطاء ولا غلبة ، فهل هذا إلّا بغلبة من الله تعالى على نفوسهم .. ؟ وقسره عز وجل لطباعهم ، كما قال تعالى : « لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ »^(٩٨).

ثم بقى عليه السلام كذلك بين أظهرهم بلا حرس ، ولا ديوان جند ، ولا بيت مال محروساً معصوماً ، وهكذا نقلت آياته ومعجزاته ، فإثماً^(٩٩) يصح من أعلام الأنبياء عليهم السلام المذكورين ما نقله هو^(١٠٠) عليه السلام لصحة الطريق إليه ، وارتفاع دواعى الكذب والعصبية جملة عن أتباعه فيه ، فجمهورهم غرباء من غير قومه لم يمتهم بدنياً ، ولا وعدهم بملك ، وهذا ما^(١٠١) لا ينكره واحد من الناس .

وأيضاً فإن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها تقتضى تصديقه ضرورة ، وتشهد له بأنه رسول الله حقاً ، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى ، وذلك أنه عليه السلام نشأ كما قلنا فى بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ، ولا خرج عن تلك البلاد قط إلّا خرجتين ، إحداها : إلى الشام وهو صبي مع عمه إلى أول أرض الشام ورجع . والأخرى : أيضاً إلى أول أرض الشام ، ولم يطل بها البقاء ، ولا فارق قومه قط ، ثم أوطأه الله تعالى على^(١٠٢) رقاب العرب كلهم^(١٠٣) ، فلم تتغير نفسه ، ولا حالت سيرته إلى أن مات ، ودرعه مرهونة فى شعير لقوت أهله أصواع ليست بالكثيرة ، ولم يبت قط فى ملكه درهم ولا دينار ، وكان يأكل على الأرض ما وجد ، ويخسف نعله بيده ، ويرقع ثوبه ، ويؤثر على نفسه . وقُتل رجل من أفاضل أصحابه - وَقَدْ مِثْلُهُ يَهْدُ عَسْكَرًا - قتل^(١٠٤) بين أظهر أعدائه من اليهود فلم يتسبب إلى أذى أعدائه بذلك ، إذ لم يوجب ربه تعالى له ذلك ، ولا توصل بذلك إلى دمائهم ، ولا إلى دم أحد منهم ، ولا إلى أموالهم بل وداه من عند

(٩٦) فى (أ ، ب) : « الفسق » .

(٩٧) فى (أ ، ب) : « وصحب الرجل منهم قاتل ابيه وأبيه » بالتقديم والتأخير .

(٩٨) سورة الأنفال : ٦٣ .

(٩٩) فى (أ ، ب) : « فأثماً » .

(١٠٠) فى (أ ، ب) : « ما نقل عنه .. بصحة » .

(١٠١) فى (أ ، ب) : « لا ينكره » بغير (ما) .

(١٠٢) فى (أ ، ب) : « سقطت كلمة (على) » .

(١٠٣) فى (أ ، ب) : « كلها » .

(١٠٤) فى الأصل : « مثل فقدته يهدى عسكراً » .

نفسه بمائة ناقة ، وهو في تلك الحال محتاج إلى بغير واحد يتقوى به ، وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الأرض وأهل الدنيا ، من (١٠٥) أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه ، ولا يقتضى هذا أيضاً ظاهر السيرة والسياسة ، فصَحَّ يقيناً بلا شك أنه إنما كان متبّعاً ما أمره به ربه عز وجل كان ذلك مُضِرّاً به في دنياه غاية الإضرار أو كان غير مُضِرٍّ به ، وهذا عجب لمن تدبّره ، ثم حضرته المنية ، وأيقن بالموت وله عمٌ أخو أبيه هو أحب الناس إليه ، وابن عمٌ هو من أخصّ الناس به ، وهو أيضاً زوج ابنته التى لا ولد له غيرها ، وله منها ابنان ذكران وكلا الرجلين المذكورين عمه وابن عمه عندهما من الفضل في الدين ، والسياسة في الدنيا ، والبأس والحلم ، وخلال الخير ما كان كل واحدٍ منهما حقيقةً بسياسة العالم كله ، فلم يحابهما ، وهما من أشدّ الناس غناء به ومحبة فيه ، وهو من أحبّ الناس فيهما ، إذ كان غيرهما متقدّماً لهما في الفضل وإن كان بعيد النسب منه ، بل فَوَّضَ الأمر إليه قاصداً إلى أمر (١٠٦) الحق ، واتباع ما أمر به ، ولم يورث ورثته ؛ ابنته ونسائه وعمه فلَساً فما فوقه ، وهم كلهم أحب الناس إليه ، وأطوعهم له ، وهذه أمور لمن تأملها كافية مغنية في أنه إنما تصرف بأمر الله عز وجل له ، بسياسة ولا بهوى ، فوضح ما (١٠٧) ذكرنا والحمد لله كثيراً . أن نبوة محمد ﷺ حق وأن شريعته التى أتى (١٠٨) بها هى التى وضحت براهينها ، واضطرت دلائلها إلى تصديقها ، والقطع على أنها الحق الذى لا حقّ سواه ، وأنها دين الله تعالى الذى لا دين له في العالم غيره ، والحمد لله رب العالمين عدد خلقه ، ورضى نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، على ما وفقنا من الملة الإسلامية ، ثم على ما يسرنا عليه من النحلة الجماعية السنية ، ثم على ما هدانا له من التدين ، والعمل بظاهر القرآن وبظاهر السنن الثابتة عنه ﷺ عن باعته عز وجل ، ولم يجعلنا ممن يقلد أسلافه وأحباره ، دون برهان قاطع ، وحجة قاهرة ، ولا ممن يتبّع الأهواء المضلّة ، المخالفة لقوله ، وقول نبيّه ﷺ ، ولا ممن يحكم برأيه وظنه ، دون هُدى من الله ورسوله .

اللهم كما ابتدأتنا بهذه النعمة الجليلة فأتمها علينا ، واصحبنا إيّاها ، ولا تخالف بنا عنها (١٠٩) حتّى تقبضنا إليك ونحن متمسكون بها فلنلقاك بها غير مبدلين ، ولا مغيّرين اللهم آمين يا رب العالمين . وصلى الله (١١٠) على محمد عبدك ورسولك ، وخلائك ، وخاتم أنبيائك خاصة ، وعلى أنبيائك عامّة ، وعلى ملائكتك كافة ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم .

(١٠٥) في (ح) سقطت كلمة (من) .

(١٠٦) في (أ ، خ) : (كَرَّ الحق) .

(١٠٧) في (ب) : (بما) .

(١٠٨) في (خ) : سقطت كلمة (أتى) .

(١٠٩) في (ب) : (بها عنا) .

(١١٠) في (ب) : (اللهم) .

« ذكر فصول يعترض بها جهال^(١) الملحدین على ضعفه المسلمین »

قال أبو محمد : إنا لما تدبرنا أمر طائفتين ممن شاهدنا في زماننا هذا ، وجدناهما قد تفاقم الداء بهما .

فأما إحداهما : فقد جلت المصيبة فيها وبها ، وهم قوم افتتحوا عنوان^(٢) فهمهم ، وابتداء^(٣) دخولهم إلى المعارف بطلب علم^(٤) العدد وبرهانه^(٥) وطبائعه ثم تدرجت^(٦) إلى تعديل الكواكب وهيئة الأفلاك ، وكيفية قطع الشمس والقمر والدراى الخمسة وتقاطع فلكى ، النيرين ، والكلام فى الأجرام العلوية ، وفى الكواكب الثابتة وانتقالها ، وأبعاد كل ذلك وأعضائه ، وفيما دون ذلك من الطبيعيات ، وعوارض الجو ومطالعة شئ من كتب الأوائل وحدودها التى نصبت فى الكلام ، وما مازج بعض ما ذكرنا من آراء الفلاسفة فى القضاء بالنجوم ، وأنها ناطقة مدبرة ، وكذلك الفلك ، فأشرفت هذه الطائفة من أكثر ما طالعت مما ذكرنا على أشياء صحاح براهينها ضرورية لائحة ، ولم يكن معها من قوة المنة ، وجودة القريحة ، وصفاء النظر ما تعلم به أن من أصاب فى عشرة آلاف مسألة فعجائز أن يخطئ فى مسألة واحدة ، لعلها أسهل من المسائل التى أصاب فيها .

(١) فى (ب) : (جهلة) .

(٢) فى (أ ، ب) : (عنفوان) .

(٣) فى (أ ، ب) : (وابتدءوا) .

(٤) فى (خ) : سقطت كلمة (علم) .

(٥) فى (أ ، ب) : (تدرجوا) .

(٦) فى (ب) : (وبرواته) .

فلم تفرق هذه الطائفة بين ما صح مما طالعوه بحجة برهانية ، وبين ما في أثناء ذلك وتضاعيفه مما لم يأت عليه من ذكره من الأوائل ، إلا بإقناع أو بشغب وربما بتقليد ليس معه شيء مما ذكرنا ، فحملوا كل ما أشرفوا عليه محملاً واحداً ، وقبلوه قبولاً مستويًا فسرى^(٧) فيهم العجب ، وتداخلهم الزهو ، وظنوا أنهم قد حصلوا على مباينة العالم في ذلك ، وللشيطان موالج خفية ، ومداخل لطيفة ، كما قال رسول الله ﷺ : « إنه يجري من ابن^(٨) آدم مجرى الدم » فتوصل إليهم من باب غامض نعوذ بالله منه ، وهو أنهم كما ذكرنا أصفار^(٩) من كل شيء ، من علوم الديانة التي هي الغرض المقصود من كل ذي لب ، والتي هي نتيجة العلوم التي طالعوا لو عقلوا سبلها ومقاصدها ، فلم يعنوا^(١٠) بآية من كتاب الله عز وجل الذي هو جامع علوم الأولين والآخرين ، والذي لم يفرط فيه من شيء ، والذي من فهمه كفاه ، ولا بسنن^(١١) من سنن رسول الله ﷺ التي هي بيان الحق ونور الألباب .

ولم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدين إلا أقوامًا لا عناية لهم بشيء مما قدمنا ، وإنما عنيت من^(١٢) الشريعة بأحد ثلاثة أوجه :

إمّا بالفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ، ولا يهتمون بفهمها .

وإمّا بمسائل من الأحكام لا يشتغلون بدلائلها ومنبعها^(١٣) ، وإنما حسبهم منها ما أقاموا به جاههم وحالهم .

وإمّا بخرافات منقولة عن كل ضعيف وكذاب وساقط ، لم يهتموا^(١٤) قط بمعرفة صحيح منها من سقيم ، ولا مرسل من مسند ، ولا ما نقل عن النبي ﷺ مما نقل عن كعب^(١٥) الأخبار ، أو وهب^(١٦) بن منبه عن أهل الكتاب . فنظرت الطائفة الأولى من هذه الآخرة بعين الاستهجان

(٧) في (ب) : (فسرى) .

(٨) أخيرًا محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة عن مجالد عن عامر عن جابر قال : وربما سألت عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : لا تدخلوا على المغيبات فإن الشيطان يجري وربما قال : يسلك الشيطان من ابن آدم مجرى الدم قالوا : ومنك . قال : نعم . ولكن الله أعانني عليه فأسلم . (سنن الدارمي) .

(٩) في (أ ، ب) : (أصفار) بالغين .

(١٠) في (أ ، ب) : (فلم يعنوا) .

(١١) في (أ ، ب) : (بسنة) .

(١٢) في (أ) : سقطت كلمة (من) .

(١٣) في (ب) : (ومنبعها) .

(١٤) لم يهتموا : اهتبل الرجل لأهله : اكتسب لهم . واهتبل الفرصة : اعتنمها - معجم متن اللغة .

(١٥) كعب الأخبار : هو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق الخبر . من مسلمة أهل الكتاب ، عن عمرو وصهيب . وعنه أبو هريرة وابن عباس ومعاوية وجماعة من التابعين . قال ابن سعد توفي سنة ٣٢ هـ . في خلافة عثمان . (تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال) .

(١٦) وهب بن منبه هو : أبو عبد الله الصنعائي الذماری ، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، ولا سيما الإسرائيلية ، يعد في التابعين أصله من أبناء الفرس ، وأمه من حمير ، ولد ومات بصعاء ، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها . ومن قوله : إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوة !! واتهم بالقدر ورجع عنه . ويقال : ألف فيه كتابا ثم ندم عليه . وحبس في كبره وامتنح . قال =

والاحتقار والاستجهال ، فتمكن الشيطان منهم ، وحلّ فيهم حيث أحب ، فهلكوا وضلّوا واعتقدوا أن دين الله تعالى لا يصح منه شيء ولا يقوم عليه دليل ، فاعتقد^(١٧) أكثرهم الإلحاد والتعطيل ، وسلك بعضهم طريق الاستخفاف والإهمال^(١٨) ، واطراح نقل الشرائع ، واستعمال الفرائض والعبادات ، وآثروا الرّاحات وركوب اللذات من أنواع الفواحش المحرمات من الخمر^(١٩) والزنا واللياقة والبغاء ، وترك الصلاة والصّيام ، والزكاة والحج والغسل ، وقصدوا كسب المال كيف تيسر ، وظلم العباد واستعمال الأهزال ، وترك الجد والتحقيق ، وتدين الأقل منهم بتعظيم الكواكب ، فأسفت نفس المسلم الناصح لهذه الملة وأهلها على هلاك هؤلاء المساكين ، وخروجهم عن جملة المؤمنين ، بعد أن غدوا بلبان الإسلام ، ونشأوا في حجور أهله ، نسأل الله العصمة من الضلال لنا ، ولأبنائنا ولكل إخواننا من المسلمين ، ونسأله تدارك من زلت به قدمه ، وهوت نعله^(٢٠) ، إنه على كل شيء قدير .

وأما الطائفة الثانية : فهم قوم ابتدءوا الطلب بحديث^(٢١) النبي ﷺ ، فلم يزدوا على طلب علو الإسناد ، وجمع الغرائب ، دون أن يهتموا بشيء مما كتبوا أو يعملوا^(٢٢) به ، وإنما يحملونه^(٢٣) حملاً لا يزدون على قراءته هذا^(٢٤) دون تدبير معانيه ، ودون أن يعلموا أنهم المخاطبون به ، وأنه لم يأت هملاً ، ولا قاله رسول الله ﷺ عبثاً ، بل أمرنا بالتفقه فيه والعمل به ، بل أكثر هذه الطائفة لا يعمل أكثرهم^(٢٥) إلا ما جاء من طريق مقاتل^(٢٦) بن سليمان ، والضحاك^(٢٧) بن مزاحم ،

== صالح بن طريف : لما قدم يوسف بن عمر العراق ، بكيت وقلت : هذا الذي ضرب وهب ابن منه حتى قتله . وفي طبقات الخوارج : أنه صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة . من كتبه : « ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم ، وقبورهم وأشعارهم » وله : « قصص الأنبياء » و « قصص الأخبار » ذكرهما صاحب كشف الظنون .

(١٧) في (أ ، ب) : (فاعتقدوا) .

(١٨) في (خ) : لم يذكر (والإهمال) .

(١٩) في (أ ، ب) : (الخمر) .

(٢٠) في (أ ، ب) : (نقله) بالقاف - وهو تحريف .

(٢١) في (أ ، ب) : (الحديث) .

(٢٢) في (أ ، ب) : (أو يعملوا) .

(٢٣) في (أ ، ب) : (تحمله حملاً) .

(٢٤) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .

(٢٥) في (أ ، ب) : (لا يعمل عندهم) .

(٢٦) مقاتل بن سليمان : هو ابن بشير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البلخي صاحب التفسير . ولد مقاتل ابن سليمان في مكانه « بلخ » ومات في خراسان سنة ١٥٠ هـ . قال النسائي : الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة : إبراهيم بن أبي يحيى بالمدينة ، مقاتل بخراسان ، محمد بن سعيد المصلوب بالشام الواقدي ببغداد . قال ابن حبان : كان مقاتل بن سليمان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبها يشبه الرب سبحانه وتعالى بالخلقين ، وكان يكذب مع ذلك في الحديث . (تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني) .

(٢٧) الضحاك بن مزاحم : هو من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، رهط « زينب » زوج النبي ﷺ ، كنيته أبو القاسم ، ولد لستين وكان يؤدب الأطفال ، وأتى خراسان فأقام بها ، ومات سنة اثنتين ومائة ، ويقال : إنه كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي وقال الذهبي : إنه كان يطوف عليهم على حمار ، وذكره ابن حبيب تحت عنوان : « أشرف المعلمين وفقائهم » ، له كتاب في التفسير . (الاعلام)

وتفسير الكلبي ، وتلك^(٢٨) الطبقة ، وكتب البدي^(٢٩) التي إنما هي خرافات موضوعة ، وأكذوبات مفتعلة ، ولدها الزنادقة تدليسا على الإسلام وأهله ، فأطلقت هذه الطائفة كل اختلاط لا يصح من أن الأرض على حوت ، والحوت على قرن ثور ، والثور على صخرة ، والصخرة على عاتق ملك ، والملك على الظلة^(٣٠) ، والظلة على ما لا يعلمه إلا الله عز وجل .

وهذا يوجب أن جرم العالم غير متناه ، وهذا هو الكفر بعينه ، فنافت هذه الطائفة التي ذكرنا كل برهان ، ولم يكن عندها أكثر من قولهم^(٣١) نُهينا عن الجدال !! فليت شعري من نهاهم عنه ؟! والله عز وجل يقول في كتابه المنزل على نبيه المرسل ﷺ : « وجادلهم بالتي هي أحسن^(٣٢) » .

وأخبر الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا : « يا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُتِرَتْ جَدَالُنَا^(٣٣) » .

وقد نص تعالى في غير موضع من كتابه على أصول البراهين ، وقد نبهنا عليها في غير ما موضع في كتابنا هذا . وحضّ تعالى على التفكير في خلق السماوات والأرض ، ولا يصح الاعتبار في خلقهما إلا بمعرفة هياتهما ، وانتقال الكواكب في أفلاكهما واختلاف حركاتها في التغريب والتشريق ، وأفلاك تدويرها ، وتعارض فللك^(٣٤) الأدوار على رتبة واحدة ، وكذلك^(٣٥) معرفة الدوائر ، والمنطقة ، والميل والاستواء ، وكذلك معرفة الطبائع ، وامتزاج العناصر الأربعة ، وعوارضها وتركيب أعضائها الحيوان من عصبه وعضله وعظامه وعروقه وشرايينه ، واتصال أعضائه بعضها ببعض ، وقواه المركبة ، فمن أشرف على ذلك وعلمه ، رأى عظيم القدرة ، وتيقن أن ذلك كله^(٣٦) صنعة ظاهرة ، وإرادة خالق قاصد^(٣٧) مختار ، لأن اختلاف تلك الحركات تضطر إلى المعرفة بأن شيئا منها لا يقوم بنفسه دون ممسك مدبر لا إله إلا هو ، ولا خالق سواه ، ولا مدبر حاشاه ولا فاعل مخترع^(٣٨) إلا هو . ثم زاد قوم منهم فأتوا بالأنفكة التي تقشعُر منها الذوائب ، وهي أن

(٢٨) في (خ) : غير مذكور .

(٢٩) في (أ ، ب) : (البديهم) بالذال .

(٣٠) في (أ ، ب) : (الظلمة والظلمة) .

(٣١) في (خ) : سقطت كلمة (قولهم) .

(٣٢) النحل : ١٢٥ .

(٣٣) هود : ٣٢ .

(٣٤) في (أ ، ب) : (تلك الأدوار) .

(٣٥) في (خ) : لم يذكر قوله : (وكذلك معرفة الدوائر ، والمنطقة ، والميل والاستواء) .

(٣٦) في (أ ، ب) : (أن كل ذلك) .

(٣٧) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (قاصد) .

(٣٨) في (ح) : سقطت كلمة (مخترع) .

أطلقوا أن الدين لا يؤخذ بحجة ، فأقروا عيون الملحدين ، وشهدوا أن الدين لا يثبت إلا بالدعاوى والغلبة ، وهذا خلاف قول الله عز وجل : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »^(٣٩).

وقوله تعالى : « فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان »^(٤٠).

هذا قول الله عز وجل ، وما جاء به نبيه ﷺ . وفي ذلك الكفاية والغناء عن قول كل قائل بعده .

وقد حاج ابن عباس الخوارج ، وما علمنا أحدًا من الصحابة رضى الله عنهم ، نهى عن الاحتجاج ، فلا معنى لرأى من جاء بعدهم ، فكان كلام هذه الطائفة مغرّبًا للطائفة الأولى بكفرها ، ومغبطًا لهم بشركهم ، إذ لم يروا في خصومهم في الأغلب إلا من هذه صفته ، ثم زادت هذه الطائفة الثانية^(٤١) غلوًا في الجنون فعاثوا كتبًا^(٤٢) لا معرفة لهم بها ، ولا طالعوها ، ولا رأوا منها كلمة ، ولا قرعوها ، ولا أخبرهم عمّا فيها ثقة ، كالكتب التى فيها هيئة الأفلاك ، ومجارى النجوم ، والكتب التى جمعها « أرسطاطاليس »^(٤٣) فى حدود الكلام .

قال أبو محمد : وهذه الكتب كلها سالمة مفيدة . دالة على توحيد الله عز وجل وقدرته ، عظيمة المنفعة فى انتقاد جميع العلوم ، وعظم منفعة الكتب التى ذكرنا فى الحدود فى^(٤٤) مسائل الأحكام الشرعية فيها^(٤٥) يتعرف كيف التوصل إلى الاستنباط وكيف تؤخذ الألفاظ على مقتضاها ، وكيف يعرف الخاص من العام ، والمجمل من المفسر ، وبناء الألفاظ بعضها على بعض . وكيف تقديم المقدمات وإنتاج النتائج ، وما يصح من ذلك صحة ضرورية أبدًا ، وما يصح مرة ويبطل أخرى ، وما لا يصح ألبتة وضروب^(٤٦) الحدود التى ما^(٤٧) شدّ عنها كان خارجًا عن أصله ، ودليل

(٣٩) البقرة ١١١٠ .

(٤٠) الرحمن : ٣٣ .

(٤١) فى ١ ح : سقطت (الثانية) .

(٤٢) فى (أ ، ب) : كتبنا .

(٤٣) أرسطاطاليس . هو ابن بقومناخس الطبيب المشهور ، كان أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الحكماء المعروفين بالمشائين ، يعرف بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ولد فى « شتاهيرا » وهى مستعمرة يونانية كانت تابعة لمكدونية ، تعلم مدة وحيزة فى « أترپوس » من آسيا الصغرى ، وفقد أمه وهو صغير ، ولما بلغ السابعة عشرة من عمره ذهب إلى أثينا ، وأخذ فيها الحكمة عن أفلاطون اليونانى . وكان أفلاطون يحبه كثيرًا وكان يقول إذا طلب أحد من الكلام اصر حتى يحصر العقل فإذا حضر أرسطاطاليس قال : تكلموا . وقد قسم فلسفته إلى قسمين : عملية ونظرية ، فالعملية هى التى تعلم قواعد التقسيم والترتيب العقلى كالمنطق . وأما النظرية فهى التى تظهر لنا الحقائق العقلية الخائصة كعلم الإلهيات والطبيعات . وقد أجمع المؤرخون على أن أرسطاطاليس هو أول من استسط صورة القياس وصورة قياس القياس . وله تآليف منها : علم الفصاحة ، علم المنطق ، الشعر والأدب ، تاريخ الحيوانات وتوى أرسطاطاليس فى حلّكس ، وقال بعضهم : إنه مات بشدة غيظه إذ لم يعرف سبب المد والحرر فى بحر أوريب ، وقيل إنه مات متحرًا فقد ألقى نفسه فى البحر . (دائرة المعارف - البستانى) .

(٤٤) فى (أ ، ب) (فعى) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : (بها) .

(٤٦) فى (أ ، ب) (وصر) .

الخطاب ، ودليل الاستقراء ، وبرهان^(٤٨) الدور وغير ذلك مما لا غناء للفقيه^(٤٩) المجتهد لدينه^(٥٠) ولأهل ملته عنه .

قال أبو محمد : فلما رأينا عظيم المحنة فيما تولد في الطائفتين اللتين ذكرنا ، رأينا من عظيم الأجر ، وأفضل العمل ، بيان هذا الباب المشكل بحول الله تعالى ، وقدرته وتأيدده ، فنقول وبه عز وجل نتأيد ونستعين :

إِنَّ كُلَّ مَا صَحَّ بِرْهَانٍ أَيْ شَيْءٌ كَانَ فَهُوَ فِي كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْصُوصٌ مَسْطُورٌ يَعْلَمُهُ كُلُّ مَنْ أَحْكَمَ النَّظَرَ ، وَأَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِفَهْمٍ ، وَأَمَّا كُلُّ مَا عَدَا ذَلِكَ مِمَّا لَا يَصَحُّ بِرْهَانٍ وَإِنَّمَا هُوَ إِقْنَاعٌ أَوْ شَغَبٌ ، فَالْقُرْآنُ وَكَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُ خَالِيَانِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

قال أبو محمد : ومعاذ الله أن يأتي كلام الله عز وجل ، وكلام نبيه ﷺ بما يبطله عيان أو برهان ، وإنما يُنسب هذا إلى القرآن والسنة من لا يؤمنون بهما ، ويسعى في إبطالهما ، « وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ ثَوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^(٥١) » .

ولسنا من تفسير الكلبي الكذاب ومن جرى مجراه في شيء ، ولا نحن من نقل المتهمين في شأن ، إنما نحتج بما نقله الأئمة الثقات والأثبات من^(٥٢) رؤساء المحدثين مسندا ، فمن فُتِّش الحديث الصحيح وجد فيه كل ما قلنا ، والحمد لله رب العالمين .

وإنما الباطل ما ادَّعته الطائفة الأولى من نطق الكواكب وتدبيرها ، وهذا كفر لا حجة عندهم على ما قالوه منه أكثر من أن المحتج لهم قال :

لما كنا نعقل ، وكانت النجوم^(٥٣) تدبرنا كانت أولى بالعقل منا . وهذا الذي ذكروه ليس بشيء ، لأن الكواكب وإن كان لها تأثير في العالم ظاهر ، فليس تأثيرها تأثير ملك واختيار ، يدل على ذلك ما ذكرناه^(٥٤) في كتابنا هذا من الدلائل على أن الكواكب مضطرة لا مختارة ، وإنما تأثيرها كتأثير النار بالإحراق ، والماء بالتبريد ، والسمم بإفساد المزاج ، والطعام بالتغذية ، والفلفل

(٤٧) في (أ ، ب) : (التي من) .

(٤٨) في (أ ، ب) : لم يذكر (برهان الدور) .

(٤٩) في (أ ، ب) : (بالميه) .

(٥٠) في (أ ، ب) : (لنفسه) .

(٥١) التوبة : ٣٢ .

(٥٢) في (ج) : سقطت كلمة (الأثبات) وذكر (رؤساء) .

(٥٣) في (أ ، ب) : (الكواكب) .

(٥٤) في (ب) : (ما قد ذكرناه) .

بحدو اللسان ، والإهليلج بالقبض للقم ، وما جرى هكذا من سائر ما فى العالم ، وكل ذلك غير ناطق ، والكواكب والأفلاك جارية هذا المجرى ، لأن تأثيرها تأثير واحد لا يختلف ، وحركتها حركة^(٥٥) واحدة لا تختلف ، وليس كذلك المختار^(٥٦) .

ولقد قال لى بعضهم وقد عارضته بهذا : إنَّ المختار الفاضل يلزم أفضل الحركات فلا يتعداها ، وتلك الحركة الدورية هى أفضل الحركات .

فقلت له : وما دليلك على أن أفضل^(٥٧) الحركات الحركة الدورية ؟ ومن أين صارت الحركة من شرق إلى غرب ، أو من غرب إلى شرق ، أفضل من^(٥٨) جنوب إلى شمال ، أو من شمال إلى جنوب ؟

وكيف يكون عندكم أفضل الحركات والأفلاك الثمانية تنتقل من غرب إلى شرق ؟ والتاسع من شرق إلى غرب ، فأى هاتين الحركتين قلت إنهما أفضل عندكم ؟

وقد اختار الآخر الحركة التى ليست أفضل فظهر فساد هذا القول بيقين^(٥٩) .

وهذه دعاوى مجردة بلا برهان ، وما كان هكذا فقد سقط ، ولا فرق بينك وبين من قال : بل الحركة علوًّا أفضل أو^(٦٠) على خط مستقيم سائرة وراجعة ، ونحن نجد تلك الأجرام تسفل فى بعض ممراتها ، وتشرف فى بعض ، وتسقط فى بعض على قولهم^(٦١) ، وتوافق بزعمهم ريح^(٦٢) نحس مظلمة ، وأخرى نيرة سعيدة ، وبعض الأفلاك تقطع من غرب إلى شرق ، وهو حركة جميعها إلَّا الأعلى منها فإنه يتحرك من شرق إلى غرب ، فليست هذه أفضل الحركات ، فبطل قولهم والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وكذلك ما ذكره من ذكر ذلك منهم من الكروار عند انتهاء آلاف من الأعوام ذكروها ، وانتصاب الكواكب الثابتة^(٦٣) على نصب ما من قطعها لفللكها ، فهذا أيضًا كذب مجرد ، ودعوى ساقطة لا دليل عليها ، ولا يعجز عن مثلها أحد ، ولم يأتوا على شيء

(٥٥) سقطت حملة (وحركتها حركة واحدة لا تختلف) . من (ح) .

(٥٦) فى (ب) : (المختارة) .

(٥٧) فى (أ) : « تلك الحركة أفضل الحركات ؟ » .

(٥٨) فى (أ ، ب) . (من الحركة) .

(٥٩) اعتمدنا كتابة هذه الفقر من أول قوله : « وكيف يكون عندكم أفضل الحركات والأفلاك الثمانية .. إلى قوله . بيقين » على النسخة

(أ) . وهذا القول كله ليس مذكورًا فى (ح) .

(٦٠) فى (ح) : « وعلى خط مستقيم » بواو العطف .

(٦١) فى (أ ، ب) : « قولكم .. وزعمكم » .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (بروج) .

(٦٣) فى (أ) : (الثابتة التى)

من ذلك شغب ولا بإقناع كيف ببرهان ، وإنما هو تقليد لبعض قدماء الصابئين^(٦٤) فمثل هذه الحماقات والخرافات هو^(٦٥) الذى دفعته الشريعة الإسلامية وأبطلته ، وأما ما قامت عليه البراهين فهو فى القرآن والسنة موجود نصاً ، واستدلالاً ضرورياً ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

(٦٤) فى (أ ، ب) : (الصائين) وهو تحريف ظاهر .

(٦٥) فى (أ ، ب) : (هو الذى) .

« مطلب بيان كروية الأرض »

قال أبو محمد : وهذا حين نأخذ إن شاء الله تعالى في ذكر بعض ما اعترضوا به ، وذلك أنهم قالوا : إن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية والسماء^(١) كذلك ، والعمامة تقول غير ذلك ، وجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضى الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض ، ولا يحفظ لأحدٍ منهم في دفعه كلمة ، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها .

قال الله عز وجل : « يَكْوَرُ الليل على النهار ، وَيَكْوَرُ النهار على الليل »^(٢).

وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض ، مأخوذ من كور العمامة ، وهو إدارتها ، وهذا نص على تكوير الأرض ودوران الشمس كذلك ، وهى التى يكون منها ضوء النهار بإشراقها وظلمة الليل بمغيبها ، وهى آية النهار بنص القرآن ، قال الله تعالى : « وجعلنا آية النهار مبصرة »^(٣).

فيقال لمن أنكر ما جهل من ذلك من العامة أليس إنما افترض الله عز وجل علينا أن نصلى الظهر إذا زالت الشمس ؟ فلا بد من بلى^(٤) . فيسألون عن معنى زوال الشمس فلا بد من أنه إنما هو انتقال الشمس عن مقابلة من قابل بوجهه القرص ، واستقبل بوجهه وأنفه وسط المسافة ، التى بين مكان^(٥) طلوع الشمس ، وبين موضع غروبها في كل زمان وكل مكان ، وأخذها إلى جهة

(١) فى (أ ، ب) : لم يذكر (والسماء كذلك) .

(٢) الزمر : ٥ .

(٣) الإسراء : ١٢ .

(٤) فى (أ ، ب) : (نعم) وهو خطأ لأن جواب الاستفهام المنفى و حالة الاثبات يكون بـ (بلى) وفى حالة النفى يكون بـ (نعم) .

(٥) فى (أ ، ب) : (موضع) .

حاجبه الذى يلى موضع غروب الشمس ، وذلك إنما هو فى أول النصف الثانى من النهار ، وقد علمنا أن المدائن من معمور الأرض آخذة على أديمها من مشرق إلى مغرب ، ومن جنوب إلى شمال فيلزم من قال : إنَّ الأرض منتصبه الأعلى غير مكورة - أن كل من كان ساكنًا فى أول المشرق ، أن يصلى الظهر فى أول النهار ضرورة ، ولا بدَّ إثر صلاة الصبح بيسير ، لأن الشمس بلا شك تزول عن مقابلة ما بين حاجبى كل واحد منهم فى أول النهار ضرورة ولا بدَّ ، إن كان الأمر على ما يقولون .

ولا يحل لمسلم أن يقول : إنَّ صلاة الظهر تجوز أن تصلى فى الوقت^(٦) المذكور ويلزمهم أيضًا أن من كان ساكنًا فى آخر المغرب أن الشمس لا تزول عن مقابلة ما بين حاجبى كل واحد منهم إلَّا فى آخر النهار ، فلا يصلون الظهر إلَّا فى وقت لا يتسع لصلاة العصر حتى تغرب الشمس ، وهذا خارج عن حكم دين الإسلام .

وأما من قال بتكويرها : فإن كل من على ظهر الأرض لا يصلى الظهر إلَّا إثر انتصاف نهاره أبدًا على كل حال وفى كل زمان ، وفى كل مكان ، وهذا بين لا خفاء به^(٧) . وقال عز وجل : « سَبَّحَ سَمَواتٍ طَباقًا »^(٨) .

وقال تعالى : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ »^(٩) .

وهكذا قام البرهان من قبل كسوف الشمس^(١٠) والقمر وبعض الدار لبعض^(١١) - على أنها سبع سموات ، وعلى أنها طرائق ، وقوله تعالى : « طرائق » يقتضى متطرقًا فيها . وقال تعالى : « وسع كرسيه السموات والأرض »^(١٢) .

وهذا نص ما قام عليه البرهان من انطباق بعضها على بعض ، وإحاطة الكرسي بالسبع السموات والأرض ، وقال رسول الله ﷺ : فاسألوا الله الفردوس الأعلى ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن^(١٣) .

(٦) فى (أ ، ب) : (قبل نصف النهار) .

(٧) فى (أ ، ب) : (بل) بدلًا من (به) .

(٨) الملك : ٣ . ونوح : ١٥ .

(٩) المؤمنون : ١٧ .

(١٠) فى (خ) : لم يذكر (الشمس والقمر) .

(١١) كلمة (لبعض) هنا لا معنى لها ولا داعى - فى نظرها .

(١٢) البقرة : ٢٥٥ .

(١٣) جاء هذا الحديث فى السحارى : فى باب التوحيد ٢٢ ، والجهاد ٤٠ ، ورواه الترمذى فى باب الجنة ٤ والعبارات متفاوتة ؛ وإحداها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان له حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها ، فقالوا يا رسول الله : أفلا تبشر الناس ؟ قال : إن فى الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، أراه فوقه عرش الرحمن ، ومنه تفرج أنهار الجنة . « قال محمد بن فليح عن أبيه - وفوقه عرش الرحمن » .

وقال عز وجل : « الرحمن على العرش استوى »^(١٤).

فأخبر هذان النصان بأن ما على العرش هو منتهى الخلق ونهاية العالم ، وقد قال تعالى :
« إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَحَقَّقْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٌ »^(١٥).

وهذا هو نص ما قام عليه البرهان من أن الكواكب المرمى بها هي دون سماء الدنيا لأنها لو كانت في السماء لكان الشياطين يصلون إلى السماء ؛ أو كانت هي تخرج عن السماء وإلا فكأن تلك الشهب لا تصل إليهم إلا بذلك ، وقد صرح أنهم ممنوعون من السماء بالرجوم ، فصح أن الرجوم دون السماء ، وأيضاً فإن تلك الرجوم ليست نجومًا معروفة وإنما هي شهب ونيازك من نار ، تتكوكب وتشتعل وتطفأ ، ولا نار في السماوات أصلاً ، فلم نجد الاختلاف إلا في الأسماء لاختلاف اللغات ، وقد اعترض القاضي منذر^(١٦) بن سعيد على رأى « أرسطاطاليس »^(١٧) في الآثار العلوية : أن السماوات بزعمه مملوءة نارا^(١٨) هذا فجعل الافلاك غير السماوات ، والسماوات فوقها وقال : لو كانت السماوات محيطة بالأرض لكان بعض السماوات تحت الأرض .

قال أبو محمد : وهذا^(١٩) ليس بشيء لأن التحت والفوق من باب الإضافة لا يقال في شيء تحت إلا وهو فوق لشيء آخر ، حاشا مركز الأرض ، فإنه تحت مطلق لا تحت له ألبته ، وكذلك كل ما^(٢٠) قيل فيه إنه فوق فهو أيضاً تحت لشيء آخر ، حاشا الملائكة^(٢١) الذين على الصفحة العليا من الفلك الأعلى المقسوم بقسمة البروج ، فإنها فوق لا فوق لها ألبته ، فالأرض على هذا البرهان للشاهد^(٢٢) هي مكان التحت للسماوات ضرورة ، فمن حيث كانت السماء فهي فوق الأرض ، ومن حيث قابلتها الأرض فالأرض^(٢٣) تحت السماء ولابد ، وحيث ما كان ابن آدم

(١٤) طه : ٥ .

(١٥) الصافات : ٦ ، ٧ .

(١٦) منذر بن سعيد (٨٨٦ - ٩٦٦ م) : هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النمرى القرطبي ، أبو الحكم البلوطي ، قاضي قضاة الأندلس في عصره ، كان فقيهاً خطيباً شاعراً فصيحاً . رحل حاشاً سنة ٣٠٨ هـ فأقام في رحلته أربعين شهراً ، أخذ بها عن بعض علماء مكة ومصر . قال ابن الفريسي : كان بصيراً بالجدل ، منحرفاً إلى مذهب أصحاب الكلام لها بالاحتجاج ، ولي قضاء « ماردة » وما والاها ، ثم قضاء الثغور الشرقية ، فقضاء الجماعة بقرطبة سنة ٣٣٩ هـ واستمر إلى أن توفي فيها ، لم تحفظ عليه مدة ولايته قضية جور ، له كتب في القرآن والسنة ، والرد على أهل الأهواء منها : الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله ، ويسمى « أحكام القرآن » و « الإبانة عن حقائق أصول الديانة » و « الناسخ والمنسوخ » (ترجمته في تاريخ علماء الأندلس لابن الفريسي ، ومطبع الأنفس) .

(١٧) راجع ص

(١٨) في (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « رأى أرسطاطاليس إلى مملوءة نارا » .

(١٩) في (أ) : زاد . بعد قال أبو محمد : (ولا برهان على ما ذكر إلا أنه قال : إن السماوات هي فوق الأرض) .

(٢٠) في (خ) : لم تذكر كلمة (كل .. فيه) .

(٢١) في (أ ، ب) : سقطت (الملائكة الذين) .

(٢٢) في (أ ، ب) : (الشاهد) .

(٢٣) في (أ ، ب) : (فهي)

فرأسه إلى السماء ، ورجلاه إلى الأرض ، وقد قال الله عز وجل : « أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا »^(٢٤).

وقال تعالى : « تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا »^(٢٥) فأخبر الله تعالى إخبارًا لا يردّه إلا كافر بأن القمر في السماء ، وأن الشمس أيضًا في السماء ، ثم قد قام البرهان الضروري المشاهد بالعيان على دورانها^(٢٦) حول الأرض من مشرق إلى مغرب ، ثم من مغرب إلى مشرق ، فلو كان على ما يظن أهل الجمل لكانت الشمس والقمر إذا دارا بالأرض وصارا فيما يقابل صفحة الأرض التي لسنا عليها قد خرجا عن السماء ، وهذا تكذيب لله تعالى ، فصح بهذا أنه لا يجوز أن يفارق الشمس والقمر السماوات ، ولا أن يخرج عنها ، لأنهما كيف دارا فهما في السماوات ، فصح ضرورة أن السماوات مطابقة طباقًا على الأرض ، وأيضًا فقد نص الله تعالى كما ذكرنا على أن الشمس والقمر والنجوم في السماوات ، ثم قال تعالى : « وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ »^(٢٧).

وبالضرورة علمنا أنه لا يمكن أن يكون جرم في وقت واحد في مكانين غير متداخلين^(٢٨) فلو كانت السماوات غير الأفلاك ، وكانت الشمس والقمر بنص القرآن في السماوات وفي الفلك لكانا في مكانين غير متداخلين في وقت واحد^(٢٩) ، وهذا محال ممتنع ، ولا ينسب القول بالحوال إلى الله تعالى إلا أعمى القلب ، فصح أن الشمس في مكان واحد ، وهو سماء وهو فلك ، وهكذا القول في القمر وفي النجوم . وقوله تعالى : « وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ »^(٣٠).

نص جلي على الاستدارة ، لأنه أخبر تعالى أن الشمس والقمر والنجوم ساجدة في الفلك ، ولم يخبر أن لها سكونًا ، فلو لم تستدر لكانت على آباد الدهور بل في الأيام اليسيرة تغيب عنا ، حتى لا نراها أبدًا لو مشيت على طريق واحد ، وخط واحد مستقيم أو معوج غير مستدير ، لكننا^(٣١) أمامها أبدًا ، وهذا باطل فصح ما^(٣٢) نراه من كرونها من غرب إلى شرق ، ومن شرق إلى غرب ، أنها دائرة ضرورة ، وكذلك قال رسول الله ﷺ إذ سئل عن قول الله تعالى عز وجل : « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا »^(٣٣) .

(٢٤) نوح : ١٥ ، ١٦ وقد حاءت هذه الآية محرفة في (أ) حيث ذكرها (ألم ترؤا) .

(٢٥) الفرقان : ٦١ .

(٢٦) في (أ ، ب) : (دورانها) .

(٢٧) يس : ٤٠ .

(٢٨) في (أ ، ب) : لا يوجد كلمة (غير متداخلين) .

(٢٩) في (ب) : جاءت العبارات مضطربة هكذا ، (في موقف غير متداخلين واحد) .

(٣٠) يس : ٤٠ .

(٣١) في (خ) : (لكن) .

(٣٢) في (أ ، ب) : (بما) .

(٣٣) يس : ٣٨ .

فقال عليه السلام : « مستقرُّها تحت العرش »^(٣٤). وصدق عليه السلام لأنها أبدًا تحت العرش إلى يوم القيامة ، وقد علمنا أنَّ مستقرَّ الشيء هو موضعه الذى يلزم فيه ولا يخرج عنه ، وإن مشى فيه من جانب إلى جانب ، « وسجودها » هو سيرها فيه^(٣٥).

حدثنا أحمد بن عمر بن أنس^(٣٦) العذرى حدثنا عبد الله^(٣٧) بن محمد الهروى ، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حموية السرخى ، حدثنا إبراهيم^(٣٨) بن خزيمة ، حدثنا عبد^(٣٩) بن حميد ، حدثنى سليمان بن حرب^(٤٠) الواشحي ، حدثنا : حماد بن سلمة^(٤١) عن إياس بن معاوية^(٤٢) المزنى قال : « السماء مقببة هكذا على الأرض » وبه إلى عبد بن حميد ، حدثنا : يحيى بن عبد^(٤٣) الحميد عن يعقوب^(٤٤) عن جعفر^(٤٥) هو ابن أبى وحشية عن سعيد هو ابن جبير

-
- (٣٤) الحديث : رواه الإمام البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه فى كتاب التفسير عند قوله تعالى « والشمس تجري لمستقرَّ لها » .
(٣٥) فى (أ ، ب) : سقط (وسجودها هو سيرها فيه) .
(٣٦) أحمد بن عمر (٣٩٣ - ٤٧٨ هـ) (١٠٠٣ - ١٠٨٥ م) : هو أحمد بن عمر بن أنس بن دهاث الرضى العذرى ، أبو العباس المعروف بابن الدلائى ، فاضل أندلسى ، من قرية دلالية من أعمال المرية ، وإليها نسبته ، ووفاته بالمرية ، أقام ثمانى سنوات بمكة فى صباه ، وأخذ عن علمائها . له كتاب « المسالك والممالك » قيل إنه من أجل ما صنف فى موضوعه . و « دلائل النبوة » .
(٣٧) هو عبد الله بن محمد بن على الأنصارى الهروى أبو إسماعيل (٣٩٦ - ٤٨١ هـ) (١٠٠٦ - ١٠٨٩ م) شيخ حراسان فى عصره ، من كبار الخنابلة ، من ذرية أبى أيوب الأنصارى ، كان بارعاً فى اللغة ، حافظاً للحديث عارفاً بالتاريخ والأنساب ، مظهرًا للسنة ، داعيًا إليها ، امتحن وأوذى وسمع يقول : « غرُضت على السيف خمس مرات لا يقال لى ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لى : اسكت عمن خالفك فأقول : لا أسكت ! » من كتبه « ذم الكلام وأهله - خ » و « الفاروق فى الصفات » و « كتاب الأربعين » فى التوحيد ، والأربعين فى السنة ، ومنازل السائرين ، و « سيرة الإمام أحمد بن حنبل » فى مجلد . (الأعلام) . وثمة علم آخر اسمه : عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير ، أبو ذر الأنصارى الهروى : عالم بالحديث من الحفاظ من فقهاء المالكية يقال له ابن السماك ، أصله من هراة ، نزل بمكة ومات بها ، وله تصانيف ، منها تفسير القرآن ، والمستدرك على الصحيحين ، و « السنة والصفات » و « معجمان » أحدهما فيمن روى عنهم الحديث ، والثانى فيمن لقيهم ولم يأخذ عنهم (الأعلام : ٤ / ٤١) . ولعل هذا هو المقصود ويظهر أن اسمه (عبد) لا عبد الله كما ذكره ابن حزم ..
(٣٨) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الحذامى النيسابورى فقيه حنفى محدث من أهل نيسابور ، حدث بالعراق وخراسان والشام ، توفى سنة ٣١٧ هـ ، له مصنفات كثيرة .
(٣٩) هو : عبد بن حميد بن نصر الكسى ، أبو محمد من حفاظ الحديث ، قيل اسمه عبد الحميد نسبته إلى « كِسْ » مدينة سمرقند . من كتبه « مسند كبير وتفسير » توفى عام ٢٤٩ هـ .
(٤٠) هو : سليمان بن حرب بن بجيل الأزدى الواشحي ، أبو أيوب ، قاض من أهل البصرة ، سكن مكة ، وولى قضاءها سنة ٢١٤ هـ ، وعزل سنة ٢١٩ هـ ، فرجع إلى البصرة فتوفى فيها عام ٢٢٤ هـ ، وكان ثقة فى الحديث .
(٤١) هو : حماد بن سلمة بن دينار البصرى الرضى بالولاء ، أبو سلمة ، مفتى البصرة ، وأحد رجال الحديث ، كان حافظاً ثقة مأموناً إلا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخارى وأما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره ، ونقل الدهمى : كان حماد إماماً فى العربية فقيهاً فصيحاً ، موهباً ، شديداً على المبتدعة ، له تأليف ، وقال ابن ناصر الدين هو أول من صنف التصانيف المرضية . توفى سنة ١٦٧ هـ . (تذكرة الحفاظ ج ١) .
(٤٢) هو : إياس بن معاوية بن قرة المزنى ، أبو وائلة ، قاضى البصرة ، وأحد أعاجيب الدهر فى الفطنة والذكاء ، يضرب المثل بذكائه ، ودقته ، قيل له ما فىك عيب إلا أنك معجب فقال : أعجبكم ما أقول ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أحق بأن أعجب به ، ودخل مدينة « واسط » وعاش فيها فترة . قال الجاحظ : إياس من مفاخر مضر ، ومن مقدّمى القضاة ، كان صادق الحدس ، نقاباً ، عجيب الفراسة ، ملهمًا ، وجيهاً عند الخلفاء ، وللدائى كتاب سمّاه « زكن إياس » . توفى بواسط سنة ١٢٢ هـ .
(٤٣) هو : يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمائى ، الكوفى ، أبو زكريا ، أول من صنف المسند بالكوفة ، وهو من حفاظ الحديث الرّحّالين ، كان يحفظ عشرة آلاف حديث يسردها سرّداً ، واختلفوا فى الثقة بروايته ، مات بسر من رأى عام ٢٢٨ هـ .

قال : « جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنه فقال : « أرأيت قول الله عز وجل » : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن »^(٤٦) .

قال ابن عباس : « هن ملتويات بعضهن على بعض » .

حدثنا عبد الله بن ربيع التميمي ، حدثنا محمد بن معاوية^(٤٧) القرشي ، حدثنا أبو يحيى^(٤٨) زكريا ابن يحيى الساجي البصري قال : أنبأنا عبد^(٤٩) الأعلی ومحمد^(٥٠) بن المثني ، وسلمة^(٥١) بن شبيب قالوا كلهم : حدثنا وهب^(٥٢) بن جرير بن حازم قال : سمعت محمد^(٥٣) بن إسحاق يحدث عن يعقوب^(٥٤) ابن عتبة ، وجبير بن محمد^(٥٥) بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جدّه قال :

(٤٤) هو : يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدى أبو يوسف الدورق ، محدث العراق في عصره ، كان ثقة حافظاً متقناً ، أخذ عنه الأئمة الستة ، له مسند في الحديث ، والدورق ، نسبة إلى لبس الدورقية ، وهى فلانس طوال ، كان يلبسها المنتسكون في ذلك الزمان ، توفى عام ٢٥٢ هـ .

(٤٥) هو : جعفر بن إيلس وهو ألى وحشية اليشكري ، أبو بشر الواسطي ، بصرى الأصل ، روى عن عباد بن شرحبيل ، وله صحبة ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ومجاهد ، وعنه الأعمش وأيوب وهما من أقرانه ، وداود بن أبي هند ، قال أحمد : وكان شعبة يقول : لم يسمع أبو بشر من حبيب وقال ابن معين وأبو زرعة ، وأبو حاتم والنسائي : ثقة ، وقال مطين : مات سنة ١٢٣ هـ ، وكان ساجداً خلف المقام حين مات ، وقال ابن حبان : في الثقات : مات في الطاعون سنة ١٣١ هـ (تهذيب التهذيب : ٢ / ٨٣ ، ٨٤) .

(٤٦) (الطلاق : ١٢) .

(٤٧) هو : محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان أبو بكر المعروف بابن الأحمر ، محدث أندلسي ، رحل إلى العراق ومصر وغيرها ، وهو أول من أدخل سنن النسائي إلى الأندلس ، وحديث به ، وانتشر عنه . توفى سنة ٣٦٥ هـ .

(٤٨) هو : زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدى الضبي البصري الساجي أبو يحيى محدث البصرة في عصره ، كان من الحفاظ الثقات ، له كتاب جليل في علل الحديث يدل على تبحره ومن كتبه : اختلاف الفقهاء . توفى بالبصرة عام ٣٠٧ هـ .

(٤٩) هو : عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي أبو مسهر ، من حفاظ الحديث ، ويقال له ابن أبي دراهم ، كان شيخ الشام ، وعالمها بالحديث والمغازي ، وأيام الناس ، وأنساب الشاميين . امتحنه المأمون العباسي وهو في الرقة ، وأكرمه على أن يقول : القرآن مخلوق فامتنع ، فوضعه في النطع ، فمذ رأسه وجرد السيف فأبى أن يجيب ، فحمل إلى السجن بغداد فأقام نحواً من مائة يوم ، ومات سنة ٢١٨ هـ .

(٥٠) هو : محمد بن المثني بن عبيد بن قيس بن دينار ، عالم بالحديث من الحفاظ من أقران بُندار من أهل البصرة ، قال الخطيب : كان ثقة ثباتاً ، زار بغداد وحديث بها ، وعاد إلى البصرة فتوفى فيها عام ٢٥٢ هـ ، حدث عنه الأئمة الستة ، وابن خزيمة ، وابن صاعد ، قال ابن حبان : كان صاحب كتاب لا يقرأ إلا من كتابه ، روى عنه البخاري ١٠٣ أحاديث ، ومسلم ٧٧٢ حديثاً . (الأعلام : ٧ / ٢٤٠) .

(٥١) هو : سلمة بن شبيب النيسابوري ، أبو عبد الرحمن من كبار رجال الحديث ، من أهل نيسابور رحل إلى سورية ، واليمن والحجاز في طلب الحديث ، ورحل إلى مصر قبل وفاته بعام فأخذ عنه بعض أعلامها وتوفى بمكة على الأرجح سنة ٢٤٧ هـ (الأعلام : ٣ / ١٧٢) .

(٥٢) وهب بن جرير : هو ابن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدي أبو العباس البصري الحافظ روى عن أبيه بن عمار ، وهشام ابن حسان وابن عون . وعنه أحمد بن حنبل وعلى بن المديني ، ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه . قال سليمان بن داود القزاز : قلت لأحمد : أريد البصرة ممن أكتب ؟ قال : عن وهب بن جرير وأبي عامر العقدي . قال ابن سعيد مات سنة ست ومائتين ، وقال هارون بن عبد الله مات وهب في المحرم سنة سبع (تهذيب التهذيب : ١١ / ١٦٢) .

(٥٣) هو : محمد بن إسحاق بن يسار الملقب من أهل المدينة : له السيرة النبوية ، رواها عنه ابن هشام ، وكتاب الخلفاء ، وكتاب المبدأ ، وكان قدرته ، ومن حفاظ الحديث ، زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ ، وسكن بغداد ، فمات فيها عام ١٥١ هـ ، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد ، قال ابن حبان : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار (الأعلام : ٦ / ٢٥٢) .

(٥٤) هو : يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس بن شريق : رأى السائب بن يزيد ، وروى عن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان ابن يسار ، وجبير بن محمد بن جبير ، وغيرهم ، وعنه ابنه محمد ، ومحمد بن إسحاق ، وعبد الواحد بن أبي عون ، كان ثقة له أحاديث كثيرة ورواية ، وعلم بالسيرة وغير ذلك . قال ابن معين وأبو حاتم ، والنسائي ، والدارقطني : ثقة عدّة بعضهم من فقهاء أهل المدينة . مات سنة ١٢٨ هـ (تهذيب التهذيب : ١١ / ٣٩٤) .

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ . فقال يا رسول الله : « جهدت الأنفس ، وضاع العيال ، ونهكت الأموال ، وهلك الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فذكر الحديث بطوله^(٥٦) ، وفيه أنّ النبي ﷺ قال للأعرابي : « ويحك أما تدري ما الله ؟ ! إنّ عرشه على سماواته وأرضه هكذا ، وقال بأصابعه مثل القبة » ووصف لهم وهب بن جرير يده ، وأمال كفّه وأصابعه اليمنى ، وقال هكذا حدثنا محمد بن سعيد بن نبات ، حدثنا أحمد بن عون الله^(٥٧) ، وأحمد بن عبد^(٥٨) البصير قالوا جميعاً أنّنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى ، حدثنا محمد بن بشار بن دار ، حدثنا عبد الصمد^(٥٩) بن عبد الوارث الثوري ، حدثنا شعبة^(٦٠) عن الأعمش هو سليمان ، عن مسلم^(٦١) البطّين ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » : فلك كفلك المغزل .

(٥٥) هو : جبير بن محمد بن جبير بن مطعم : روى عن أبيه عن جدّه ، وعنه يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأنس ، وحصين ابن عبد الرحمن ، وروى له أبو داود حديثاً واحداً ، ووقع عنده عن يعقوب بن عتبة ، وجبير بن محمد ، والصواب عن جبير . كذا في المعجم الكبير وغيره . ذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب : ٢ / ٦٣) .

(٥٦) جاء هذا الحديث في صحيح البخارى في باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة : عن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ في يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يا رسول الله : هلك المال وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه وما نرى في السماء فرجة ، فوالذي نفسى بيده ، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيتي ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغدو بعد الغد والذي بعده حتى الجمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره : فقال يا رسول الله : تهديم البناء ، وغرق المال فادع الله لنا !! فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فما أشار بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة .

(٥٧) هو : أحمد بن عون الله بن محمد بن أحمد بن عون بن محمد بن عون المعافى ، أبو القاسم روى عن أبي بكر بن العري وأبوى عبد الله : جعفر بن محمد بن مكى وابن أوى الخصال وكان فقيهاً مشاوراً . (تهذيب التهذيب : ١ / ٣٥٣) .

(٥٨) هو : عبد الصمد بن عبد الوارث التنورى : هو ابن سعيد الحافظ الحجة أبو سهل التميمي مولا لهم البصرى محدث البصرة . روى عن أبيه علمه ، وعن هشام الدستوائى وعكرمة بن عمار وربيعة بن كلثوم ، وحرب بن ميمون وحرب بن أبى العالية ، وحرب بن شداد وطبقتهم ، وعنه ابن معين وابن راهويه ، وبن دار والذهلى وعبد ، وابنه عبد الوارث بن عبد الصمد . قال أبو حاتم : صدوق . وقال ابن سعد : مات سنة سبع ومائتين رحمه الله تعالى . (تذكرة الحفاظ للذهبي : للذهبي ص ٣٤٤) .

(٦٠) شعبة هو : شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولا لهم أبو بسطام الواسطي ثم البصرى روى عن كثير من الرجال الحفاظ : عن علي بن الجعد قال أبو طالب عن أحمد : شعبة أثبتت في الحكم من الأعمش وأعلم بحديث الحكم ، ولولا شعبة ذهب الحديث الحكم ، وشعبة أحسن حديثاً من الثوري ، لم يكن في زمن شعبة مثله في الحديث ، ولا أحسن حديثاً منه ، قسم له من هذا حظ .

قال أبو بكر بن مسجويه : إن شعبة ولد سنة ٨٢ هـ في البصرة ، ومات سنة ١٦٠ هـ . وكان من سادات أهل زمانه حفظاً وإتقاناً وروعةً وفضلاً ، وهو أول من فتن بالعراق عن أمر المحدثين ، وجانب الضعفاء والمتروكين ، وصار علماً يقتدى به . وذكر ابن أبى خيثمة أنه كان يخطئ في الأسماء .

وقال الدار قطنى في العلل : كان شعبة يخطئ في أسماء الرجال كثيراً لتشاغله بمعظم المتون .

وقال ابن معين : كان شعبة صاحب نحو وشعر . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٤٦ رقم العلم ٥٨١) .

(٦١) مسلم البطّين : هو مسلم بن صبيح الهمداني مولا لهم أبو الضحى الكوفي العطار ، وقيل مولى آل سعيد بن العاص ، روى عنه النعمان ابن بشير وابن عباس وابن عمر وشقيق بن مسروق بن الأجدع وعبد الرحمن بن هلال وعلقمة بن فيس وغيرهم . وأرسل عن علي بن أبي طالب روى عنه الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وأبو يعفور الصغير ، وسعيد بن مسروق ، وقطر بن خليفة وعطاء بن السائب . قال ابن معين وأبو زرعة : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن سعد مات في خلافة عمر بن عبد العزيز (تهذيب التهذيب : ١٠ / ١٣٢) .

قال أبو محمد : وذكروا أيضاً قول الله عز وجل عن ذى القرنين^(٦٢) : « وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ »^(٦٣).

وقرىء أيضاً حامية .

قال أبو محمد : وهذا هو الحق بلا شك ، وذو القرنين هو كان في العين الحمئة . والحامية^(٦٤) حمئة^(٦٥) من حمايتها ، حامية من استحرارها ؛ كما تقول رأيتك في البحر تريد إنك إذ رأيته كنت أنت في البحر ، وبرهان هذا : أن مغربها الشتوى [إذا كانت من آخر رأس الجدى] إلى آخر مغربها الصيفى إذا كانت من رأس السرطان مرئى مشاهد ومقداره ثمان وأربعون درجة من الفلك ، وهو يوازى من الأرض كلها بالبرهان الهندسى أقل من مقدار السدس ، يكون من الأميال نحو ثلاثة آلاف ميل ونيف ، وهذه المساحة لا يقع عليها في اللغة اسم عين ألبتة ، لاسيما أن تكون عيناً^(٦٦) حمية حامية وباللغة العربية خطوطنا ، فلما تيقنا أنها عين بإخبار الله عز وجل الصادق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، علمنا يقيناً أن ذا القرنين انتهى به السير في الجهة التى مشى فيها من المغارب إلى العين المذكورة ، وانقطع له إمكان المشى بعدها ؛ لا اعتراض البحار له هنالك ، وقد علمنا بالضرورة أن ذا القرنين وغيره من الناس ليس يشغل من الأرض إلا مقدار مساحة جسمه فقط قائماً أو قاعداً أو مضجعاً ، ومن هذه صفته فلا يجوز أن يحيط بصره من الأرض بمقدار مكان المغارب كلها ، لو كان مغيبها في عين من الأرض كما يظن أهل

(٦٢) ذو القرنين هو : الإسكندر الأكبر اليونانى كان ملكاً بعد أبيه على مقدونية ، واستولى على بلاد الروم أجمع ، ثم انتصر على دار ملك الفرس فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة ، وقدم إلى أرض الهند فقتل ملكها وفتح مدينتها ، وخرّب بيوت الأصنام ، ثم سار إلى الصين فصاعد ملكها ، وأعجب بعقله وحكمته وتركه يدير شئون مملكته وظل يفتح ويملك حتى وصل إلى ديار بأجوج ومأجوج ، وقد اختلفت الأقوال فيهم ، ورجح ابن الأثير أنهم قوم من الترك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون ، وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الأرض ، فلما رأى أهل البلاد المجاورة لهم الإسكندر شكواً إليه أمرهم ، وطلبوا إليه أن يبنى لهم سداً يحول بينهم وبينه فقال لهم : أعينوني بالفعللة والصناع والآلات التى يبنى بها فأحضروا له قطع الحديد ، فحفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل الحديد والحطب صفوفاً بعضها فوق بعض حتى إذا ساوى بين الصدفين وهما جبلان أشعل النار في الحطب فحمى الحديد وأفرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد فبقى كأنه يرد عبر من حمرة النحاس وسواد الحديد ، فامتنعت بأجوج ومأجوج من الخروج إلى البلاد المجاورة لهم . وقد أشارت إلى ذلك الآيات الكثيرة في قوله تعالى : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدتها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما ، قلنا يا ذا القرنين إما أن تعزب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ... » إلى قوله تعالى : « حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً قالوا : يا ذا القرنين : إن بأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ، قال : ما مكنتي فيه رى خير ، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً ، آتوا زير الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال : آتوا أفرغ عليه قطرا ، فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا » . (الكهف : ٨٢ - ٩٧) .

ورجع الإسكندر إلى العراق فمات في طريقه بشهر زور ، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة ، ودفن في تابوت من ذهب مرصع بالجواهر وطلّى بالصبر لئلا يتغير وحمل إلى أمه بالإسكندرية ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، وبنى اثنتى عشرة مدينة منها : أصبهان وهراة ، ومرو وسمرقند ، والإسكندرية . (الكامل : ١٥٩/١ وما بعدها بتصرف) .

(٦٣) الكهف : ٨٦ .

(٦٤) في (أ ، ب) : الحمئة : الحامية بغير واو العطف .

(٦٥) في (أ ، ب) : (حمئة) .

(٦٦) في (خ) : لم تذكر كلمة (عينا) .

الجهل ، ولابد من أن يلقي خط بصره من حَدِّه الأرض أو من نشز من أنشازها ما يمنع الخط من التمداد ، إلا^(٦٧) أن يقول قائل : إنَّ تلك العين هي البحر فلا يجوز أن يسمَّى البحر في اللغة عينًا حمئة ولا حامية . وقد أخبر الله عزَّ وجل أن الشمس تسبح في الفلك ، وأنها إنما هي في^(٦٨) الفلك سراج ، وقول الله تعالى هو الصدق الذي لا يجوز أن يختلف ولا يتناقض ، فلو غابت في عين في الأرض كما يظن أهل الجهل ، أو في البحر لكانت الشمس قد زالت عن السماء ، وخرجت عن الفلك ، وهذا هو الباطل المخالف لكلام الله عزَّ وجل حقًا نعوذ بالله من ذلك ، فصَحَّ يقينًا بلا شك أنَّ ذا القرنين كان^(٦٩) في العين الحمئة الحامية حين انتهى إلى آخر البر في المغرب ، وبالله تعالى التوفيق ، لاسيما مع ما قام البرهان عليه من أن جرم الشمس أكبر من جرم الأرض ، وبالله تعالى التوفيق .

وبرهان آخر قاطع : وهو قول الله عزَّ وجل : « وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ » وقرء حامية ، « وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا^(٧٠) » ، فصَحَّ ضرورة أنه وجد القوم عند العين لا عند الشمس ، ومن كان عند العين فهو في العين^(٧١) ، وقال الله عزَّ وجل : « وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ^(٧٢) » .

وصح^(٧٣) الإجماع والنص على أنَّ أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه في الجنة إلا في قول من لا يعد في^(٧٤) جملة أهل الإسلام ممن يقولون بفناء الأرواح وأنها أعراض ، وكذلك أرواح الشهداء في الجنة ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه رآهم ليلة أُسرى به في السماوات سماء سماء ؛ آدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى وإبراهيم في السادسة والسابعة ، صَلَّى الله على جميعهم ، فصَحَّ ضرورة أنَّ السماوات هي الجنات ، وقد قال عليه السلام : « إِنَّ أرواح الشهداء طير خضر تعلق في ثمار الجنة^(٧٥) » .

ومن المحال الممتنع الذي لا يظنه مسلم ، أن تكون أرواح الشهداء طيورًا خضرًا^(٧٦) في الجنة ،

(٦٧) في (أ ، ب) : (إل) .

(٦٨) في (أ ، ب) : (من) .

(٦٩) في (أ ، ب) : (كان هو) .

(٧٠) سورة الكهف : ٨٦ .

(٧١) في (أ ، ب) : لم تذكر جملة (ومن كان عند العين فهو في العين) .

(٧٢) سورة آل عمران : ١٣٣ .

(٧٣) في (أ ، ب) : (وقد صح) .

(٧٤) في (أ ، ب) : (من) .

(٧٥) ونص الحديث كما رواه أبو داود في باب الجهاد : « قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوان أحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة » .

(٧٦) لم تذكر في (ح) كلمة (طيورًا خضرًا) .

وأرواح الأنبياء عليهم السلام في غير الجنة ، إذ هم أولى بكل فضل^(٧٧) ، ولا مكان أفضل من الجنة .

حدثنا أحمد بن عمر^(٧٨) بن أنس العذري ، حدثنا أبوذر^(٧٩) الهروي ، حدثنا أحمد ابن عبدان الحافظ النيسابوري بالأهواز ، حدثنا محمد^(٨٠) بن سهل القرشي ، حدثنا محمد ابن إسماعيل البخاري^(٨١) مؤلف الصحيح ، حدثنا أبو عاصم^(٨٢) النبيل حدثنا عبد الله^(٨٣) بن أمية ؛ ابن عبد الله بن خالد ابن أسيد ، حدثنا محمد^(٨٤) بن جبير عن صفوان^(٨٥) بن يعلى عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « البحر من جهنم أحاط به سرادقها^(٨٦) » .

حدثنا يوسف بن عبد الله بن مغيث ، حدثنا أحمد بن^(٨٧) عبد الله بن عبد الرحيم حدثنا

(٧٧) لم تذكر في (خ) جملة (إذ هم أولى بكل فضل) .

(٧٨) هو أحمد بن عمر بن أنس الزغبى العذري المعروف بابن الدلائى ، ولد سنة ٣٩٣ هـ ، وأقام ثمانى سنوات في مكة في صباه ، وأخذ عن علمائها ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ بالمرية ، له كتاب المسالك والممالك قيل : إنه من أجل ما صنف في موضوعه ، وله أيضاً كتاب : دلائل النبوة (الأعلام للزركلى ح ١ ص ١٧٩) .

(٧٩) هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفيظ أبو ذر الأنصارى الهوى ، ولد سنة ٤٣٤ هـ عالم بالحديث ، من الحفاظ ، ومن فقهاء المالكية ، أصله من « هراة » نزل بمكة ومات بها . له تصانيف منها تفسير القرآن ، والمستدرک على الصحيحين ، ومعجمان أيضاً أحدهما فيمن روى عنه الحديث ، والثانى فيمن لقيهم ولم يأخذ عنهم . توفى بمكة سنة ٤٧٥ هـ (الأعلام : ح ٤ ص ٤١) .

(٨٠) هو محمد بن أبى سهل القرشى ، روى عن مكحول بحديث مرسل ، وعنه أبو بكر بن عياش ، وخراشى القرشى ، قال البخارى : لا يتابع على حديثه ، وذكره ابن حبان فى الثقات . (تهذيب التهذيب لابن حجر ح ٩ / ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٨١) هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن برونه الجعفى ، مولاهم أبو عبد الله البخارى ، ولد فى شوال سنة ١٩٤ هـ ، وتوفى يوم السبت غرة شوال سنة ٢٥٦ هـ قال أحمد بن سيار المروزي : محمد بن اسماعيل طلب العلم ، وجالس الناس ، ومهر فى الحديث ، ورجل إليه . وقال أبو عباس بن سعد : لو أن رجلاً كتب ثلاثين ألف حديث لما استعنى عن كتاب محمد بن اسماعيل ، وروى عنه أنه كان لا يضع حديثاً إلا توضأ ، وصلى ركعتين . وكتابه يعتبر أصبح الكتب بعد كتاب الله (تهذيب التهذيب ح ٩ ص ٤٧ - ٥٥ بتصرف) .

(٨٢) هو الضحاك بن مخلد الضحاك الشيبانى أبو عاصم النبيل البصرى ، حدث عن نفسه فقال : ولدت سنة ١٢٢ هـ وقال حابر بن كردى : توفى سنة ٢١١ هـ وقال غيره سنة ٢١٢ هـ ، وقال البخارى سنة ٢١٤ هـ . قال عنه عثمان الدارمى : إنه ثقة ، وقال العملى ، ثقة كثير الحديث . وقال أبو حاتم : ثقة . وقال البخارى : سمعت أبا عاصم يقول : مذ عقلت أن الغيبة حرام ، ما اغتبت أحداً قط . (تهذيب التهذيب : ٤ - ٤٥٠ - ٤٥٢ بتصرف) .

(٨٣) راجع ترجمته فى الجزء الأول .

(٨٤) هو محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن قصي ، أبو سعيد المدنى ، روى عن أبيه وعمر وابن عباس ، وروى عنه أولاده ، والزهرى ، وعمر بن دينار وغيرهم . ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من تابعى أهل المدينة ، وكان ثقة ، قليل الحديث ، وقال العملى : مدنى تابعى ثقة ، وكان أعلم قریش بأحاديثها ، ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال خليفة بن خياط وغيره مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله . (تهذيب التهذيب ح ٩ ص ٩١ ، ٩٢ بتصرف) .

(٨٥) هو صفوان بن يعلى بن أمية التميمي ، روى عن أبيه ، وعنه ابن أخيه محمد بن على بن يعلى وعطاء بن أبى رباح ، والزهرى . ذكره ابن حبان فى الثقات . قلت وقال : روى عنه محمد بن جبير بن مطعم . (تهذيب التهذيب ح ٤ : ٤٣٢) .

(٨٦) وروى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده بسنده قال : حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا أبو عاصم قال ثنا عبد الله بن أمية ، قال : حدثنى محمد بن حى ، قال : حدثنى صفوان بن يعلى عن أبيه : أن النبي ﷺ قال : البحر هو جهنم ، قالوا ليعلى فقال : ألا ترون أن الله عز وجل يقول : نارا أحاط بهم سرادقها . قال : لا والذي نفس يعلى بيده ، لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عز وجل ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله عز وجل . (مسند الإمام أحمد : ٤ / ٢٢٣) .

(٨٧) هو الحافظ أبو بكر بن البرقي ، أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، سمع من عمرو بن أبى سلمة ، وطبقته ، وله مصنف فى معرفة الصحابة ، رواه عنه أحمد بن على المدائنى ، وكان من الحفاظ المتقين ، وفسته دابة فى رمضان سنة ٢٧٠ هـ فتلف رحمه الله . (تذكرة الحفاظ : للذهبي : ٢ / ٥٧٠) .

أحمد^(٨٨) بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد السلام^(٨٩) الخشني ، حدثنا محمد^(٩٠) محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن^(٩١) سعيد القطان عن عثمان^(٩٢) بن غيات عن عكرمة^(٩٣) مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنه عن كعب^(٩٤) قال : « والبحر المسجور يُسَجَّر فيكون جهنم^(٩٥) » .

حدثنا عبد الله بن ربيع التميمي ، حدثنا عبد الله بن محمد^(٩٦) بن عثمان الأسدي ، حدثنا أحمد بن خالد ، حدثنا علي بن^(٩٧) عبد العزيز ، حدثنا الحجاج^(٩٨) بن المنهال السلمي ، حدثنا

(٨٨) هو أبو جعفر أحمد بن خالد الخلال ، الفقيه العدادي . روى عن ابن عيينه ، ومعن بن عيسى القزالي ، وإسحاق الأزرق العسكري ، والشافعي ، ويحيى بن هارون ، وروى عنه الترمذي والنسائي ، وأبو حاتم الرازي ، وعبد الله بن أحمد ، وأبو العباس بن مسروق ، وابن جرير وغيرهم . قال فيه العجلي : ثقة . وقال أبو حاتم : كان خيراً ، فاضلاً ، عدلاً ، صدوقاً ، وقال الدارقطني : ثقة نبيل ، وقال النسائي : لا بأس به . مات سنة ٢٤٧ هـ . كما قال ابن نافع وقيل سنة ٢٦٣ هـ كما روى ذلك ابن حجر (تهذيب التهذيب : ١ / ٤٧) .

(٨٩) هو محمد بن عبد السلام بن ثعلبة ، القرطبي الخشني كنيته : أبو الحسن ، لغوى من حفاظ الحديث ، وهو من أهل قرطبة ، رحل إلى المشرق ، وأقام حمساً وعشرين سنة متجولاً في طلب الحديث ، كان ثقة كبيراً الشأن ، أريد على القضاء فامتنع ، له مصنف في شرح الحديث . (الأعلام : ٧ / ٧٦ ، ٧٧) .

(٩٠) هو محمد بن بشار العدلي ، شيخ يماني ، روى عن بكر بن الشرد عن مالك ، وروى عنه جعفر بن برد بن السوس ، وأورد له الدارقطني في غرائب مالك حديثاً ، وقال : إنه حديث منكر ، وجعفر المذكور من شيوخ أبي سعيد بن الأعرابي . قال ابن حجر : « ما عرفت فيه جرماً ولا في شيخه ، وذكرته هنا للتمييز » . (تهذيب التهذيب : ٩ / ٧٣ بتصرف) .

(٩١) هو : يحيى بن سعيد بن فاروخ القطان ، التميمي ، أبو سعيد ، من حفاظ الحديث ، ثقة حجة ، من أقران مالك ، من أهل البصرة ، كان يفتي بقول أبي حيفة ، وأورد له البلخي سقطات ولم يعرف له تأليف . توفي عام ١٩٨ هـ (الأعلام : ٩ / ١٨١) .

(٩٢) هو عثمان بن غيات الزهراني ، البصري ، روى عن أبي عثمان النهدي ، وأبي الشعثاء جابر بن زيد ، وعبد الله بن شقيق ، وعكرمة ابن عباس ، وعنه : شعبة والقطان وخالد بن الحارث وآخرون . قال البخاري عن علي بن المديني : له نحو عشرة أحاديث . وقال أحمد : ثقة . كان يرى : الأرجاء . كتب عن عكرمة . روى أبو نعيم عنه ، وروى مسلم بن الحجاج عنه أيضاً ، كما علق عليه البخاري . (تهذيب التهذيب : ٦ / ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف) .

(٩٣) هو : عكرمة بن عبد الله البربري ، أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، تابعي كان من أعلم الناس بالتفسير ، والمعازي ، طاف البلدان . وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعياً . وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأى الصفرية وعاد إلى المدينة ، فطلبه أميرها ، فغيب عنه حتى مات عام ١٠٥ هـ (الأعلام : ٥) .

(٩٤) هو : كعب بن مانع الحميري ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأخبار ، أسلم في أيام أبي بكر ، وقيل في أيام عمر ، روى عن عائشة ، ومعاوية ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام ، توفي في حمص سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان ، وقد بلغ مائة وأربع سنين . (تهذيب التهذيب : لابن حجر : ٨ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ بتصرف) .

(٩٥) هذا الأمر من كلام كعب الأخبار

(٩٦) سبق الترجمة له .

(٩٧) هو علي بن عبد العزيز البغوي نزيل مكة أحد الحفاظ المكثرين مع علو الإسناد ، وهو عم الحافظ الكبير أبي القاسم عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوي المعروف بابن بنت منيع ، وجده لأنه هو أحمد بن منيع أحد الحفاظ ، مات على ممكة في سنة بضع وثلاثين ومائتين . (تهذيب التهذيب : ٧ / ٣٦٣) .

(٩٨) هو حجاج بن المنهال الأماطي ، أبو محمد السلمي : روى عن جرير بن حازم والحمادين وشعبة ، وعبد العزيز الماحشون ، وعنه روى البخاري ، والباقون بواسطة الدرامي ، ويندار . قال أحمد : ثقة ، وقال حاتم : ثقة فاضل ، وقال العجلي : ثقة ، رجل صالح ، وقال النسائي : ثقة . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث . مات سنة ٢١٧ هـ . (تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٠٦ ، ٢٠٧ بتصرف) .

مهدى^(٩٩) بن ميمون عن محمد بن عبد^(١٠٠) الله بن أبي يعقوب الضبي عن بشر^(١٠١) بن شفاف قال : « كنا مع عبد الله بن^(١٠٢) سلام يوم الجمعة في المسجد فقال : إن الجنة في السماء ، وإن النار في الأرض » وذكر كلاماً كثيراً . نسبة إلى الحجاج بن المنهال ، حدثنا حماد^(١٠٣) بن سلمة عن داود^(١٠٤) عن سعيد^(١٠٥) بن المسيب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ليهودي : أين جهنم ؟ قال : في البحر قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما أظنه إلا صدق .

حدثنا المهلب^(١٠٦) الأسدي ، حدثنا ابن مناس ، حدثنا ابن مسرور ، حدثنا يونس ابن^(١٠٧) عبد الأعلى ، حدثنا عبد الله^(١٠٨) بن وهب عن شبيب^(١٠٩) بن سعيد عن المنهال

(٩٩) هو مهدى بن ميمون الأسدي ، الكردى ، البصري : أبو يحيى ، من حفاظ الحديث ، عده شعبة وابن حنبل من الثقات . قال أبو سعيد الأشج عن عبد الله بن إدريس : قلت لشعبة أى شيء تقول في مهدى بن ميمون ؟ قال : ثقة . وقال ابن معين والنسائي ، وابن حراس : ثقة . وذكره ابن حبان : في الثقات . مات سنة ١٧٢ هـ . (تهذيب التهذيب : ١٠ / ٣٢٧) .

(١٠٠) هو : محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب التميمي الضبي البصري ، وقد يسبب إلى جده ، روى عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي ، وعبد الرحمن بن أبي بكرة ، ورجاء بن حيوة ، وعنه روى جرير بن حازم ، ومهدى بن ميمون ، وهشام بن حسان ، وشعبة ، وواصل مولى أبي عيينة قال معين ، وأبو حاتم ، والنسائي : ثقة ، وقال شعبة : هو سيد بني تميم ، وذكره ابن حبان في الثقات ، نقله أبو الوليد في رجال البخاري . (تهذيب التهذيب : ٩ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ بتصرف) .

(١٠١) هو : بشر بن شفاف الضبي ، البصري ، روى عن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن سلام ، وعنه روى أسلم العجلي ، وخالد الحذاء ، ومحمد بن عبد الله بن أبي يعقوب ، قال عثمان الدرامي عن يحيى بن معين : ثقة وكذا قال العجلي . وذكره ابن حبان في الثقات . وأخرج له هو والحاكم في صحيحهما ، مات بعد السنين . (تهذيب التهذيب : ١ / ٤٥٢ ، ٤٥٣ بتصرف) .

(١٠٢) عبد الله بن سلام (ت ٤٣ هـ) : هو عبد الله بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف ، صحابي قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ، وكان اسمه الحصن فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وفيه نزلت الآية ، « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » وشهد مع عمر فتح بيت المقدس ، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية اتخذ سيفاً من خشب واعتزل ، وأقام بالمدينة حتى مات له ٣٥ حديثاً . (الأعلام) .

(١٠٣) أنظر ترجمته في ص ١٤٥ .

(١٠٤) داود : هو أبو سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الأصفهاني ، أول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة وألقى ما سوى ذلك من الرأي والقياس ، وكان فاضلاً صادقاً ورعاً . توفي سنة ٢٧٠ هـ وله من الكتب : كتاب الإيضاح ، كتاب الإفصاح ، كتاب الدعوى والبيانات . كتاب الأصول ، كتاب الحيض . وبقية ترجمته مفصلة في (فهرست النديم : الفن الرابع من المقالة السادسة ٢٧١) .

(١٠٥) سعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤ هـ) (٦٣٤ - ٧١٣ م) . هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاء ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمى رواية عمر . توفي بالمدينة . ترجمته في طبقات ابن سعد : ٥ / ٨٨ ، والوفيات : ١ / ٢٠٦ ، وصفوة الصفوة : ٢ / ١٥٥) .

(١٠٦) المهلب : هو ابن أبي صفرة ظالم بن سارق بن صبح بن كندى بن عمرو بن عدى بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد العتكي الأزدي أبو سعيد البصري . روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن عمرو سمرة بن جندب ، والبراء بن عازب . وعنه : أبو إسحاق السبيعي ، وسماع بن حرب وعمر بن يوسف البصري ، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل البصرة ، قال : وكان أبوه ممن أسلم ثم ارتد في زمن أبي بكر ثم أسلم ونزل البصرة وشرف بها ، وقد أدرك المهلب عمر ولم يسمع منه ويقال : إن عمر قال لابن أبي صفرة : هذا سيد ولدك يعني المهلب ، ويروى عن أبي إسحاق السبيعي : ما رأيت أميراً كان أفضل من المهلب . قال خليفة . مات سنة ٨١ هـ وقيل سنة ٨٢ هـ وله ست وسبعون سنة ، فيكون مولده على هذا عام الفتح أو قبله . (تهذيب التهذيب : ١٠ / ٣٣٠) .

(١٠٧) هو : يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة أبو موسى المصري . روى عن ابن عيينة والوليد بن مسلم وغيرهم . وعنه مسلم والنسائي وابن ماجة وغيرهم . قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يوثقه ، ويرفع من شأنه . وقال الطحاوي كان ذا عقل ، وذكره ابن حبان في الثقات . توفي سنة ٢٦٤ هـ وكان مولده سنة ١٧٠ هـ . (تهذيب التهذيب : ١١ / ٤٤٠) .

(١٠٨) هو : عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود ، الأسدي ، القرشي ، صحابي من الشعراء ، يقال له : ابن وهب الأكبر لتمييزه =

عن شقيق^(١١١) ابن سلمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : الأرض كلها يومئذ نار ، والجنة من ورائها ، وأولياء الله تعالى فى ظل عرش الله تعالى .

قال أبو محمد : وقال الله تعالى : « لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ »^(١١٢).

فبين تعالى أن الشمس أبطأ من القمر ، وهكذا قام البرهان بالرصد أن الشمس تقطع السماء فى سنة ، والقمر يقطعها فى ثمانية^(١١٣) وعشرين يوماً . ثم نصّ تعالى : أن الليل لا يسبق النهار ، فبين بهذا حكم الحركة الثانية التى للفلك الكلى ، وهى التى تتم فى كل يوم وليلة دورة ، ويتساوى فيها جميع الدارى ، والنجوم . والشمس والقمر ، وقال تعالى : « فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ »^(١١٤).

وأخبر تعالى أن أرواح الكافرين لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة ، فصحّ أن من فتحت له أبواب السماء دخل الجنة .

وأخبر رسول الله ﷺ أن شدة الحر من فيح جهنم ، وأن لها نفسين نفساً فى الشتاء ونفساً فى الصيف ، وأن ذلك أشد ما نجد من الحر والبرد^(١١٥) « وأن نارنا هذه^(١١٦) أبرد من نار جهنم بتسع وستين درجة ، وهكذا نشاهد من فعل الصواعق ، فإنها تبلغ من الإحراق والإذابة^(١١٧) فى مقدار اللحمة ما لا تبلغه نارنا فى المدد الطوال ، وقال رسول الله ﷺ : « إن آخر أهل الجنة

= عن عبد الله ابن وهب زمعة التابعى . أسلم يوم الفتح سنة ٨ هـ . وقتل فى المدينة يوم حصر عثمان فى داره ، ويسمى يوم الدار . (الأعلام : ٤ / ٢٢٨) .

(١٠٩) هو : شبيب بن سعيد القيمى : أبو سعيد ، البصرى ، روى عن إبان بن أبى عياش وروح بن القاسم ، وهونس بن نهد الأجل وغيرهم ، وعنه روى ابن وهب ، ويحيى بن أيوب وريد بن بشر الحضرمى . قال ابن المدينى : ثقة . كان يختلف فى تجارة إلى مصر ، وكتابه كتاب صحيح ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال النسائى : ليس به بأس . مات بالبصرة سنة ١٨٦ هـ فيما ذكره البخارى . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٠٦ ، ٣٠٧ بتصرف) .

(١١٠) شفيق بن سلمة الأسدى : أبو وائل الكوفى ، أدرك النبى ﷺ ولم يره . وروى عن أبى بكر وعمر ، وعثمان ، ومعاذ بن جبل ، وخباب بن الأرت ، وكعب بن عجرة وعنه : روى الأعمش ، ومنصور ، وحصير بن عبد الرحمن . قال وكيع : كان ثقة . وقال خليفة بن حياط : مات بعد الحجاج سنة ٨٢ هـ . وقال الواقدى . مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٣٦٠ - ٣٦٣ بتصرف) .

(١١١) سورة يس : ٤٠ .

(١١٢) فى (خ) : (ستة وعشرين) .

(١١٣) سورة الحديد : ١٣ .

(١١٤) ذكره البخارى فى صحيحه فى كتاب بدء الخلق باب صفة النار ونصه : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم ، واشتكت النار إلى ربها فأذن لها فى كل عام بنفسين ؛ نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير . ورواه مسلم فى المساجد باب استحباب الإبراد بالظهر ، والترمذى رقم ٢٥٩٥ فى صفة جهنم .

(١١٥) فى (خ) : لم تذكر كلمة (هذه) .

(١١٦) فى (أ ، ب) : (والأذى) .

دخولاً فيها بعد خروجه من النار يعطى مثل الدنيا عشر مرّات»^(١١٧). رويناه من طريق أبي سعيد الخدرى مسنداً وصحّ أيضاً مسنداً عن رسول الله ﷺ : « أن الدنيا في الآخرة كإصبع في اليم »^(١١٨).

قال أبو محمد : وهذا إنما هو في نسبة المساحة^(١١٩) لا في نسبة المدة ، لأن مدة الآخرة لا نهاية لها ، وما لا نهاية له فلا ينسب شيء منه ألّبة بوجه من الوجوه ، ولا هو أيضاً نسبة من السرور واللذة ، ولا الحزن والبلاء لأن^(١٢٠) سرور الدنيا مشوب بألم ومتناهٍ ، وحزنها متناهٍ مُنقُض ، وسرور الآخرة وحزنها تخالضان غير متناهيين . وهكذا قام البرهان من قبل روايتنا لنصب السماء^(١٢١) أبداً على أنه لا نسبة للأرض عن السمّاء ولا قدر وقال عز وجل : « وجنّة عرضها السّمّاء والأرض »^(١٢٢).

وقال تعالى : « وجنّة عرضها كعرض السّمّاء والأرض »^(١٢٣).

وقال تعالى : « وجنّى الجنّتين دان »^(١٢٤).

وذكر رسول الله ﷺ : « أن للجنة ثمانية أبواب »^(١٢٥).

وقال عليه السلام : « فاسألوا الله الفردوس الأعلى ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوق ذلك عرش الرحمن »^(١٢٦).

(١١٧) روى ابن ماجة هذا الحديث بسنده عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إلى لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة : رجل يخرج من النار حبواً فيقال له : اذهب فادخل الجنة فيأتها فيخيل إليه أنها ملاءى فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملاءى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة ، فيأتها فيخيل إليه أنها ملاءى فيرجع فيقول يا رب وحدتها ملاءى ، فيقول الله سبحانه اذهب فادخل الجنة فيأتها فيخيل إليه أنها ملاءى ، فيرجع فيقول : يا رب إنها ملاءى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة فيأتها فيخيل إليه أنها ملاءى فيرجع فيقول : يا رب إنها ملاءى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . (أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا) فيقول : أنسخر بى (أو تضحك بى) وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت تواحده ، فكان يقال : هذا أدنى أهل الجنة منزلاً . (ابن ماجة - ص ١٤٥٢ رقم الحديث ٤٣٣٩) .

(١١٨) الحديث رواه مسلم في كتاب رقم ٥٥ ، والترمذى في الزهد : ١٥ ، وابن ماجة في الزهد : ٣ ، وأحمد بن حنبل : ٤ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ . ولفظ الحديث عند ابن ماجة « ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يحمل أحدكم إصبعه في اليم ، فليطر به يرجع » .

(١١٩) فى (أ ، ب) : المسافة .

(١٢٠) فى (أ ، ب) : (فإن) .

(١٢١) فى الأصل (من قبل دويتنا) وهو تحريف . وفى (خ) : (لصف السماء) وهو أيضاً تحريف .

(١٢٢) آل عمران : ١٣٣ .

(١٢٣) الحديد : ٢١ .

(١٢٤) الرحمن : ٥٤ .

(١٢٥) رواه البخارى وصحه : « فى الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمّى الرّيان لا يدخله إلا الصائمون » (فتح البارى الجزء السادس . باب

صفة أبواب الجنة ص ٣٢٨ - ط المكتبة السلفية .

(١٢٦) سبق تحقيق هذا الحديث فى ص ٢٤٢ .

فصح يقينا أنهما جنتان : إحداهما عرضها السماوات والأرض . والأخرى : عرضها كعرض السماء والأرض .

وقوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان »^(١٢٧).

إنما هو خبر عن الجميع أن لهم هاتين الجنتين ، فالتى عرضها السماوات والأرض هى السماوات السبع ، لأنّ عرض الشئ منه بلا شك ، وكل^(١٢٨) كروى فإنّ جميع أبعاده عروض فقط . وذكرت الأرض هنا لدخولها فى جملة مساحة السماوات ، وإحاطة السماوات بها . والتى عرضها كعرض السماء والأرض : هو الكرسي المحيط بالسماوات والأرض ، قال الله تعالى : « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ »^(١٢٩).

فصح أنّ عرضه كعرض السماوات والأرض مضافاً بعض ذلك إلى بعض وصحّ أن لها ثمانية أبواب فى كلّ سماء باب ، وفى الكرسيّ باب ، وصحّ أنّ العرش فوق أعلى الجنة فهو محلّ الملائكة وموضعها ليس من الجنة فى شئ بل هو فوقها ، وكذلك قوله تعالى : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ »^(١٣٠) بيان جلّى بأن العرش جرم^(١٣١) آخر فيه الملائكة .

وقد ذكر بأنّ البرهان يقوم بذلك - من أحكم النظر فى الهيئة . وهذه نصوص ظاهرة جليلة دون تكلف تأويل .

* * *

قال أبو محمد : وقوله تعالى : « كعرض السماء » .

ذكر لجنس السماوات ، لأنّ السماوات اسم للجنس يدل عليه قوله : « وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » .

وقال « عَلَى^(١٣٢) » : ومثل هذا كثير ممّا إذا تدبّره المتدبر علم^(١٣٣) صحّة ما قلنا من أن ما يثبت ببرهان فهو منصوص فى القرآن ، وكلام النبى صلّى الله عليه وآله .

(١٢٧) الرحمن : ٤٦ .

(١٢٨) فى (أ ، ب) : (وكل حرم كرسي) وهو تحريف لا معنى له .

(١٢٩) البقرة : ٢٥٥ .

(١٣٠) غافر : ٧ .

(١٣١) فى (أ ، ب) : « بأن على العرش جرما آخر .

(١٣٢) فى (أ ، ب) : « وقال أبو محمد » .

(١٣٣) فى (أ ، ب) : (دل على) .

« كذب من ادّعى لمدة الدنيا عددًا معلومًا »^(١)

قال أبو محمد : وأما اختلاف الناس في التاريخ ، فإنّ اليهود يقولون : للدنيا أربعة آلاف سنة^(٢) . والنصارى يقولون : للدنيا خمسة آلاف سنة ، وأما نحن فلا نقطع على علم^(٣) عددٍ معروف عندنا . ومن^(٤) ادّعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب ، وقال ما لم يأت عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح ، بل صحّ عنه عليه السلام خلافه ، بل نقطع على أنّ للدنيا أمداً^(٥) لا يعلمه إلا الله عز وجل ، قال الله تعالى : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم »^(٦) . وقول رسول الله ﷺ : « ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض »^(٧) .

هذا عنه عليه السلام ثابت ، وهو عليه السلام لا يقول إلا عين الحق ولا يسامح بشيء من الباطل لا بإعياء ولا بغيره^(٨) ، فهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض وأنه الأكثر - علم أنّ للدنيا عددًا لا يحصيه إلا الله تعالى^(٩) .

(١) في (أ ، ب) : (مطلب بيان كذب من ادعى ... الخ) .

(٢) في (أ ، ب) : بزيادة (ونيف) .

(٣) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (علم) .

(٤) في (أ ، ب) : وأما .

(٥) في (أ ، ب) : (أمرا) وهو تحريف .

(٦) الكهف : ٥١ .

(٧) روى هذا الحديث بروايات مختلفة في البخارى في باب (رفاق) ٤٥ ، ٤٦ ، وأنبياء ٧ تفسير سورة ٢٣ ، وفي سلم في باب

الإيمان : ٣٧٧ ، وابن ماجه في الزهد : ٣٤ .

(٨) في (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (لا بإعياء ولا بغيره) .

(٩) في (أ ، ب) : (إلا الله الخالق تعالى) .

وكذلك قوله ﷺ : « بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ »^(١٠). وضم إصبعيه المقدستين السَّابِغِية والوسطى .

وقد جاء النصُّ بأنَّ السَّاعَةَ لا يعلم متى تكون ؟ إلاَّ الله عزَّ وجلَّ لا أحدٌ سواه ، فصَحَّ أنه عليه السلام إنَّما عنى شِدَّةَ القرب لا فضل الوسطى^(١١) على السَّابِغِية ، إذ لو أراد فضل ذلك لأخذت نسبة ما بين الإصبعين ، ونسب ذلك من طول الوسطى ، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة ، وهذا باطل .

وأيضاً فكان تكون نسبته عليه السلام إِيَّانا إلى من قبلنا بأنه كالشعرة في الثور كذباً ، ومعاذ الله تعالى من ذلك .

فصح أنه عليه السلام إنَّما أراد شدة القرب ، وله عليه السلام مذ بعث أربعمئة عام ونيف ، والله أعلم ما بقى من الدنيا ، فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف ، وتفاهته بالإضافة إلى ما مضى ، فهذا الذى قاله عليه السلام من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرقمة في ذراع الحمار .

قال أبو محمد : وقد رأيت بخط الأمير أبى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الناصر رحمه الله قال حدثنى محمد بن معاوية القرشى أنه رأى بالهند بُدْأ له اثنان وسبعون ألف سنة ، وقد وجد محمود^(١٢) ابن سُبُكْتِكَيْن بالهند مدينةً يؤرخون لها بأربعمئة ألف سنة .

قال أبو محمد : ألا إنَّ لكل ذلك أولاً ومبدأً ولابدَّ من نهاية ، لم يكن شيء من العالم موجوداً قبلها ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

وما اعترض به بعضهم أن قال : أنتم تقولون : إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ، ويلبسون ويطغون النساء، وأنَّ هنالك جوارى أبكاراً خلقن لهم ، وذلك المكان لا فساد فيه ولا استحالة ، ولا مزاج ، وهذه أشياء كوائن فواسد فكيف الأمر ؟

قال أبو محمد : إن هاهنا ثلاثة أجوبة :

أحدها : برهان ضرورى سمعى . والثانى : برهان نظرى مشاهد . والثالث : إقناعى خارجى على أصول المعارض لنا .

(١٠) روى هذا الحديث روايات عدة منها ما رواه البخارى ومسلم . بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويشير بإصبعيه يدهما ، وفى رواية : كفصل إحداهما على الأخرى ، وضم السابغة والوسطى . وقد وردت رواية البخارى فى كتاب الرقاق ، وفى تفسير سورة المازعات ، وفى الطلاق باب اللعان ، ومسلم رقم ٢٩٥٠ فى العتن ، باب : قرب الساعة .

(١١) فى (أ ، ب) : (لا فضل طول الوسطى) .

(١٢) هو : محمود بن سبكتكين الغزنوى السلطان بين الدولة ، أبو القاسم ، فاتح الهند ، وأحد كبار القادة ، مات والده ناصر الدولة سنة ٣٨٧ هـ ، فاستولى بعده على الملك بعد معالك طاحنة بيه وبين إخوته والعاضين له ، كان صارماً ، صائب الرأى ، يجالس العلماء وينظرهم ، توفى سنة ٤٢١ هـ (الأعلام : للزركلى . ص ٨ ص ٤٧ ، ٤٨ بتصرف) .

فالأول : وهو الذى يعتمد عليه هو^(١٣) البرهان الضرورى قد قدمناه ، على أن الله عز وجل خلق الأشياء وابتدعها مخترعاً لها لا من شىء ، ولا على أصل متقدم ، وإذ لا شك فى هذا فليس شىء متوهم أو مسئول عنه^(١٤) يتعذر من قدرة الخالق عز وجل إذ كان^(١٥) ما شاء كونه . [ولا فرق بين خلقه عز وجل ، كل ذلك فى هذه الدار - وبين خلقه كذلك فى الدار الآخرة] .

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ الذى قامت البراهين الضرورية على أن الله عز وجل بعثه إلينا ، ووسطه للتبليغ عنه وعلى صدقه فيما أخبر به أن الأكل والشرب واللباس ، والوطء هنالك ، وكان هذا الخبر قبل^(١٦) أن يخبرنا به الصادق عليه السلام داخلاً فى حدّ الممكن لا فى حدّ^(١٧) الممتنع ، ثم لما أخبرنا به الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ صحّ علمنا به ضرورة فبان أنه فى حدّ الواجب .

وأما الجواب الثانى : فهو أن الله عز وجل خلق أنفسنا ورّب جواهرها وطباعها الذاتية رتبة لا تستحيل ألّبتة على التذاذ المطاعم والمشارب والرّوائح الطيبة ، والمناظر الحسنة ، والأصوات المطربة ، والملابس المعجبة على حسب موافقة كل ذلك لجوهر أنفسنا ، هذا ما لا مدفع فيه ، ولا شك فى أن النفوس هى المتلذّذة^(١٨) بكل ما ذكرنا ، وأنّ الحواسّ الجسدية هى المنافذ الموصلة لهذه الملاذ إلى النفوس ، وكذلك المكاهه كلها . وأما الجسد فلا حسّ له ألّبتة ، فهذه طبيعة جوهر أنفسنا التى لا سبيل إلى وجودها دونها ، فإذا^(١٩) جمع الله تعالى يوم القيامة فى عالم الجزاء^(٢٠) بين أنفسنا وبين الأجساد المركبة لها وعادت كما ذكرنا جوزيت هنالك ، ونعمت بملاذها وبما تستدعيه طباعها التى لم توجد قط إلّا كذلك ، ولا لها لذة سواها ، إلّا أن الطعام الذى هنالك غير معالى بنار ، ولا ذو آفات ، ولا مستحيل قذراً ودماً ، ولا ذبح هنالك ، ولا آلام ولا تغير ، ولا موت ولا فساد ، وقد قال تعالى : « لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ولا يُنزِفُونَ »^(٢١).

وتلك الملابس غير محوكة بنسيج^(٢٢) ولا فانية ولا متغيرة ، ولا تقبل البلى^(٢٣) وتلك الأجساد

(١٣) فى (أ ، ب) . هو أن .

(١٤) فى (أ ، ب) . سقطت كلمة (عنه) .

(١٥) فى (أ ، ب) . (إذ كل) .

(١٦) فى (أ ، ب) . (الذى أخبرنا) .

(١٧) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (حد) .

(١٨) فى (أ ، ب) : (المتلذّذة) .

(١٩) فى (أ ، ب) : (إذا) .

(٢٠) فى (أ ، ب) : سقطت (فى عالم الجزاء) .

(٢١) الواقعة : ١٩ .

(٢٢) فى (أ ، ب) : (بنسج) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : (البلاء) .

لا كدر فيها ولا خلط ولا دم ولا أذى ، وتلك النفوس لا رذيلة فيها من غلٍّ ولا حسد ولا حرص قال الله عز وجل : « وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا »^(٢٤).

وأخبر رسول الله ﷺ عن المخرجين من النار أنهم يطرحون في نهر على باب الجنة . فإذا نُقُوا وهُدِّبُوا - هذا نص لفظ رسول الله ﷺ ثم بعد التنقية أخبر رسول الله ﷺ أنهم حينئذ يصيرون إلى الجنة^(٢٥)، فصَحَّ أَنَّ الملاذ من هذه الأشياء المتناولات تصل إلى النفوس هنالك على حسب اختلاف وجود النفس لها ، وتغاير أنواع التذاذها بها ، وأوقعت عليها الأسماء لإفهامنا المعنى المراد .

وقد روينا عن ابن عباس ما حَدَّثَنَا يَحْيَى^(٢٦) بن عبد الرحمن بن مسعود ، حَدَّثَنَا قَاسِمُ^(٢٧) ابن أصبغ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ^(٢٨) بن عبد الله العباسي ، حَدَّثَنَا وَكِيعُ^(٢٩) بن الجراح ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ^(٣٠) عن أَبِي ظَبْيَانَ^(٣١) عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : ليس في الجنة ممَّا في الدنيا إلا الأسماء . وهذا سندٌ في غاية الصحة ، وهو أول حديث في قصة وَكِيع المشهورة .

قال أبو محمد : وأما الوطء فهو هنالك كما هو عندنا هاهنا إلا^(٣٢) أنه ليس فيه مَثُونَةٌ^(٣٣) ولا استحالة ، وإنما هو التذاذ للنفس بمداخلة بعض الجسد المضاف إليها لجسد آخر فقط .

(٢٤) الحجر ٤٧ .

(٢٥) وبص الحديث كما جاء في رواية الترمذي : قال رسول الله ﷺ : « يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حُمَمًا ، ثم تدرِكهم الرحمة فيُخرجون فيطرحون على أبواب الجنة ، قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء ، فينبئون كما ينبئ الغُثَاء في حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنة ، رقم ٢٦٠٠ ، في صفة جهنم » . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢٦) يحيى هو :

(٢٧) هو : قاسم بن إصبع بن محمد بن يوسف ، القرطبي ، محدث الأندلس ، أصله من بَيَّانة من أعمال « قرطبة » ، سكن قرطبة ومات بها ، وكان جدُّه من موالى بنى أمية . من مؤلفاته : سند مالك . وبر الوالدين ، وأحكام القرآن ، والناسخ والمبسوح . توفي سنة ٣٤٠ هـ (إعلام : ح ٦ ص ١٧٢) .

(٢٨) هو : إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم العباسي ، أبو شيبة بن أبي بكر الكوفي ، روى عن عمر بن حفص بن عياش ، وحفص بن عون ، وغيرهم ، له مسائل عن أحمد بن حنبل . روى عنه النسائي ، وابن ماجه ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، والسراج ، والطبري . وغيرهم . قال أبو حاتم : صدوق . وقال ابن عقده : مات في رمضان سنة ٢٦٥ هـ (تهذيب التهذيب : ١٣٦/١ ، ١٣٧ بتصرف) .

(٢٩) هو : وكيع بن الجراح بن مليح ، أبو سفيان ، حافظ للمحدث ، ثبت ، كان محدث العراق في عصره ، ولد بالكوفة ، وأبوه ناظر على بيت المال فيها . أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع ورعا ، كان يصوم الدهر ، له كتب منها : تفسير القرآن والسنن ، والمعرفة والتاريخ . قال أحمد بن حنبل : ما رأيت أحداً أوعى منه ولا أحفظ . مات سنة ١٩٧ هـ (الإعلام ح ٩ ص ١٣٥) .

(٣٠) هو : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش ، يقال : أصله من « طبرستان » . ولد بالكوفة ، روى عن أسس ، ولم يثبت له من سماع قال ابن المناوي : قد رأى أنس بن مالك ألا لم يسمع منه . كان يسمى المصحف لصدقه . قال العجلي : كان ثقة ثباتاً في الحديث . ويقال أنه ولد يوم قتل الحسين سنة ٦١ هـ ومات سنة ١٤٥ هـ . (تهذيب التهذيب . ح ٤ ص ٢٢٢) .

(٣١) أبو ظبيان : ذكره تهذيب التهذيب في الكنى وقال : الرشي ، حدث عن عمر وعنه أخذ سلمة بن كهيل (تهذيب التهذيب . باب الكنى ح ١٢/١٤٠) .

(٣٢) في (أ ، ب) : (لأنه) .

(٣٣) في (خ) : موت .

وأما الجواب الثالث الإقناعي ، وهو موافق لأصولهم ، ولسنا نعتمد عليه : فهو أن^(٣٤) قدماء الهند قد ذكروا في كلامهم في الأفلاك والبروج ، ووجوه المطالع أنه يطلع مع كل وجه من وجوه البروج صور وصفوها ، وذكروا أنه ليس في هذا العالم^(٣٥) صوره إلا وهي في العالم الأعلى .

قال أبو محمد : وهذا إيجاب منهم أن هنالك ملابس ومشارب ومطاعم ووطءاً ، وأنهاراً وأشجاراً ، وغير ذلك .

قال أبو محمد : وعارضني يوماً نصراني كان قاضياً على نصارى قرطبة في هذا وكان يتكرّر على مجلسي فقلت له : أوليس فيما عندكم من^(٣٦) الإنجيل أن المسيح ﷺ قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح ، وفيها أخذ بزعمكم^(٣٧) ، وقد سقاهم كأساً من خمر وقال : « إني لا أشربها معكم أبداً حتى تشربوها معي في الملكوت عن يمين الله تعالى »^(٣٨) .

وقال في قصة الفقير المسمّى « العاذر » الذي كان مطرّحاً على باب الغنيّ تلحس الكلاب جراح قروحه ، وأنّ ذلك الغنيّ نظر إليه في الجنة متكئاً في حجر إبراهيم ﷺ فناداه الغنيّ وهو في النار : « يا أبا إبراهيم ، ابعث العاذر إليّ بشيء من ماء يبلّ به لسالي » .

وهذا نص على أن في الجنة شرباً من ماء وخمر ، فسكت النصاري وانقطع . وأما التوراة التي بأيدي اليهود فليس فيها^(٣٩) ذكرٌ لنعيم في الآخرة أصلاً ، ولا لجزاء بعد الموت ألبتة .

قال أبو محمد : وكذلك الجواب في أكل أهل النار وشربهم سواء سواء^(٤٠) كما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(٣٤) في (أ ، ب) : حذف كلمة (أن) .

(٣٥) في (أ ، ب) : (ليس في العالم الأدنى) .

(٣٦) في (أ ، ب) : (في) .

(٣٧) في (أ ، ب) : (بزعمهم) .

(٣٨) النص كما الإنجيل الحالي : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ، وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نباح الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حيناً أشربه في ملكوت جديد في ملكوت أبي » (إنجيل متى : ٢٦/٢٦ - ٣٠) .

(٣٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (فيها) .

(٤٠) في (أ ، ب) : (بسواء) .

قال أبو محمد : والأرض أيضاً سبع نطاق منطبقة بعضها على بعض كانطباق^(٤١) السماوات لإخبار خالقنا بذلك ، وليس ذلك قبل الخبر في حدّ الممتنع بل في حدّ الممكن ، وذكر قوم قول الله تعالى : « يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ »^(٤٢) .

فقلنا قال^(٤٣) الله تعالى هذا حقاً ، وقال عزّ من قائل : « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِّلِ لِلْكِتَابِ »^(٤٤) .

وقال عزّ وجل : « وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا »^(٤٥) .

وقال تعالى : « يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ »^(٤٦) .

وقال تعالى : « وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكَّتَا ذَكَّةً وَاحِدَةً ، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا »^(٤٧) .

وقال تعالى : « إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ »^(٤٨) .

وقال تعالى : « وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ »^(٤٩) .

وقال تعالى : « إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ »^(٥٠) .

وقال تعالى : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ »^(٥١) .

وقال تعالى : « أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا »^(٥٢) .

وقال تعالى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »^(٥٣) .

(٤١) في (أ ، ب) : (كإطباق) .

(٤٢) إبراهيم : ٤٨ .

(٤٣) في (أ ، ب) : (قول) .

(٤٤) سورة الأنبياء : ١٠٤ وقد سقطت من (أ ، ب) .

(٤٥) النبأ : ١٩ .

(٤٦) المعارج : ٩ .

(٤٧) الحاقة : ١٤ - ١٧ .

(٤٨) الانشقاق : ١ .

(٤٩) الانشقاق : ٣ - ٥ .

(٥٠) الانفطار : ١ - ٣ .

(٥١) التكوثر : ١ - ٣ .

(٥٢) الأنبياء : ٣٠ .

(٥٣) الأنبياء : ١٠٤ .

وقال تعالى^(٥٤): « تَخَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٌ »^(٥٥).

فكل كلامه تعالى حق لا يحل^(٥٦) الاقتصار على بعضه دون بعض ، فصَحَّ يقيناً أن تبديل السماوات والأرض إنما هو تبديل أحوالها لا إعدامها ، ولكن خلاؤها من الشمس والقمر والكواكب والنجوم ، وتفتحها أبواباً ، وكونها كالمهل ، وتشققها ووهيها ، وانفطارها ، وتدكدك الأرض^(٥٧) والجبال ، وكونها كالعهن المنفوش ، وتسييرها وتسجر البحار فقط كما قال تعالى ، وهذا تتألف الآيات كلها ، ولا يجوز غير^(٥٨) هذا أصلاً ، ومن اقتصر على آية التبديل كذب على^(٥٩) كل ما ذكرنا ، وهذا كفر ممن فعله ، ومن جمعها كلها فقد آمن بجميعها ، وصدق الله تعالى في كل ما قال ، وهو^(٦٠) يوجب ما قلنا ضرورة ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : قد أكملنا والله الحمد كثيراً الكلام على الملل المخالفة لدين الإسلام الذي هو دين الله تعالى على عباده الذي لا دين له في الأرض غيره إلى يوم القيامة ، وأوضحنا بعون الله وتأيد البراهين الضرورية على إثبات الأشياء ووجودها ثم على حدوثها كلها جواهرها وأعراضها بعد أن لم تكن ، ثم أن لها محدثاً واحداً مختاراً لم يزل^(٦١) ، لا شيء معه ، وأنه فعل لا لعلّة ، وترك لا لعلّة ، بل كما شاء لا إله إلا هو ، ثم على صحّة النبوءات ، ثم على صحّة نبوة^(٦٢) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ، وأنّ ملته هي الحق ، وكل ملّة سواها باطل ، وأنه آخر الأنبياء عليهم السلام ، وملته آخر الملل .

فلنبداً الآن بعون الله وتأيدته في ذكر نحل المسلمين ، وافتراقهم فيها^(٦٣) وإيراد ما شغب به من شغب منهم فيما غلط في (شيء) من نحلته ، وإيراد البراهين الضرورية على إيضاح نحلة الحق من تلك النحل ، كما فعلنا في الملل ، والحمد لله رب العالمين كثيراً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ القدير .

(٥٤) في (أ ، ب) : زيادة (وذكر أهل الحجة) .

(٥٥) هود : ١٠٨ .

(٥٦) في (أ ، ب) : (لا يجوز) .

(٥٧) في (ج) : سقطت كلمة (الأرض) .

(٥٨) في (أ ، ب) : (عن) .

(٥٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .

(٦٠) في (أ ، ب) : (وهذا) .

(٦١) في (أ ، ب) : زيادة (وحده) .

(٦٢) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (سوة) .

(٦٣) في (أ ، ب) : زيادة (وبيان الحق في كل وبالله نستعين) .

« الفرق الإسلامية »

قال أبو محمد : فرق المقرين بملة الإسلام خمسة ، وهم : أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والشيعة ، والخوارج ، ثم افترت كل فرقة من هذه على فرق ، وأكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات سننبيه عليها إن شاء الله تعالى ، ثم سائر الفرق الأربعة التي ذكرنا ففيها ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد ، وفيها^(١) ما يخالفهم الخلاف القريب .

فأقرب فرق المرجئة إلى أهل السنة من ذهب مذهب أبي حنيفة : النعمان^(٢) بن ثابت الفقيه رحمه الله تعالى : في أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معاً ، وأن الأعمال إنما هي شرائع الإيمان وفرائضه فقط .

وأبعدهم أصحاب جهنم^(٣) بن صفوان ، وأبو الحسن^(٤) الأشعري ، ومحمد^(٥) بن كرام

(١) في (أ ، ب) : (وفيهم) .

(٢) في (أ ، ب) : سقط (النعمان بن ثابت) .

هو أبو حنيفة بن ثابت التميمي بالولاء الكوفي ، إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة قيل أصله من بلاد فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، كان يبيع الخبز ويطلب العلم في صباه ثم انقطع للتدريس والإفتاء ، وأراد عمر بن هبيرة على القضاء فامتنع ورعاً ، وأراد المنصور العباسي على القضاء بعدد فأبى . توفي عام ١٥٠ هـ . (الأعلام ٩٠ / ٤) .

(٣) هو أبو محرز السمرقندي المبتدع رأس الجهمية ، القائل بخلق القرآن ، قتله نصر بن سيار سنة ١٢٨ هـ . (لسان الميزان : ٢ ص ١٤٢) .

(٤) أبو الحسن الأشعري : هو علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل الصحابي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه . مؤسس مذهب الأشاعرة . ولد في البصرة ، وتلقى مذهب المعتزلة وتسلك به ، ثم رجع وجاهر بخلافه ، قيل بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب منها : « مقالات الإسلاميين » و « الإبانة عن أصول الديانة » و « الرد على ابن الرواندي » توفي في بغداد رحمه الله . (الأعلام ٥٠ / ١٥٠) .

(٥) هو : محمد بن كرام بن عراق بن خرابة أبو عبد الله إمام الكرامية ، وهى من فرق الإنداع في الإسلام لأنه قال في المعبود : « إنه جسم لا كالأجسام . وسجن لبدعته ثمانية أعوام بينساوور ، ثم توجه إلى الشام ، ورجع ثانية إلى بيسابور ، فحبسه محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم أطلق . توفي سنة ٢٥٥ هـ بالقدس . (الأعلام ٧٠ / ٢٣٦) .

السجستاني .. فإنَّ جهماً والأشعرى يقولون : إن الإيمان عقد بالقلب فقط ، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه ، وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقية^(٦) .

ومحمد بن كرام يقول : هو القول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه .

وأقرب فرق المعتزلة إلى أهل السنة أصحاب الحسين بن محمد^(٧) بن النجار وبشر بن غياث^(٨) المريسي ، ثم أصحاب ضرار بن^(٩) عمرو .

وأبعدهم أصحاب أبي الهذيل^(١٠) العلاف .

وأقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة المنتمون إلى أصحاب الحسن^(١١) بن صالح بن حي الهمداني الفقيه القائلون بأن الإمامة في ولد علي رضي الله عنهم والثابت عن الحسن بن صالح رحمه الله هو قولنا : إن الإمامة في جميع قريش ، وتولّى جميع الصحابة رضي الله عنهم ، إلا أنه كان يفضل عليا رضي الله عنه على جميعهم .

وأبعدهم الإمامية .

وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة أصحاب عبد الله بن يزيد الأباضي الغزاري الكوفي .

وأبعدهم الأزارقة .

(٦) قوله : « وإن أظهر الكفر .. الخ » هذا لا يقول به الأشعرى لأنه يقول : « لا يحقق الإيمان بدون الإسلام ، وكذا العكس ، متى توقف تحقق الإيمان على وجود الإيمان على وجود الإسلام الذي منه عدم المناق لا يتأى أن يقول من آمن بعلبه وأظهر الكفر بلسانه مؤمناً لأنه افتقد منه الإسلام الذي هو شرط لتحقيق الإيمان . وعذر المؤلف أنه أندلسي من أقصى المغرب ، والأشعرى بصري من المشرق والأرمة متقاربة بينهما فلم تنقل تحقيقات مذهب الأشعرى إلى تلك البلاد في هذا العهد بل نقل مذهبه إجمالاً مع نقل مذاهب الفرق ، فتراه يقع في الأشعرى ويورد على ما له المناص منه ، ولذلك قال ابن السككي في الطبقات ما معناه : « إن ابن حرم لا يحقق مذهب الأشعرى ، فلا يعبر الواقف باعتراضه على الأشعرى إمام أهل السنة والجماعة .

(٧) هو : أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الحجار ، كان من حلة الخيرة ومتكلمهم ، وله مع المصام محالس ومساظرات ، وله كتب « الاستطاعة » و « الإرجاء » و « القضاء والقدر » وغيرها . وقد أخذ عن بشر المريسي مذهبه . (فهرست البديع : ٢٥٤) .

(٨) بشر المريسي : هو بشر بن عياث بن أبي كريمة ، عبد الرحمن المريسي ، فقيه معتزل ، يرمى بالردة وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء ، وتنسب إليه . أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف . وقال برأى الجهمية ، وأودى في دولة هارون الرشيد ، وكان حده مؤن يريد بن الخطاط ، وقيل : كان أبوه يهودياً ، وهو من أهل بغداد ، وللدائري كتاب « القبض على بشر المريسي » في الرد على مذهبه توفي سنة ٢١٨ هـ . (الأعلام : ٢ / ٢٧ ، ٢٨ بتصرف) .

(٩) هو : ضرار بن عمرو القاصي ، معتزل ، له مقالات حبيبة ، ذكره ابن البديع ، وذكر له ثلاثين كتاباً ، فيها الرد على المعتزلة . والخوارج ، والروافض ، ولكنه كان معتزلياً له مقالات يعرف بها ، وشهد عليه أن حصل فأمر القاضي بضرب عنقه ، فهرب وأخفاه يحيى بن خالد . (لسان الميزان : ٣ / ٢٠٣) .

(١٠) الهذيل العلاف : هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول البصري أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ، ومصنف الكتب الكثيرة في مذهبهم ، كان خيثل القول ، فارق الإجماع وردّ بص كتاب الله ، وحشد صفات الله تعالى ، وكان كذاباً ، مات سنة ٢٢٧ هـ . (لسان الميزان : ٥ / ٤١٣) .

(١١) هو : حيان بن شعني بن هني بن رافع الهمداني ، الثوري ، الكوفي ، أحد الأعلام . كان سميان الثوري سيء الظن فيه ، دخل عليه يوم الجمعة ، فإذا الحسن يصلي ، فقال نعوذ بالله من خشوع النفاق ، وقال أبو رعة عنه ، اجتمع فيه إتقان ، وفقه ، وعبادة ، قال الدارقي : « ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه من الحسن » . وكان من كبار الشيعة الزيدية ، فيها متكلماً ، له كتاب التوحيد ، وكتاب الجامع في الفقه ، وإنما حمل عليه من حمل لمحلة من التشيع توفي سنة ١٦٨ هـ . (تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٨٥) .

وأما أصحاب أحمد بن حنبل^(١٢) وأحمد بن باسوس ، والفضل الحنبل^(١٣) ، والغالية من الروافض ، والمتصوفة والبطيحية أصحاب أبي إسماعيل البطيحي ، ومن فارق الإجماع من العجاردة^(١٤) ، وغيرهم فليسوا من الإسلام في شيء من أهله ، بل كفار بإجماع الأمة ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

(١٢) هو : أحمد بن حنبل ، من أصحاب النظام ، وينتسب إليه ، ويقول بالطفرة ، وينفى الجزء الذى لا يتحرراً . وذهب إلى التناسخ ، مات أيام الولاة . (لسان الميزان : ٢ / ٨٠) .

(١٣) هو الفضل الحنبل ، نسبة إلى « الحديث » ، بلد على الفرات ، وهو من أصحاب النظام ، وكان معتزلياً ، نظامياً إلى أن خلط ، وترك الحق فنفته المعتزلة . (الانتصار : ١٤٩ على هامش الملل والنحل : للشهرستاني : ١ / ٣٥) .

(١٤) العجاردة : هم فرق كثيرة وكلها تتبع عبد الكريم من عجرد ، وكان عبد الكريم من أتباع عطية بن الأسود الحنفى ، والذي يجمع بين فرقها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام أو يصفه هو ، وفارقوا الأزارقة في شيء آخر ، وهو أن الأزارقة استحلّت أموال مخالفيهم ، والعجاردة : لا يرون أموال مخالفيهم فيما إلا بعد قتل صاحبها . (الفرق بين الفرق ، للبيهقي : ص ٩٣ ، ٩٤) .

« ذكر ما اعتمدت عليه كل فرقة من هذه الفرق فيما^(١) اختصت به »

قال أبو محمد : أما المرجئة فعمدتهم التي يتمسكون بها بالكلام في الإيمان والكفر ما هما ؟
والتسمية بهما ، والوعيد ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وأما المعتزلة : فعمدتهم التي يتمسكون بها : الكلام في التوحيد ، وما يوصف به الباري^(٢)
تعالى ، ثم يزيد بعضهم الكلام في القدر والتسمية بالفسق و^(٣)الإيمان والوعيد .

وقد يشارك المعتزلة في الكلام فيما يوصف به الباري تعالى جهنم بن صفوان ، ومقاتل
ابن سليمان ، والأشعرية وغيرهم من المرجئة ، وهشام^(٤) بن الحكم وشيطان^(٥) الطاق ، وإسمه
محمد بن جعفر الكوفي ، وداود الجوارى^(٦) .. وهؤلاء كلهم شيعة ، إلا أنا اختصصنا المعتزلة بهذا

(١) في (أ ، ب) : مما .

(٢) في (أ ، ب) : الله .

(٣) في (أ ، ب) : (أو) .

(٤) هشام بن الحكم : هو أبو محمد الشيباني ، من أهل الكوفة ، سكن بغداد ، وكان من كبار الرافضة ، ومشهورهم ، وكان مجسماً ،
وكان من الغلاة ، وكان ينقطع إلى يحيى بن خالد وكان عارفاً بصناعة الكلام ، له فيه مصنفات كثيرة ، وكان من أصحاب جعفر الصادق . مات
بعد نكبة البرامكة بمدة يسيرة مستتراً . وقيل عاش إلى خلافة المأمون . (لسان الميزان ح ٦ : ١٩٤) .

(٥) هو : محمد بن علي بن النعمان البجلي ، الكوفي ، الملقب بشيطان الطاق ، نسب إلى سوق في طاق المحامل في الكوفة ، وكان يجلس
للصرف بها ، ولما بلغ هشام بن الحكم شيخ الرافضة : أنهم لقبوه بشيطان الطاق ، سماه هو : مؤمن الطاق ، وكان حسن الاعتقاد حاذقاً في صناعة
الكلام ، له مناظرات مع أبي حنيفة ، منها : لما مات جعفر الصادق قال أبو حنيفة له : قد مات إمامك ، قال : لكن إمامك لا يموت إلى يوم
القيامة - يعنى إبليس - له كتاب الإمامة ، وكتاب المعرفة وغيرهما . (لسان الميزان : ٥ / ٣٠٠) .

(٦) داود الجوارى : ورد ذكره في « مقالات الإسلاميين » في أثناء الكلام على اختلاف الناس في التجسيم : (١ / ٢٥٨) . وذكر في الفرق
بين الفرق - في الفصل الثامن : في بيان مذاهب المشبه من أصناف شتى ، قال : ومنهم المشبهة المنسوبة إلى داود الجوارى الذي وصف معبوده
بأن له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية . (الفرق بين الفرق : ٢٢٨) .

الأصل لأن كل من تكلم في هذا الأصل فهو غير خارج عن مذهب^(٧) أهل السنة أو قول المعتزلة حاشا هؤلاء المذكورين من المرجئة والشيعة ، فإنهم انفردوا بأقوال خارجة عن قول أهل السنة والمعتزلة .

وأما الشيعة : فعمدة كلامهم في الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبي ﷺ ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وأما الخوارج : فعمدة مذهبهم الكلام في الإيمان والكفر ، ما هما ؟ والتسمية بهما ، والوعيد^(٨) ، والإمامة ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم .

وإنما اختلفنا^(٩) هذه الطوائف بهذه المعاني لأن من قال إن أعمال الجسد إيمان ، فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وإن مؤمناً يكفر بشيء من^(١٠) الذنوب ، وإن مؤمناً بقلبه أو بلسانه يخلد في النار فليس مرجئاً ، ومن وافقهم على أقوالهم هاهنا وخالفهم فيما عدا ذلك من كل ما اختلف المسلمون فيه فهو مرجىء .

ومن خالف المعتزلة في خلق القرآن والرؤية والتشبيه والقدر وأن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لكن فاسق فليس منهم . ومن وافقهم فيما ذكرنا فهو منهم وإن خالفهم فيما سوى ما ذكرنا فيما اختلف فيه المسلمون .

ومن وافق الشيعة في أن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا ليس شيعياً ، ومن وافق الخوارج في^(١١) إنكار التحكيم ، وتكفير أصحاب الكبراء ، والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأن أصحاب الكبراء مخلصون في النار ، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما^(١٢) اختلف فيه المسلمون وإن^(١٣) خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً .

(٧) في (أ ، ب) : (عن قول) .

(٨) في (أ ، ب) : (والوعيد) .

(٩) في (أ ، ب) : (خصصنا) .

(١٠) في (أ ، ب) : (من أعمال) .

(١١) في (أ ، ب) : (من) .

(١٢) في (أ ، ب) : (مما) .

(١٣) في (أ ، ب) : (سقطت وإن) .

قال أبو محمد : وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ، ومن عداهم فأهل البدعة ، فإنهم الصحابة رضی الله عنهم ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى ، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا ، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم .

قال أبو محمد : وقد تسمى باسم الإسلام من أجمع . جميع فرق أهل^(١٤) الإسلام على أنه ليس مسلماً مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا : إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط ، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين ، وبنات البنات ، وبنات بنى الإخوة ، وبنات بنى الأخوات ، وقالوا : إن سورة يوسف ليست من القرآن . وآخرون منهم قالوا بحد الزاني والسارق ثم يستتابون من الكفر ؛ فإن تابوا وإلا قتلوا .

وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا : بتناسخ الأرواح .

وآخرون منهم قالوا : إن شحم الخنزير ودماغه حلال .

وطوائف من المرجئة قالوا : إن إبليس لم يسأل الله تعالى قط النظرة ، ولا أقر بأن الله تعالى^(١٥) خلقه من نار ، وخلق آدم عليه السلام من تراب .

وآخرون منهم^(١٦) قالوا : إن النبوة تكتسب بالعمل الصالح .

وآخرون كانوا من أهل السنة فغلوا^(١٧) ، فقالوا : قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الأنبياء ومن الملائكة عليهم السلام ، وأن من عرف الله تعالى حق معرفته فقد سقطت عنهم الأعمال والشرائع .

وقال بعضهم بحلول الباري تعالى في أجسام خلقه كالخلج^(١٨) وغيره .

وطوائف كانوا من الشيعة ثم غلوا ، فقال بعضهم بالإلهية على بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة بعده . ومنهم من قال بنبوته ونبوتهم^(١٩) ، وبتناسخ الأرواح كالسيد الحميري^(٢٠) الشاعر وغيره .

(١٤) في (أ ، ب) : سقطت (أهل) .

(١٥) في (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (الله تعالى) .

(١٦) في (أ ، ب) : لم تذكر كلمة منهم .

(١٧) في (أ ، ب) : (فغلوا) وهذا تحريف .

(١٨) هو : الحسين بن منصور الخلاج ، أبو مغيث ، فيلسوف ، يعد تارة في كبار المتعبدین والزهاد ، وتارة في زمرة الملحدين ، أصله من بيضاء فارس ، نشأ بواسط العراق ، وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ . ادعى حلول الألوهية فيه . من كتبه : قرآن القرآن ، والفرقان ، والكبيت الأحمر ، توفي سنة ٣٠٩ هـ . (الأعلام : ٢ / ٢٨٥) .

(١٩) في (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (ونبوتهم) .

(٢٠) هو : اسماعيل بن محمد الحميري ، ويكنى أبا هاشم ، كان شاعراً متقدماً مطبوعاً ، ويقال : إن أكثر الناس شعراً في الحاهلية =

وقالت طائفة منهم بإلهية أبي الخطاب^(٢١) محمد بن أبي زينب مولى بنى أسد .
وقالت طائفة بنو المغيرة بن أبي^(٢٢) سعيد مولى بنى بجيلة ، وبنو أبي منصور^(٢٣) العجلي ،
ويزيع^(٢٤) الحائك ، ويان بن سمعان^(٢٥) التميمي وغيرهم .

وقال آخرون برجة على إلى الدنيا ، وامتنعوا من القول بظاهر القرآن وقالوا : إن لظاهرة تأويلات ، فمنها أن قالوا : إن السماء محمد والأرض أصحابه « وإن الله يأمركم أن تذبحوا البقرة » قالوا : هي فلانة يعنى أم المؤمنين رضى الله عنها . وقالوا : العدل والإحسان : محمد^(٢٦) وعلى . والجبت والطاغوت هو فلان وفلان يعنون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما . وقالوا : الصلاة هي دعاء الإمام . والزكاة هي ما يعطى الإمام . والحج : القصد إلى الإمام وفيهم خناقون ورضاخون ، وكل هذه الفرق لا تتعلق بحجة أصلاً ، وليس بأيديهم إلا دعوى الإلهام والقحة ، والمجاهرة بالكذب ، ولا يلتفتون إلى مناظرة . ويكفى من الرد عليهم أن يقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من ادعى أنه ألهم بطلان قولكم .. ؟ ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا .

وأيضاً فإن جميع فرق الإسلام متبرئة منهم ، مكفرة لهم ، مجمعون على أنهم على غير الإسلام ، ونعوذ بالله من الخذلان .

* * *

= والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، وإنما مات ذكره ، وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره ، وكان على مذهب الكيسانية ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، وكان يقول بالرجعة وقد مات في خلافة الرشيد . (الأغاني : ٢٢٩ / ٧) .

(٢١) هو : الأجدع الأسدي ، وقيل اسمه محمد بن مقلص أبي زينب الأسدي الكوفي الأجدع البزار ، ويكنى تارة : أبو الخطاب ، وأخرى : أبو ظبيان . (هامش الملل والنحل : ١ / ٢٨٤ نقلاً عن كتاب فرق الشيعة ٤٢) .

(٢٢) هو : أبو عبد الله الكوفي الرافضي الكذاب ، وكان ينتقص أبا بكر وعمر ، وقد ذكر عليا ، وذكر الأنبياء ففضله عليهم ، وقد ادعى النبوة ، وأشعل النيران بالكوفة على التميمي والشعبي حتى أجابه خلق ، وقد أخذه خالد بن عبد الله القسري وقتله ، ثم صلبه في حدود ١٢٠ هـ . (لسان الميزان : ٦ / ٧٥) .

(٢٣) كان من أهل الكوفة ، من عبد القيس ، وله فيها دار ، وكان منشؤه بالبادية ، وكان لا يقرأ فادعى بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين : أنه فوض إليه أمره ، وجعله وصيه من بعده ، ثم ترقى به الأمر إلى أن قال أنا نبي ورسول ، وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفه ، وزعم أن جبهل يأتيه بالوحي من عند الله عز وجل ، وأن الله بعث محمداً بالتنزيل ، وبعثه هو بالتأويل ، واستمرت فتنته إلى أن وقف يوسف بن عمرو الثقفي على عوارته فأخذه وصلبه . (الفرق بين الفرق : للبخاري : ٢٣٥ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) .

(٢٤) هو : يزيع بن موسى الحائك ، كان يزعم أن جعفرًا هو الإله ، أى ظهر الإله بصورة للخلق ، وقد لعنه جعفر ، ولعن جماعة معه ، وزعم أن في أصحابه من هو أفضل من جبهل وميكائيل ، وزعمت فرقته : أنه نبي ورسول . وشهد أيضاً لأبي الخطاب بالرسالة ، وبرىء أبو الخطاب وأصحابه من يزيع ، وطائفته تسمى : اليزيعية . (الملل والنحل : ١ / ٣٠٢) .

(٢٥) هو : بيان بن مسعان النهدي من بنى تميم ، ظهر بالعراق بعد المائة الأولى من الهجرة ، وقال بألوهية علي ثم ابنه محمد ، ثم أبي هاشم ، ثم هو من بعده . وكتب إلى الباقر يدعو إلى نفسه وأنه نبي . قتله خالد بن عبد الله القسري . وأحرقه بالنار . (ميزان الاعتدال : ١ / ١٦٦) .

(٢٦) في (أ ، ب) : لم يذكر (محمد) .

« خروج أكثر هذه الفرق عن دين الإسلام »

قال أبو محمد : الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك ، وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون^(١) الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدّون سائر الناس عبيدًا لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا ، تعاضمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ففى كلّ ذلك يظهر الله تعالى الحق ، وكان من قائمتهم منقاد والمقنع ، واستائين ، وبابك^(٢) وغيرهم . وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خذاشا ، وأبو مسلم السراج فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ ، واستشناع ظلم عليّ رضي الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام .

فقوم منهم أدخلوهم إلى القول بأن رجلاً ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين ،

(١) في (أ ، ب) : (يسمون أنفسهم) .
(٢) بابك : هو مالك الحمري ، إليه تسب طائفة الخرمية ، وقد أحدث في مذهبهم : القتل والغضب والحروب والمثلة . كان أبوه من أهل المدائن يبيع الدهن ، وكان يطوف به في قرى الرستاق فهو امرأة عوراء وهي أم بابك ، وقد ضبط وهو يفجر بها ثم تزوجها من أبيها ، وقد قتل في بعض سفراته ، وأقلت أم بابك ترصع للباس بأجرة إلى أن صار لبابك عشر سنين ، فكان يرعى البقر ثم اختلفت به الأيام حتى برل جاويدان بأم بابك ، فرأى في بابك ذكاء ونجاسة وخبيثًا ، فطلب من أمه أن تدفعه إليه ويدفع لها كل شهر خمسين درهما أجرته ، فذهب معه وكان جاويدان زعيمًا في قومه نشأ بينه وبين رجل آخر يسمى أنا عمران صراع على زعامة الخرمية ، وأذى هذا الصراع في النهاية إلى أن قتل أبو عمران ، ثم مات بعده « جاويدان متأثرًا بجراحه ، وكان بابك قد توقفت علاقته بروجة جاويدان لأنه كان يفجر بها ، فلما مات جاويدان لم تعلن موته حتى أحضرت جيشه وقالت له : لقد قال جاويدان إلى أموت في ليلتي هذه وإن روحي تخرج من حسدى وتدخل بدن هذا الغلام خادمي وقد رأيت أن أملكه على أصحابه فإذا مت فأعلميهم ذلك ، وأنه لا دين لمن خالفني فيه ، واحتار لنفسه خلاف احتياري ، قالوا قد قبلنا عهده إليك في هذا العلام . وباعوه . وحضروا رواجه من امرأة جاويدان . (الفهرست للنديم : الفس الأول من المقالة التاسعة ص ٤٠٧ بتصرف) .

فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به من ابنة أو ابن عم أو زوجة أو صاحب على شيء من الشريعة ، كتمه عن الأحمر والأسود ، ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سرٌّ ولا رمز ، ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ، فلو كتمهم شيئاً لما بَلَغ كما أُمر ، ومن قال هذا فهو كافر ، فَإِيَّاكُمْ وَكُلَّ قَوْلٍ لَمْ يَبَيِّنْ سَبِيلَهُ ، ولا وضح دليله ، ولا تعرجوا^(١١) عَمَّا مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضی الله عنهم .

قال أبو محمد : قد أوضحنا شنع جميع هذه الفرق في كتاب لنا لطيف اسمه : « النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع : المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيعة » .

ثم أضفناه إلى آخر كلامنا في النحل من كتابنا هذا .

وجملة الخير كله أن تلتزموا^(١٢) ما نصرَّ عليه ربكم تعالى في القرآن بلسانٍ عرى مبين لم يفرط فيه من شيء ، تبييناً لكل شيء ، وما صحَّ عن نبيكم ﷺ برواية الثقة من أئمة أصحاب الحديث رضی الله عنهم مسنداً إليه عليه السلام فهما طريقان يوصلانكم إلى رضی ربكم عزَّ وجل . ونحن نبتدىء من هنا إن شاء الله تعالى بالكلام^(١٣) في المعاني التي هي عمدة ما افترق المسلمون عليه ، وهي التوحيد ، والقدر ، والإيمان ، والوعيد والإمامة ، والمفاضلة ، ثم أشياء يسميها المتكلمون اللطائف ، ونورد كل ما احتجوا به ، ونبين بالبراهين الضرورية إن شاء الله تعالى وجه الحق في كل ذلك ؛ كما فعلنا فيما خلا ، بعون الله تعالى لنا وتأييده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فأول ذلك :

(١١) في (أ . ب . ج) : (ولا تعرجوا)

(١٢) في (أ . ب . ج) : (أن تلتزموا)

(١٣) في (أ . ب . ج) : سقط كلمة (بالكلام)

« الكلام فى التوحيد ونفى التشبيه »

قال أبو محمد : ذهبت طائفة إلى القول بأنّ الله تعالى جسم ، وحجتهم فى ذلك أنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض ، فلما بطل أن يكون تعالى عرضاً ثبت أنه جسم ، وقالوا : إن الفعل لا يصح إلا من جسم والبارى تعالى فاعل فوجب أنه جسم ، واحتجّوا بآيات من القرآن فيها ذكر اليدين واليد والأيدى والعين والأعين^(١) والوجه والجنب ، ويقول له تعالى : « وجاء ريك » « ويأتيتهم الله فى ظلّيل من الغمام والملائكة » « وتجلّى ربه »^(٢) وبأحاديث للجبل فيها ذكر القدم ، واليمين والرجل والأصابع والتنزل .

* * *

قال أبو محمد : ولجميع هذه النصوص وجوه ظاهرة^(٣)، خارجة على خلاف ما ظنوه وتأولوه .

قال أبو محمد : وهذان استدلالان فاسدان :
أما قولهم : إنه لا يقوم فى المعقول إلا جسم أو عرض ، فإنها قسمة ناقصة وأما^(٤)

(١) فى (أ ، ب) . لم تذكر كلمة (والأعين) .

(٢) فى (أ ، ب) . (وعجليه تعالى) .

(٣) فى (أ ، ب) : بريادة (بية) .

(٤) فى (أ ، ب) . (وإما) .

الصَّوَاب : أنه لا يوجد فى العالم إلَّا جسم أو عرض وكلاهما يقتضى بطبيعة وجوده وجوب محدث له ، فبالضرورة نعلم أنه لو كان محدثهما جسمًا أو عرضًا لكان يقتضى فاعلًا فعَلَهُ ولا بُدَّ . فوجب بالضرورة أنَّ فاعل الجسم والعرض ليس جسمًا ولا عرضًا . وهذا برهان يضطر إليه كل ذى حسٍّ بضرورة العقل ولا بُدَّ .

« وأيضًا فلو كان البارئ تعالى عن إلحادهم - جسمًا لا يقتضى ذلك ضرورة أن يكون له زمان ومكان هما غيره !! وهذا إبطال التوحيد وإيجاب الشرك معه تعالى لشيئين سواه ، وإيجاب أشياء معه غير مخلوقة ، وهذا كفر ، وقد تقدّم إفسادنا لهذا القول^(٥) .

وأيضًا فإنه لا يعقل ألَبَتَ جسم إلَّا مؤلف طويل عريض عميق ، ونظَّارهم لا يقولون بهذا ، فإن قالوه لزمهم أنَّ له مؤلفًا جامعًا مخترعًا فاعلًا ، فإن منعوا من ذلك لزمهم أن^(٦) يوجبوا لما فى العالم من التأليف لا مؤلف^(٧) له ولا جامعًا ، إذ المؤلَّف كله كيفما وجد يقتضى مؤلفًا ضرورة .

فإن قالوا : هو جسم غير مؤلف قليل لهم : هذا هو الذى لا يعقل حسًّا ولا يتشكَّل فى النفوس ألَبَتَ .

فإن قالوا : لا فرق بين قولنا شيء وبين قولنا جسم ، قيل لهم : هذه دعوى كاذبة على اللغة التى بها تتكلمون .

وأيضًا فهو باطل لأنَّ الحقيقة أنه لو كان الشيء والجسم بمعنى واحد لكان العَرَض جسمًا ، لأنه شيء وهذا باطل بيقين^(٨) .

والحقيقة هى أنه لا فرق بين قولنا : شيء ، وقولنا : موجود وحق وحقيقة ومثبت ، فهذه كلها أسماء مترادفة على معنى واحد لا يختلف ، وليس منها اسم يقتضى صفة أكثر من أنَّ المسمَّى بذلك حق ولا مزيد .

وأما لفظة جسم فإنَّها فى اللغة عبارة عن الطويل العريض العميق^(٩) ، المحتمل للقسمة ذى الجهات الست ، التى هى فوق وتحت ، ووراء ، وأمام ، ويمين ، وشمال ، وربما عدم واحد^(١٠) .

(٥) هذا القول من أول : « وأيضًا فلو كان البارئ » إنَّ « هذا القول » غير مذكور فى (ح) .

(٦) فى (أ ، ب) : (ألا) .

(٧) فى (أ ، ب) : (لا مؤلف) .

(٨) فى (أ ، ب) : (يتعبر) .

(٩) فى (ح) : لم تذكر كلمة (العميق) .

(١٠) فى (أ ، ب) : (واحدة) .

منها ، وهى فوق ، هذا حكم هذه الأسماء فى اللغة التى هذه^(١١) الأسماء منها ، فمن أراد أن يوقع شيئاً منها على غير موضوعها فى اللغة فهو مجنون وقاح ، وهو كمن أراد أن يسمي الحق باطلاً والباطل حقاً ، وأراد أن يسمي الذهب خشباً ، وهذا غاية الجهل والسخف ، إلا أن يأتى نصٌ بنقل اسم منها عن موضوعه إلى معنى آخر فيوقف عنده ، وإلا فلا ، وإنما يلزم كل منظر يريد معرفة الحقائق أو التعريف بها أن يحقق المعالى التى يقع عليها الاسم ثم يخبر بعد بها أو عنها بالواجب ، وأما مزج الأشياء وقلبها عن موضوعاتها فى اللغة فهذا فعل السوفسطائية^(١٢) الوقحاء الجهال ، العابثون بعقولهم وأنفسهم .

فإن قالوا لنا : إنكم تقولون إن الله عز وجل حي لا كالأحياء ، وعليم لا كالعلماء ، وقادر لا كالقادرين ، وشيء لا كالأشياء ، فلم منعتم القول بأنه جسم لا كالأجسام ؟!

قيل لهم وبالله تعالى التوفيق : لولا النصّ الوارد بتسميته حي وقدير ، وعليم ما سميناه بشيء من ذلك ، لأن^(١٣) الوقوف عند النصّ فرض ، ولم يأت نصٌ بتسميته تعالى جسمًا ، ولا قام البرهان بتسميته تعالى جسمًا بل البرهان مانع من تسميته تعالى بذلك ، ولو أتانا نصٌ بتسميته تعالى جسمًا لوجب علينا القول بذلك ، وكنا حينئذ نقول : إنه جسم^(١٤) لا كالأجسام ، كما قلنا فى عليم وقدير ، وحى ، ولا فرق . وأما لفظة شيء فالنص أيضًا جاء بها والبرهان أوجبها على ما نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وقالت طائفة منهم إنه تعالى نور واحتجوا بقول الله تعالى : « الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »^(١٥).

* * *

قال أبو محمد : ولا يخلو النور من أحد وجهين إمّا أن يكون جسمًا ، وإما أن يكون عرضًا ، وأيهما كان فقد قام البرهان على أنه تعالى ليس جسمًا ولا عرضًا ، وأما قوله تعالى : « الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »

(١١) فى (ح) ' (هـ) .

(١٢) السفسطة عند الفلاسفة هى الحكمة الموهبة ، وعد المطلقين هى القياس المركب من الوهميات ، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ، وقيل إن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل ، ويقصد به حذاع الآخرين ، أو حذاع النفس ، وتطلق أيضًا على القياس الذى تكون مقدماته صحيحة ، ونتائجه كاذبة لا يحدع بها أحد ، والسوفسطائيون هم المسويون إلى السفسطة . (المعجم الفلسفى ١٠ / ٦٥٨)

(١٣) فى (أ ، ب) ' (لكن) .

(١٤) فى (أ ، ب) ' لم يذكر كلمة (جسم)

(١٥) سورة النور ٣٥ .

فإنما معناه « هدى الله^(١٦) بتنوير النفوس ، إلى نور الله تعالى في السماوات والأرض » . وبرهان ذلك أنه عز وجل أدخل في جملة ما أخبر : أنه نور له فلو كان الأمر على أنه النور المضيء المعهود لما خبا الضياء ساعة من ليل أو نهار ألبتة ، فلما رأينا الأمر بخلاف ذلك علمنا أن^(١٧) الأمر بخلاف ما ظنوه .

قال أبو محمد : ويُطْلَق قول من وصف الله تعالى بأنه جسم ، وقول من وصفه بحركة - تعالى عن ذلك - أن الضرورة توجب أن كل متحرك فذو حركة ، وأن الحركة لمتحرك بها ، وهذا من باب الإضافة والصورة في المتصور لمتصور ، وهذا أيضاً من باب الإضافة ، فلو كان كل متصور متصوراً ، وكل محرك متحركاً لوجب وجود أفعال لا أوائل لها ، وهذا قد أبطلناه فيما خلا من كتابنا بعون الله تعالى لنا وتأنيده إيانا ، فوجب ضرورة وجود محرك متحركاً ومصور ليس متصوراً ضرورة ولا بد . وهو الباري تعالى محرك المتحركات ومصور المتصورات ، لا إله إلا هو ، وكل جسم فذو^(١٨) صورة ، وكل ذي حركة فذو عرض محمول فيه ، فصَحَّ أنه تعالى ليس جسمًا ولا متحركاً ، وبالله تعالى التوفيق .

وأيضاً فقد قدمنا أن الحركة والسكون مُدَّة ، والمُدَّة زمان ، وقد بينا فيما خلا من كتابنا أن الزمان محدث ، فالحركة محدثة ، كذلك السكون ، والباري تعالى لا يلحقه الحدث إذ لو لحقه لكان^(١٩) محدثاً ، فالباري تعالى غير متحرك ولا ساكن .

وأيضاً فإنَّ الجسم إنما يفعل آثاراً في جسم^(٢٠) فقط ، ولا يفعل الأجسام ، فالباري تعالى إذن على قول المجسِّمة إنما هو فاعل آثار في الأجسام فقط لا فاعل أجسام العالم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فإن قالوا : فإنكم تسمونه فاعلاً وتسمون أنفسكم فاعلين ، وهذا تشبيه قلنا لهم - وبالله تعالى التوفيق - لا يوجب ذلك تشبيهاً ؛ لأن التشبيه إنما يكون بالمعنى الموجود في كلا المشتبهين لا بالأسماء ، وهذه التسمية إنما هي اشتراك في العبارة فقط ، لأن الفاعل^(٢١) متحرك باختيار^(٢٢) ، أو عارف ، أو شاك ، أو مريد أو كاره باختيار^(٢٣) ضمير ، فكل فاعل من متحرك ذو ضمير ،

(١٦) في (ح) : « هُدى بتنوير النفوس التي » .

(١٧) في (أ ، ب) : (أنه)

(١٨) في (أ ، ب) : (فهو ذو) .

(١٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (لكان) .

(٢٠) في (أ ، ب) : (في الجسم) .

(٢١) في (خ) : سقطت كلمة (من) .

(٢٢) في (أ ، ب) : بزيادة (أو اضطرار) .

(٢٣) في (أ ، ب) : (أو) .

وكلُّ متحرِّك فذو حركة^(٢٤)، والحركة وأعراض الضماير انفعالات ، فكل متحرِّك منفعل ، وكل منفعل فلفاعل ضرورة ، وأمَّا الباري تعالى ففاعل باختيار واختراع ، لا بحركة ولا ضمير ، فهذا اختلاف لا اشتباه . وبالله تعالى التوفيق .

وكذلك العرض ليس جسمًا ، وقولنا^(٢٥) الجسم ليس عرضًا ، والباري تعالى ليس جسمًا ولا عرضًا فهذان الحكمان فلا يوجبان اشتباهًا أصلًا بل هذا عين الاختلاف ، لأن^(٢٦) الاشتباه إنما يكون بإثبات معنى في المشتبهين به اشتباهًا ، ولو أوجب ما ذكرنا اشتباهًا لوجب أن يكون يشبه^(٢٧) الجسم في الجسمية لأنه ليس عرضًا ، وأن يكون ليشبه العرض في العرضية لأنه ليس جسمًا فكان يكون جسمًا عرضًا^(٢٨) معاً ، وهذا محال ، فصَحَّ أن بالنفى لا يصح^(٢٩) الاشتباه^(٣٠) وبالله تعالى التوفيق .

* * *

قال أبو محمد : ومن قال إنَّ الله تعالى جسم لا كالأجسام فهو^(٣١) ملحد في أسمائه إذ سماه عزَّ وجل بما لم يسمَّ به نفسه .
وأما من قال إنه تعالى كالأجسام فهو ملحد في أسمائه ومشبه مع ذلك .

(٢٤) و (أ ، ب) : بزيادة (تحركة) .
(٢٥) و (أ ، ب) : لا يوحد كلمة (وقولنا) .
(٢٦) في (أ ، ب) : (لكن) .
(٢٧) في (خ) : « نسبة » وهذا تحريف ظاهر .
(٢٨) و (أ ، ب) : « جسم لا جسماً ، عرضاً لا عرضاً معاً » .
(٢٩) في (أ ، ب) : « لا يجب » .
(٣٠) في (أ ، ب) : بزيادة « أصلًا » .
(٣١) في (أ ، ب) : « فليس مشتبهاً لكنه ألحد في أسماء الله تعالى » .

« مطلب إطلاق الصفات »^(١)

قال أبو محمد : وأما إطلاق لفظ الصفات لله عز وجل فمحال لا يجوز لأن الله تعالى لم ينص قط في كلامه المنزل على لفظ الصفات ، ولا على لفظ الصفة ولا جاء^(٢) قط عن النبي ﷺ بأن الله تعالى صفة أو صفات ، نعم ولا جاء قط ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولا عن أحد من خيار التابعين ، ولا عن أحد تابعي التابعين ، وما^(٣) كان هكذا فلا ينبغي^(٤) لأحد أن ينطق به .

ولو قلنا : إن الإجماع قد تيقن على ترك هذه اللفظة لصدقنا ، فلا يجوز القول بلفظ الصفات ، ولا اعتقاده بل ذلك بدعة منكرة ، قال الله تعالى : « إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى »^(٥) .

(١) هذا العنوان كتب على هامش النسخة (خ) وحدها دون بقية النسخ ، ويبدو أنه من عمل قارئ لأن الخط الذي كتب به مغاير لخط النسخة .

(٢) في (أ ، ب) : « ولا حمظ عن النبي ﷺ » .

(٣) في (أ ، ب) : « ومن » .

(٤) في (أ ، ب) : « فلا يحل » .

(٥) سورة : النجم : ٢٣ .

قال أبو محمد : وإنما اخترع لفظة الصفات المعتزلة^(٦)، وسلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام ، سلكوا غير مسلك السلف الصالح ليس فيهم أسوة ولا قدرة وحسبنا الله ونعم الوكيل ، « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ^(٧) » .

وربما أطلق هذه اللفظة من متأخري الأئمة من الفقهاء من لم يحقق النظر فيها ، فهي^(٨) وهلة من فاضل ، وزلة من عالم ، وإنما الحق في الدين ما جاء عن الله تعالى نصاً أو عن رسوله ﷺ كذلك ، أو صحَّ إجماع الأمة كلها عليه ، وماعدا هذا فضلال^(٩).

فإن اعترضوا بالحديث الذي روينا من طريق عبد الله^(١٠) بن وهب عن عمرو^(١١) بن الحارث عن سعيد^(١٢) بن أبي هلال عن أبي الرجال^(١٣) محمد بن عبد الرحمن عن أمه عمره^(١٤) عن عائشة رضي الله عنها في الرجل الذي كان يقرأ : قل هو الله أحد في كل ركعة مع سورة أخرى ، وأن رسول الله ﷺ أمر أن يُسأل عن ذلك فقال : هي صفة الرحمن فأنا أحبها^(١٥) ، فأخبره رسول الله ﷺ أن الله يحبّه .

(٦) في (أ ، ب) : زيادة : « وهشام ونظراؤه من رؤساء الرافضة » .

(٧) سورة الطلاق : ١ .

(٨) في (خ) : « فها وهلة وذلة عالم » .

(٩) في (أ) : بزيادة « وكل محدثة بدعة » .

(١٠) هو . عبد الله بن وهب بن مبه الأنباوى الصنعالي : روى عن أبيه ، وعنه روى إبراهيم بن عمر بن كيسان ، وداود بن قيس ، وأبو الهذيل ، عمران بن عبد الرحمن قال ابن معين هو أقدم من أخيه عبد الرحمن ، وقال الآحوري عن ابن وهب إنه معروف وله عنده حديث . (تهذيب التهذيب : ٦ ص ٧٤) .

(١١) هو : عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري ، يكنى : أبو أمية ، كان حافظاً للحديث ، راوياً للشعر ، وخطيباً في عصره ، وأصله من المدينة . قال ابن حجر : كان عالم الديار المصرية ، ومحدثها ، ومفتيها مع الليث بن سعد ، توفى بمصر سنة ١٤٧ هـ . (الأعلام : ٢٤٢ / ٥) .

(١٢) هو . سعيد أبي هلال الليثي ، أبو العلاء المصري ، يقال أصله من المدينة ، روى عن جابر وأنس ومرسلأ ، وزيد بن أسلم ، وأبي الرجال محمد ابن عبد الرحمن وآخرين ، وروى عنه سعيد المقبري ، وهو أكبر منه ، وحالد بن يزيد المصري ، وعمرو بن الحارث . قال ابن يونس : ولد بمصر سنة ٧٠ هـ . ونشأ بالمدينة ، ثم رجع إلى مصر في خلافة هشام ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ . (تهذيب التهذيب : ٤ / ٩٤ ، ٩٥ بتصرف) .

(١٣) هو : محمد بن عبد الرحمن بن حازنة بن النعمان : أبو الرجال ، وهو لقب له ، وكنيته . أبو عبد الرحمن ، كان جده حازنة من أهل بدر . وروى عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وعوف بن الحارث بن الطفيل ، وأنس بن مالك . قال ابن سعد : كان ثقة ، كثير الحديث ، وقال أبو داود والنسائي : ثقة . وقال البخاري : هو ثبت . وكذا وثقه أحمد بن حنبل . (تهذيب التهذيب : ٩٠ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ بتصرف) . (أ) : (أبي الرضاء) .

(١٤) هي . عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن رزاة الأنصارية ، كانت في حجر عائشة رضي الله عنها ، وروى عنها ، وروى عن أختها لأمها : أم هشام بنت حازنة بن النعمان ، وحبيبة بنت سهل ، وروى عنها أنها . أبو الرجال . وأخوها : محمد بن عبد الرحمن الأنصاري . قال ابن أبي مريم عن ابن معين : ثقة حجة ، وقال العجلي : مدنية تابعية . ماتت سنة ٩٨ هـ وهي بنت سبع وسبعين : (تهذيب التهذيب : ١٢ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ بتصرف) .

(١٥) روى هذا الحديث النسائي بسنده قال : أحسننا سليمان بن داود عن ابن وهب قال . حدثنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال أن أبا الرجال محمد ابن عبد الرحمن حدثه عن أمه عمرة عن عائشة أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سريره فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيحتم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : سلوه لأى شيء فعل ذلك فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن عز وجل فانا أحب أن أقرأ بها . قال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله عز وجل يحبّه . (سنن النسائي : ١ / ١٧٠) .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أنَّ هذه اللفظة انفرد بها سعيد بن أبي هلال وليس بالقوى ، قد ذكره بالتخليط يحيى^(١٦) وأحمد^(١٧) بن حنبل ، وأيضاً فإن احتجاج خصوصنا بهذا لا يسوغ لهم على أصولهم لأنه خبر واحد لا يوجب عندهم العلم ، وأيضاً : فلو صحَّ لما كان مخالفاً لقولنا ، لأننا إنما أنكرنا قول من قال : إن أسماء الله تعالى مشتقة من صفات ذاتية فأطلق ذلك على « العلم » و « القدرة » و « القوة » و « الكلام » أنها صفات ، وعلى من أطلق « إرادة » و « سمعاً » وبصراً وحياة ، وأطلق أنها صفات ، فهذا الذى أنكرنا غاية الإنكار ، وليس فى الحديث المذكور ، ولا فى غيره شيء من هذا أصلاً ، وإثماً فيه أنَّ « قل هو الله أحد » خاصة صفة الرحمن ، ولم نذكر هذا نحن بل هو خلاف لقولهم لأنهم لا يخصّون « قل هو الله أحد » بذلك دون الكلام والعلم وغير ذلك^(١٨) ، و « قل هو الله أحد » خبر عن الله تعالى بما هو الحق ، فنحن نقول فيها هى صفة الرحمن ، بمعنى أنها خبر عنه تعالى حق ، فظهر أن هذا الخبر حجة عليهم لنا ، وأيضاً فمن أعجب الباطل أن يحتج بهذا الخبر فيما ليس فيه منه شيء من يخالفه ويعصيه فى الحكم الذى ورد فيه . من استحسان قراءة « قل هو الله أحد » فى كل ركعة مع سورة أخرى ، لهذه الفضائح ، فلتعجب أهل العقول^(١٩) . وأما الصفة التى يطلقون هم ، فإنما هى فى اللغة واقعة على عرض فى^(٢٠) جوهر لا على ذلك أصلاً . وقد قال الله تعالى : « سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ »^(٢١) .

فأنكر إطلاق الصفات جملة فبطل تمويه من مؤه بالحديث المذكور ليستحل بذلك ما لا يحل من إطلاق لفظ الصفات حيث لم يأت بإطلاقها فيه نصٌّ ولا إجماع أصلاً ، ولا أثر عن السلف^(٢٢) . والعجب من اقتصارهم على لفظة الصفات ، ومنعهم من القول بأنها نعوت وسمات ، ولا فرق بين اللفظتين^(٢٣) لا فى لغة ولا فى معنى ، ولا فى نصٌّ ولا فى إجماع ، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١٦) هر . يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد ، ويقال : ابن أسعد بن زرارة الأنصارى ، البخارى ، المندى ، روى عن زيد بن ثابت ، وعمارة ابن عمرو ، وأبى هريرة وسودة بنت زمعة أم المؤمنين ، وروى عنه قريه إبراهيم بن محمد ، ويحيى بن سعيد ذكره ابن حبان فى الثقات . وحديثه عن أم هشام فى صحيح مسلم . (تهذيب التهذيب : ١١ / ٢٤١ ، ٢٤٢ تصريف) .

(١٧) هو . أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيبانى ، إمام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة وهو من « مرو » وولد بسغداد عام ١٦٤ هـ . نشأ مكياً على العلم ، وفى أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن . ومات المأمون قتل أن يناظر ابن حنبل ، ثم تولى المعتصم فسجنه ثمانى وعشرين شهراً لانتعاضه عن القول بخلق القرآن . من مصنفاته : المسند فى الحديث والناسخ والمنسوخ ، والرد على الجهمية والزنادقة ، توفى عام ٢٤١ هـ . (الأعلام : ١ / ٣٩٢ ، ٣٩٣ تصريف)

(١٨) فى (أ) : زيادة : (وفى هذا الخبر تخصيص لقوله « قل هو الله أحد » وحدها بذلك) .

(١٩) فى (ج) : لم يذكر الكلام من أول كلمة (الحق .. إلى أهل العقول) .

(٢٠) فى (ح) : (عرض وجوهر) .

(٢١) سورة الصافات : ١٨٠ .

(٢٢) لم تذكر كلمة (ولا أثر عن السلف) فى (خ) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : (هذه الألفاظ) .

« الكلام فى المكان والاستواء »

قال أبو محمد : ذهبت المعزلة إلى أن الله سبحانه وتعالى فى كل مكان ، واحتجوا^(١) بقول الله عز وجل : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم^(٢) » .
وقوله تعالى : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ^(٣) » .
وقوله تعالى : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ^(٤) » .

* * *

قال أبو محمد : قول الله عز وجل يجب حمله على ظاهره ما لم يمنع من حمله على ظاهره نص آخر ، أو إجماع ، أو ضرورة حسن .

وقد علمنا أن كل ما كان فى مكان فإنه شاغل لذلك المكان ، ومالى له ومتشكل بشكل المكان ، أو المكان متشكل بشكله ، ولابد من أحد الأمرين ضرورة . وقد^(٥) علمنا أن ما كان فى مكان فإنه شاغل لذلك المكان^(٦) ، ومتناهٍ بتناهى مكانه ، وهو ذو جهات ست أو خمس

(١) هذه الكلمة لم تذكر فى (خ) .

(٢) المحادلة ٧٠ .

(٣) ق ١٦٠ .

(٤) الواقعة : ٨٥ .

(٥) فى (أ ، ب) لم يذكر كلمة (قد) .

(٦) فى (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (فإنه شاغل لذلك المكان) .

متناهية في مكانه ، وهذه كلها صفات الجسم ، فلما صحَّ ما ذكرنا علمنا أن قوله تعالى : « ونحن أقرب إليه مِنْ حَبْلٍ الوريد » . « ونحن أقرب إليه منكم » . « وما يكون من نجوى ثلاثة إِلَّا هُوَ رابعهم ، وَلَا خمسة إِلَّا هُوَ سادسهم » إنما هو التدبير لذلك والإحاطة به فقط ضرورة لانتفاء ما عدا ذلك .

وأيضاً : فإن قولهم « في كل مكان » خطأ ؛ فإنه^(٧) يلزم بموجب هذا القول أن^(٨) يملأ الأماكن كلها ، وأن يكون ما في الأماكن فيه - الله تعالى عن ذلك - وهذا محال .

فإن قالوا : هو فيها بخلاف كون المتمكن في المكان .

قيل لهم : هذا لا يعقل ولا يقوم عليه دليل ، وقد قلنا : إنه لا يجوز إطلاق اسم على غير موضوعه في اللغة - إِلَّا أن يأتي به نص فنقف عنده ، وندرى حينئذ أنه منقول إلى ذلك المعنى الآخر ، وإلا فلا ، فإذا قد صحَّ ما ذكرنا^(٩) فلا يجوز أن يطلق القول بأن الله تعالى في مكان لا على تأويل ولا على غيره ، لأنه حكم بأنه تعالى في الأمكنة ، لكن يطلق القول بأنه تعالى معنا في كل مكان ، ويكون حينئذ قولنا في كل مكان إنَّما هو^(١٠) صلة الضمير الذي هو النون والألف اللذان في « معنا » لا فيما^(١١) نخبر به عن الله تعالى ، وهذا هو معنى قوله : « هو معهم أينما كانوا ، وهو معكم أينما كنتم » .

وذهب قوم إلى أن الله تعالى في مكان دون مكان .

وقولهم هذا يفسد بما ذكرنا^(١٢) ، ولا فرق .

واحتج هؤلاء بقوله تعالى : « الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى »^(١٣) .

* * *

قال أبو محمد : وقد تأوَّل المسلمون في هذه الآية تأويلات أربعة

أحدها : قول المجسمة ، وقد بان^(١٤) بحول الله فسادها .

(٧) في (أ ، ب) : (لأنه) .

(٨) في (أ ، ب) : (أنه) .

(٩) في (أ ، ب) : (ما قد) .

(١٠) في (أ ، ب) : (هو من) .

(١١) في (أ ، ب) : (لا ممَّا يخبر) .

(١٢) في (أ ، ب) : (بزيادة) (آنفا) .

(١٣) طه : ٥ .

(١٤) في (أ ، ب) : (وقد أبنا) .

والثاني^(١٥): قالت المعتزلة: هو أن معناه « استولى » وأنشدوا: قد استوى بشر على العراق .

قال أبو محمد: وهذا فاسد لأنه لو كان كذلك لكان^(١٦) العرش أولى بالاستيلاء عليه من سائر المخلوقات . ولجاز لنا أن نقول: « الرحمن على الأرض استوى » لأنه تعالى مستولٍ عليها ، وعلى كل ما خلق . وهذا لا يقوله أحدٌ . فصار^(١٧) هذا القول دعوى مجردة بلا دليل فسقط . وقال بعض أصحاب ابن كلاب: إن الاستواء صفة ذات ، ومعناه نفى الاعوجاج .

قال أبو محمد: وهذا القول في غاية الفساد لوجوه:

أحدها: أنه تعالى لم يسم نفسه مستوياً ، ولا يحل لأحد أن يسمي الله تعالى بما لم يسم به نفسه ، لأن من فعل ذلك فقد ألحد في أسمائه أي مال عن الحق ، وقد حدَّ الله تعالى في تسميته حدوداً فقال تعالى: « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ^(١٨) » .

وثانيها: أن الأمة مجمعة على أنه لا يدعو أحد فيقول: « يا مستوى أرحمني » . ولا يسمي ابنه عبد المستوى .

وثالثها: أنه ليس كل ما نفى عن الله عز وجل وجب أن يوقع عليه ضده ، لأننا نفى عن الله عز وجل السكون ، ولا يحل أن نسمي الله عز وجل متحركاً ، ونفى عنه الحركة ، ولا يجوز أن يسمي ساكناً ، ونفى عنه الخشم^(١٩) ولا يجوز أن يسمي شاماً^(٢٠) ونفى عنه النوم ، ولا يجوز أن يسمي يقظان ، ولا منتبها ، ولا يسمي لنفى الخيال^(٢١) عنه مستقيماً ، وكذلك كل صفة لم يأت بها النص ، فكذلك الاستواء والاعوجاج منفيان عنه معاً ، سبحانه وتعالى عن ذلك لأن كل ذلك من صفات الأجسام ، ومن جملة الأعراض ، والله قد تعالى عن الأعراض .

ورابعها: أنه يلزم من قال بهذا القول^(٢٢) أن يكون العرش لم يزل تعالى الله عن ذلك ، لأنه تعالى علّق الاستواء بالعرش فلو كان الاستواء لم يزل لكان العرش لم يزل فهذا^(٢٣) كفر .

(١٥) في (ح) : والثالث ، وفي (أ ، ب) : (والآخر) .

(١٦) في (أ ، ب) : (لما كان) .

(١٧) في (خ) : (نصاً و) وهو تحريف .

(١٨) الطلاق : ١ .

(١٩) في (أ) : (الجسم) وهو تحريف .

(٢٠) وفيه (شاماً) بالسين المهملة وهو تحريف أيضاً .

(٢١) وفي (أ ، ب) : (الانحاء) .

(٢٢) في (أ ، ب) : (بزيادة) الفاسد .

(٢٣) في (أ ، ب) : (وهذا) .

وخامسها : أنه لو كان الاستواء هاهنا نفى الاعوجاج لم يكن لإضافة ذلك إلى العرش معنى ، ولكان كلاماً فاسداً لا وجه له .

فإن اعترضوا فقالوا : إنكم تسمونه سمياً بصيراً ، وأنه لم يزل كذلك فيلزم^(٢٤) على هذا أن المسموعات والمبصرات لم تزل .

قلنا لهم وبالله تعالى نتأيد : هذا لا يلزمنا لأننا لا نسمى الله تعالى إلا بما سمى نفسه فنقول إن^(٢٥) الله تعالى السميع البصير^(٢٦) لم يزل وهو السميع البصير بذاته كما هو^(٢٧) لا يسمع ولا يبصر ، ولم^(٢٨) نزد على ما أتى به النص شيئاً . ونحن نقول : إنه تعالى لم يزل بصيراً بالمبصرات ، سمياً بالمسموعات يرى المراتب ويسمع المسموعات ، ومعنى هذا كله أنه عالم بكل ذلك^(٢٩) ، ويعلم كل ذلك على ما يكون عليه ثم على حقيقته ، وعلى ما هو عليه وهذا معنى العلم الذي لا يقتضى وجوداً لمعلومات لم تزل^(٣٠) ، وهذا نجده حساً ومشاهدة وضرورة ، لأننا لما^(٣١) بينا زيدا سيموت وأن موته لم يقع بعد وليس هكذا قولهم في الاستواء لأنه مرتبط بالعرش فإن قالوا فإذن معنى « سميع بصير » هو معنى « عليم » فقولوا : إنه تعالى يبصر المسموعات ويسمع المراتب ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق :

ما نمنع من هذا ولا ننكره ، بل هو صحيح لأن الله تعالى إنما قال : أسمع وأرى . فهذا إطلاق^(٣٢) على كل شيء على عمومه ، وبالله تعالى التوفيق .

والقول الرابع في معنى الاستواء : هو أن معنى قول الله تعالى « الرحمن على العرش استوى » : أنه فعل فعله في العرش وهو انتهاء خلقه إليه ، فليس بعد العرش شيء ، ويبين ذلك أن رسول الله ﷺ ذكر الجنات وقال : فاسألوا الله الفردوس الأعلى فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوق ذلك عرش الرحمن « فصَحَّ أنه ليس وراء العرش خلق ، وأنه نهاية جرم المخلوقات الذي ليس خلفه خلاء ولا ملاء ، ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة^(٣٣) والزمان والمكان أو من جرمه فقد لحق بقول الدهرية ، وفارق الإسلام .

(٢٤) في (أ ، ب) : (فيلزمكم) .

(٢٥) في (أ ، ب) : (قال الله) .

(٢٦) في (أ ، ب) : (فقلنا بذلك أنه) .

(٢٧) في (أ ، ب) : (ولا نقول) .

(٢٨) في (أ ، ب) : (فنزيد) .

(٢٩) في (أ ، ب) : (بزيادة (كما قال تعالى : إنني معكما أسمع وأرى) .

(٣٠) في (أ ، ب) : (لكن يعلم ما يكون أنه سيكون على حقيقته ، ويعلم ما هو كما هو ، ويعلم ما قد كان كما قد كان) .

(٣١) في (أ ، ب) : (فيما بينا قد نعلم) .

(٣٢) في (أ ، ب) : (بزيادة (له) .

(٣٣) في (خ) : (سقطت كلمة (المساحة) .

والاستواء في اللغة يقع على الانتهاء قال تعالى : « وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا »^(٣٤) .

أى : فلما انتهى إلى القوة والخير . وقال تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ »^(٣٥) .

أى أن خلقه وفعله انتهى إلى السماء بعد أن رتب الأرض على ما هي عليه وبالله تعالى التوفيق .

وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ما عداه . فأما القول الثالث في المكان : فهو أن الله تعالى لا في مكان ولا في زمان أصلاً ، وهو قول الجمهور من أهل السنة وبه نقول ، وهو الذى لا يجوز غيره لبطلان ما عداه ، ولقوله تعالى : « أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ »^(٣٦) .

فهذا يوجب ضرورة أنه تعالى لا في مكان إذ لو كان في المكان لكان المكان محيطاً به من جهة مّا أو من جهات ، وهذا منتف عن البارى تعالى بنص الآية المذكورة ، والمكان شيء بلا شك ، فلا يجوز أن يكون شيء في مكان ويكون هو محيطاً بمكانه ، وهذا محال في العقل يعلم امتناعه ضرورة . وبالله التوفيق .

وأيضاً فإنه لا يكون في مكان إلا ما كان جسماً أو عرضاً في جسم ، هذا الذى لا يجوز سواه ، ولا يتشكل في العقل والوهم^(٣٧) غيره ألبتة ، فإذا انتفى أن يكون الله عز وجل جسماً أو عرضاً فقد انتفى أن يكون في مكان أصلاً وبالله تعالى نتأيد .

وأما قوله تعالى : « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ »^(٣٨) .

فقوله الحق نؤمن به يقينا والله أعلم بمراحه في هذا القول ، ولعله عز وجل عنى السماوات والكرسى فهذه ثمانية أجرام ، هى يومئذ والآن بيننا وبين العرش ، ولعلمهم أيضاً ثمانية ملائكة ، والله أعلم ، نقول ما قاله ربنا تعالى ، ونقطع أنه حق يقين على ظاهره ، وهو أعلم بمعناه ومراده ، وأما الخرافات فلسنا منها في شيء ، ولا يصح هذا في خبر عن النبي ﷺ ، ولكننا نقول : هذه غيبوب لا دليل لنا على المراد بها ، لكننا نقول « آمناً به كل من عند ربنا »^(٣٩) . وكل ما قاله الله تعالى حق ليس منه شيء منافياً للعقول ، بل هو كله قبل أن يخبرنا الله به في حد الإمكان عندنا ،

(٣٤) القصص : ١٤ وفى الأصل تحريف حيث ذكر الآية (فلما بلغ) .

(٣٥) فصلت : ١١ .

(٣٦) سورة : فصلت : ٥٤ .

(٣٧) فى (أ ، ب) : بزيادة (والوهم) ولم تذكر فى (ح) .

(٣٨) الحاقة : ١٧ .

(٣٩) آل عمران : ٧ .

ثم إذا أخبر به عز وجل صار واجباً حقاً يقيناً ، وقد قال الله تعالى : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ^(٤٠) » .

فصح يقيناً أن للعرش حملة ، وهم الملائكة المنفذون ^(٤١) لأمره تعالى ^(٤٢) ، كما نقول : أنا أحمل هذا الأمر أى أقوم به وأتولاه ، وقد قال تعالى : « وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ^(٤٣) » .

وأنهم يتنزلون بالأمر ، وأما الحامل للكل ، والممسك للكل فهو الله عز وجل ، قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ، وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ^(٤٤) » .

* * *

(٤٠) سورة غافر : ٧ .

(٤١) في (أ ، ب) : (المنقادون) .

(٤٢) في (خ) : زيادة : (ومن حوله) .

(٤٣) سورة النحل : ٥٠ والآية : يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، وفي سورة التحريم آية : ٦ : لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

ما يؤمرون - فكلمة (لئهم) . كما جاء في الأصل زائدة .

(٤٤) سورة فاطر : ٤١ .

« الكلام فى العلم »

قال الله عزّ وجل : « أنزله بعلمه^(١) » .

فأخبر تعالى : أن له علمًا ، ثم اختلف الناس فى علم الله تعالى فقال جمهور المعتزلة : إطلاق العلم لله تعالى إنما هو مجاز لا حقيقة ، وإنما معناه : أنه لا يجهل .

وقال سائر الناس : إنّ لله تعالى علمًا حقيقة لا مجازًا ، ثم اختلف هؤلاء فقال جهم ابن صفوان ؛ وهشام بن الحكم ، ومحمد بن عبد الله^(٢) بن مسرة الجبلى وأصحابهم : إنّ علم الله تعالى هو غيره ، وهو محدث مخلوق ، سمعنا ذلك ممن جالسناه منهم ، وناظرناهم عليه .

وقالت طوائف من أهل السنة : علم الله تعالى غير مخلوق لم يزل ، وليس هو الله ، ولا هو غير الله .

وقال الأشعرى : فى أحد قوليّه : لا يقال هو الله ، ولا يقال هو غير الله .

(١) النساء : ٦٦ .

(٢) هو : محمد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله ، متصوف متفلسف أندلسى ، من دعاة الإسماعيلية من أهل قرطبة . قال الحميدى : له طريقة فى البلاغة ، وتدقيق فى غوامض إشارات الصوفية ، وتآليف فى المعالى ، ونسبت إليه مقالات نعوذ بالله منها ! . وقال ابن الفرضى : اهتم بالزندقة فخرج فأرأ ، وتردّد بالمشرق مدة ، ثم انصرف إلى الأندلس . وكان يحرف التأويل فى كثير من القرآن ، وقد ردّ عليه جماعة من أهل المشرق . وفى تاريخ قضاة الأندلس أن القاضى ابن زرب وضع كتابًا فى الردّ على ابن مسرة ، واستتاب بعض أتباعه ، وأحرق ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه . (الأعلام : ٧ / ٩٥) .

وقال في قول له آخر وافقه عليه الباقلاني^(٣) وجمهور أصحابه : إن علم الله تعالى هو غير الله^(٤) ، وإنه مع ذلك غير مخلوق لم يزل .

وقال أبو الهذيل العلاف وأصحابه : علم الله تعالى لم يزل وهو الله ، وقالت طوائف من أهل السنة : علم الله تعالى لم يزل وهو غير مخلوق ، وليس هو غير الله ، ولا نقول هو الله .

وكان هشام^(٥) بن عمرو الفوطي أحد شيوخ المعتزلة لا يطلق القول بأن الله تعالى لم يزل عالمًا بالأشياء قبل كونها ، ليس لأنه لا يعلم ما يكون قبل أن يكون ، بل كان يقول بأن الله تعالى لم يزل عالمًا بأنه ستكون الأشياء إذا كانت .

قال أبو محمد : فأما من أنكر أن يكون لله تعالى علم فإنهم قالوا : لا يخلو لو كان لله علم من أن يكون غيره أو يكون هو هو ، فإن كان غيره فلا يخلو من أن يكون مخلوقًا أو لم يزل ، وأى الأمرين كان فهو فاسد ، فإن كان هو الله فالله علم وهذا فاسد .

قال أبو محمد : أما نفس قولهم في أن ليس لله علم فمخالف للقرآن ، وما خالف القرآن فهو باطل ، ولا يحل لأحد أن ينكر ما نص الله تعالى عليه وقد نص الله تعالى على أن^(٦) له علمًا فمن أنكره فقد اعترض على الله تعالى ، وأما اعتراضاتهم التي ذكرنا ففاسدة كلها ، وسنوضح فسادها إن شاء الله تعالى في إفسادنا لقول الجهمية والأشعرية ، لأن هذه الاعتراضات من^(٧) اعتراض هاتين الطائفتين ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : احتج جهم بن صفوان بأن قال : لو كان علم الله تعالى لم يزل لكان لا يخلو من أن يكون هو الله تعالى أو غيره ، فإن كان علم الله تعالى غير الله وهو لم يزل ، فهذا تشريك لله تعالى ، وإيجاب الأزلية لغيره تعالى معه وهذا كفر ، وإن كان هو الله فالله علم وهذا إلحاد .

(٣) هو : القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم المشهور ، كان على مذهب الأشعرية ، ومؤيدًا اتجاهاته ، سكن بغداد ، وصنف التصانيف الكثيرة في علم الكلام توفي سنة ٤٠٣ هـ . (وفيات الوفيات : ج ١ ص ٦٠٩) .

(٤) في (أ ، ب) : بزيادة (وخلاف الله) .

(٥) هو : هشام بن عمرو الفوطي ، كان من أصحاب أبي الهذيل ، فاعترف عنه أيضًا فعم عليه المعتزلة واعترفوا عنه ، كذا ذكر ابن الإخشيد . وكان من أهل البصرة وسافر إلى عدة بلدان من البحر ، وكان داعية إلى الاعتزال ، استجاب له جماعة من أهل الأمصار ، وكان هشام يقول : إن الشيطان لا يدخل في الإنسان ، وإنما يوسوس له من خارج والله جل عن ذلك يوصل وسوسته إلى قلب ابن آدم ليبتليه ، وله من الكتب : كتاب المخلوق ، كتاب الرد على الأهم في نفى الحركات ، كتاب خلق القرآن ، كتاب التوحيد ، كتاب جواب أهل خراسان . (الفهرست : الفن الأول من المقالة الخامسة : ٢١٤) .

(٦) في (أ ، ب) : (على أنه) .

(٧) في (أ ، ب) : (هي) بدلًا من (من) .

وقال : نسأل من أنكر أن يكون علم الله تعالى هو غيره ، فنقول : أخبرونا ، إذا قلنا الله ، ثم قلنا : إنه عليم فهل فهم من قولنا : « عليم » شيئاً زائداً غير ما فهمتم من قولنا (الله) أم لا ؟ فإن قلتم : لا . أحلتم .

وإن قلتم : نعم ، أثبتتم معنى آخر هو غير الله ، وهو علمه ، وهكذا قالوا في (قدیر) وفي (قوى) وفي سائر ما ادَّعوا فيه الصفات .

وقال أيضاً : إننا نقول إنَّ الله تعالى عالم بنفسه ، ولا نقول^(٨) قادر على نفسه ، فصح أن علمه تعالى غير قدرته ، وإذ هو غيرهما فهما غير الله تعالى ، وقد يعلم الله تعالى قادراً من لا يعلمه عالماً ، ويعلمه عالماً من لا يعلمه قادراً ، فصح أن كل ذلك معانٍ متغايرة .

واحتج بهذا كله أيضاً من رأى أن علم الله تعالى لم يزل ، وأنه مع ذلك غير الله تعالى ، وأنه غير قدرته أيضاً ، واحتج بآيات من القرآن مثل قوله : « وَلَنبَلِّغَنَّكُمْ إِلَى صَبَإِ بْنِ^(٩) » .

ومثل هذه .

قال أبو محمد : من قال بحدوث العلم فإنه قول عظيم جداً لأنه نصٌّ بأن الله تعالى لم يعلم الأشياء^(١٠) حتى أحدث لنفسه علماً ، وإذا ثبت أن الله تعالى يعلم الآن الأشياء فقد انتفى عنه الجهل يقيناً ، فلو كان يوماً من الدهر لا يعلم شيئاً مما يكون فقد ثبت له الجهل به ولا بد من هذا ضرورة ، وإثبات الجهل لله تعالى كفر بلا خلاف ، [لأنه وصفه تعالى بالنقص ، ووصفه يقتضى له الحدوث ولا بد ، وهذا باطل مما قدمنا من انتفاء جميع صفات الحدوث عن الفاعل تعالى ، وليس هذا من باب نفى الضدين عنه كنفينا عنه تعالى الحركة والسكون لأن نفى جميع الضدين موجود عما ليس فيه أحدهما ولا كلاهما ، وأما إذا ثبت للموصوف بعض نوع من الصفات ، وانتفى عنه بعض ذلك النوع فلا بد هاهنا ضرورة من إثبات ضده ، مثال ذلك الحجر ، انتفى عنه العلم والجهل ، وأما الإنسان إذا ثبت له العلم بشيء ، وانتفى عنه العلم بشيء آخر فقد وجب ضرورة إثبات الجهل له بما لم يعلمه ، وهكذا في كل شيء^(١١) ؛ فإذا قد صحَّ هذا

(٨) في (أ ، ب) : بزيادة (إنه) .

(٩) محمد : ٣١ .

(١٠) في (أ ، ب) : (شيئاً) .

(١١) ما بين القوسين لم يذكر في (خ) واعتمدنا فيه على (أ) حين مضاهاة النسخ بعضها ببعض .

فالواجب النظر [في إفساد احتجاجهم ، فأما قولهم : لو كان علم الله لم يزل ، وهو غير الله تعالى لكان ذلك شركاً^(١٢)] - فهو قول صحيح ، واعتراض لا يرد .

وأما قولهم : لو كان هو الله لكان الله علماً ، فهذا لا يلزم على ما نبين بعد هذا إن شاء الله تعالى ، وجملة ذلك أننا لا نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه ، ولم يسم نفسه علماً ولا قدرة ، فلا يحل لأحد أن يسميه بذلك .

وأما قولهم : هل يفهم من قول القائل (الله) كالذي يفهم من قوله (عالم) فقط ؟ أو يفهم من قوله (عالم) معنى غير ما يفهم من قوله (الله) ؟

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : إننا لا نفهم من قولنا : قدير وعالم إذا أردنا بذلك الله عز وجل إلا ما نفهم من قولنا [الله فقط لأن كل ذلك أسماء أعلام لا مشتقة من صفة أصلاً ، لكن إذا قلنا هو الله تعالى بكل شيء^(١٣)] عليم ، ويعلم الغيب ، فإنما يفهم من كل ذلك أن هاهنا له تعالى معلومات ، وأنه لا يخفى عليه شيء ، ولا يفهم منه ألبتة أن له علماً هو غيره ، وهكذا نقول في (قدير) وفي غير ذلك ، وأما قولهم إننا نقول : إن الله تعالى عالم بنفسه ولا نقول : إنه قادر على نفسه ، فقد كذب من قال ذلك وأفك بل كل ذلك سواء ، وهو تعالى قادر على نفسه كما هو عالم بها ولا فرق ، فإن كلمونا هاهنا أجبناهم ، وقد سقط عنا هذا السؤال جملة ، وقد تكلمنا على تفصيل هذا السؤال بعد هذا . [ويلزمهم ضرورة إذ قالوا إنه تعالى غير قادر على نفسه أنه عاجز عن نفسه ، وإطلاق هذا كفر صريح^(١٤)] .

وأما قولهم إنه قد يعلم الله قادراً من لم يعلم أنه عالم ، ويعلمه عالماً من لا يعلمه قادراً فلا حجة في ذلك ، لأن جهل من جهل الحق ليس حجة على الحق ، وقد نجد من يعلم الله عز وجل ويعتقد فيه أنه تعالى جسم ، فليست الظنون حجة في إبطال حق ، ولا تحقيق باطل ، فصح أن علم الله تعالى حق وقدرته حق وقوته حق ، وكل ذلك ليس هو غير الله تعالى ، ولا العلم غير القدرة ، ولا القدرة غير العلم ، إذ لم يأت دليل بغير هذا لا من نص^(١٥) ولا من سمع ، وبالله تعالى التوفيق .

وجهم بن صفوان سمرقندي يكنى أبا محرز ، مولى لبنى راسب من الأزد ، وكان كاتباً

(١٢) ما بين القوسين لم يذكر أيضاً في (خ) واعتمدنا فيه على (أ) .

(١٣) لم يذكر ما بين القوسين في (خ) ، واعتمدنا فيه على النسخة (أ) .

(١٤) لم يذكر ما بين القوسين في (خ) ، واعتمدنا فيه على النسخة (أ) .

(١٥) في (أ ، ب) : (بدلا من عقل) .

للحارث ابن سريج^(١٦) التميمي ، أيام قيامه على نصر^(١٧) بن سيار ، أمير مرو بخراسان ، فظفر سلم^(١٨) بن أحوز بجهم في تلك الأيام فضرب عنقه .

* * *

قال أبو محمد : ومعنى كل ما جاء في القرآن من الآيات التي ذكروا هو ما نبينه إن شاء الله تعالى بحوله عز وجل وقدرته ، وهو أنه لما أخبرنا الله عز وجل [بأن أهل النار لو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه ، وأخبرنا عز وجل]^(١٩) . أنه يعلم متى تقوم الساعة ، وأخبرنا بما يقول أهل الجنة وأهل النار قبل أن يقولوا ، وسائر ما في القرآن من الأخبار الصادقة عما لم يكن بعد ، علمنا بذلك أن علمه تعالى بالأشياء كلها متقدم لوجودها ولكونها ضرورة ، وعلمنا أن كلامه عز وجل لا يتناقض ولا يتدافع ، وأن المراد بقول الله تعالى : « حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ »^(٢٠) .

وسائر ما في القرآن من مثل هذا إنما هو على ظاهره دون تكلف تأويل ، بل هي على المعهود بيننا كقوله تعالى : « فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى »^(٢١) .

إنما هذا على حسب إدراك المخاطب ، ومعنى ذلك : حتى نعلم من يجاهد منكم مجاهدًا ، ونعلم من يصير منكم صابِرًا ، وهذا لا يكون إلَّا في حين جهادهم وحين صبرهم ، وأمَّا قبل أن يجاهدوا ويصبروا فإنما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين ، وأنهم سيجهادون ويصبرون ، فإذا جاهدوا علمهم حينئذ مجاهدين ، وإنما الزمان في كل هذا للمعلوم ، وأمَّا علمه تعالى ففي غير زمان

(١٦) الحارث بن سريج : هو : الحارث بن سريج بالسين المهملة لا بالشين كما جاء في الأصل . التميمي : نائر من الأبطال ، كان من سكان خراسان ، وخرج على أميرها سنة ١١٦ هـ فلبس السواد خلعًا طاعة بني مروان (والخليفة حينئذ هشام بن عبد الملك) وداعيًا إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضي ، وسار إلى الفارياب ومنها إلى (بلخ) فقاتله أميرها فهزمه الحارث ودخلها ، ثم استولى على الجوزجان والطارقان ومرو الروز . وعظم أمره ، فقبل إن عدة جيشه بلغت ستين ألفًا ، ثم انهزم جيشه على أبواب (مرو) ففرق جمع كبير من أصحابه ، ولم يبق معه أكثر من ثلاثة آلاف ، فانصرف إلى بلاد الترك فأقام اثنتي عشرة سنة ، وأرسل إليه أمير خراسان نصر بن سيار رسلًا حملوا إليه أمان يزيد بن الوليد بعودته إلى خراسان ، فعاد إلى مرو سنة ١٢٧ هـ ، وردَّ عليه نصر جميع ما أخذ له ، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهما ، ولكنه خرج عليه طالبًا منه أن يعمل بالكتاب والسنة وقاتل حتى قتل سنة ١٢٨ هـ . (الأعلام : ٢ / ١٥٥) .

(١٧) نصر بن سيار : هو : ابن رافع بن حرّ بن ربيعة الكناني ، أمير من الدهاة الشجعان ، كان شيخ مضر بخراسان وولى بلخ ، ثم ولى إمرة خراسان سنة ١٢٠ هـ بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري ، ولَّاه هشام بن عبد الملك وغزا ما وراء النهر ففتح حصونًا ، وغنم مغنم كثيرة وأقام بمر ، وقويت الدعوة العباسية في أيامه فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم فلم يأبهوا للخطر ، فصبر يدبر الأمر إلى أن أعيته الحيلة ، وتغلب أبو مسلم على خراسان فخرج نصر من مرو سنة ١٣٠ هـ ، وصار ينتقل من بلد إلى بلد حتى مرض في مغارة بين الري وهمدان ومات بساوة سنة ١٣١ هـ .

(١٨) سلم بن أمّوز : وقع في العبر ١ / ٦٦ (سلم بن أحور) بالراء المهملة ، وهو في كل كتب المقالات بالزاي . وسلم (انظر مقالات الإسلاميين ١ / ١٣١ ، والتبصير ١٨ ، ٦٤ ، ومن كلام المؤلف نعلم أن سلم بن أحوز كان قائدًا من قواد نصر بن سيار في خراسان في أواخر بني مروان . (الفرق بين الفرق : ٣٦) .

(١٩) ما بين القوسين لم يذكر في (ح) . واعتمدنا في ذكره على النسخة (أ) .

(٢٠) سورة محمد : ٣١ .

(٢١) سورة طه : ٤٤ .

وليس هاهنا تبدل علم ، وإنما يتبدل المعلوم فقط ، والعلم في كل ذلك لم يزل غير متبدل .
فإن قالوا : متى علم الله زيدًا ميتًا ؟ فإن قلتم لم يزل يعلمه ميتًا ، وجب أن زيدًا لم يزل
ميتًا ، وهذا محال . وإن قلتم لم يعلمه ميتًا حتى مات فهذا قولنا لا قولكم . فالجواب عن هذا أننا
لا نقول شيئًا مما ذكرنا^(٢٢) ولكننا نقول : إن الله عز وجل لم يزل أنه سيخلق زيدًا ، وأنه سيعيش
كذا وكذا وسيموت في وقت كذا ، فعلم الله تعالى بكل ذلك واحدًا لا يتبدل ولا يستحيل ،
ولا زاد فيه تبدل الأحوال التي للمعلوم شيئًا ولا نقص منه عدمها شيئًا ، لا أحدث له حدوث
ذلك علمًا لم يكن وإنما تباير المعلومات لا العلم لا العليم ولا القدرة ولا القدير^(٢٣) .

والفرق بين القول متى علم الله زيدًا ميتًا .. ؟ وبين القول متى علمت زيدًا ميتًا .. ؟ فرق
بين وهو علمي أن زيدًا مات وهو عرض حدث في النفس بحدوث موت زيد ، وهو غير علمي أن
زيدًا حي ، وأنه سيموت لأن علمي بأن زيدًا سيموت إنما هو علم بحدوث^(٢٤) حال سيحدث
مقتضية لموته يومًا ما . لا علمنا بوجود الموت ، وعلمي بأن زيدًا ميت علم بوجود الموت
فهو غير [العلم الأول وكلاهما عرض مخلوق في النفس^(٢٥)] وعلم الله تعالى ليس كذلك ، لأنه
ليس هو شيئًا غير الله تعالى ، ولو كان علم الله تعالى محدثًا لوجب ضرورة أن يكون على حكم
سائر المحدثات ، وبضرورة العقل نعلم أن العلم كيفية عرض ، والعرض لا يقوم ألبة إلا في جسم ،
ومحال أن يكون العلم محمولًا في غير العالم^(٢٦) ، فكان يجب من هذا القول بالتجسيم ، وهذا باطل
بما قدمنا من البراهين على وجوب حدوث كل جسم وعرض ، فإن قال قائل : علم الله تعالى عرض
حادث في المعلوم قائم به لا بالبارى عز وجل ولا بنفسه قلنا وبالله تعالى التوفيق :

بنص القرآن علمنا أن الله عز وجل عنده علم الساعة ، وعلم ما لا يكون أبدًا ،
أو لو كان كيف كان يكون ، إذ يقول تعالى : « وَلَوْ وَرُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ^(٢٧) » .

وعلمه تعالى إذ قال لنوح عليه السلام : « أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ^(٢٨) » .

[وأخبر تعالى أنهم مغرّقون] فلو كان علم الله تعالى عرضًا قائمًا في المعلوم ، والمعلوم
الذي هو الساعة غير موجود بعد ، والعلم موجود بيقين ، فلا بد ضرورة من أحد أمرين لا ثالث
لهما ؛ إما أن يكون المعلوم موجودًا لوجود العلم ، وهذا باطل بضرورة الحس ، لأن المعلوم

(٢٢) في (أ ، ب) : (بما ذكر) .

(٢٣) في (ح) : سقط الكلام من قوله (وإنما تباير المعلومات لا العلم ولا العليم ولا القدرة ولا القدير) .

(٢٤) في (أ ، ب) : (بأنه ستحدث حال مقتضية) .

(٢٥) لم يذكر ما بين القوسين في (خ) .

(٢٦) في (أ ، ب) : بزيادة (به) .

(٢٧) سورة الأعمام : ٢٨ .

(٢٨) سورة هود : ٣٦ .

الذى ذكرنا معدوم فيكون معدومًا موجودًا في حين واحد من جهة واحدة ، أو يكون العلم الموجود قائمًا بمعلوم معدوم ، فيكون عرضًا موجودًا محمولًا في حامل معدوم ، وهذا تخليط ومخال فاسد ألبة ، وإنما كلامنا هذا مع أهل ملتنا المقربين بالقرآن . وأما سائر الملل فلسنا نكلمهم في هذا ، لأنها نتيجة مقدمات سوالف ، ولا يجوز الكلام في النتيجة إلا بعد إثبات المقدمات ، فإن ثبتت المقدمات ثبتت النتيجة ، والبرهان لا يعارضه برهان ، فكل ما ثبت ببرهان فعورض بشيء فإنما هو شغب بلا شك ، وإن لم تصح المقدمات فالنتيجة باطلة دون تكلف دليل . ومقدمات ما ذكرنا هي إثبات التوحيد ، وحدوث العالم بنقل الكواف لنبوّة محمد ﷺ والقرآن [فإن ذكروا الآيات التي في القرآن مثل : « لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى » لَعَلَّكُمْ تُؤْمِنُونَ - لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ - « لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »] .

ونحو ذلك فإنما هي كلها بمعنى لام العاقبة أى ليتذكر ، ولتؤمنوا ، وليشكروا وليتدكروا ، وليخشى ، على ظاهر الأمر عندنا من إمكان كل ذلك منا كما قال عز وجل : « لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا »^(٢٩) .

وقال عز وجل : « ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا »^(٣٠) .

فهذا أيضًا على الإمكان ممّن عاش ، والأول على الممكن من الناس عند الخطاب والدعاء إلى الله تعالى ، وكذلك كل ما سجا في القرآن بلفظة « أو » فإنما هو على أحد وجهين إمّا على الشك من المخاطبين لا من الله تعالى ، وإمّا بمعنى التخيير في الكل كقول القائل : « جالس الحسن أو ابن سيرين »

برهان ذلك : ورود النص بأنه تعالى : لا يَضِلُّ ولا ينسى ، وأنه قد علم أن فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب ، وكما قال تعالى : « أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ »^(٣١) .

[وبهذا تتألف النصوص كلها] فلم يبق لأهل القول بحدوث العلم^(٣٢) إلا أن يقولوا إنه تعالى خلق شيئًا ما كان حاملًا لعلمه بالساعة .

قال أبو محمد : وهذا من السخف ما هو من العلم لأن علم^(٣٣) الله تعالى لا يقوم بغيره ، ولا يحمله سواه ، هذا أمر يُعلم بالضرورة والحسّ ، فمن ادّعى دعوى لا يأتي عليها بدليل فهي

(٢٩) سورة الملك ٢٠ .

(٣٠) سورة غافر : ٦٧ .

(٣١) هود : ٣٦ .

(٣٢) في الأصل (العالم) وهو تعريف .

(٣٣) في (أ ، ب) : (علم العالم) .

باطلة فكيف إذا أبطلها الحسُّ وضرورة العقل ، ويُبين ما قلناه نصًّا قوله تعالى حاكياً عن نبيه موسى ﷺ أنه قال لبنى إسرائيل : « عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ^(٣٤) » .

هذا مع قوله تعالى : « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، وَامْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ، إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَبَرَّوا مَا عُلُوًّا تَثْبِيرًا ، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا^(٣٥) » .

فهذا نصُّ قولنا إنه تعالى قد علم ما يفعلون ، وأخبر بذلك ، ثم مع هذا أخرج الخطاب بالمعهود عندنا بلفظ « عسى » . و« فينظر » .

* * *

قال أبو محمد : فإذا قد صحَّ ما ذكرنا فقد ثبت ضرورة أن قول القائل : متى علم الله زيدًا ميتًا سؤال فاسد بالضرورة لأن « متى » سؤال عن زمان وعلم الله تعالى ليس في زمان أصلاً [لأنه ليس هو غير الله تعالى ، وقد مضى البرهان على أن الله تعالى ليس في الزمان] ولا في مكان ، وإنما الزمان والمكان للمعلوم فقط بما بيننا ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ^(٣٦) » .

فقال إنَّ « مِنْ » للتبعيض ، ولا يتبعض إلا مخلوق محدث ، ولا يحاط إلا بمخلوق محدث^(٣٧) ، وقد نص الله تعالى على أنه لا يحاط^(٣٨) إلا بما شاء من علمه فوجب أن علمه مخلوق ؛ لأنه يحاط ببعضه ، وهو متبعض .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أن كلام الله تعالى واجب أن يُحمل على ظاهره ، ولا يحال عن ظاهره ألبتة إلا أن يأتي نصٌّ أو إجماع أو ضرورة حسٌّ ، على أن شيئاً منه ليس على ظاهره ، وأنه قد نقل عن ظاهره إلى معنى آخر ، فالانقياد واجب علينا لما أوجبه من ذلك النص أو الإجماع

(٣٤) سورة الأعراف : ١٢٩ .

(٣٥) سورة الإسراء : ٨ - ٤ .

(٣٦) البقرة : ٢٥٥ .

(٣٧) في (خ) : لم تذكر : (ولا يحاط إلا بمخلوق محدث) .

(٣٨) في (أ ، ب) : (يحاط بما شاء) .

أو الضرورة ، لأنَّ كلام الله تعالى وأخباره وأوامره لا تختلف والإجماع لا يأتي إلَّا بحق ، والله تعالى لا يقول إلَّا الحق ، وكلُّ ما أبطله برهان ضروري فليس بحق ، فإذ هذا كما قلنا ، وقد ثبت ضرورة أنَّ [علم] الله تعالى ليس عرضاً ولا جسمًا [أصلًا لا محمولًا فيه ، ولا في غيره] ولا هو شيء غير الباري تعالى فبالضرورة نعلم أنَّ معنى قوله عزَّ وجل : « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ »

إنما المراد العلم المخلوق الذي [أعطاه عباده] وهو عرض في العالمين من عباده [محمول فيهم ، وهو مضاف إليه عزَّ وجل بمعنى الملك] وهذا لا شك فيه ، لأنه لا علم لنا إلَّا ما علَّمنا . قال الله تعالى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا »^(٣٩) .

يريد الله تعالى ، ما خلق من المعلوم وثبَّها في عباده [كما قال الحَضْرُ لموسى عليهما السلام : إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا ، وَمَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ]

قال أبو محمد : فهذه إضافة الملك كما بينا ، وإنَّما أضيف العلم هاهنا إلى الله تعالى [إضافة] ملك ، كما قال تعالى : « هَذَا خَلْقُ اللَّهِ »^(٤٠) .

وكما قال تعالى في عيسى عليه السلام : « إِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ »^(٤١) .

وهذا كله إضافة الملك ، فهذا معنى قوله تعالى : « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ »^(٤٢) .

وقد نفى الله تعالى الإحاطة من الخلق به ، فقال عزَّ وجل : « وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا »^(٤٣) .

قال أبو محمد : ويخرِّج أيضًا على ظاهره أحسن خروج دون تأويل ولا تكلف فيكون معنى قوله تعالى : « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ »

(٣٩) الإسراء : ٨٥ .

(٤٠) سورة لقمان : ١١ . والكلام من قوله « كما بينا إلى هذا خلق الله » سقط من (أ ، ب) .

(٤١) ليس هناك نص بهذا اللفظ وإنَّما ورد قوله تعالى : « ولكمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ١٧١ النساء .

(٤٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٤٣) سورة طه : ١١٠ .

أى من العلم بالله تعالى ، وهذا حق لا شك فيه لأننا لا نحيط من العلم به تعالى إلا ما علمنا فقط ، قال تعالى : « وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا »

فيكون معنى « مِنْ عِلْمِهِ » أى من معرفته .

فإن قالوا : ما معنى دعائكم الله في الرحمة والمغفرة ؟ وهل يخلو أن يكون قد سبق علمه بالرحمة ، فأئى معنى للدعاء فيما لا بد منه ؟ وهل يكون^(٤٤) إلا كمن دعا في طلوع الشمس غداً ، أو فى أن يجعل إنساناً إنساناً ، أو فى أن تكون الأرض أرضاً ، وإن كان قد سبق فى علمه تعالى خلاف ذلك فأئى معنى للدعاء^(٤٥) فيما لا يكون .. ؟ وهل هو إلا كمن دعا فى ألا تقوم الساعة ، أو فى ألا يكون الناسُ ناساً ؟

فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق : الدعاء عمل أمرنا الله تعالى به لا على أنه يردّ قدراً ، ولا أنه يكون من أجله ما لا يكون ، لكن الله عزّ وجل قد جعل فى سابق علمه الدعاء الذى سبق فى علمه قبوله^(٤٦) يدعى به سبباً لما سبق فى علمه كونه ، كما جعل فى سابق علمه الغذاء بالطعام والشرب سبباً لبلوغ الأجل ؛ الذى سبق فى علمه البلوغ إليه ، وكذلك سائر^(٤٧) الأعمال ، وقد نص تعالى أنه يعلم آجال العباد ، قال تعالى : « فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ »^(٤٨) .

ومع ذلك فقد جعل تعالى الأكل والشرب سبباً إلى استيفاء ذلك المقدار وكل ذلك سابق فى علمه عزّ وجل ، والدعاء هكذا ، وكذلك التداوى على سبيل الطب ، ولا فرق ، وقد أخبرنا تعالى أنه يصلّى على نبيه ﷺ وأمرنا مع ذلك بالدعاء بالصلاة عليه ، وقال تعالى : « قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ »^(٤٩) . فأمرنا بالدعاء بذلك ، وقد علمنا أنه تعالى لا يحكم إلا بالحق فصح ما قلنا [من أن الدعاء عمل أمرنا به فنحن نعمله حيث أمرنا عزّ وجل ، ولا نعمله حيث لم نؤمر به]^(٥٠) والحمد لله رب العالمين ، فإذا قد بطل بعون الله تعالى وتأييده قول من قال إن علم الله تعالى هو غير الله تعالى وهو مخلوق فلنتكلم بعون الله تعالى وتأييده على قول من قال : إن علم الله تعالى هو غير الله تعالى وخلافه ، وأنه لم يزل مع الله عزّ وجل .

قال أبو محمد : هذا قول لا يحتاج فى ردّه إلى أكثر من أنه شرك مجرّد ، وإبطال للمعنى .

(٤٤) فى (أ ، ب) : (وهل هو) .

(٤٥) فى (أ ، ب) : (فى الدعاء) .

(٤٦) فى (خ) : سقطت كلمة (قبوله) . وكلمة (يدعى به) سقطت من (أ ، ب) .

(٤٩) سورة الأنبياء : ١١٢ ، وقد ورد النص فى الأصل (قل رب احكم) وهو تحريف .

(٤٧) فى (أ ، ب) : (مسائر) وهو تحريف .

(٥٠) فى (خ) : سقط الكلام الذى بين القوسين .

لأنه إذا كان مع الله تعالى شيءٌ غيره لم يزل معه فقد بطل أن يكون الله تعالى كان وحده بل قد صار له شريك في أنه لم يزل ، وهذا كفر مجرد ، ونصرانية محضة | مع أنها دعوى ساقطة بلا دليل أصلاً^(٥١) . وما قال بهذا قط أحد من أهل الإسلام قبل هذه الفرقة المحدثّة بعد^(٥٢) الثلاثمائة سنة فهو خروج عن الإسلام ، وترك للإجماع المتيقن ، وقد قلت لبعضهم : إذا^(٥٣) قلت إنه لم يزل مع الله تعالى شيء آخر هو غير الله تعالى وخلافه لم يزل معه فلماذا أنكروا على النصارى في قولها : « إنَّ الله ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ؟ فقال لي مصرّحاً : ما أنكروا على النصارى إلا اقتصارهم على الثلاثة فقط^(٥٤) ، ولم يجعلوا معه تعالى أكثر من ذلك .

فأمسكت عنه إذ^(٥٥) صرّح بأنّ قولهم أدخل في الشرك من قول النصارى . [وقولهم هذا ردٌّ لقول الله عزَّ وجل : « قل هو الله أحد »

فلو كان مع الله غير الله لم يكن الله أحد .

قال أبو محمد : وما كنّا نصدّق أنّ^(٥٦) من ينتمى إلى الإسلام يأتي بهذا الكفر لولا أنّا شاهدناهم وناظرناهم ، ورأينا ذلك صراحاً في كتبهم ككتاب السمناني^(٥٧) قاضى الموصل في عصرنا هذا ، وهو من أكابرهم ، وفي كتاب المجالس للأشعري وفي كتب لهم آخر^(٥٨) .

قال أبو محمد : والعجب من هذا كله تصريح الباقلاني ، وابن فورك في كتبهما في الأصول وغيرها أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حدٍّ واحد ، وهذه حماقة ممزوجة بكفر^(٥٩) ، إذ جعلوا ما لم يزل محدوداً بمنزلة المحدثات ، وكل ما أدخلناه على المنانية والنصارى ، ومن يبطل التوحيد فهو

(٥١) في (خ) : سقط ما بين القوسين .

(٥٢) في (خ) : (قبل) وهو تحريف .

(٥٣) في (أ ، ب) : (إذ) .

(٥٤) قوله « ما أنكروا » هذا الذى قاله ابن حزم لم تقل به الأشاغة ولا غيرهم ، وهم إنما أنكروا على النصارى إثباتهم من يتصف بالألوهية معه جل شأنه ، وحاشا أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام (نقلا عن هامش النسخة ب) ص ١٣٥ .

(٥٥) في (أ ، ب) : (أن) .

(٥٦) في (ب) : (من أن) .

(٥٧) السمناني هو : محمد بن أحمد بن محمد السمناني أبو جعفر ، قاضى حنفى ، أصله من سمنان العراق ، نشأ ببغداد ، وولى القضاء بالموصل إلى أن توفى بها ، وكان مقدّم الأشعرية في وقته ، وشنع عليه ابن حزم ، له تصانيف في الفقه ، توفى سنة ٤٤٤ هـ . (الأعلام : ٢٠٦ / ٦) .

(٥٨) قوله « وفي كتب لهم آخر » إن كان الذى في الكتب هو ما صرح به ابن حزم فهو كذب على الأشعري لأن كتبه وكتب أصحابه ناطقة بخلاف ذلك ، وإن كان إثبات صفات لله زائدة عن ذاته فهو ظاهر القرآن ولا يقتضى شركاً ولا شيئاً مما قاله ابن حزم (نقلا عن هامش النسخة ب ص ١٣٦) . وقد راجعنا كتاب الإبانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الأشعري في الرد على الجهمية ، فرأينا أنه يؤكد وجود صفة العلم لله تعالى على نحو ما ذكرت الآيات القرآنية من غير اتجاه إلى تأويل أو تعطيل . راجع كتاب الإبانة من ٣٨ وما بعدها ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٧٥ .

(٥٩) في (أ ، ب) : (يهوس) .

داخل على هذه الفرقة حرفاً حرفاً^(٦٠) فأغنانا أن نحيل على ذلك عن تكراره ، ونعوذ بالله من الخذلان^(٦١).

قال أبو محمد : هذا مع قولهم إنَّ التغاير لا يكون إلا فيما جاز أن يوجد أحدهما دون الآخر .

قال أبو محمد : وهذه غاية السخافة لأنها دعوى بلا برهان عليها لا من قرآن ولا من سنة ، ولا معقول ولا من لغة أصلاً ، وما كان هكذا فهو باطل ، ويلزمهم على هذا أن الخلق ليسوا غير الخالق ، لأنه لا يجوز أن يوجد الخلق دون الخلق ، فإن قالوا : جائز أن يوجد الخالق دون الخالق . قلنا : نعم فمن أين لكم أن أحد التغاير هو أنه لا يجوز أن يوجد أحدهما أيهما كان دون الآخر .. ؟ وهذا ما لا سبيل لهم إليه ، ويلزمهم لزوماً لا ينفكون عنه أن الأعراض ليست غير الجواهر ، لأنه لا يجوز ألَبته ، ولا يمكن ولا يتوهم وجود أحدهما دون الآخر جملة ، ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وحدّ التغاير الصحيح هو ما شهدت له اللغة وضرورة الحسّ والعقل ، وهو كل اسمين^(٦٢) جاز أن يخبر عن أحدهما بخبر^(٦٣) لا يخبر به عن الآخر فهما غيران لابد من هذا ، وبالجمله ما لم يكن هو الشيء^(٦٤) نفسه فهو غيره ، وما لم يكن غير الشيء نفسه^(٦٥) فهو نفسه وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فإذا قد بطل بعون الله تعالى وتأييده قول من قال إن علم الله تعالى هو غير الله تعالى ثم جعله مخلوقاً أو لم يزل فلنقل في سائر الأقوال في هذه المسألة إن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال أبو محمد : وأما^(٦٦) من قال : إنَّ علم الله تعالى ليس هو ولا هو غيره ولكنّه صفة ذات

(٦٠) في (أ ، ب) : (حرفا حرف) .

(٦١) قول ابن حزم « تحت حدّ واحد » : هذا لا يقوله هذان الإمامان فإن عندهما علم الله قديم ، وعلمنا حادث فكيف يشترك القديم مع الحادث في حدّ واحد ، فلعلّهما كلاماً لم يفهمه ابن حزم فتخيّل منه ذلك ، (نقلا عن هامش ب ص ١٣٦) ونحن نحيل إلى هذا الرأي .

(٦٢) في (أ ، ب) : (مسميين) .

(٦٣) في (أ ، ب) : (بخبر ما) .

(٦٤) في (أ ، ب) : (غير الشيء) .

(٦٥) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (نفسه) الأولى .

(٦٦) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (وأما) .

لم يزل فكلام فاسد [محال] متناقض ييطل بعضه بعضاً لأنهم إذا قالوا : إنَّ علم الله تعالى ليس هو الله فقد أوجبوا بهذا القول ضرورة أنه غيره ، ثم إذا قالوا : ولا هو غيره فقد أبطلوا الغيرية ، وأوجبوا بهذا القول ضرورة أنه هو ، فصح أنه سواء قول القائل لا هو هو ولا هو^(٦٧) غيره ، وقول القائل هو هو : وهو غيره فإنَّ معنى القضيتين^(٦٨) واحد لا يختلف ، وكلا العبارتين باطل متناقض لا يعقل نفى وإثبات معاً . وهذا تخليط الممرورين نعوذ بالله من الخذلان ، والعجب من احتجاج بعضهم في هذا الباطل بأن قال : الطول^(٦٩) ليس هو الطويل ولا هو غيره .

قال أبو محمد : وهذا من أطم ما يكون من الجهل والمكابرة إذ لا يدري هذا القائل : أنَّ الطويل جسم جوهر قائم بنفسه حامل لطوله ولسائر أعضائه ، وأنَّ الطول عرض من الأعراض محمول في الطويل غير قائم بنفسه ، فمن جهل أنَّ المحمول غير الحامل ، وأنَّ القائم بنفسه هو غير ما لا يقوم بنفسه فهو عديم حس . وينبغي له أن يتعلَّم قبل أن يهدّد^(٧٠) . ونحن نزيه الطين الطويل يدور فيذهب الطول والتربيع ويأتي التدوير ، والذي كان طويلاً باق بحسّه ، فهل يخفى على سائر التمييز أنَّ الذاهب غير الجائ^(٧١) ، وأنَّ الفائ غير الباقي ، فبالضرورة نعلم أنَّ الطول غير الطويل ، ثم نقول لمن تعلّق بهذه العبارة الفاسدة أخبرونا : هل يخلو كل اسمين متغايرين من أحد وجهين ضرورة لا ثالث لهما ألبتة .. ؟ إمّا أن يكون الاسمان واقعين معاً على شيء واحد يعبر بذنيك الاسمين عن^(٧٢) ذلك الشيء الذي علقا عليه . وإمّا أن يكون الاسمان واقعين على شيئين اثنين يعبر بكل اسم منهما على حدته عن الشيء الذي علق عليه ذلك الاسم ؟

هذان وجهان لايد من أحدهما ضرورة لكل اسمين ، وأيّ هذين كان فهو مبطل لتخليط من قال : لا هو هو ، ولا هو^(٧٣) غيره ، وقد زاد بعضهم في الشعوذة والسفسطة وإبطال^(٧٤) الحقائق فأتى بدعوى فاسدة ، وذلك أن قال : لا يكون الشيء غير الشيء إلّا إذا أمكن أن ينفرد أحدهما عن الآخر .

قال أبو محمد : وهذه دعوى مجرّدة لا دليل^(٧٥) عليها ، فلو لم يكن إلّا هذا السقط وهذا التمويه ، فكيف وهي قضية فاسدة .. ؟ لأنها توجب أنَّ كلية الأعراض ليست غير كلية

(٦٧) في (أ ، ب) : (ولا غيره) .

(٦٨) في (أ ، ب) : بزيادة (هاتين) .

(٦٩) في (أ ، ب) : (إن الطول) .

(٧٠) في (أ ، ب) : أن يعلم قبل أن يهدّر .

(٧١) في (أ ، ب) : (الآتي) .

(٧٢) في (أ ، ب) : (على) .

(٧٣) في (أ ، ب) : (ولا غيره) .

(٧٤) في (أ ، ب) : (وإفساد) .

(٧٥) في (أ ، ب) : (بلا دليل) .

الجواهر ، لأنه لا سبيل إلى انفراد الجواهر عن الأعراض ، ولا انفراد الأعراض عن الجواهر ، فكفى فساداً بكل هذيان أدّى إلى مثل هذا التخليط .

قال أبو محمد : حدّ التغاير في الغيرين : هو كل^(٧٦) شيء أخبر عنه بخبر ما ، لا يكون ذلك الخبر في ذلك الوقت خبراً عن الشيء الآخر فهو بالضرورة غير ما لا يشاركه في ذلك الخبر ، وليس في كل ما يعلم ويوجد شيئان يخلوان من هذا الوصف بوجه من الوجوه ، وهذا مقتضى لفظ الغير في اللغة ، وبالله تعالى التوفيق .

مع أن هذا أمر يعلم بضرورة الحسّ والعقل .

وحدّ الهوية : هو أن كلّ ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه ، إذ ليس بين الهوية والغيرية^(٧٧) وسيطة يعقلها أحد ألبته ، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر ولا بدّ .

[وأيضاً فكل اسمين مختلفين لا يخبر عن مسمى أحدهما بشيء إلا كان ذلك الخبر خبراً عن مسمى الاسم الآخر^(٧٨)] ولا بدّ أبداً فمسماهما واحد بلا شك ، فإذا قد صح فساد هذا القول فلنقل بعون الله تعالى في عبارة الأشعرى الأخرى ، وهو قوله : « لا يقال هو هو^(٧٩) » ، ولا يقال هو غيره . فنقول : إنه لم يزد في هذه العبارة على أن قال : « لا يقال في هذا شيء » .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأنه لا بدّ ضرورة من أحد هذين القولين أو قول ثالث وهو نفى الغيرية ، وإن لم يطلق هو هو ، أو نفى الهوية ، وإن لم يطلق أنه غيره فسقط هذا القول^(٨٠) أيضاً إذ ليس فيه بيان الحقيقة .

وأما قول أبي الهذيل : إن علم الله تعالى هو الله فإنها تسمية منه للباري تعالى باستدلاله فلا يجوز أن يسمّى^(٨١) الله تعالى ولا يوصف^(٨٢) باستدلال ألبته ؛ لأنه بخلاف كلّ ما خلق فلا دليل يوجب تسميته بشيء من الأسماء التي يسمّى بها شيء من خلقه ، ولا أن يوصف بصفة يوصف بها شيء من خلقه ، [ولا أن يخبر عنه بما يخبر به عن شيء من خلقه ؛ إلا أن يأتي نص

(٧٦) في (أ ، ب) : (أن كل) .

(٧٧) الهوية : تسبه إلى الضمير (هو) في مقابل النسبة إلى كلمة (غير) وحقيقة الهوية عند العلامسة يقصد بها ماهية الشيء وحقيقته .

(٧٨) لم يذكر ما بين القوسين في (خ) .

(٧٩) في (أ) : وهو قوله (هو هو) بخذف (لا يقال) والمعنى عليه لا يستقيم فهو يريد أن يطل قول الأشعرى . وهذا لا يتأتى إلا بذكر

(لا يقال) .

(٨٠) الكلام من قوله « أو قول ثالث إلى هذا القول » لم يذكر في (أ) .

(٨١) في (أ ، ب) : (أن يخبر عن) .

(٨٢) في (أ ، ب) : (ولا أن يسمّى) .

بشيء من ذلك فيوقف عنده^(٨٣) [فمن وصفه تعالى بصفة يوصف بها شيء من خلقه ، أو سمّاه باسم يسمّى به شيء من خلقه استدلالاً على ذلك بما وجد في خلقه فقد شَبَّهه تعالى بخلقه ، وألحد في أسمائه ، وافترى الكذب .

ولا يجوز أن يسمّى الله تعالى ، ولا أن يخبر عنه إلا بما سمّى به نفسه ، أو أخبر به عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، أو صحّ به إجماع جميع أهل الإسلام المتقين ولا مزيد ، وحتى ولو كان^(٨٤) المعنى صحيحاً ، فلا يجوز أن يطلق عليه تعالى اللفظ ، وقد علمنا يقيناً أنه تعالى بنى السماء [قال تعالى : والسماء بنيناها بأيد^(٨٥)] .

ولا يجوز أن يسمّى ببناء . وأنه تعالى خلق أصباغ النبات والحيوان ، وأنه تعالى قال : « صبغة الله^(٨٦) » .

ولا يجوز أن يسمى صبّاً ، وهكذا كل شيء لم يسمّ به نفسه ، وليس يجب أن يسمّى الله تعالى بأنه هو علمه ، وإن صحّ يقيناً أن المراد بقوله تعالى أن له علماً ليس هو غيره لما ذكرنا ، وبالله تعالى التوفيق ، وقد صحّ أنّ ذات الله تعالى ليست غيره ، وأنّ وجهه ليس غيره ، وأنّ نفسه ليست غيره ، وأنّ هذه الأسماء لا يعبر بها إلا عنه عزّ وجل لا عن شيء غيره تعالى ألبتة ، ولا يجوز أن يقال إنه تعالى ذات ، ولا أنه وجه ، ولا أنه نفس ، ولا أنه علم ، ولا أنه قدرة ، ولا أنه قوّة لما ذكرنا من امتناع أن يسمّى بما لم^(٨٧) يسمّ به نفسه عزّ وجل^(٨٨) .

وأما علم المخلوقين فهو شيء غيرهم بلا شك لأنه يذهب ويعاقبه جهل ، والبارى تعالى لا يشبهه غيره ، ولا شيء من خلقه ألبتة^(٨٩) في شيء من هذه الأشياء ألبتة بل هو تعالى خلاف خلقه في كلّ وجه فوجب أن علمه تعالى ليس غيره ، قال تعالى : « ليس كمثله شيء^(٩٠) » .

قال أبو محمد : فإن قال لنا قائل إذن العلم عندكم ليس هو غير الله تعالى ، وأن قدرته ليست غيره ، وأن قوته ليست غيره تعالى ، فأنتم إذن تعبدون العلم والقدرة والقوّة ؟

(٨٣) الكلام الذي بين القوسين لم يذكر في (ح) .

(٨٤) في (أ ، ب) : (وإن كان) .

(٨٥) الذاريات : ٤٧ .

(٨٦) سورة البقرة : ١٣٨ .

(٨٧) في (أ ، ب) : (أن يسمّى عالم) وهو تحريف ظاهر .

(٨٨) في (أ ، ب) : (عن رجل) وهو تحريف ظاهر لقوله (عز وجل) .

(٨٩) في (أ ، ب) : (لم تذكر جملة) ولا شيء من خلقه ألبتة .

(٩٠) سورة الشورى : ١١ .

فجوابنا في ذلك وبالله تعالى التوفيق : إنما نعبد الله تعالى بالعمل الذي أمرنا به لا بما سواه ، ولا ندعوه إلا كما أمرنا تعالى ، قال الله عز وجل : « ولله الأسماء الحُسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه »^(٩١) .

وقال تعالى : « وَمَا أُمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ »^(٩٢) .

فنحن لا نعبد إلا الله تعالى كما أمرنا ، ولا نقول إنما نعبد العلم لأن الله تعالى لم يطلق لنا أن نطلق هذا اللفظ ، ولا أن نعتقده .

ثم نسألهم^(٩٣) عما سألونا عنه بعينه ، فنقول لهم : أنتم تقرّون أن وجه الله تعالى وعين الله ، ويد الله ، ونفس الله ، ليس شيء من ذلك غير الله تعالى بل كل^(٩٤) ذلك عندكم هو الله ، فأنتم إذن تعبدون الوجه ، والعين ، واليد ، والذات ؟!

فإن قالوا نعم . قلنا لهم : فقولوا في دعائكم يا يد الله ارحمينا ، يا عين الله ارضى عنا ، يا ذات الله اغفرى لنا ، فإياك نعبد . وقولوا : نحن خلق وجه الله ، وعبيد عين الله ، فإن جسروا على ذلك فنحن لا نجيز الإقدام على ما لم يأذن به الله ، ولا نتعدى حدوده ، فإن شهدوا فلا نشهد معهم . « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ »^(٩٥) .

والذى ألزمونا من هذا هو لازم لهم لابد ، لأنه سؤال رضوه وصححوه ، ومن رضى شيئاً لزمه ، ونحن لم نرض هذا السؤال ولا صححناه فلا يلزمنا وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(٩١) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(٩٢) سورة البينة : ٥ .

(٩٣) لى (أ ، ب) : (نسألهم) وهو تحريف .

(٩٤) لى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .

(٩٥) سورة الطلاق : ١ .

« الكلام في سميع بصير وفي قديم »

قال أبو محمد^(١): وأجمع المسلمون على أن القول بما جاء به القرآن^(٢) من أنه^(٣) تعالى : سميع بصير ، ثم اختلفوا فقالت طائفة من أهل السنة والأشعرية^(٤) ، وجعفر بن حرب^(٥) من المعتزلة ، وهشام بن الحكم^(٦) ، وجميع المجسمة - نقطع^(٧) أن الله سميع بصير يصير .

وذهبت طوائف من أهل السنة منهم : الشافعي ، وداود بن علي الأصفهاني^(٨) إمام أهل

(١) في (أ) : زيادة (رضى الله عنه) .

(٢) في (أ ، ب) : نص القرآن .

(٣) في (أ) : من أن الله تعالى .

(٤) الأشاعرة : هم فرقة أسسها الإمام أبو الحسن الأشعري بعد أن اختلف مع المعتزلة وقد وضع مذهبهم ومآخذهم على المعتزلة في مقدمة كتابه (الإبانة) ، ويقرر الأشعري أن الأشاعرة جاءوا لإحياء آراء الإمام أحمد ، ومن مبادئهم أنهم يرون أن تكون للصلحين كرامة ، يأخذون ما جاء به السنة من عقائد ، وللمذهب الأشعري أنصار كثيرون منهم : أبو بكر الباقلاني المتوفى ٤٠٣ هـ ، والإمام الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ ، والإمام البيضاوي المتوفى ٧٠١ هـ ، والسيد الشريف الجرجاني المتوفى ٨١٦ هـ . (تاريخ المذاهب الإسلامية : للشيخ محمد أبو زهره : ج ١ ص ١١٠) .

(٥) جعفر بن حرب : (١٧٧ - ٢٣٦ هـ) : هو جعفر بن حرب الهمداني من أئمة المعتزلة من أهل بغداد أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة ، وصنف كتباً ، قال الخطيب البغدادي : إنها معروفة عند المتكلمين ، وكان له اختصاص بالوائيق العباسي ، قال المسعودي : وإلى أبيه يضاف شارع باب حرب في الجانب الغربي من مدينة السلام . (الأعلام : للزركلي) .

(٦) راجع ص

(٧) في (خ) : (يقطع) .

(٨) داود الظاهري : هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني أبو سليمان الملقب بالظاهري أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام ، تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، وميَّمت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة ، وإعراضها عن التأويل والرأى والقياس ، وكان داود أول من جهر بهذا القول ، سكن بغداد ، وانتهت إليه رئاسة العلم فيها ، قال ثعلب : كان عقل داود أكبر من علمه ، وله تصانيف كثيرة أوردها النديم . توفي ٢٧٠ هـ (الأعلام) .

الظاهر^(٩)، وعبد العزيز بن مسلم الكنائى^(١٠) رضى الله عنه ، وغيرهم - إلى أن الله سميع بصير ، ولا نقول بسمع ولا ببصر ، لأن الله تعالى لم يقله^(١١)، ولكن سميع بذاته ، بصير بذاته .

قال أبو محمد : وهذا نقول . ولا يجوز إطلاق سميع ولا بصر حيث لم يأت به نص لما ذكرنا آنفاً لا يجوز أن يخبر عنه تعالى إلا^(١٢) بما أخبر به عن نفسه .

واحتج من أطلق على الله تعالى السمع والبصر : بأن قال لا يعقل السميع إلا بسمع ولا^(١٣) البصير إلا ببصر . ولا يجوز أن يسمى بصيراً إلا من له بصر ، ولا يسمى سمياً إلا من له سمع .

واحتجوا أيضاً في هذا وما ذهبوا إليه « من أن الصفات متغايرة » - بأنه^(١٤) لا يجوز أن يقال إنه تعالى يسمع المبصرات ، ولا أنه يبصر المسموعات من الأصوات . وقالوا : هذا لا يعقل .

قال أبو محمد : وكلا^(١٥) هذين الدليلين شغبى فاسد .

أما قولهم : لا يعقل السميع إلا بسمع ، ولا البصير^(١٦) إلا ببصر . فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق .

أما فيما بيننا فنعم ، وكذلك أصلاً لم نجد قط في شيء من العالم الذى نحن^(١٧) فيه سمياً إلا بسمع ، ولا وجد فيه بصيراً إلا ببصر - فإنه لم يوجد فيه^(١٨) سميع إلا بجارحة يسمع بها ، ولا وجد فيه قط عالم إلا بضمير فلزمهم أن يجروا على الله عز وجل هذه الأوصاف . وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وهم لا يقولون هذا ، ولا يستجيزونه .

(٩) فى (أ) : لا توجد كلمة (الأصفهائى إمام أهل الظاهر) .

(١٠) هو عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكنائى المكي ، فقيه مناظر ، كان من تلاميذ الشافعى يلقب بالغول لدمايته ، وقدم بغداد فى أيام المأمون فجرت بينه وبين بشر المرسى مناظرة فى القرآن . من تصانيفه كتاب يسمى « الحيدة » ورسالة فى مناظرة « بشر المرسى » توفى عام ٢٤٠ هـ . (الأعلام ٥٠ / ٢٧٠) .

(١١) فى (ح) : لم تذكر جملة (لأن الله تعالى لم يقله) .

(١٢) فى (أ ، ب) : (ما لم يخبر عن نفسه) .

(١٣) فى (أ ، ب) : (بزيادة) (ولا يعقل) .

(١٤) فى (أ) : من أنه .

(١٥) فى (أ ، ب) : (و (خ) : (وكل) .

(١٦) فى (أ ، ب) : (ولا يعقل البصر) .

(١٧) فى (خ) : (نجد) بدلاً من (نحن) وهو تحريف .

(١٨) فى (أ ، ب) : (بزيادة) (قط أيضاً فيه) .

وأما الجسمة : فإنهم أطلقوا هذا وجوزوه ، وقد مضى نقض قولهم بعون الله تعالى وتأيدته ، ويلزم الطائفتين كليهما إذا قطعوا بأن^(١٩) له تعالى سمعاً وبصراً لأنه سميع بصير ، ولا يمكن أن يكون سميع بصير ، إلا إذا سمع وبصر ، لا سيما وقد صح النص بأن له تعالى عيناً وأعيناً أن يقولوا : إنه ذو حدقة ، وناظر ، وطباق في العين ، وذو أشفار ، وأهداب لأنه لم^(٢٠) يشاهد في العالم ، ولا يمكن ألبة أن تكون عين لذي^(٢١) عين يرى بها وببصر إلا هكذا ، وإلا فهي عين ذات عاهة ، أو كعيون بعض الحيوان التي لا يطبقها^(٢٢) . وكذلك لا يكون في المعهود ، ولا يمكن ألبة أن يكون سميع في العالم إلا بأذن ذات صمّاخ ، فيلزمهم أن يثبتوا هذا كله ، وإلا فقد أبطلوا استدلالهم ، وزوروا^(٢٣) استشهادهم بالمعهود والمعقول . فإن أطلقوا هذا كله تركوا مذهبهم ، وخرجوا إلى أقبح قول الجسمة مما لا يرضى به أكثر الجسمة . وقد ذكرنا فساد قولهم قبل . والحمد لله رب العالمين .

فإذا جوزوا أن يكون الباري تعالى سميعاً بصيراً بغير جارحة ، وهذا خلاف ما عهدوا في العالم ، وجوزوا أن يكون له تعالى عين بلا حدقة ولا ناظر ولا طباق ، ولا أهداب ، ولا أشفار - وهذا أيضاً خلاف ما عهدوا في العالم فلا ينكروا قول من قال : إنه سميع لا بسمع ، بصير لا ببصر ، وإن كان ذلك بخلاف ما عهدوا في العالم .

على أن بين القولين فرقاً واضحاً ، وهو أننا نحن لم نلتزم أن نحل تسميته عز وجل قياساً على ما عندنا^(٢٤) ، بل ذلك حرام لا يجوز ، ولا يحل ، لأنه ليس في العالم شيء يشبه عز وجل فيقاس^(٢٥) عليه . قال تعالى : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير^(٢٦) » .

فقلنا^(٢٧) : إنه سميع بصير لا كشيء من البصراء ، ولا السامعين ممّا في العالم ، وكل سميع وبصير في العالم فهو ذو سمع وبصر ، فالله تعالى بخلاف ذلك بنص القرآن فهو سميع كما قال ، لا يسمع كالسامعين ، وبصير كما قال لا يبصر كالمبصرين ، لا يسمى ربنا تعالى إلا بما سمى به نفسه فقط^(٢٨) ، ولا يخبر عنه إلا بما أخبر به عن نفسه^(٢٩) فقط .

قال تعالى : « وهو السميع البصير » .

(١٩) في (أ ، ب) (بأن الله تعالى) .

(٢٠) في (أ ، ب) : (لأننا نشاهد في العالم)

(٢١) في (أ) الذي - وهو تحريف .

(٢٢) في (ح) لعله يطبقها .

(٢٣) في (أ ، ب) : (و زوروا) بالبدال وهو تحريف .

(٢٤) في (أ ، ب) على ما عهدنا .

(٢٥) في (ح) : فيقال عليه .

(٢٦) سورة الشورى : ١١ .

(٢٧) في (أ ، ب) : نعم . إنه سميع بصير .

(٢٨) في (أ) سقطت كلمة (فقط) .

(٢٩) في (ح) . سقط قوله (ولا يخبر عنه إلا بما أخبر به عن نفسه) .

فقلنا : نعم . هو السميع البصير^(٣٠)، ولم يقل تعالى : إن له سمعًا وبصرًا . فلا يحل لأحد أن يقول : إن له سمعًا وبصرًا . فيكون قائلًا على الله تعالى بلا علم ، وهذا لا يحل ، وبالله تعالى نعتصم .

وأما خصومنا : فإنهم أطلقوا : أنه لا يكون إلا كما عهدوا في العالم^(٣١) من كل سميع وبصير في أنه ذو سمع وبصر^(٣٢)، فيلزمهم ضرورة ألا يكون إلا كما عهدوا من كل سميع وبصير في^(٣٣) أنه ذو جارحة يسمع بها ويبصر بها ولا بد . ولولا تلك الجارحة ما سمي أحد في^(٣٤) العالم سمعًا ولا بصيرًا ، ولا أبصر أحد شيئًا ، فإن ذكروا قول الله تعالى : لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ^(٣٥) .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق :

هذه الآية أعظم حجة عليكم لأن الله تعالى نصَّ فيها على أنهم لم يروا بعيونهم ما يتعظون به ، ولا سمعوا بآذانهم ما يقبلونه من الهدى ، فلما كانت العيون والآذان ، لا ينتفع بهما^(٣٦)، استحقوا^(٣٧) الدَّم والنكال - فلولا أن العين والأذن بهما يكون السمع والبصر ضرورة لابد لا بشيء دونهما - ما استحق الدَّم^(٣٨) من رزق أذنًا وعينًا سالتين ، فلم يسمع بهما ويبصر ما يبتدى به بعون الله عز وجل له ، وما كان يكون معنى لذكر الله عز وجل العين والأذن في السمع والبصر بهما لو جاز أن يكون سمع وبصر دونهما ، فبطل قولهم بالقرآن ضرورة ، وبالحس وبديهة العقل ، والحمد لله رب العالمين .

وأما ما موهوا به من قولهم : إنه لو^(٣٩) أن له سمعًا وبصرًا لجاز أن يقال : إنه يسمع الألوان ، ويرى الأصوات ، فهذا كلام لا يطلق في كل شيء على عمومه ، لأننا إنما خاطبنا بلغة العرب ، فلا يجوز أن نستعمل غيرها فيما خاطبنا به ، والذي ذكرتم من رؤية الأصوات ، وسماع

(٣٠) سقط هذا التعبير من (خ) من أول (فقلنا نعم . هو السميع البصير) .

(٣١) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (في العالم) .

(٣٢) في (أ ، ب) : (في أنه ذو جارحة يسمع بها ويبصر) .

(٣٣) في (خ) : سقط الكلام من قوله (ألا يكون إلا كما عهدوا من كل سميع وبصير في) .

(٣٤) في (أ) : (من) بدلًا من (في) .

(٣٥) سورة الأعراف : ١٧٩ .

(٣٦) في (أ ، ب) : (بها) .

(٣٧) في (أ ، ب ، خ) : استحق .

(٣٨) في (ح) : سقطت كلمة (الدَّم) .

(٣٩) في (أ ، ب) : (لولا) .

الألوان لا يطلق في اللغة التي بها^(٤١) خوطبنا فيما بيننا ، فليس لنا أن ندخل في اللغة ما ليس فيها إلا أن يأتي بذلك نص ، فنغلبه^(٤٢) على اللغة .

ثم نقول : إنه لو قال قائل : إنه تعالى سميع للالوان ، بصر بالأصوات بمعنى انه عام ، بذلك لكان ذلك^(٤٣) جائزاً ولما منع من ذلك برهان ، فنحن نقول سمعنا^(٤٤) الله عز وجل يقول كذا وكذا ، ورأينا الله تعالى يقول كذا وكذا ، ويأمر بكذا ويفعل كذا ، بمعنى علمنا . فهذا لا ينكره أحد ، ولا فرق بين هذا وبين ما سألو عنه .

وأيضاً فإن الله عز وجل يقول : « أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ »^(٤٥).

وهذا عموم لكل شيء كما قلنا ، فلا يجوز أن يخص به شيء دون شيء إلا بنص آخر أو إجماع ، أو ضرورة ، ولا سبيل إلى شيء من هذا فصح ما قلناه وبالله تعالى التوفيق .
وقال تعالى : « يعلم السر وأخفى »

فصح أن بصيراً وسميعاً وعلماً^(٤٦) بمعنى واحد .

ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق : إنه تعالى بإجماع منكم هو السميع البصير ، وهو أحد غير متكثّر ، ولا نقول إن السميع^(٤٧) للالوان ، البصير بالأصوات إلا على الوجه الذي قلناه . وليس^(٤٨) يوجب أن السميع غير البصير ، فالذي أردتم^(٤٩) ساقط ، وإنما اختلفت معلوماته ، وإنما هو تعالى واحد ، وعلمه بها كلها واحد ، يعلمها كلها بذاته ، لا بعلم^(٥٠) هو غيره البتة ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : أتقولون إن الله عز وجل لم يزل سميعاً بصيراً ؟

(٤١) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (بها)

(٤٢) في (أ ، ب) : (فنقله) وهو تحريف .

(٤٣) في (أ ، ب) : (بمعنى عالم بها) .

(٤٤) في (ح) : سقطت (ذلك) .

(٤٥) في (أ) : (سمعت)

(٤٦) سورة الملك : ١٩ .

(٤٧) في (خ) : لم تذكر كلمة (علماً) .

(٤٨) في (أ ، ب) : أنه السميع البصير بالأصوات .

(٤٩) في (أ ، ب) : وليس ذلك .

(٥٠) في (أ ، ب) : فالذي أردتم إلزامه ساقطة .

(٥١) في (أ ، ب) : (لا يعلم) وهو تحريف .

قلنا : نعم ، لم يزل تعالى سميعاً بصيراً ، عفواً غفوراً ، عزيزاً قديراً^(٥١) وهكذا كل ما جاء في القرآن فيه^(٥٢) ، « وكان الله سميعاً بصيراً »

ونحو ذلك ، لأن قوله عز وجل « كان » إخبار عن ما لم يزل ، وإذا أخبر بذلك عن نفسه لا عمن سواه ، فإن قالوا : أتقولون : لم يزل الله خالقاً خلاقاً رازقاً .

قلنا : لا نقول هذا ، لأن الله تعالى لم ينص على أنه كان خالقاً خلاقاً ، رازقاً^(٥٣) رازقاً لكننا نقول : لم يزل الخلاق الرزاق ، ولم يزل الله تعالى لا يخلق ولا يرزق ثم خلق ورزق من خلق ، وهذا يوجب ضرورة أنها أسماء « أعلام » لا مشتقة لأنه لو كان « خالق ورازق » مشتقين من خَلَقَ ورَزَقَ ، لكان لم يزل ذا خلق يخلقه ويرزقه^(٥٤) .

فإن قيل : فإن السميع والبصير ، والرحمن ، والرحيم ، والعمو والغفور والملك ، كل ذلك يقتضي مسموعاً ومبصراً ، ومرحوماً ، ومغفوراً له ، ومعفواً عنه ومملوكاً .

قلنا : المعنى في « سميع وبصير » عن الله تعالى هو المعنى في (عليم) ولا فرق . وليس ما يظن أهل العلم من أن له سمعاً وبصراً مختصين^(٥٥) بالمسموع والمبصر تشبيهاً بخلقه سوى علمه ، لأن الله تعالى لم ينص على ذلك فيلزمنا أن نقوله : ولا يجوز أن يخبر عن الله تعالى بغير ما أخبر به^(٥٦) عن نفسه لأن الله تعالى يقول : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

فصح أنه تعالى : « سميع ليس كمثل شيء من السامعين ، بصير لا كمثل شيء^(٥٧) من البصراء .

فإن قال قائل : أتقولون إن الله تعالى لم يزل يسمع ويرى ويدرك ؟

قلنا : نعم ؛ لأن الله عز وجل قال : « إِنِّى مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى »^(٥٨) .

وقال تعالى : « وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ »^(٥٩) .

وقال تعالى : « وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا »^(٦٠) .

(٥١) و (أ ، ب) : بزيادة (رحيم) .

(٥٢) في (أ) : بـ (كان الله) كما جاء (كان الله سميعاً بصيراً) .

(٥٣) سقط الكلام في (خ) من قوله : (قلنا لا نقول هذا ، لأن الله تعالى لم ينص على أنه كان خالقاً خلاقاً ، رازقاً .

(٥٤) في (خ) : سقط الكلام من قوله : « وهذا يوجب ضرورة أنها أسماء ... إلى قوله (ويرزقه) » .

(٥٥) في (خ) : سقطت كلمة (مختصين) .

(٥٦) في (أ) : سقطت كلمة (به) .

(٥٧) في (خ) : لم يذكر الكلام من أول قوله : « فصح أنه تعالى إلى قوله : لا كمثل شيء » .

(٥٨) سورة طه : ٤٦ .

(٥٩) سورة الأنعام : ١٠٣ .

(٦٠) سورة المجادلة : ١ .

وصحَّ الإجماع بقول « سميع الله لمن حمده » ، وصحَّ النص ، « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن »^(٦١).

فنقول : إنه يسمع ويرى ، ويدرك كل ذلك بمعنى واحد ، وهو معنى يُعلم ولا فرق .
وأما الإذن لنبي حسن الصوت ، فهو من الإذن بمعنى القبول ، كما يأذن الحاجب للمأذون له في الدخول ، وليس من الأذن التي هي الجارحة ، ولو كان^(٦٢) ما تظنون لكان بصره للمبصرات ، وسمعه للمسموعات محدثاً ، ولكان غير سميع حتى سميع ، وغير بصير حتى أبصر ، ولم يدرك حتى أدرك . وحاشا لله من هذا ، فكل هذا^(٦٣) بمعنى العلم ، ولا مزيد .
فإن قيل : فإن الله تعالى يقول : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ »^(٦٤).

قلنا : نعم . وخلق الله تعالى : فعلٌ له محدث ، واختياره تعالى هو خلقه لا غيره .
وليس هذا من « يسمع » و « سميع » و « يرى » و « يدرك » في شيء ، لأن معنى كل هذا ومعنى العلم سواء . ولا يجوز أن يكون معنى (يخلق ويختار) معنى العلم .

وأما العفو ، والغفور ، والرحيم ، والحليم ، والمملك ، فلا يقتضى وجود^(٦٥) شيء من هذا وجود مرحوم معه ، ولا مغفور عنه ، مغفور له معه ، ولا مملوك مرحوم عنه معه ، بل هو تعالى : رحيم بذاته ، عفو بذاته ، غفور بذاته ، ملك بذاته ، مع النص الوارد بأنه تعالى : كان كذلك ، وهى أسماء أعلام له عز وجل .

فإن ذكروا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : « ما بينهم وبين أن يروه إلا رداء الكبراء على وجهه لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره »^(٦٦).

ففى هذا الخبر إبطال لقولهم ، لأن^(٦٧) البصر منتبه ذو نهاية وكل ذى نهاية محدود ، وكل محدود محدث^(٦٨) وهم لا يقولون هذا ، ومعناه : أن البصر قد يستعمل فى اللغة بمعنى الحفظ .

(٦١) رواه البخارى فى فضائل القرآن رقم ١٩ ، وفى باب التوحيد ٣٢ ، ومسلم فى المسامير ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، وأبو داود فى الوتر ، والسنائى فى الافتتاح ، والدارمى فى الصلاة وفضائل القرآن ، وابن ماجة فى الإقامة .

(٦٢) فى (أ ، ب) : (كما) تظنون .

(٦٣) فى (خ) : وكل معنى العلم .

(٦٤) القصص : ٦٨ .

(٦٥) فى (أ ، ب) : لم تذكر كلمة (وجود) .

(٦٦) الحديث : رواه مسلم فى الإيمان رقم ٣٩٣ ، وابن ماجة فى المقدمة رقم ١٣ ، وأحمد بن حنبل : ٤ / ٤٤ ، ٤٠٥ . ولفظ الحديث عند مسلم : « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفص القسط ويرمعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، (وفى رواية أبى بكر النار) ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

(٦٧) فى (أ ، ب) : لأن فيه أد البصر .

(٦٨) فى (خ) : لم يذكر (وكل ذى نهاية محدود ، وكل محدود محدث) .

قال النابغة :

رأيتك ترعالي بعين بصيرة وتبعث حراساً عليّ وناظرًا^(٦٩)

فمعنى هذا الخبر ، لو كشف تعالى الستر^(٧٠) الذي جعل دون سطوته لأحرقت عظمته ما انتهى إليه حفظه ، ورعايته من خلقه . وكذلك قول عائشة رضى الله عنها : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات » .

إنما هو بمعنى : أن علمه وسع كل ذلك : « يعلم السر وأخفى »^(٧١) ثم نزيد^(٧٢) بيانا بعون الله تعالى فنقول : إن قولكم لا يعقل سميع إلا بسمع ، ولا بصير إلا ببصر «

فإن كان هذا صحيحا يوجب أن يقال : إن الله تعالى^(٧٣) سمعا وبصرا فإنه لا يعقل من له مكر إلا وهو ماهر ، ولا من كان من الماكزين إلا وهو ماهر ، ولا يعقل أحد ممن^(٧٤) يستهزئ إلا وهو مستهزئ ، ولا يعقل أحد ممن يكيد إلا وهو كياد . ولا يعقل أحد ممن له كيد ومكر إلا وهو كياد وماكر ، ولا خادع إلا ويسمى : الخادع^(٧٥) .

ولا يعقل من نسي إلا وهو ناسي وذو نسيان ، وهذا هو الذى لا سبيل إلى^(٧٦) أن يوجد في العالم خلافه . وقد قال تعالى : « وأكيد كيذا »^(٧٧) .

وقال تعالى : « الله يستهزئ بهم »^(٧٨) .

وقال تعالى : « وهو خادعهم »^(٧٩) .

وقال تعالى : « أفأمنوا مكر الله »^(٨٠) .

(٦٩) النابغة : شاعر جاهلي ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب الذيباني ، كنيته أبو أمامه ولقبه النابغة ، لقب به لنبوغه في الشعر ، وإكثاره منه بعد ما احتنك ، وهذا البيت ضمن قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه ، وقيل : إن النعمان كان مريضا فقالها . ومطلعها : كنتمك ليلاً بالجموحين ساهراً وهمين : همنا مستكينا وظاهراً (ديوان النابغة الذيباني - تحقيق كرم البستاني - دار صادر بيروت : ص ٦٣ ، ٦٤) ..

(٧٠) في (خ) : سقطت كلمة (الستر) .

(٧١) سورة طه : ٧ .

(٧٢) في (خ ، ب) : (تريد) بدلا من (نريد) وهو تحريف .

(٧٣) في (أ ، ب) : (الله) .

(٧٤) في (أ) : (مما) .

(٧٥) في (أ) : ولا يكون خادع إلا يسمى الخادع وذو خدائع .

(٧٦) في (ح) : لم تذكر كلمة (إلى) .

(٧٧) سورة الطارق : ١٦ .

(٧٨) البقرة : ١٥ .

(٧٩) النساء : ١٤٢ .

(٨٠) الأعراف : ٩٩ .

وقال تعالى : « وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ »^(٨١).

وقال تعالى : « وَمَكْرُؤًا مَكْرًا ، وَمَكْرَنَا مَكْرًا »^(٨٢).

وقال تعالى : « فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا »^(٨٣).

وقال تعالى : « نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ »^(٨٤).

وقال تعالى : « سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ »^(٨٥).

فيلزمهم إذا سَمَوْا^(٨٦) رَبَّهُمْ ووصفوه من طريق استدلالهم (و) قياسهم^(٨٧) وما شاهدوه في الحاضر عندهم أن يسموه مأكراً ، فيقولون : يا مأكراً احمنا ، ويسموا بينهم : « عبد المأكرا » ، وكذلك القول في الكياد والمستزعى ، والخداع ، والناس ، والساخر . وإلا فقد تناقضوا وتلاعبوا بصفات ربهم تعالى ودينهم .

فإن قالوا : هذه الصفات ذمٌ وعيب ، وإنما نصفه عز وجل بصفات المدح لزمهم مصيبتان عظيمتان^(٨٨) ؛ إحداهما : إطلاقهم أن الله عز وجل أخبر عن نفسه في هذه الآيات بصفات الذم والعيب ، وهذا كفر .

والثانية : أن يصفوا ربهم بكل صفة مدح وحمد فيما بينهم ، وإن لم يأت بها نص ، وإلا فقد تناقضوا وقصروا^(٨٩) ، فيصفوه بأنه عاقل ، وأنه شجاع ، جلد ، سخي ، حسن الأخلاق ، نزيه النفس ، تام المروءة ، كامل الفضائل ، ذو هيئة^(٩٠) ، نبيل ، نعم المرء .

ويقولوا : إنه تباة قياساً على أنه تعالى : جبّار ، متكبر .

ويقولوا : إنه مستكبر^(٩١) ، فهو والمتكبر في اللغة سواء . وذو تيه وعجب ، وزهو ، ولا فرق .

بين هذا وبين المكر والكبرياء^(٩٢) فإن فعلوا هذا خرجوا عن الإسلام بالإجماع إلا أن يعتذروا^(٩٣)

(٨١) آل عمران : ٥٤ .

(٨٢) هذه الآية سقطت من (أ ، ب) وهي من سورة النمل : ٥٠ .

(٨٣) سورة الرعد : ٤٢ . وقد ذكرت في الأصل محرفة (قل لله) .

(٨٤) سورة التوبة : ٦٧ .

(٨٥) سورة التوبة : ٧٩ .

(٨٦) سورة التوراة : ٦٧ .

(٨٧) سورة التوراة : ٧٩ .

(٨٨) في (خ ، ب) : (سمعوا) بدلاً من (اسموا) .

(٨٩) في (خ) : لم يذكر (استدلالهم قياسهم) .

(٩٠) لم تذكر (عظيمتان) في (خ) .

(٩١) في (خ) : لم تذكر كلمة (وإلا فقد تناقضوا وقصروا) .

(٩٢) في (خ) : سقطت كلمة (ذو هيئة) .

(٩٣) في (خ) : سقطت كلمة (إنه مستكبر) .

(٩٤) في (خ) : سقط قوله (بين هذا وبين المكر والكبرياء) .

(٩٥) في (أ ، ب) : (يُعْذَرُوا) .

بشدّة الجهل وظلمته وعماه ، وأن يفروا عن ذلك ، وتركوا^(٩٤) ما دانوا به من تسمية الله تعالى ، ووصفه بأن له سمعاً وبصراً ، وسائر ما وصفوه تعالى به بآرائهم الفاسدة ممّا لم يأت به نص ، كقولهم : قديم ، ومتكلم ، ومريد ، وأن له تعالى : إرادة لم تزل ، وسائر ما اجترعوا^(٩٥) عليه بغير برهان من الله عزّ وجل .

وأيضاً : فإنّ هذه الصفات التي منعوا منها لأنها بزعمهم صفات ذم ، فإن السمع والبصر والحياة أيضاً صفات نقص لأنها أعراض دالة على الحدوث^(٩٦) فيمن هي فيه .
فإن قالوا : ليست لله تعالى كذلك .

قيل لهم : ولا تلك الصفات أيضاً ، إذا أطلقتموها عليه أيضاً صفات ذم^(٩٧) ولا فرق . ولقد قال لى بعضهم : إنما قلنا : إن الله تعالى يكيد ، ويستهزئ ويمكر ، وينسى ، وهو خادعهم ، وتشبيهم^(٩٨) بأنه تعالى يقارضهم على هذه الأفعال منهم بجزء يسمى بأسمائها .

فقلت له^(٩٩) : نعم . هكذا نقول ، ولم ننازعك في هذا فتستريح إليه ، بل قلنا لكم سمّوه تعالى : مستهزئاً ، وكياًداً ، وخداعاً ، وماكراً ، وناسياً ، وساخرّاً على معنى أنه مقارضهم^(١٠٠) على هذه الأفعال منهم بجزء يسمى بأسمائها كما قلتم في الأفعال^(١٠١) سواء بسواء^(١٠٢) .

وقد قلتم : إنّ الأفعال توجب لفاعلها أسماء فعلها ولا فرق^(١٠٣) . فسكت خاسئاً . وهذا ما لا انفكاك منه . وهذا وما ذكرنا يعارض كل من قال : إننا سمّينا الله عزّ وجل عالماً لنفى الجهل . قادراً لنفى العجز ، متكلماً لنفى الخرس . وحياً لنفى الموت ؛ لأنهم^(١٠٤) لا ينفكّون من هذا ألبتة .

وأما نحن فلولا النص الوارد « بعليم » و« قدير » ، وعالم الغيب والشهادة ، وقادر على أن يخلق مثلهم ، والحى - لما جاز أن يسمى تعالى بشيء من هذا أصلاً ولا يجوز أن يقال حىّ بحياة ألبتة .

(٩٤) في (أ ، ب ، خ) : (تركوا) وهو تحريف .

(٩٥) في (خ) : (أخبروا عليه) وهو تحريف .

(٩٦) في (خ) : (الحدث) .

(٩٧) في (خ) : (لم تذكر كلمة (ذم) .

(٩٨) في (أ ، ب) : (على معنى أنه) .

(٩٩) في (أ ، ب) : (لهم) .

(١٠٠) في (أ ، ب) : (مقارض لهم) .

(١٠١) في (أ ، ب) : (كما قلتم في يكيد ، ويستهزئ ، وينسى ، وهو خادعهم) .

(١٠٢) في (أ ، ب) : (بزيادة) ولا فرق .

(١٠٣) في (أ ، ب) : (سقطت) ولا فرق .

(١٠٤) في (أ ، ب) : (فإنهم) .

فإن قالوا : كيف يكون حتى بلا حياة ؟

قلنا لهم : وكيف يكون حتى غير حسّاس ، ولا متحرك بإرادة ، ولا ساكن بإرادة .. ؟ هذا ما لا يعقل ألّبتة . ولا يعرف ولا يتوهم ، ولا يجرون^(١٠٥) عليه تعالى الحسّ ، ولا الحركة ولا السكون .

فإن قالوا : إن تسميتنا إيّاه حكيمًا يغنى عن « عقل » . وكريمًا يغنى عن سخيّ وجبارًا متكبرًا يغنى عن متعبر ، ومستكبر ، وتباهٍ وزاهٍ . وقويًا يغنى عن شجاع وجلد .

قلنا : هذا ترك منكم لما أصّلتموه من إطلاق السمع والبصر والحياة والإرادة وأنه متكلم . واحتجاجك : بأن من كان سميعًا لأبَدٍ^(١٠٦) له من سمع ، ومن كان بصيرًا لأبَدٍ^(١٠٧) له من بصر . ومن كان حيًّا لأبَدٍ له من حياة . ومن كان مريدًا فلا بدَّ له من إرادة ، ومن كان له كلام فهو متكلم فأطلقتم كل هذا على الله تعالى بلا برهان .

فإذا^(١٠٨) ناب عندكم ما ورد به النص من حكيم وقويّ وكريم ومتكبر وجبار عن عاقل وشجاع وسخيّ ومسجبر ومستكبر وتباهٍ وزاهٍ - فلم تجيزون أن تسمّوا الباري عزّ وجلّ بشيء من هذا ؟ فكذلك فقولوا كما قلنا نحن إن سميعًا ، وبصيرًا وحيًا ، وله كلام ، ويريد ، يغنى عن تجويز ذكر السمع ، والبصر ، والإرادة ، ومتكلم ولا فرق .

هذا على أن قولكم : إن قويًا يغنى عن شجاع خطأ ، فرب قوى غير شجاع ، وشجاع غير قوى . وكذلك أيضًا كان الرحمن يغنى عن الرحيم^(١٠٩) . والخالق يغنى عن الباري وعن المصورّ . فإن قالوا : لا يجوز الاقتصار على بعض ما أتى به النص ، ولا يجوز التعدّي إلى ما لم يأت به النص .

قلنا لهم : قد اهتديتم ، ووقفتم لرشدكم^(١١٠) ، ولقيتم ربكم تعالى بحجة ظاهره في أنكم لم تتعدّوا حدوده ، ولا ألحدتم في أسمائه ، ولا خالفتم ما أمركم به وبالله تعالى التوفيق .

مع أن الذي ألزمنهم هو : ألزم لهم ميّا^(١١١) التزموه لأن بالضرورة نعلم نحن وهم أن الفعل

(١٠٥) في (أ ، ب) : زهم يجرون .

(١٠٦) في (أ ، ب) : (فلا) .

(١٠٧) في (أ ، ب) : (فلا بد) .

(١٠٨) في (أ ، ب) : (فإن) .

(١٠٩) في (أ ، ب) : (رحيم) .

(١١٠) في (خ) : سقط (ووقفتم لرشدكم) .

(١١١) في (خ) : (بما) .

لا يقوم بنفسه ، ولابد له^(١١٢) ضرورة من أن يضاف إلى فاعله فلا بد أيضاً من إضافة الفاعل إليه ، على معنى وصفه بأنه تعالى^(١١٣) : فعله .

هذا ما لا يقوم في العقل وجود شيء من العالم بخلاف هذه الرتبة ، وقد وجدنا في العالم أشياء كثيرة لا تحتاج إلى وصفها بصفة لتنفى عنها ضد تلك الصفة كالسما والارض ، لا يجوز أن يوصف منها شيء بالبصر لنفى العمى ، ولا بالعمى لنفى البصر . فإذا لم نضطر إلى ذلك في وصف الأشياء فيما بيننا بطل قياسهم الباري تعالى على بعض ما في العالم ، وكان إطلاق شيء من جميع الصفات على خالق^(١١٤) الصفات والموصوفين أبعد وأشد امتناعاً إلا بما سمي به نفسه فنقير بذلك ، وندرى أنه حق . ولا نتعداه إلى ما سواه . أفلا يستحي من التزم إذا وجد أشياء في^(١١٥) العالم توصف بالحياة لنفى الموت ، وبالبصر لنفى العمى ، فأجرى^(١١٦) قياسه هذا الفاسد على ربه^(١١٧) تعالى من أن تسميته مستهزئاً وكياًداً ، وقد قال تعالى : « إنه يستهزئ ويكيد » فهلاً إذا وفقه الله تعالى للإمساك عن تصريف الفعل هاهنا جرى على ذلك التوفيق .. ؟ فلم يزد على ما^(١١٨) نص الله تعالى عليه من سميع وبصير وحى شيئاً أصلاً ، ولكن التناقض سهل على^(١١٩) من لم يعتصم بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، واستعمل رأيه وقياسه في دينه ، وفيما يجريه على الله تعالى ، نعوذ بالله من الضلال والخذلان ، وهذا يبطل إلزام من أراد من المعتزلة إلزامنا أن نسمى الله تعالى مسيئاً لخلقه السيئات ، وشرراً^(١٢٠) لخلقه الشرور .

قال أبو محمد^(١٢١) : وقد شغب بعضهم فيما ادّعوه أن كل صفة أضافوها إلى الله تعالى فهو غير سائر صفاته - بأن الله تعالى موصوف بأنه لا يعلم^(١٢٢) نفسه ، ولا يوصف بالقدرة على نفسه .

قالوا : فلو كان العلم والقدرة واحداً لجريا في الإطلاق مجرى واحداً .

قال أبو محمد : وقد بينا بطلان هذا في كلامنا قبل بعون الله عز وجل .

-
- (١١٢) في (خ) : سقطت كلمة (له) .
 (١١٣) في (أ ، ب) : (بأن فعله هذا ما لا يقوم) .
 (١١٤) في (خ) : (خلاف) وهو تحريف .
 (١١٥) في (أ ، ب) : (من) بدلاً من (في) .
 (١١٦) في (أ ، ب) : (ولم يجز) وهو خطأ في المعنى .
 (١١٧) في (أ) : سقطت كلمة (على ربه) .
 (١١٨) في (أ ، ب) : سقطت (ما) .
 (١١٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .
 (١٢٠) في (أ ، ب) : (وشرير الشرور) .
 (١٢١) في (أ ، ب) : (بزيادة (رضى الله عنه) .
 (١٢٢) في (أ ، ب) : (موصوف بأنه يعلم نفسه ، فسقطت كلمة (لا) .

ونزيد بعون الله تعالى بيأناً فنقول ، وبه نتأيد :

إنَّ التَّغَايِيرَ إِنَّمَا يَقَعُ فِي الْمَعْلُومَاتِ ، وَالْمَقْدُورَاتِ ، لَا فِي الْقَادِرِ وَلَا فِي الْعَالَمِ . وَلَا شَكَّ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ فِي أَنَّ « الْعَلِيمَ » وَ« الْقَدِيرَ » - وَاحِدٌ ، وَهُوَ تَعَالَى « عَلِيمٌ بِنَفْسِهِ » ، وَلَا يُقَالُ عِنْدَهُمْ قَدِيرٌ عَلَى نَفْسِهِ ، فَإِذَا لَمْ يُوجِبْ هَذَا الْحُكْمُ أَنْ يَكُونَ الْقَدِيرُ غَيْرَ الْعَلِيمِ ، فَهُوَ غَيْرُ مُوجِبٍ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ غَيْرَ الْقُدْرَةِ بَلَا شَكٍّ .

ثم نقول لهم : أخبرونا عن علم الله تعالى بحياة زيد قبل موته ، وبإيمانه قبل كفره ، هل هو العلم بموته وكفره أو هو غير العلم بذلك .. ؟

فإن قالوا : إنَّ العلم بموت زيد هو غير العلم بحياته ، وعلمه بإيمانه هو غير علمه بكفره ، لزمهم تَغَايِيرُ الْعِلْمِ ، وَالْقَوْلُ بِمَحْدُوثِهِ ، وَهُمْ لَا يَقُولُونَ هَذَا .

وإن قالوا : علمه تعالى بإيمان زيد هو علمه بكفره ، وعلمه بكفره هو علمه بإيمانه^(١٢٣) ، وعلمه بحياة زيد هو علمه بموته .

قيل : فَإِنَّ^(١٢٤) تَغَايِيرَ الْمَعْلُومِ تَحْتَ الْعِلْمِ لَا يُوجِبُ تَغَايِيرَ الْعِلْمِ فِي ذَاتِهِ عِنْدَكُمْ ، فَمَنْ أَيْنَ أُوجِبَتْ^(١٢٥) أَنْ تَغَايِيرَ الْمَعْلُومِ وَالْمَقْدُورِ مُوجِبٌ لِتَغَايِيرِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ .. ؟
والْحَقِيقَةُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ : أَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ أَصْلًا إِلَّا الْخَالِقُ تَعَالَى وَخَلْقُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا^(١٢٦) نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ وَصْفِهِ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ فَلَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُخْبِرَ عَنْهُ تَعَالَى إِلَّا بِهِ ، وَلَا أَنْ يُسَمِّيَهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِهِ .

ونعلم أنَّ الْمَرَادَ بِكُلِّ ذَلِكَ وَأَنَّ كُلَّ مَا نَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ حَقٌّ نَدِينُ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِقْرَارِ بِهِ^(١٢٧) .

ونعلم أنَّ الْمَرَادَ بِكُلِّ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّهَا كُلُّهَا أَسْمَاءٌ يَعْبُرُ بِهَا عَنْهُ تَعَالَى ، وَلَا يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى شَيْءٍ^(١٢٨) غَيْرِ اللَّهِ أَلْبَتَّةَ . تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ آخَرَ غَيْرِهِ^(١٢٩) .

وَقَدْ أَقْرَأَ بَعْضُهُمْ بِحَضْرَتِي أَنَّ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى سَبْعَةَ عَشَرَ شَيْئًا مُتَغَايِرَةً ، كُلُّهَا ، قَدِيمٌ لَمْ تَزَلْ ،

(١٢٣) فِي (أ ، ب) : سَقَطَتْ جُمْلَةُ (وَعِلْمُهُ بِكَفَرِهِ هُوَ عِلْمُهُ بِإِيْمَانِهِ) .

(١٢٤) فِي (أ ، ب) : (فَإِذَا) .

(١٢٥) فِي (أ ، ب) : (أُوحِيَتْ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(١٢٦) فِي (أ ، ب) : (مَا لَمْ يَنْصَ) .

(١٢٧) فِي (أ ، ب) : سَقَطَتْ الْعِبَارَةُ مِنْ قَوْلِهِ : [إِلَّا بِهِ] إِلَى قَوْلِهِ [الْإِقْرَارُ بِهِ] .

(١٢٨) فِي (أ) : وَلَا يَرْجِعُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ .

(١٢٩) فِي (ح) : لَمْ يَذْكُرْ [تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ آخَرَ غَيْرِهِ] .

وكلها غير الله تعالى . ورأيت في كتاب لبعضهم : أنها خمسة عشر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وذكروا : أن تلك الأشياء هي^(١٣٠) : السمع ، والبصر ، واليد ، والوجه ، والكلام ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والعزة ، والرحمة ، والأمر ، والعدل ، والحياة ، والصدق .

قال أبو محمد : لقد قصرنا من طريق النص ومن طريق العقل أيضاً عن أصولهم فأين لهم عن النفس ، والجلال ، والإكرام ، والجبروت ، والكبرياء ، واليدين والأعين ، والأيدى ، والقدم ، والجنب^(١٣١) ، والقوة .. ؟

فهذه كلها منصوص^(١٣٢) عليها كالعلم والقدرة ، وأين هم عن : الحلم من حلیم والكرم من كريم ، والعظمة من عظيم ، والتوبة من تواب ، والهبة من وهَّاب ، والقرب من قريب ، واللفظ من لطيف^(١٣٣) ، والسعة من واسع ، والشكر من شاكر ، والمجد من مجيد ، والود من ودود^(١٣٤) ، والقيام من قيوم .. ؟ - وهذا كثير جداً ويتجاوز أضعاف الأعداد التي اقتصروا عليها بتحكييمهم بالضلال والإلحاد في أسمائه عز وجل^(١٣٥) .

وقد زاد بعضهم فيما ادعوه من صفات الذات : الاستواء ، والتكليم ، والقدم والبقاء .

ورأيت للأشعري في كتابه المعروف بالموجز : أن الله تعالى إذ قال : « إنك بأعيننا »^(١٣٦) .

إنما أراد عينين^(١٣٧) . وبالجملة فكل من لم يخف الله عز وجل فيما يقول ، ولم يستح من الباطل لم يبال بما يقول . وقد قلنا : إنه لم يأت نص بلفظ الصفة قط بوجه من الوجوه لأن^(١٣٨) الله تعالى أخبرنا بأن علماً وقوة ، وكلاماً ، وقدرة ، وهذا كله حق لا يرجع منه إلى شيء غير الله تعالى أصلاً . وبه نتأيد .

قال أبو محمد : ويقال لهم^(١٣٩) : إنما سمى الله تعالى « عليماً » لأن له علماً ، وحكيماً لأن له حكمة ، وهكذا في سائر أسمائه . وادَّعى أن الضرورة توجب ألا يسمى عالماً إلا من له علم ، وهكذا في سائر الصفات إذا قسم الغائب بزعمكم تريدون الله عز وجل على الحاضر منكم ،

(١٣٠) و (ح) : لم تذكر كلمة (هي) .

(١٣١) و (أ ، ب) : (والحمد) بدلا من (والجنب)

(١٣٢) و (خ) : « نصوص » .

(١٣٣) و (خ) : لم يذكر (واللفظ من لطيف) .

(١٣٤) و (خ) : لم يذكر (والمجد من مجيد ، والود من ودود) .

(١٣٥) سقط الكلام من قوله : [ويتجاوز أضعاف الأعداد] إلى [عز وجل] .

(١٣٦) سورة الطور : ٤٨ .

(١٣٧) الكلام من قوله : (ورأيت للأشعري إلى (عينين) [سقط من (خ)] .

(١٣٨) و (خ) : (لكن) .

(١٣٩) و (أ ، ب) : (لم قال) .

فبالضرورة ندرى أنه لا علم عندنا إلا ما كان في ضمير ذى خواطر^(١٤٠) وفكر تعرف به الأشياء على ما هي عليه .

فإن وصفتم ربكم تعالى بذلك ألحدتم ولا خلاف في هذا من أحد ، وتركتم أقوالكم ، وإن منعتهم من ذلك : تركتم أصلكم في اشتقاق أسمائه تعالى من صفات فيه .

وأيضاً : فإن حكيمًا ، وعليمًا ، ورحيمًا ، وقديرًا ، وسائر ما جرى هذا الجرى لا يسمى في اللغة إلا نعوتًا وأوصافًا ، ولا تسمى أسماء ألبة .

وأما إذا سمى الإنسان حكيمًا أو حليمًا أو حيًا ، وكان ذلك اسمًا له فهي^(١٤١) حينئذ أسماء أعلام غير مشتقة بلا خلاف من أحد . وكل هذه فإنما هي لله عز وجل أسماء بنص القرآن ، ونص السنة والإجماع من جميع أهل الإسلام .

قال الله تعالى : « وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »^(١٤٢) .

وقال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرَّحْمَنَ أَيَّمَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »^(١٤٣) .

وقال تعالى : « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ، السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »^(١٤٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مائة إلا واحدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، إِنَّهُ وَثَرٌ يُجِبُّ الْوِثْرَ »^(١٤٥) .

ولم يختلف أحد من أهل الإسلام في أنها أسماء لله تعالى ، ولا في أنها لا يقال : إنها نعوت له عز وجل ، ولا أوصاف [لله ، ولو وجد في المتأخرين من يقول ذلك لكان قولًا باطلًا ، ومخالفة

(١٤٠) في (ح) : (حاطر) .

(١٤١) في (أ ، ب) : (فهو) .

(١٤٢) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(١٤٣) سورة الإسراء : ١١٠ .

(١٤٤) سورة الحشر : ٢٤ .

(١٤٥) وروى هذا الحديث في البخارى ومسلم ونصه : « لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدًا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » . ورواية البخارى في الدعوات ١١ / ١٨٠ ، ١٩٢ ، ومسلم رقم ٢٦٧٧ في باب الذكر والدعاء . (جامع الأصول في أحاديث الرسول : مجد الدين أبى السعادات بن محمد بن الأثير الجزرى المتوفى ٦٠٦ تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط . طبعه الملاح ١٣٩٠ هـ .

فصل

[فيما أحدثه أهل الإسلام في أسماء الله عزّ وجل القديم^(١٥١)]

قال أبو محمد : وهذا لا يجوز أن يسمى عزّ وجل بما لم يسمّ به نفسه ، لأنه لم يصحّ به نصّ ألبتّة . وقد قال تعالى : « وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ »^(١٥٢).

فصح أن القديم من صفات المخلوقين ، فلا يجوز أن يسمّى الله تعالى بذلك ، وإنما يعرف القديم في اللغة من القدمية الأزلية^(١٥٣) ، أى^(١٥٤) أن هذا الشيء أقدم من هذا بمدة محصورة ، وهذا منفى عن الله عزّ وجل . وقد أغنى الله عزّ وجل عن هذه التسمية بلفظة (أول) . فهذا هو الاسم الذى لا يشاركه تعالى فيه غيره ، وهو معنى أنه لم يزل .

وقد قلنا بالبرهان : إن الله لا يجوز أن يسمّى بالاستدلال ، ولا فرق بين من قال : إنه يسمّى ربّه تعالى جسماً إثباتاً للوجود ، ونفياً للعدم وبين من سمّاه « قديماً » إثباتاً لأنه لم يزل ، ونفياً للحدوث ، لأن كلا اللفظين لم يأت به نص .

فإن قال : من سمّاه جسماً ألحد لأنه جعله كالأجسام .

قيل له : ومن سمّاه قديماً قد ألحد في أسمائه ، لأنه جعله كالقدماء .

(١٥١) في (خ) : لم يذكر ما بين القوسين .

(١٥٢) سورة يس : ٣٩ .

(١٥٣) في (أ ، ب) : (الزمانية) بدلا من (الأزلية) .

(١٥٤) في (خ) : لم تذكر كلمة (أى) .

فإن قيل : ليس في العالم قدماء : أكذبه القرآن بما ذكرنا ، وأكذبت اللغة التي بها نزل القرآن ، إذ يقول كل قائل في اللغة : هذا الشيء أقدم من هذا^(١٥٥). وهذا أمر قديم ، وزمان قديم ، وشيخ قديم ، وبناء قديم . وهكذا في كل شيء .

وأما نفى خلق الإيمان فهذا أعجب ما أتوا به . وهل الإيمان إلا فعل المؤمن ، الظاهر منه ، يزيد وينقص ، ويذهب ألبة ، وهو خلق الله تعالى .. ؟ وهذه صفات الحدوث^(١٥٦) نفسها .

فإن قالوا : إن الله تعالى هو المؤمن .

قلنا : نعم . هو المؤمن المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور^(١٥٧).

فأسماءه بذلك أعلام ، لا مشتقة من صفات محمولة فيه عز وجل . تعالى الله عن ذلك . إلا ما كان مشتقا^(١٥٨) من فعل محدث - فهو ظاهر كخالق والمصور .

فإن قلتم : إنها صفات لم تنزل لربكم^(١٥٩) أنه المصور بتصوير لم يزل ، فهذا^(١٦٠) قول أهل الدهر مجرّد . وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقال بعضهم : إن قولنا سميع بسمع ، بصير ببصر ، حيّ بحياة - لا يوجب تشابها ، ولا يكون الشيء شبيها للشيء إلا إذا ناب منابه ، وسدّ مسدّه^(١٦١).

قال أبو محمد : وهذا كلام في غاية السخافة لأنه دعوى بلا برهان ، لا من لغة^(١٦٢) ، ولا من شريعة ، ولا من طبيعة ، وما اختلفت قط اللغات ولا^(١٦٣) الطبائع ، ولا الأمم في أن الشبهة^(١٦٤) بين المشبهات إنما هو بصفاتهما في الأجسام وبذواتها في الأعراض . وأما النص^(١٦٥) فإن الله تعالى يقول :

(١٥٥) في (أ) : (هذه) .

(١٥٦) في (خ) : (الحدث) .

(١٥٧) في (أ ، ب) : سقط (العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري) .

(١٥٨) في (أ ، ب) : إلا ما كان مسمى عز وجل لفعل فعله .

(١٥٩) في (خ) : سقطت كلمة (لربكم) .

(١٦٠) في (أ) : وهذا .

(١٦١) في (خ) : سقط الكلام من قوله : « قال أبو محمد ، وقال بعضهم إلى قوله : وسدّ مسدّه » .

(١٦٢) في (أ ، ب) : سقطت (لا من لغة) .

(١٦٣) في (أ ، ب) : سقطت (ولا) .

(١٦٤) في (أ ، ب) : (النسبة) بدلا من (الشبه) .

(١٦٥) في (أ) : سقطت كلمة (النص) .

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ » (١٦٦).

فليت شعري هل قال ذو مسكة (١٦٧) عقل : إن الحمير ، والكلاب ، والخنافس تنوب مناينا ، وتسد (١٦٨) مسدنا .. ؟ وقال تعالى : حاكياً عن الأنبياء عليهم السلام ، أنهم قالوا للكفار (١٦٩) : « إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ » (١٧٠).

فهل قال قط مسلم : إن الكفار ينوبون عن الأنبياء عليهم السلام ، ويسدون مسدهم .. ؟ وقال تعالى : « كأنهن الياقوت والمرجان » (١٧١).

فهل قال ذو مسكة عقل : إن الياقوت ينوب مناب الخور العين ، ويسد مسدهن (١٧٢) .. ؟ ومثل هذا في القرآن كثير جداً ، وفي كلام كل أمة . والعجب أنهم بعد أن أتوا بمثل (١٧٣) هذه العظيمة نسوا أنفسهم فجعلوا التشابه في بعض الأحوال يوجب شرع الشرائع قياساً ، وهذا دين لم يأذن به الله تعالى ، فهم أبداً في الشيء وضده ، والبناء والهدم . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وحقيقة التماثل والتشابه هو : أن كل جسمين اشتبهتا فإنما يشتهبان بصفة محمولة فيهما ، أو بصفات فيهما ، وكل عرضين فإنما يشتهبان بوقوعهما تحت نوع واحد كالحمرة والصفرة والخضرة (١٧٤) وهذا أمر يدرك بالعيان وأول الحس والعقل . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(١٦٦) سورة الأنعام : ٣٨ .
(١٦٧) في (أ) : « ذو مسكة من عقل » بزيادة (من) .
(١٦٨) في (أ ، ب) : « أو تسدنا » .
(١٦٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (الكفار) .
(١٧٠) سورة إبراهيم : ١١ .
(١٧١) سورة الرحمن : ٥٨ .
(١٧٢) في (خ) : (مسدهم) .
(١٧٣) في (أ) : سقطت كلمة (بمثل) .
(١٧٤) في (أ ، ب) : والحمرة أو الحمرة والخضرة .

« الكلام فى الحياة »

قال أبو محمد : قال قائلون : الاستدلال^(١) أوجب أن البارى تعالى حيٌّ ، لأن الأفعال الحكيمة لا تقع إلا من الحى ، وأنه^(٢) لا يعقل إلا ميت^(٣) أوحى ، فلما أبطل^(٤) إمكان وقوع الفعل من الميت ، صحَّ وقوعه من الحى . ولا بدَّ .

ثم انقسم هؤلاء قسمين ، فطائفة قالت : هو تعالى حيٌّ لا بحياة ، وقال^(٥) آخرون بل هو تعالى حى بحياة .

واحتجت طائفة بأن قالت : لا يعقل حيٌّ^(٦) إلا بحياة . ولم يكن الحىَّ حياً ، إلا لأن له حياة ، ولولا ذلك لم يكن حياً . ولو^(٧) جاز أن يكون حياً لا بحياة لجاز أن تكون حياة لا لحى .

وقال آخرون^(٨) : لم يكن الحىَّ حياً لأن له حياة ، لكن لأنه فاعل^(٩) قادر ، عالم فقط ، إذ^(١٠) لا يكون العالم القادر الفاعل إلا حياً .

(١) فى (أ ، ب) : وقالوا : إن الدليل أوجب .

(٢) فى (أ ، ب) : (وأيضاً فإنه) .

(٣) فى (أ ، ب) : (حىَّ أو ميت) .

(٤) فى (أ) : (قلنا : إمكان) .

(٥) فى (أ ، ب) : وطائفة قالت .

(٦) فى (أ) : واحتجت أنه لا يعقل أحد حياً .

(٧) فى (أ) : قالوا : ولو جاز .

(٨) فى (أ ، ب) : الطائفة الأولى .

(٩) فى (أ ، ب) : فاعل فقط عالم قادر .

(١٠) فى (أ) : (ولا يكون) بغير (إذ) .

قال أبو محمد : وكلا القولين في غاية الفساد ، لأن اتفاق الطائفتين على أن سمّوا ربهما حيّاً من طريق الاستدلال ، إما لنفي الموت ، والجماد^(١١) ههنا ، وإما لأنه فاعل قادر ، عالم . ولا يكون الفاعل ، العالم ، القادر إلّا حيّاً يلزمهم أن يطردوا استدلالهم هذا ، وإلّا فهم متناقضون^(١٢) ، وذلك أنه^(١٣) يلزمهم أن يقولوا : إنه تعالى جسم ، لأنهم لم يعقلوا قط فاعلاً ، ولا حكيمًا ، ولا عالمًا ، ولا قادرًا إلا جسمًا - فإذا لم يكن هذا دليلًا على أنه جسم فليس دليلًا على أنه حي .

وأيضًا : فإن اتفاقهم على ما ذكرنا موجب عليهم^(١٤) أن يطردوا استدلالهم ، وإلّا كانوا مناقضين مبطلين لاستدلالهم ، وذلك يوجب على من قال : حيّ لا بحياة أن يطردوا استدلالهم ، وإلّا^(١٥) فهو فاسد ، لأنه^(١٦) لا يكون العالم ، القادر فيما بيننا إلّا ذا حياة ، ولا يكون حيّاً إلّا بحياة - لا يعقل غير هذا أصلًا .

ويقال لهم : ما الفرق بينكم وبين من عكس قولهم .. ؟ فقال : إذا كان الحيّ لا يجب أن يقال^(١٧) له حي من أجل أنه حي ، ولا أنه إذا كان حيّاً وجب أن يكون له حياة ، ولا أنه سمّي الحيّ حيّاً لأن له حياة - فكذلك لم يجب أن يكون الفاعل فاعلاً لأنه حي لكن^(١٨) لأن له فعلاً فقط ، ولا وجب أن يكون الفاعل فاعلاً لأنه قادر عالم ، لكن لأن له فعلاً ، وكذلك المؤلف ، لم يسمّ مؤلفاً لأن فيه تأليفاً ولا يسمّى^(١٩) الحكيم حكيمًا لإحكامه الفعل ، ولا وجب المؤلف : أن يكون محدثًا للتأليف الذي فيه ، هذا^(٢٠) .

على أن من قال بعض هذه القضايا فهو أصحّ قولاً ممن قال : إن كان^(٢١) الحيّ حيّاً لا يقتضى بذلك الاستدلال ، أن يكون له حياة ، لأننا لم نجد قط حيّاً إلّا بحياة ، ولا توهمنا ذلك إلّا بالفعل ، ولا يتشكل في العقل ألبتة . ولا يدخل في الممكن بدليل ، وقد وجدنا العنكبوت ،

(١١) في (أ ، ب) : (والجمادية) .

(١٢) « مناقضون » .

(١٣) في (أ ، ب) : وإذا طردوا استدلالهم هذا لزمهم ولابد .

(١٤) في (أ ، ب) : على الطائفة الأولى .

(١٥) في (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « مناقضين ، مبطلين لاستدلالهم إلى قوله .. أن يطردوا استدلالهم » .

(١٦) في (أ ، ب) : (فنقول إنه) .

(١٧) في (أ ، ب) : (إن له حياة) .

(١٨) في (خ) : سقطت (لأنه حي لكن) .

(١٩) في (أ ، ب) : ولا سمي .

(٢٠) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .

(٢١) في (أ ، ب) : (إن كون) .

والنحلة ، والخطاف تُحكم أفعالها وبناءها بالطين والشَّمع مسدّسًا على رتبة واحدة بالنسج^(٢٢) ، ثم لا يجوز أن يسمّى شيءٌ منها حكميًا .

فإن قال : إنما أقول إنه حي استدلالًا بأنه لا يموت ، والحي هو الذى لا يموت ، كان^(٢٣) قد أتى بأسخف قولٍ ، وذلك يلزمه أن يقول : إننا لسنا أحياء لأننا نموت ، وأنه لا حيٌّ في العالم ، لأنّ من قول هذا القائل : إنّ الملائكة تموت ، فليس في العالم حيٌّ على قوله .

وقد أتى بعضهم بهذيان ظريف فقال : قد وجدنا شيئًا فيه حياة وليس حيًّا وهو يدُ الإنسان ورجله .

قال أبو محمد : ولقد كان^(٢٤) ينبغي لمن هذا مقداره من الجهل أن يتعلم قبل أن يتكلم . أما علم الجاهل أن الحياة إنما هي للنفس لا للجسد ، وأن الحيّ إنما هو^(٢٥) النفس لا الجسد . أما سمع قول الله تعالى : « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »^(٢٦) .

وليت شعري لو عكس عليه هذا السخف فقليل له : بل يد الإنسان حيّة ولا حياة فيها ، بماذا كان ينفصل من هذا الجنون المطابق لجنونه .. ؟ ثم إذا^(٢٧) بطل قول هؤلاء .

فنقول بحول الله تعالى وقوته للطائفة الأخرى التى قالت : إنه تعالى حي بحياة استدلالًا بالشّاهد : ما الفرق بينكم وبين من قال : إنه^(٢٨) تعالى جسم .. ؟ لأن الأفعال لا تقع إلّا من جسم ، فإنّه على أصولكم^(٢٩) لا يعقل إلّا جسم وعرض - فلما بطل إمكان الفعل من العرض ، صحّ وقوعه من الجسم فقط ولا بد . ولما صحّ أن العالم لا يكون إلّا جسمًا ذا ضمير ضرورة^(٣٠) صحّ أنه تعالى جسم ذو ضمير . ولما صحّ أنه قادر لا يكون إلّا جسمًا صحّ أنه جسم ، فبأى شيء راموا الانفصال به - عكس عليهم مثله سواء بسواء في استدلالهم ، وما التزموه لزمهم .

فإن قالوا : إنّ الله^(٣١) تعالى أخبر أنه حي ، ولم يخبر أنه جسم .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق : وأنّ الله تعالى لم يخبر بأن له حياة .

(٢٢) في (أ ، ب) : (وبالنسج) .

(٢٣) في (خ) : سقطت كلمة (كان) .

(٢٤) في (أ ، ب) : بزيادة (فقط) وفي (خ) بزيادة (فقد) .

(٢٥) في (أ ، ب) : (هي) .

(٢٦) سورة الحج : ٤٦ .

(٢٧) في (أ ، ب) : (إذ قد بطل) .

(٢٨) في (أ ، ب) : (هو تعالى) .

(٢٩) في (خ) : لم يذكر (على أصولكم) .

(٣٠) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (ضرورة) .

(٣١) في (أ ، ب) : (إنه تعالى) .

فإن قالوا : إن الحى يقتضى أن له حياة .
 قلنا لهم^(٣٢) : والحى يقتضى أنه جسم ، وهكذا أبداً .
 فإن قالوا : إنه تعالى قال : « وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت^(٣٣) » - فوجب أن يكون له حياة^(٣٤) .

قيل لهم : وإن وجب هذا - فقال تعالى : « لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ^(٣٥) » .

فقولوا : إنه تعالى يقظان .

فإن قالوا : لم ينصَّ تعالى على أنه يقظان .

قيل لهم : ولا نصَّ على أن له حياة .

فإن قالوا : الحى يقتضى حياة .

قيل لهم : ومن ليس نائماً ، ولا وسنان فهو يقظان . ولا فرق .

ويقال لهم : أخبرونا ماذا نفيتم عنه تعالى بإيجاب الحياة له .. ؟ أنفيتم عنه بذلك الموت المعهود .. ؟ والمواتية المعهودة ، أم موتاً غير معهود ، ومواتية غير معهودة .. ؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث .

فإن قالوا : ما نفينا عنه إلا الموت المعهود ، والمواتية المعهودة^(٣٦) .

قلنا لهم : إن الموت المعهود ، والمواتية المعهودة لا ينتفیان ألبتة إلا بالحياة المعهودة ، التى هى الحس والحركة الإراديان^(٣٧) . وهذا خلاف قولكم ، ولو قلموه لأبطلنا قولكم بما أبطلنا به قول المجسمة .

وإن قالوا : ما نفينا عنه تعالى إلا موتاً غير معهود ، ومواتية غير معهودة .

قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق : هذا لا يعقل ، ولا يتوهم ، ولا قام به دليل ولا يجوز أن ينتفى ما ذكرتم بحياة يقتضيه اسم الحى المعقول ، وهكذا نقول . فى قولهم : سميناه تعالى سميعاً لنفى الصمم ، وبصيراً لنفى العمى ، ومتكلماً لنفى الخرس .

(٣٢) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « وأن الله تعالى لم يخبر بأن له حياة .. إلى (قلنا لهم) » .

(٣٣) سورة الفرقان : ٥٨ .

(٣٤) فى (أ) : (حياً بحياة) .

(٣٥) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣٦) فى (أ ، ب) : جاء هذا التعبير بغير أداة القصر (ما وإلا) .

(٣٧) فى (خ) : الإرادية . وفى (أ ، ب) : (الحس والحركة والسكون) .

قلنا لهم : هل نفيتم بذلك كله الخرس المعهود ، والصمم المعهود ، والعمى المعهود ، أم صمماً لا يعهد ، وعمى غير المعهود ، وخرساً غير المعهود .. ؟

فإن قالوا : نفينا المعهود من كل ذلك .

قلنا : إن الصمم المعهود لا ينتفى إلا بالسمع المعهود ، الذى هو بأذن سالمة ، والعمى المعهود لا ينتفى إلا بالبصر المعهود ، الذى هو حدقة سالمة ، والخرس المعهود لا ينتفى إلا بالكلام المعهود الذى هو صوت من لسان وحنك وشفيتين .

فإن قالوا : بل نفينا من كل ذلك غير المعهود .

قلنا : هذا لا يعقل ، ولا يتوهم ، ولا يصح به دليل ، ولا ينتفى بما أردتم نفيه به^(٣٨) . وأيضاً : فإن البارى تعالى : لو كان حياً بحياة لم يزل ، وهى غيره لوجب ضرورة أن يكون تعالى مؤلفاً مركباً من ذاته وحياته ، [وسائر صفاته ولكان كثيراً لا واحداً]^(٣٩) ، وهذا إبطال الإسلام . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وأما قولهم : إنما خاطبنا الله بما نعقل^(٤٠) ، ودعواهم أن فى بديهة العقل : أن الفاعل لا يكون إلا عالمًا بعلم هو غيره ، حياً بحياة هى غيره ، قادراً بقدره هى غيره ، متكلمًا بكلام هو غيره^(٤١) ، سميعًا بسمع هو غيره ، بصيرًا ببصر هو غيره^(٤٢) .

فإننا نقول - وبالله تعالى التوفيق^(٤٣) : إن هذه القضية كما ذكرنا ، ما لم يقم برهان على خلاف ذلك . ثم نسألهم : هل عقلتم قط ، أو توهمتم ناراً محرقة تنبت فى الشجر المثمر .. ؟ وهذه صفة جهنم التى إن أنكرتموها كفرتم .

وهل عقلتم قط طيراً حياً يوكل دون أن يموت ، أو يعانى بنارٍ ؟ وهذه صفة الجنة التى إن أنكرتموها كفرتم . ومثل هذا كثير ، وإنما الحق ألا نخرج عما عهدناه ، وما عقلناه ، إلا أن يأتى برهان^(٤٤) .

فإن قنعوا بهذا القدر من الدَّعوة ، فليقنعوا بمثل هذا من المجسمة ، إذ قالوا : إنما خاطبنا الله

(٣٨) و (ح) : سقط الكلام من قوله : « وهكذا يقول فى قولهم : سميناه تعالى سميعاً لنفى الصمم ، وبصيراً لنفى العمى ، ومتكلماً لنفى الخرس .. إلى قوله : ولا يصح به دليل ، ولا ينتفى بما أراد نفيه به » .

(٣٩) و (خ) : لم يذكر : « وسائر صفاته ، ولكان كثيراً لا واحداً » .

(٤٠) و (ح) : لم يذكر (وأما قولهم إنما خاطبنا الله بما نعقل) .

(٤١) و (ح) : لم يذكر (هو غيره) .

(٤٢) و (خ) : لم يذكر (هو غيره) .

(٤٣) و (أ) : (تأيد)

(٤٤) و (ح) : سقط الكلام من قوله : (القضية كما ذكرنا ... إلى برهان)

تعالى بما نفهم ونعقل ، لا بما لا نعقل ، وقد أخبرنا تعالى أنه له عينًا ويدًا ووجهًا ، وأنه ينزل في ظلل من الغمام .

قالوا : فكل هذا محمول على ما عقلنا من أنها جوارح وحركات ، وأنها جسم ، واقنعوا به منهم أيضًا ، إذ قالوا^(٤٥) : بديهية العقل وأوله : عرفنا^(٤٦) ، ووجب ألا يكون الفاعل إلا جسمًا في مكان .

وبضرورة العقل علمنا : أنه لا شيء إلا جسم وعرض ، وما لم يكن كذلك فهو عدم ، وإن لم يكن عرضًا فهو جسم . والبارى تعالى ليس عرضًا فهو جسم ولا بد . واقنعوا بمثل هذا من المعتزلة ، إذ قالوا في إبطال الرؤية بضرورة العقل علمنا^(٤٧) : أنه لا يرى إلا جسم ملون ، وما كان في حيز ، وإذ قالوا بضرورته^(٤٨) وبديته ، علمنا أن كل من فعل شيئًا فإنما يوصف به^(٤٩) ، وينسب إليه ؛ فلو أنه تعالى خلق الشر والظلم لنسب إليه ، ووصف بهما ، واقنعوا بمثل^(٥٠) هذا من الدهرية ، إذ قالوا : بضرورة العقل : علمنا أنه لا يكون شيء إلا من جسم^(٥١) .

* * *

قال أبو محمد : وكل طائفة من هذه الطوائف تدعى الباطل على العقول . والصحيح من هذا ، والحسبة فيه : هو أن كل من ادعى في شيء ما أنه يعرف ببديهية العقل ، وضرورته ، وأوله ، أن ينظر في تلك الدعوى ، فإن كانت^(٥٢) ترجع إلى الحواس المشاهدة ، فهي دعوى فاسدة كاذبة ، لأن العقول توجب أشياء لا تشكّل في الحواس ، كالألوان التي يتوهمها الأعمى ، ولا يتشكلها بحاسة وهو موقن بها بضرورة عقله ، لصحة الخبر وتواتره عليه بوجودها . وكالصوت الذي لا يتوهمه ألبته ، ولا يتشكله من ولد وهو^(٥٣) أصم ، وهو موقن بعقله بصحة الأصوات لتواتر الخبر عليه بصحتها . وإن كانت تلك الدعوى ترجع إلى مجرد العقل ، دون توسط الحواس - فهي دعوى صادقة ، وهذه الدعاوى التي ذكرنا عن الأشعرية ، والمجسمة ، والمعتزلة ، والدهرية - فإنما غلطوا فيها ، لأنهم نسبوا إلى أول العقل ما أدركوه بحواسهم .

(٤٥) في (خ) : سقط الكلام من قوله : (إنما خاطبنا الله تعالى .. إلى إذ قالوا) .

(٤٦) في (خ) : إن بديهية العقل وأوله علمنا .

(٤٧) في (أ) : عرفنا .

(٤٨) في (خ) : بضرورة العقل .

(٤٩) في (خ) : لم تذكر كلمة (ه) .

(٥٠) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (يمثل)

(٥١) في (أ ، ب) : لا يكون شيئًا إلا من شيء أرى منه .

(٥٢) في (أ ، ب) : بزيادة (ما) .

(٥٣) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (وهو)

وقد قلنا : إنّ العقل يوجب ولابد معرفة^(٥٤) أشياء لا تدرك بالحواس ، ولا سيما دعوى الدهرية ، فإنها تعارض بمثلها من أنه بضرورة العقل وأوله علمنا أنه لا يمكن وجود جسم وعرض في زمانٍ لا أول له ، وهذا هو الحق ، لا دعواهم التي عوّلوا فيها على ما شاهدوه بحواسهم فقط .
وبالله تعالى التوفيق .

وأيضاً فيقال لهم : إذا سميتموه حياً لنفى الموت والمواتية عنه تعالى ، وقادراً لنفى العجز ، وعالمًا لنفى الجهل - فيلزمكم ولابد أن تسموه حساسًا لنفى الخدَر عنه . وشمّامًا^(٥٥) لنفى الخشم عنه . ومتحركًا لنفى السكون والجمادية عنه ، وعاقلاً لنفى ضد العقل عنه ، وشجاعاً لنفى الجبن عنه .

فإن امتنعوا من ذلك كانوا قد ناقضوا^(٥٦) في استدلالهم في تسميتهم إيّاه حياً ، عالمًا ، قادراً ، جواداً .

فإن قالوا : إنه لا يجوز أن يسمّى بشيء مما ذكرنا لأنه لم يأت به نص .

قيل لهم : وكذلك لم يأت نص بأنّ له تعالى حياة ، ولا أنه سمّى حياً ، عالمًا ، قادراً لنفى أضداد هذه الصفات عنه ، لكن لما جاء النص بأنه تعالى تسمّى بالحىّ العالم القدير سميناه بذلك - ولولا النص ما جاز لأحد أن يسمّى الله تعالى بشيء من ذلك ، لأنه كان يكون مشبّهاً بخلقه ، لا سيما ولفظة الحىّ تقع في اللغة على العالم المميز^(٥٧) بالحقائق .

قال تعالى : « لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ »^(٥٨).

فأراد بالحى هاهنا : العالم المميز بالإيمان ، المقرّ به .

وأيضاً : فإنهم يدعون أنهم ينكرون التشبيه ثم يرتكبونه^(٥٩) أتم ركوب ، فيقولون : لما لم يكن الفعل عندنا إلّا حياً ، عالمًا ، قادراً - وجب أن يكون البارى تعالى ، الفاعل للأشياء حياً ، عالمًا ، قادراً - وهذا نصّ قياسهم له تعالى على المخلوقات ، وتشبيهه تعالى بهم ، ولا يجوز عند القائلين بالقياس أن يقاس الشيء إلّا على نظيره . وأما أن يقاس الشيء على خلافه من كل جهة وعلى ما لا يشبهه في شيء ألبتة - فهذا ما لا يجوز أصلاً عند أحد ، فكيف والقياس كله باطل لا يجوز .. ؟

(٥٤) في (خ) : سقطت كلمة (معرفة) .

(٥٥) في (أ ، ب) : (وسَمَامًا) بالسين المهملة لنفى (الجسم) وهذا تحريف .

(٥٦) في (خ) : (تناقضوا) .

(٥٧) في (خ) : لم تذكر كلمة (المميز) .

(٥٨) سورة يس : ٧٠ .

(٥٩) في (أ ، ب) : (يرتكبونه) .

وأيضاً فإن الحياة التي لا يعرف أحدٌ بالعقل حياة غيرها إنما هي الحسُّ والحركة^(٦٠) الإرادية ، ولا يعرف أحدٌ الحىَّ إلا الحساس^(٦١) المتحرك بإرادة - وهذا أمر يعرف بالضرورة ، فمن أنكر ذلك ، فقد أنكر الحسَّ والمشاهدة والضرورة ، وخرج عن أن يكلم^(٦٢).

فإن قال قائل منهم : « إن الموات قد يتحرك ، فلم يزد على أن أبان عن قوة جهله ، لأنه إنما قلنا الحركة الإرادية ، فإذا لم يفرق هذا الجاهل بين الحركة الإرادية والإلضطرارية فينبغي^(٦٣) أن يتعلم قبل أن يتكلم . وكل حركة ظهرت من غير حى ، فليست حركة إرادية له ، ولكنها تحريك المحرك له ، إماما البارى تعالى ، وإماماً من دونه ، ومما يبطل قولهم ضرورة : أنه إنما سمى تعالى حياً لأنه عالم قادر ، ووجدنا أحياء كثيرة ليسوا علماء ، ولا قادرين كالأطفال حين ولادتهم ، وكالنائم المستقل ، وكالخدورين ، والجهال^(٦٤) المجانين ، وكضعاف الدور ، والصَّوَادِب^(٦٥) ، وما لا ينتقل عن محله كالوصل وغيره ، كالمرضى من سائر الحيوان - فهذه كلها أحياء ليس شيء منها عالماً ولا قادراً ، فصح ضرورة ، أنه لا معنى للحياة مرتبط^(٦٦) بالعلم والقدرة لكن الحق في ذلك : أن^(٦٧) بعض الأحياء عالم قادر ، وليس كل حى عالماً قادراً ولا سبيل إلى وجود شيء^(٦٨) غير حسَّاس ، ولا متحرك بإرادة .

فإن ذكروا : المغمى عليه - فذلك عائد عليهم لأنه ليس عالماً ولا قادراً .

وأما الحسُّ ففيه بالضرورة ، فلو جشَّ^(٦٩) جشاً قوياً لتألم ، ولأن خبر بذلك عند انتباه - وكذلك الحسُّ والحركة الإرادية باقياں لأبد في بعض أعضاء الخدور والمغمى عليه ولابد - وقد بينا الواجب في هذا وهو أنه لا يسمى الله عز وجل ، ولا نخبر عنه من طريق الاستدلال باسم يشاركه فيه شيء من خلقه ، ولا نخبر يشاركه فيه شيء من خلقه ، ولكن نقول : إنه تعالى لا يجهل شيئاً أصلاً ، وهذه صفة لا يستحقها أحدٌ دونه تعالى . ونقول : لا يغفل ألبتة ، ولا يضل ، ولا يسهو ، ولا ينام ، ولا يتحير ، ولا ينحل ، ولا يخفى عليه متوهم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، ولا ينسى ، وكل هذا فلا يستحقه مخلوق دونه تعالى أصلاً^(٧٠).

(٦٠) في (أ ، ب) . (والبركة) وهو تحريف .

(٦١) في (أ ، ب) : (بالحساس) .

(٦٢) في (خ) : لم يذكر : (والضرورة ، وخرج عن أن يكلم) .

(٦٣) في (أ ، ب) : (فينبغي له) .

(٦٤) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (الجهال)

(٦٥) الصوادب .

(٦٦) في (أ) : (يرتبط) .

(٦٧) في (أ ، ب) : (أو) بدلاً من (أن) .

(٦٨) في (أ ، ب) : (حى) .

(٦٩) في (خ) : (بحس نحسا) . جشَّ : جشَّه : دفعه وكسره كأجشَّه وبالعصا : ضربه بها (المحيط) .

(٧٠) في (خ) : سقطت كلمة (أصلاً) .

ثم نقر بما جاء به^(٧١) القرآن والسنن ، كما جاء لا نزيد فيه^(٧٢) ولا ننقص منه ، ولا نُحِيله ، فنؤمن بأنه بخلاف المعهود فيما يقع عليه ذلك اللفظ من خلقه .

وأما لفظ الصفة في اللغة العربية ، وفي جميع اللغات ، فإنها^(٧٣) عبارة عن معنى محمول في الموصوف بها ، لا معنى للصفة غير هذا ألبة . وهذا أمر لا يجوز إضافته إلى الله تعالى ألبة إلا أن يأتي نص بشيء أخبر الله تعالى به عن نفسه فنؤمن^(٧٤) به ، وندرى حينئذ أنه اسم علم لا مشتق من صفة ، وأنه خبر عنه تعالى لا يراد به غيره عز وجل ، ولا يرجع منه إلى^(٧٥) سواء ألبة - والعجب كل العجب أن يسمي^(٧٦) الله تعالى حيًا ، لأنهم لم يجدوا الفعل يقع إلا من حي ، ثم يقولون : إنه لا كالأحياء فعادوا إلى دليلهم فأفسدوه ، لأنهم إذا أوجبوا وقوع لفعل من حي ليس كالأحياء الذين لا تقع الأفعال إلا منهم ، فقد أبطلوا أن يكون ظهور الأفعال دليلًا ، على أنها من حي كما عهدوه [وإن كان بخلاف ما عهدوه فلا ينكرون وقوع الفعل ممن لا يسمي حيًا - وإن كان بخلاف ما عهدوه]^(٧٧) ، وقد علمنا يقيكنا أن القدرة من كل قادر في العالم إنما هي عرض فيه ، وأن الحياة في الحي المعهود بضرورة العقل عرض فيه أيضًا ، وأن العلم في كل عالم في العالم كذلك ، وقد وافقونا على أن الباري تعالى بخلاف ذلك ، فإذ قد بطل أن يكون هذا موصوفًا بصفة القادر فيما بيننا والعالم منا التي لولاها لم يكن العالم عالمًا ، والقادر قادرًا فإن الفعل فيما بيننا لا يقع إلا من أهل تلك الصفة ، فقد بطل ضرورة أن يسمي الباري تعالى باسم قادر أو عالم أو حي استدلالًا بأن الفعل فيما بيننا لا يقع إلا من عالم قادر ، وإذ قد جوزوا وجود علم ليس عرضًا ، وحياة ليس عرضًا ، وهذا أمر غير معقول أصلاً ، فلا ينكرون وجود حي بلا حياة^(٧٨) ، وسميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر^(٧٩) ، وكل هذا خروج عن المعهود - ولا فرق . وإنما يستجاز الخروج عن المعهود إذا جاء به نص من الخالق عز وجل ، أو قام به برهان ضروري ، وإلا فلا . ولم يأت نص قط بلفظ الحياة ، ولا الإرادة ، ولا السمع ، ولا البصر ، واحتج بعضهم في معارضة من قال : إن الحي لا يكون إلا حساسًا متحركًا بإرادة ، لأننا لم نشاهد قط حيًا إلا حساسًا متحركًا بإرادة ، فقال : هذا المعارض إن من اتفق له ألا يرى نباتًا إلا أخضر ، ولا أخضر إلا نباتًا فقطع بأن كل أخضر فهو نبات فقد أخطأ .

(٧١) في (ح) . يذكر كلمة (به) .

(٧٢) في (أ) . سقطت كلمة (فيه) .

(٧٣) في (أ ، ب) : (فإنما) .

(٧٤) في (ح) : (فيوقف عنده) .

(٧٥) في (أ ، ب) : (إلا) .

(٧٦) في (أ ، ب) : (أنهم يسمون) .

(٧٧) في (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : (وإن كان بخلاف ما عهدوه إلى ما عهدوه) .

(٧٨) في (أ ، ب) : « لا حياة - ولا بسمع - ولا بصر » .

(٧٩) في (أ ، ب) : (لا سمع .. ولا بصر)

قال أبو محمد : فأول ما يقال له : قل هذا لنفسك ، في استدلالك بأنك لم ترقط فعلاً إلا حياً ، عالماً ، قادراً - ولا فرق .

ثم نعوذ بعون الله تعالى إلى بيان ما شغبوا به ، مما لا يعرفون الفرق بينه وبين ما يقطع^(٨١) عليه - فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إنَّ الأعراض تنقسم^(٨٢) قسمين ؛ أحدهما ذاتي ، لا يتوهم بطلانه إلا بطلان حامله كالخس والحركة الإرادية للحَيِّ ، وكذلك احتمال الموت للإنسان مع إمكان التمييز للعلوم والتصرف في الصناعات وما أشبه هذا .

ومن هذه الأعراض تقوم فصول الأشياء وحدودها^(٨٣) التي تفرق بينها وبين غيرها من الأنواع التي تقع معها تحت جنس واحد - فهذا القسم مقطوع على وجوده في كل ما وقع اسم حامله عليه^(٨٤).

والقسم الثاني : غيري : وهو ما يتوهم بطلانه ولا يبطل بذلك ما هو فيه كاجترار البعير والغنم^(٨٥) ، وحلاوة العسل ، وسواد الغراب ؛ فإن وجد عسل مر - وقد وجدناه - لم يبطل بذلك أن يكون عسلاً ، وكذلك لو وجد غراب أبيض - وقد وجد - لم يبطل بذلك أن يكون غراباً . فمثل هذا القسم لا يقطع على أنه موجود ، ولا بدّ أبداً . فهذا الفرق بين ما شغب به من النبات ، لأنه إن توهم النبات أحمر أو أصفر لم يبطل أن يسمى نباتاً ، ولكنه إن توهم أن يكون النبات غير ناعم من الأرض ، ولا متغذٍّ برطوباتها ، منجذباً نحو الهواء^(٨٦) فإنه لا يكون نباتاً أصلاً .

وأيضاً فقد قال بعضهم : إنه قد يعرف الباري حياً من لا يعرفه حساساً متحركاً بإرادة .

قليل له : وقد يعرفه حياً من لا يعرف أن له حياة ، وقد يعرفه جسمًا من لا يعرفه مؤلفاً ، ولا محدثاً ، وليس توهم الجهال ما^(٨٧) توهموه من الحماقات حجة على أهل العقول . والحمد لله رب العالمين .

(٨٠) في (أ ، ب) : (يقع) .

(٨١) في (أ) : (إلى قسمين) .

(٨٢) في (خ) : لم يذكر (وحدودها) .

(٨٣) في (ح) : (فيه) بدلا من (عليه) .

(٨٤) في (أ ، ب) : لم يذكر (الغنم) .

(٨٥) في (أ ، ب) : بحر الهواء - وهو تحريف .

(٨٦) في (أ ، ب) : (لما) .

قال أبو محمد : برهان^(٨٧) ضروري ، وهو أن كل صفة في العالم فهي ضرورة - ولا بد . عرض بين الطرفين ، أو أحد ذينك الطرفين ، وإما ذات ضد فحاملها بالضرورة قابل للأضداد . ولا عالم^(٨٨) في العالم إلا والجهل منه متوهم ، ولا قادر في العالم إلا والعجز منه متوهم ، ولا حي في العالم إلا والسكون والحركة والحس ، والحذر متوهمات كلها منه ، وقد علمنا أن الله تعالى أرحم الراحمين حقًا لا مجازًا ، من أنكر هذا فهو كافر ، حلال دمه وماله ، وهو تعالى يبتلى الأطفال بالجدري ، والأواكل^(٨٩) والجن والذئبة والأوجاع حتى يموتوا . وبالجوع حتى يموتوا كذلك . ويفجع الآباء بالأبناء ، وكذلك الأمهات ، والأحياء بعضهم ببعض حتى يهلكوا ثكلًا ، ووجدًا ، وكذلك الطير بأولادها ، وليس هذه صفة الرحمن^(٩٠) بيننا - فصحَّ يقينًا أنها أسماء لله تعالى ، سمى الله تعالى بها نفسه غير مشتقة من صفة محمولة فيه تعالى - وحاشا له من ذلك .

فإن قالوا : إن العالم ، القادر ، الحي ، الأول ، الرحيم - بخلاف هذا .

قيل لهم : صدقتم . وهذا إبطال منكم لاستدلالكم بالشاهد بينكم على تسمية الباري^(٩١) تعالى وصفاته .

قال أبو محمد : وأما وصفنا الباري تعالى بأنه أول ، حي ، خالق^(٩٢) ، فلا يلزمنا في ذلك شيء مما ألزمناه خصومنا ؛ لأنه قد قام البرهان بأنه خالق ما سواه ، وليس في العالم خالق ألبتة بوجه من الوجوه إلا الباري تعالى^(٩٣) .

وقد قام البرهان على أنه تعالى واحد ، لا واحد في العالم غيره ألبتة ، بوجه من الوجوه . وكل ما في العالم فمتكثر^(٩٤) كثير لا واحد ، وقد قام البرهان على أنه تعالى الأول^(٩٥) الذي لا أول في العالم غيره ، وكل ما في العالم ينافي الأول .

وقد^(٩٦) قام البرهان على أنه تعالى : الحق بذاته ، وأن كل ما في العالم فإنما هو محقق له تعالى . وإنما كان حقًا بالباري عز وجل ، ولولاه لم يكن حقًا . فهذا هو البرهان الصحيح الثابت ، الذي لا يعارض ببرهان ألبتة ، وهذا هو نفى التشبيه .

(٨٧) في (أ ، ب) : (وبرهان) .

(٨٨) في (أ ، ب) : (فلا عالم) .

(٨٩) في (أ ، ب) : (وواكل) .

(٩٠) في (أ ، ب) : (الرحمة) .

(٩١) في (أ) : سقطت كلمة (الباري) .

(٩٢) في (أ ، ب) : بأنه (الواحد - الأول - الحق - الخالق) .

(٩٣) في (أ ، ب) : سقط قوله (إلا الباري تعالى) .

(٩٤) في (أ) : فمتكثر باحتال القسمة والتخري - وكلمة (التحري) تحريف وصوابها (والتجزؤ) .

(٩٥) في (أ ، ب) : جاءت العبارة هكذا : (والأول في العالم ألبتة من الوجوه) .

(٩٦) في (أ ، ب) : (وقام) .

ثم إننا ننفي عن الباري تعالى جميع صفات العالم ، فنقول :

إنه تعالى لا يجهل أصلاً ، ولا يغفل ألبة ، ولا يسهو ، ولا ينام ، ولا يجبن^(٩٧) ، ولا يخفى عليه متوهم ، ولا يعجز عن مسئول عنه ، لأننا قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا : أن الله تعالى بخلاف خلقه من كل وجه .

فإذ ذلك كذلك - فواجب نفى كل ما يوصف به شيء^(٩٨) في العالم عنه تعالى عن المعهود^(٩٩) .

وأما إثبات الوصف أو^(١٠٠) التسمية له تعالى ، فلا يجوز إلا بنص . ونخبر عنه تعالى في^(١٠١) أفعاله عز وجل فنقول :

إنه تعالى يحيى الموتى ، ويميت الأحياء إلا أن يثبت^(١٠٢) إجماع في إباحة شيء من ذلك . ولولا الإجماع على إباحة إطلاق بعض ذلك هاهنا لما أجزناه ونقول : إنه تعالى بكل شيء عليم ، لم يزل كذلك ، والمعنى في هذا : أنه لم يزل يعلم أنه سيخلق الأشياء على حسب هيئة كل مخلوق منها ، لا على أن الأشياء لم تزل موجودة في علمه ، بل^(١٠٣) معاذ الله من هذا ، ولكن نقول : لم يزل تعالى يعلم أنه سيحدث كل ما يكون شيئاً إذا أحدثه على ما يكون عليه إذا كان - وبالله تعالى التوفيق .

(٩٧) في (أ ، ب) : (ولا يحس) . وهو تحريف .

(٩٨) في (أ ، ب) : (بزيادة) ممّا .

(٩٩) في (أ ، ب) : « على العموم » .

(١٠٠) في (خ) : (والتسمية) .

(١٠١) في (أ ، ب) : (بأفعاله) .

(١٠٢) في (أ ، ب) : (إلا أن لا يثبت) .

(١٠٣) في (أ ، ب) : (لم تذكر كلمة) (بل) .

« الرّد على من سمّى الله بغير نص »

قال أبو محمد : ونجمع إن شاء الله تعالى هاهنا بيان الرّد على من أقدم على أن يسمّى الله تعالى بغير نصّ لكن بما دلّه عليه عقله وظنه أنه حسن ومدح ، أو استدلالاً بما سمّى به تعالى نفسه ، أو تصريحاً من ذلك ، أو قياساً على ما شاهد من خلقه .

فنقول وبالله تعالى التوفيق :

إنّ الله تعالى : سمّى نفسه : الرحمن الرحيم ، فسمّه أنت الرقيق من رقة النفس التي هي الرحمة ، فإن قال « الرحيم » يغنى عن ذلك .

قيل له : نقضت أصلك ، لأنّ الحى يغنى على هذا عن أن يقال : إن له حياة .

وأيضاً : فإن الرحمن يغنى عن الرحيم .

فإن قال : قد ورد النصُّ به .

قيل له : صدقت . فلا تتعدّ^(١) ما جاء به النص ، وامنع ما سواه .

وسمّى نفسه (العليم) فسمّه : الدّارى ، الخبر ، الفهم ، الذكى ، العارف ، النبيل فكل

هذا مدح واحد^(٢) فى اللغة بمعنى (عليم) ولا فرق .

* * *

(١) فى (أ ، ب) : « ولا تتعدّ » .

(٢) فى (أ ، ب) : ومعناه .

- وسمى نفسه : « الكريم » فسمه : السخى ، والجواد .
 وسمى نفسه : « الحكيم » . فسمه : الناقد ، العاقل .
 وسمى نفسه : (العظيم) : فسمه : الفخم ، الضخم .
 وسمى نفسه : « الحليم » : فسمه : المحتمل^(٣) ، المتأنى ، الصابر ، الصبور ، الصبار^(٤) .
 وأخبر أنه « قريب » : فسمه : الدانى ، المجاور ، المياسر^(٥) .
 وسمى نفسه : « الواسع » : فسمه : الرّحْب ، العريض .
 وسمى نفسه : « العزيز » . فسمه الرئيس .
 وأخبر أنه « شاكِر » و« شكور » . فسمه : الحامد ، الحمّاد^(٦) .
 وسمى نفسه « القهار » . فسمه : الظافر .
 وسمى نفسه : « الآخر » . فسمه الثانى ، والتالى ، والخاتم^(٧) .
 وسمى نفسه : « الظاهر » فسمه : البادى والمعلن .
 وسمى نفسه : « الخير^(٨) » . فسمه : العارف والدّارى .
 وسمى نفسه : « الكبير » . فسمه : الرئيس والمتقدّم .
 وسمى نفسه : « القدير » . فسمه : المطيق والمستطيع .
 وسمى نفسه : « العلى » . فسمه : العالى ، والرفيع ، والسّامى .
 وسمى نفسه : « البصير » . فسمه : المعاین .
 وسمى نفسه : « الجبّار » . فسمه : المتجبر ، الرّاهى ، التّياہ .
 وسمى نفسه : « المتكبر » . فسمه : المستكبر ، المتعاضم ، المتنحى .
 وسمى نفسه : « البرّ » . فسمه : الزاكى ، والمواصل^(٩) .

(٣) فى (أ ، ب) : المجتمِل (بالجيم) .

(٤) فى (خ) : لم يذكر (الصبار) .

(٥) فى (خ) : (الياسر) .

(٦) فى (أ ، ب) : سقطت واو العطف .

(٧) فى (خ) : سقطت (الخاتم) .

(٨) فى (أ ، ب) : سقط الكلام (البادى والمعلن ، وسمى نفسه الخير فسمه) .

(٩) فى (أ ، ب) : سقطت واو العطف .

وسمّي نفسه : « المتعالى » . فسّمه : المتعظم ، المترفع .
 وسمّي نفسه : « الغنى » . فسّمه : الموسر ، الملىء ، المكثّر ، الوافر .
 وسمّي نفسه : « الوليّ » . فسّمه : الصديق ، المصادق ، الموالى^(١٠) ، الحبيب .
 وسمّي نفسه : « القوى » . فسّمه : الجلد ، التجد ، الشجاع ، الجليد ، الشديد ،
 الباطش ، البطّاش^(١١) .
 وسمّي نفسه : « الحى » . وأخبر أن له : « نفساً » . فسّمه : المتحرّك ، الحساس .
 واقطع بأن له روحاً بمعنى النفس .
 وسمّي نفسه : « السميع » « البصير » . فسّمه : الشّمَام ، الذّواق .
 وسمّي نفسه : « المجيد » . فسّمه : الشريف ، الماجد .
 وسمّي نفسه : « الحميد » . فسّمه « الحمد » ، « المحمود » ، « الممدوح » .
 وسمّي نفسه : « الودود » . فسّمه : الوادّ ، المحبّ ، الحبيب ، الوديد .
 وسمّي نفسه : « الصمد » . فسّمه : المصمّت .
 وسمّي نفسه : « الحق » . فسّمه : الصحيح ، الثابت .
 وسمّي نفسه : « اللطيف » . فسّمه : الخفيف .
 وذكر تعالى أن له : « مكرًا » . وكيداً^(١٢) . فقل إن له : دهاء ، ومكرًا^(١٣) ، وخبثًا^(١٤) ،
 وتحيلًا ، وخذائع .

فهذا كله فى اللغة ، وفيما بيّنا سواء .

وسمّي نفسه « المبين »^(١٥) . فسّمه : الواضح ، البايّن^(١٦) ، اللائح ، البادى .
 وسمّي نفسه : « المؤمن » . فسّمه : المسلم ، المصدّق .
 وسمّي نفسه : « الباطن » . فسّمه : الخفى ، الغائب ، المتغيّب .

(١٠) فى (أ ، ب) : (الوالى) .

(١١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (البطّاش) .

(١٢) فى (خ) : سقطت كلمة (كيدا) .

(١٣) فى (أ ، ب) : (ونكرا) - وهو تحريف .

(١٤) فى (أ ، ب) : (وحسا) - وهو تحريف .

(١٥) فى (أ ، ب) : (المتين) وهو تحريف .

(١٦) فى (أ ، ب) : (البين) .

وسمى نفسه : « الملك » ، والمليك . فسّمه : « السلطان » .
وصحّ بالسنة : أنه يسمّى « جميلا » . فسّمه : الصبيح ، الحسن .

قال أبو محمد : فإن أبى من كل هذا نقص أصله ، وكذلك إن قال : إن بعض ذلك يغنى عن بعض - لزمه إسقاط الحياة ، لأن (الحَيَّ) يغنى عن ذكر الحياة على هذا الأصل . ولزمه أن^(١٧) يقول : إنه متكلم ، لأن الكلام مغن عن ذلك .

ولزمه أيضاً : إسقاط السمع والبصر ، إذا^(١٨) استغنى بالسميع البصير .

ولزمه أيضاً : إسقاط ما جاء به النص إذا كان بعضه يغنى عن بعض .

والملك يغنى عن ملك . وأحد يغنى عن واحد ، وجبار يغنى عن متكبر . وخالق يغنى عن البارئ . وهكذا سائر الأسماء^(١٩) . فلم يبق إلا الرجوع إلى النصوص فقط ، فإذا قد صحّ هذا يقيناً بيننا^(٢٠) فلا يحل أن يسمّى الله عز وجل : القديم ، ولا الخنّان ، ولا المتأن ، ولا الفرد ، ولا الدائن ، ولا الباقي ، ولا الخالد ، ولا العام ، ولا الدائي ، ولا الرائي ، ولا السامع . ولا المعتلى ، ولا العالى ، ولا المتدارك ، ولا الطالب ، ولا الغالب ، ولا الضار ، ولا الباع ، ولا المدرك ، ولا المبدى ، ولا المعبد ، ولا الناطق ، ولا المتكلم^(٢١) ، ولا القادر ، ولا الوارث . ولا الباعث ، ولا القاهر ، ولا الجليل ، ولا المعطى ، ولا المنعم ، ولا المحسن ، ولا الحكم . ولا الحاكم ، ولا الوهاب^(٢٢) ، ولا الغفار ، ولا المضل ، ولا الهادي ، ولا العدل ، ولا الرضى . ولا الصادق ، ولا المتطوّل ، ولا المتفضل ، ولا المانّ ، ولا الجيد ، ولا الخافض ، ولا البديع ، ولا الإله ، ولا المجمل ، ولا المحيى ، ولا المميت ، ولا المنصف^(٢٣) ، ولا بشيء لم يسم به نفسه أصلاً ، وإن كان في غاية المدح عندنا ، أو كان متصرفاً من أفعاله تعالى إلا أن نخبر به^(٢٤) عنه بكل هذا الذى ذكرنا على الإضافة إلى ما نذكر ، مع الوصف حينئذ ، والإخبار عن فعله - فهذا جائز حينئذ فيجوز أن نقول : عالم الخفيات ، عالم بكل شيء ، عالم الغيب والشهادة ، غالب على

(١٧) فى (أ ، ب) : (ألا يقول) .

(١٨) فى (أ ، ب) : (لأنه) بدلا من (إذا) .

(١٩) فى (أ ، ب) : (فى سائر) .

(٢٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (يقينا) .

(٢١) فى (أ ، ب) : سقط (ولا المتكلم) .

(٢٢) فى (أ ، ب) : (الوهاب) .

(٢٣) فى (أ ، ب) : « المصنف » .

(٢٤) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (به) .

أمره ، غالباً على من طغى^(٢٥) ، أو نحو هذا . القادر على ما يشاء . القاهر للملوك ، وارث الأرض ومن عليها ، المعطى لكل ما بأيدينا ، الواهب لنا كل ما عندنا ، المنعم على خلقه ، المحسن إلى أوليائه ، الحاكم بالحق ، المبدى لخلقه ، المعيد له ، المضل لأعدائه ، الهادي لأوليائه ، العدل في حكمه ، الصادق في قوله ، الراضى عمن أطاعه ، الغضبان على من عصاه ، الساخط على أعدائه ، الكاره لما نهى عنه^(٢٦) ، بديع السماوات والأرض ، إله الخلق ، محيى الأحياء والموتى ، ومميت الأحياء والموتى ، المنصف ممن ظلم ، بالى الدنيا وداحيها ، ومسويها ، ونحو هذا ، لأن هذا كله إخبار عن فعله تعالى ، وهذا مباح لنا بإجماع ، وهو من تعظيمه تعالى ، ومن دعائه عز وجل ، وليس لنا أن نسميه إلا بنص ، وكذلك نقول : إن الله تعالى « كيداً ، ومكراً ، وكبرياء » وليس هذا من المدح فيما بيننا ، بل هو فيما بيننا ذم ، ولا يحل أن يقال : إن الله تعالى عقلاً ، وشجاعة ، وعفة ، وذكاء ، وفهماً ، ودهاء^(٢٧) ، وهذا غاية المدح فيما بيننا . فبطل أن يراعى فيما يخبر به عن الله تعالى ما هو عندنا أو ما هو ذم عندنا ، بل بما جاء^(٢٨) في النص فقط . وبالله تعالى التوفيق .

✽ ✽ ✽

قال أبو محمد : ومن البرهان على هذا أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة غير واحد ، من أحصاها دخل الجنة »^(٢٩).

فلو كانت هذه الأسماء التى منعنا منها جائز أن تطلق لكانت أسماء الله تعالى أكثر من مائة ونيف - فهذا باطل لأن قول رسول الله ﷺ : « مائة غير واحد » . مانع من أن يكون له أكثر من ذلك ، ولو جاز كان قوله عليه السلام كذباً ، وهذا كفر ممن أجازوه . وبالله تعالى التوفيق . وقال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها »^(٣٠).

(٢٥) فى (أ ، ب) : « كل من طغى » .

(٢٦) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « الراضى عمن أطاعه - إلى قوله : لما نهى عنه » .

(٢٧) فى (أ ، ب) : سقطت (وفهما ودهاء) .

(٢٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (بما جاء) .

(٢٩) سبق تحقيق هذا الحديث وتخريج راجع ص من هذا الجزء .

(٣٠) سورة البقرة : ٣١ .

فأسماءه بلا شك كما هي داخلة فيما علمه آدم ، وتخصيص كلامه عليه السلام لا يحل ،
فإذ ذلك كذلك فمن الذى اشتقها من الصفات .. ؟
فإن قالوا : هو اشتقها .

كذبوا على الله تعالى جهاراً ، إذ أخبروا عنه بما لم يخبر به تعالى عن نفسه وهذا عظيم
نعوذ بالله منه ، وهذه كلها براهين كافية لمن عقل . وبالله تعالى التوفيق ، والحمد لله رب العالمين .

« الكلام فى الوجه ، واليد ، والعين ، والقدم ، والتنزل ، والعزة ،
والرحمة ، والأمر ، والنفس ، والذات ، والقوة ، والقدرة ،
والأصابع^(١) »

قال أبو محمد : قال الله^(٢) تعالى : « وَيَتَقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »^(٣) فذهب
المجسمة إلى الاحتجاج بهذا فى مذهبهم .

وقال الآخرون : وجه الله تعالى إنما يراد به : الله عز وجل .

قال أبو محمد : وهذا هو الحق الذى قام البرهان بصحته ، لما أبطلنا^(٤) من القول
بالتجسيم .

وقال أبو الهذيل : وجه الله هو الله .

قال أبو محمد : وهذا لا ينبغى أن يطلق ، لأنه تسمية ، وتسمية الله تعالى لا تجوز
إلا بنص ، ولكننا نقول : وجه الله ليس هو غير الله تعالى ، ولا نرجع منه إلى شىء سوى الله
تعالى . برهان ذلك قول الله حاكياً عن من رضى قوله : « إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ »^(٥).

(١) فى (خ) : لم يذكر (الأصابع) .

(٢) فى (أ) : عز وجل .

(٣) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٤) فى (أ ، ب) : لما قدمنا من إبطال القول .

(٥) سورة الإنسان : ٩ .

فصح يقينا : أنهم لم يقصدوا غير الله تعالى به .
 وقوله عز وجل : « فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ »^(٦).
 إنما معناه : فتمَّ الله تعالى بعلمه ، وقبوله لمن توجَّه إليه^(٧).
 وقال تعالى : « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ »^(٨).
 وقال تعالى : « لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي »^(٩).
 وقال تعالى : « مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا »^(١٠).
 وقال : « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ »^(١١).
 وقال رسول الله ﷺ : « المقسطون عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين »^(١٢).
 فذهبت المجسمة إلى ما ذكرنا مما قد سلف من بطلان قولهم فيه .
 وذهبت المعتزلة : إلى أن « اليد » : النعمة . وهذا^(١٣) أيضا لا معنى له ، لأنها دعوى بلا برهان .
 وقال الأشعرى : إنَّ المراد بقول الله تعالى : « أَيْدِينَا » إنما معناه « اليَدَانِ » وأن ذكر « الأعين » ، إنما معناه « عَيْنَانِ » . وهذا باطل مُدْخِلٌ في قول المجسمة . بل نقول :
 إنَّ هذا إخبار عن الله عز وجل ، لا يُرْجَع من ذكر اليد إلى شيءٍ سواه تعالى . ونقرُّ أن^(١٤) لله تعالى - كما قال - يَدًا ، ويدين ، وأيدٍ ، وعَيْنًا ، وأعينًا كما قال عز وجل : « وَلَبُصْنَعُ عَلَيَّ عَيْنِي »^(١٥).
 وقال تعالى : « فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا »^(١٦).

(٦) سورة البقرة : ١١٥ .

(٧) في (خ) : سقط الكلام من قوله : « فَأَيْنَمَا تُولُوا .. إلى : لمن توجه إليه » .

(٨) سورة الفتح : ١٠ .

(٩) سورة ص : ٧٥ .

(١٠) سورة يس : ٧١ .

(١١) سورة المائدة : ٦٤ .

(١٢) هذا الحديث رواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينه ، وبصه : « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين » ، ورواه ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ح ٦ ص ٣٧٧ .

(١٣) في (أ ، ب) : « وهو » بدلا من (هذا) .

(١٤) في (خ) : سقطت : « ونقرُّ أن » .

(١٥) سورة طه : ٣٩ .

(١٦) سورة الطور : ٤٨ .

ولا يجوز لأحد أن يصف الله تعالى : بأن له عينين لأن النص لم يأت بذلك ونقول : إنَّ المراد^(١٧) بما ذكرنا - الله عز وجل لا شيء غيره .

وقال تعالى حاكياً عن قول قائل : يا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ «^(١٨)» .

وهذا معناه فيما يقصد به - الله^(١٩) عز وجل . وفي جانب^(٢٠) عبادته ، وصحَّ عن رسول الله ﷺ : « وكلتا يديه يمين ، وعن يمين الرحمن »^(٢١) .

فهو مثل قوله : « وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »^(٢٢) . يريد « وما ملكتم » .

ولما كانت اليمين في لغة العرب : يراد بها الحظ للأفضل كما قال : الشَّماخ^(٢٣) :

إذا ما رايةً رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

يريد أنه يتلقاها بالسعى الأعلى ، كان قوله : « وكلتا يديه يمين » أى كل ما يكون منه تعالى من الفضل - فهو الأعلى .

وكذلك صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إِنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْتَلِءُ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ »^(٢٤) .

وصح أيضاً في الحديث : « حتى يضع فيها رجله » .

ومعنى هذا ما قد بينه رسول الله ﷺ^(٢٥) في حديث آخر صحيح أخبر فيه أن الله تعالى بعد^(٢٦) يوم القيامة يخلق خلقاً يدخلهم الجنة ، وأنه تعالى يقول للجنة والنار ، لكل واحدة منكما ملؤها^(٢٧) .

(١٧) و (أ) : بكل ما ذكرنا .

(١٨) سورة الزمر ٥٦ .

(١٩) و (أ ، ب) : (إلى الله) .

(٢٠) و (أ ، ب) : (جنب) .

(٢١) رواه مسلم في باب الإمارة ١٨٠ ، والترمذي في تفسير سورة ٥ ، ٣ ، وابن ماجه في المقدمة : ١٣ .

(٢٢) سورة النساء : ٣٩ .

(٢٣) هو الشماخ بن ضرار الذبياني ، وقد جاء هذا البيت ضمن قصيدته التي مدح بها عرابة بن أوس من بني مالك من الأوس ، صحاح جواد ، والقصيدة في ديوان الشماخ رقم ١٨ ومطلعها :

كَلَّا يَوْمَئِذٍ طَوَّلَ الْوَسْلُ وَصَلَ أَرْوَى ظَنُونُ آدَ مُطَرَحُ الظَّنُونِ

(ديوان الشماخ ٣٣٦) .

(٢٤) وقد رواه الترمذي في حديث طويل في باب صفة أهل الجنة وأهل النار وفيه : « ويبقى أهل النار فيطرح فيها منهم فوج فيقال : هل امتلأت ؟ فنقول : هل من مزيد ؟ حتى إذا أوعبوا فيها ، وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض » (سنن الترمذي ح ٤ ص ٩٦ باب صفة أهل الجنة وأهل النار) ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٢٥) و (خ) : « سقط الكلام من قوله : « وصح عن رسول الله ﷺ : وكلتا يديه يمين إلى قوله : « ما قد بينه رسول الله ﷺ » .

(٢٦) و (أ) : لم تذكر كلمة (بعد) .

(٢٧) رواه البخاري في تفسير سورة « ق » ، وفي باب التوحيد رقم ٢٥ ، ورواه مسلم في باب حنة ٣٤ ، ٣٥ .

فمعنى القدم في الحديث المذكور : إنما هو كما قال تعالى : « أن لهم قدم صدق عند ربهم »^(٢٨).

يريد سالف صدق ، فمعناه الأمة التي تقدم في علمه تعالى أنه يملأ بها جهنم ، ومعنى « رجله » مثل^(٢٩) ذلك ، لأن « الرجل » : الجماعة في اللغة أى يضع فيها الجماعة التي سبق في علمه أنه يملأ جهنم بها .

وكذلك الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله تعالى^(٣٠).

أى بين تدبيرين ونعمتين من تدبير الله عز وجل ونعمه ، إما كفاية تسره ، وإما بلاء يأجره عليه . والإصبع في اللغة : النعمة . وقلب كل أحد بين توفيق الله وجلاله ، وكلاهما حكمة . وأخبر عليه السلام : أن الله تعالى يبدو للمؤمنين يوم القيامة في غير الصورة التي عرفوه^(٣١) عليها^(٣٢) .

وهذا ظاهر بين ، وهو أنهم يرون صورة الحال من الهول ، والخافة غير الذي^(٣٣) كانوا يظنون في الدنيا .

وبرهان صحة هذا القول : قوله عليه السلام في الحديث المذكور غير الذي عرفتموه بها . وبالضرورة نعلم أننا لا نعلم الله عز وجل في الدنيا صورة أصلاً فصيحاً ما ذكرنا^(٣٤) يقيناً . وكذلك القول في الحديث الثابت : « خلق الله آدم على صورته »^(٣٥) فهذه إضافة ملك ، يريد الصورة التي تخيرها الله عز وجل ليكون آدم مصوراً عليها . وكل فاضل في طبقة ، فإنه ينسب إلى الله عز وجل ، ويضاف^(٣٦) إليه . كما نقول بيت الله عز وجل عن الكعبة . والبيوت كلها بيوت الله . ولكن

(٢٨) سورة يونس : ٢ .

(٢٩) في (أ ، ب) : نحو ذلك .

(٣٠) روى مسلم هذا الحديث بسنده عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفه كيف يشاء » . (راجع مسلم ٢٦٥٤ في القدر ، باب تصريح الله تعالى القلوب) وأخرجه الترمذى رقم ٢١٤١ في القدر ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

(٣١) في (أ ، ب) : (عرفوها) .

(٣٢) روى هذا الجزء من الحديث في البخارى ومسلم في حديث طويل فيه : « فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي كانوا يعرفون » مسلم رقم ١٨٢ في الإيمان . باب معرفة طريق الرؤية ، والترمذى في صفة الجنة رقم ٢٥٦٠ .

(٣٣) في (أ ، ب) : (غير التي يظنون) .

(٣٤) في (أ ، ب) : (ما ذكرناه) .

(٣٥) النص : « فإن الله خلق آدم على صورته » كما جاء في مسند أحمد بن حنبل الباب المثلث ٣٤٤ ، ورواه البخارى حد ١١ / ٢ ، ٣ في الاستئذان باب بدء السلام ، وفي الأنبياء باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته ، ومسلم رقم ٢٨٤١ باب يدخل الجنة أقوام وأفئدتهم مثل أفئدة الطير » .

(٣٦) في (أ ، ب) : سقط قوله (ويضاف إليه) .

لا يطلق على شيء منها هذا الاسم ، كما يطلق على المسجد الحرام وكما نقول في جبريل وعيسى عليهما السلام « روح الله » والأرواح كلها لله تعالى ، ملك له ، وكما نقول^(٣٧) في ناقة صالح عليه السلام : « ناقة الله » . والنوق كلها لله تعالى . فعلى هذا المعنى قيل : على صورة الرحمن . والصور كلها لله ، وهى ملك له ، وخلق له ، وقد رأيت لابن فورك ، وغيره من الأشعرية في الكلام في هذا الحديث أنهم قالوا في معنى قوله عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته » إنما هو على صفة الرحمن من الحياة ، والعلم والافتقار ، واجتماع صفات الكمال فيه ، وأسجد له ملائكته كما أسجدهم لنفسه ، وجعل له الأمر والنهى على ذريته كما كان لله ذلك .

قال أبو محمد : هذا نص كلام أبي جعفر السمناني^(٣٨) قاضى الموصل الضرير^(٣٩) عن شيوخه حرفاً حرفاً ، وهذا كفر مجرد لا مزية فيه ، لأنه سوى بين الله عز وجل وبين^(٤٠) آدم في الحياة ، والعلم ، والافتقار ، واجتماع صفات الكمال فيهما والله يقول : « ليس كمثله شيء » . ثم لم يقنعوا بهذا حتى جعلوا سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله تعالى . ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام ، في أن سجودهم لله تعالى سجود عبادة ، ولآدم سجود تحية وإكرام .

ومن قال : إن الملائكة عبدت آدم كما عبدت الله عز وجل فقد أشرك ، ثم زاد في الأمر والنهى لآدم على ذريته كما هو لله عز وجل ، وهذا شرك لا خفاء به . ولو أردنا^(٤١) أن نعرف ما هى صفات الكمال ، التى ذكر هذا الإنسان أنها اجتمعت في آدم كما اجتمعت في الله عز وجل ؟ إن هذا الإلحاد والاستخفاف بالله تعالى ، لا ندري كيف تكلم ، وأنطق لسانه من يعرف أن الله تعالى لم يكن له كفواً أحد .. ؟ والله إن صفات الكمال في الملائكة لأكثر منها في آدم ، وإن صفات الاثنين التى شاركوا فيها آدم عليه السلام كصفات الجن ، ولا فرق بين الحياة والعلم والقوة والتناسل ، وغير ذلك ، فالكل على هذا على صورة الله تعالى .

هذا القول الملعونُ قائله . ونعوذ بالله من الضلال ، وكذلك ما صحَّ عن النبي ﷺ : عن يوم القيامة : « إن الله عز وجل يكشف عن ساق ، فيخرون سجداً »^(٤٢) .

فهو كما قال عز وجل : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود »^(٤٣) .

(٣٧) في (أ ، ب) : « وكالقول » .

(٣٨) في (أ ، ب) : « السمعاني » نالعين ، وقد ترجمنا له في ص .

(٣٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (قاضى الموصل الضرير) .

(٤٠) في (أ ، ب) : سقطت كلمة : (وبين) .

(٤١) في (أ ، ب) : (ولوددنا) .

(٤٢) أخرجه البخارى في تفسير سورة « ن » باب « يوم يكشف عن ساق » . وفي تفسير سورة النساء ، وفي التوحيد ، باب : وجوه يومئذ

ناصرة » ، ورواية مسلم المطولة أخرجهما في صحيحه رقم ١٨٣ في الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية ، وكذلك أحمد في مسنده حـ ٣ :

١٦ ، ١٧ ، وقد ورد في رواية البخارى : « يقول : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة » .

(٤٣) سورة القلم : ٤٢ .

وإنما هذا^(٤٤) إخبار عن شدة الأمر ، وهو^(٤٥) الموقف ، كما يقال : « قد شمّرت الحرب نين ساقها » .

قال جرير^(٤٦):

ألا رَبَّ سامي الطرف من آل مازين إذا شمّرت عن ساقها الحربُ شمرا
والعجب ممن ينكر هذه الأخبار الصحاح ، وإنما جاءت بما جاء به القرآن نصّا ، ولكن
من ضاق علمه أنكر ما لا علم له به ، وقد عاب الله هذا فقال :
« بل كذبوا بما لم يُحيطوا بعلمه ، ولما يأتهم تأويله »^(٤٧).

واختلف الناس في الأمر ، والرحمة ، والعزّة .

فقال قوم : هي صفات ذات لم تزل .

وقال آخرون : لم يزل الله تعالى : هو^(٤٨) الله العزيز ، الحكيم^(٤٩) ، بذاته .

وأما الرحمة ، والأمر : قمخلوقان .

قال أبو محمد : والرجوع عند الاختلاف إنما هو إلى القرآن ، وكلام الرسول ﷺ . قال
تعالى : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ »^(٥٠).

ففعلنا فوجدنا الله تعالى يقول : « وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا »^(٥١).

والمفعول مخلوق بلا شك^(٥٢).

وقال الله عز وجل : « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ »^(٥٣).

(٤٤) في (أ) : (هو) بدلاً من (هذا) .

(٤٥) في (أ) : (هو) بدلاً من (هو) وهو تحريف .

(٤٦) جرير : هو ابن عطية بن حذيفة من بني كليب بن يربوع ، مات بالجماعة وعمره نيفاً وثمانين سنة ، وكنية : أبو حرة ، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين ، ويشبه من شعراء الحاهلية الأعشى ، كان من أشد الناس هجاء . وهذا البيت من قصيدة مدح بها هلال بن أحوز المازني ، واعتخر بأبناء اسماعيل ، وهجا القرزوقي ، وقد ورد هذا البيت محرفاً في النسخ المطبوعة راجع الديوان : ص ٤٦٩ - تحقيق د / نعمان محمد طه - دار المعارف بمصر .

(٤٧) سورة يونس : ٣٩ .

(٤٨) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (هو) .

(٤٩) وفي (خ) : لم يذكر (الحكيم) .

(٥٠) سورة النساء : ٥٩ .

(٥١) سورة النساء : ٤٧ .

(٥٢) في (أ ، ب) : (بلا خلاف) .

(٥٣) سورة يوسف : ٢١ .

وبلا شك في أن المغلوب عليه مخلوق ، وأنه غير الغالب عليه .
وقال تعالى : « لا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا »^(٥٤) .
وهذا بيان جلي ، لا إشكال فيه على أن الأمر محدث .
وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاء »^(٥٥) .
فصح بيقين أن أمر الله تعالى محدث مخلوق .
فقلت الأشعرية : لم يزل الله تعالى آمراً لكل من أمره بما يأمره به إذا وُجد .

قال أبو محمد : وهذا باطل متيقن ، لأنه لو كان ذلك كذلك لكان الله عز وجل لم يزل آمراً لنا بالصلاة إلى بيت المقدس ، لم يزل آمراً لنا بالأصلي إلى بيت المقدس لكن إلى الكعبة ، فيكون آمراً بالفعل للشئ والترك له معاً . وهذا تخليط جل عنه الله .
وأيضاً : فإنه يلزمهم في نهى الله تعالى عما نهى عنه : أنه لم يزل ، لأنه لا فرق بين أمره تعالى وبين نهيه .

فإن قالوا : بل نهيه محدث ، وأمره قديم .
قلنا لهم : ما قولكم فيما انعكس عليكم .
فقال : بل نهيه لم يزل ، وأما أمره فمحدث .
وكلا القولين تخليط .

وأيضاً : فإنهم مُقَرُّون بأن القديم لا يتغير ولا يبطل ، وقد صحَّ أمره لنا بالصلاة إلى بيت المقدس ، ثم قد بطل الأمر بذلك ، وعدم وانقطع ، فلو كان أمره تعالى لم يزل لوجب ألا يبطل ولا يعدم ، وهذا كفر مجرد ممن أجازوه .
وإن قالوا : إن أمره تعالى لنا بالصلاة إلى بيت المقدس باق أبداً لم يسقط ولا نسخ ، ولا يبطل ، ولا أحاله بأمر آخر - كفروا بلا خلاف .

(٥٤) سورة الطلاق : ١ .

(٥٥) في (أ ، ب) : « ما شاء » . ورواه البخاري في باب (توحيد) : ٤٣ ، والسنائي في باب (سهو) : ٢٠ .

والذى يدخل على هذا القول الفاسد أكثر من هذا ، قوله^(٥٦) تعالى : « قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي »^(٥٧).

فلو كان الأمر غير مخلوق ، ولم يزل لكان الروح كذلك لأنه منه ، ومعاذ الله من هذا ، ولا خلاف بين المسلمين في أن أرواحهم مخلوقة ، وكيف لا يكون كذلك وهى معذبة في النار ، أو منعمة في الجنة . وقال تعالى : « يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ، لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا »^(٥٨).

وصحَّ عن رسول الله ﷺ : « سُبُوح ، قُدُّوسٌ ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ »^(٥٩) .

قال أبو محمد : والمربوب مخلوق ، بلا شك ، فإن اعترض معترض بقول الله عز وجل : « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ »^(٦٠) .

ورام بهذا إثبات أن الخلق غير الأمر ، فلا حجة له في هذا لأن الله عز وجل قال : « يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ »^(٦١) .

فقد فرق الله تعالى في هذه الآية بين الخلق والتسوية ، والتعديل والتصوير ولا خلاف في أن كل ذلك خلق الله عز وجل ، مخلوق^(٦٢) .

وقال تعالى : « خَلَقَكُمْ ، ثُمَّ رَزَقَكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ »^(٦٣) .

فعطف تعالى الرزق ، والإماتة ، والإحياء على الخلق بلفظة « ثم » . فلو كان عطف الأمر على الخلق دليلاً على أن الأمر غير الخلق لوجب ولابد أن يكون الرزق ، والإماتة ، والإحياء ، والتصوير ، كلها غير الخلق ، وغير مخلوقات ، وهذا لا يقوله مسلم ، فبطل استدلالهم على أن الأمر غير مخلوق لعطفه على الخلق . وقد عطف تعالى : جبريل على الملائكة ، فليس العطف على الشيء مخرجاً له عنه إذا قام برهان على أنه داخل فيه . وقد قام برهان النص بأن أمر الله تعالى مخلوق ، وأنه قدر مقدور ، مفعول .

(٥٦) في الأصل « وقال تعالى » .

(٥٧) الاسراء : ٨٥ .

(٥٨) سورة النبأ : ٣٨ .

(٥٩) رواه أبو داود في الصلاة : ١٤٧ ، والنسائي في التلطية ١١ ، وأحمد بن حنبل في مسنده ح ٦ / ٥٣ ، ٩٤ .

(٦٠) سورة الأعراف : ٥٤ .

(٦١) سورة الانفطار : ٨ .

(٦٢) في (أ) : « خلق مخلوق » .

(٦٣) سورة الروم : ٤٠ .

وأما إذا لم يأت برهان يدخل المعطوف في المعطوف عليه فهو غيره بلا شك - هذا حكم اللغة وبالله تعالى التوفيق^(٦٤).

وأما العِزَّة فقد قال الله تعالى : « سبحان ربِّ العِزَّة عَمَّا يَصِفُونَ »^(٦٥) .

قال أبو محمد : والمربوب مخلوق بلا شك ، وليس قوله تعالى : « فَلِلَّهِ العِزَّة جَمِيعًا »^(٦٦) .

بموجب أنَّ العِزَّة لم تزل ، لأنه تعالى قال : « فَلِلَّهِ المَكْرُ جَمِيعًا »^(٦٧) .

وقال تعالى : « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا »^(٦٨) .

وليس هذان النصَّان بلا خلاف موجبين أنَّ الشفاعة غير مخلوقة^(٦٩) ، إلَّا أن هاهنا عِزَّة ليس غير الله تعالى ، فهي غير مخلوقة ، وهي التي صحَّ عن النبي ﷺ : أنَّ جبريل عليه السلام حلف بها فقال : « وعزتك » في حديث خلق الجنة والنَّار^(٧٠) .

قال أبو محمد : ومن الباطل أن يحلف جبريل بغير الله عزَّ وجل .

وأما الرحمة : فقد قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خلق مائة رحمة ، فقسم في عباده رحمة واحدة فيها يتراحمون ، ورفع التسع والتسعين ليوم القيامة يرحم بها عباده »^(٧١) أو كما قال عليه السلام .

وهذا رفع للإشكال جملة ، في أنَّ الرحمة مخلوقة ، ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن إدخال الله تعالى^(٧٢) الجنة من أدخله فيها برحمته ، وأن بعثه^(٧٣) محمدًا ﷺ رحمة لمن آمن به ، وكل ذلك مخلوق بلا شك .

(٦٤) في (خ) : سقط الكلام من قوله : « وأما إذا لم يأت برهان إلى قوله : التوفيق » .

(٦٥) سورة الصافات : ١٨٠ .

(٦٦) سورة فاطر : ١٠ .

(٦٧) سورة الرعد : ٤٢ .

(٦٨) سورة الزمر : ٤٤ .

(٦٩) في (أ) : غير مخلوق .

(٧٠) رواه أبو داود في باب السعة : ٢٥ باب خلق الجنة والنار ، ونصه عن أبي هريرة أن رسول الله قال : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلَّا أدخلها ثم حلفها بالمكارة ، ثم قال يا جبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب إليها ثم جاء فقال : أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد . (سنن أبي داود : ٥ / ٢٥) .

(٧١) وقد روى هذا الحديث عدة روايات ، وأقرب هذه الرواية ما رواه مسلم ونصه : « إنَّ الله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخز الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة » رواه البخاري ١٠ / ٣٦٢ في باب الأدب ، وفي الرقاق : باب الرجاء مع الخوف ومسلم رقم ٢٧٥٢ في التوبة - باب سعة رحمة الله تعالى ، والترمذي رقم ٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦ في الدعوات .

(٧٢) في (أ) : « عز وجل » .

(٧٣) في (أ) : « بعثه » .

وأما القدرة ، والقوة . فقد قال عز وجل : « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً »^(٧٤) .

وحدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمزاني ، حدثنا إبراهيم بن أحمد البلخي ، حدثنا الفربري^(٧٥) ، حدثنا محمد^(٧٦) بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم^(٧٧) بن المنذر حدثنا معن^(٧٨) بن عيسى ، حدثنا عبد الرحمن^(٧٩) بن أبي الموالي . سمعت محمد بن المنكدر^(٨٠) ، يحدث عبد الله بن الحسن^(٨١) ، قال : أخبرني جابر^(٨٢) بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ ، يعلم أصحابه الاستخارة ، فذكر الحديث وفيه : « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك »^(٨٣) .

قال أبو محمد : والقول في القدرة ، والقوة ، كالقول في العلم سواء بسواء في اختلاف الناس على تلك الأقوال ، وتلك الحجج ولا فرق ، وقولنا في هذا هو ما قلناه هنالك من أن القدرة ،

(٧٤) سورة فصلت : ١٥ .

(٧٥) الفربري : هو محمد بن يوسف راوية صحيح البخاري ، قال النووي : روينا عن الفربري أنه قال : سمع الصحيح من البخاري سبعون ألف رجل فما بقي أحد يرويه غيره ، ونسبته إلى فربر بكسر الفاء وسكون الباء : قرية ببخاري . (ميزان الاعتدال) . وله سنة ٢٣١ . وتوفي سنة ٣٢٠ هـ .

(٧٦) راجع ص

(٧٧) هو : إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام بن حويلد بن أسد الأسدي الخزاعي ، قال عثمان الدرامي : رأيت ابن معين كتب عن إبراهيم بن المنذر أحاديث ظلتها المغازي . وقال بعض : هو أعرف بالحديث من إبراهيم بن حمزة إلا أنه خلط في القرآن ، فلم يرد عليه أحمد السلام . قال الخطيب : أما المناكير فقلما توجد في حديثه إلا أن يكون عن مجهولين . ومع هذا فإن يحيى بن معين وغيره من الحفاظ كانوا يرضونه ويوثقونه . قال يعقوب بن سفيان : مات سنة ٢٣٦ هـ في الحرم . صدر من الحج فمات في المدينة وقال بعض : مات سنة ٢٣٥ هـ . (تهذيب التهذيب : لابن حجر . طبع مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ص ١٦٦) .

(٧٨) معن بن عيسى : هو معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي مولاهم القزاز المدني روى عن مالك وإبراهيم بن طحان ، وعنه ابنه معين ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وخلق قال أبو حاتم : أثبت أصحاب مالك وأوثقهم : معن بن عيسى . وقال ابن سعيد : كان ثقة كثير الحديث ثبتا مأمونا . (طبقات الحفاظ : للسيوطي ص ٢٠٤) . مات بالمدينة سنة ١٩٨ هـ .

(٧٩) عبد الرحمن بن أبي الموالي . هو : زيد ، وقيل : عبد الرحمن بن زيد بن أبي موالي أبو محمد مولى آل علي روى عن محمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن المنكدر الزهري ، وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري وفائد مولى عبادل ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي بن الحسين ، وأبي جعفر الباقر - وعنه : الثوري وهو من أقرانه ، وخالد بن مخلد وعبد العزيز بن عبد الله الأوسي ، ويحيى بن حسان ، ومطرف بن عبد الله . قال أبو طالب عن أحمد كان يروي حديثا متكررا عن ابن المنكدر عن جابر في الاستخارة ، ليس أحد يرويه غيره . (تهذيب التهذيب : ٦ / ٢٨٢) .

(٨٠) محمد بن المنكدر : هو : محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهذير (بالتصغير) بن عبد العزى القرشي التيمي (من بني تيم بن مرة) المدني ، راهد من رجال الحديث ، من أهل المدينة ، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم . له نحو مائتي حديث . قال ابن عيينه : ابن المنكدر من معادن الصدق قيل توفي سنة ١٣٠ هـ وقيل سنة ١٣١ هـ . (الأعلام ٧٠ / ٣٣٣) .

(٨١) عبد الله بن الحسن : هو ابن الحسن بن علي أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو محمد ، تابعي من أهل المدينة ، قال الطبري : كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف ، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز ، ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبين على السفاح وهو بالأندلس فأعطاه ألف ألف درهم ، وعاد إلى المدينة ، ثم حبسه بها المنصور عدة سنوات ، من أجل إبنه محمد وإبراهيم ، ونقله إلى الكوفة ، فمات سجينا فيها ، كما حققه الخطيب البغدادي سنة ١٤٥ هـ . (الأعلام ٤٠ / ٢٠٧) .

(٨٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي : صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ . وروى عنه جماعة من الصحابة ، له ولأبيه صحبة غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي ، يؤخذ عنه العلم روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثا . توفي سنة ٧٨ هـ . (الأعلام ٢ / ٩٢) .

(٨٣) روى هذا الحديث في سنن ابن ماجه ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة رقم ١٨٨ ، ورقم الحديث ١٢٨٣ وقد رواه الترمذي أيضا في باب الوتر : ١٨ ، والبخاري في التهجد : ٣٥ ، والدعوات : ٤٩ والتوحيد : ١٠ .

والقوة حق لله تعالى ، وليستا غير الله تعالى ، ولا يقال هما الله تعالى . وقال تعالى : « كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ^(٨٤) » وقال تعالى : « وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^(٨٥) » .

فنفس الله تعالى إخباره عنه لا عن شيء غيره أصلاً ، فإن ذكر ذاكر قول الله عز وجل ، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه يقول لربه تعالى : « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ^(٨٦) » قلنا هذا على ظاهره ، وعلى الحقيقة لأن كل غيب فهو معلوم في علم الله تعالى العليم بكل شيء فجرى الكلام على ما يتخاطب به الناس مما لا يتوصلون إلى العبارة عما يريدون إلا به ، وهذا معهود من القول ، أن يقول القائل نفس الشيء وحقيقته يراد بذلك الشيء لا ما سواه ، وكذلك القول في الذات ولا فرق ، فقوله عليه السلام : « وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ » . إنما معناه بلا شك : ولا أعلم ما عندك ، وما في علمك . وصح عن رسول الله ﷺ : أنه أخبر أن الله تعالى ينزل في كل ليلة إذا بقي ثلث الليل إلى السماء الدنيا^(٨٧) .

قال أبو محمد : وهذا إنما هو فعل يفعله الله عز وجل في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء ، وأن تلك الساعة من مظان القبول والإجابة ، والمغفرة للمستغفرين ، والتائبين ، وهذا معهود في اللغة . تقول نزل^(٨٨) فلان عن حقه بمعنى وهبه لي وتطول به على . ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علق التنزل المذكور بوقت محدود فصح أنه فعل محدث في ذلك الوقت ، مفعول حينئذ . وقد علمنا أن ما لم ينزل^(٨٩) فليس متعلقاً بزمان ألينة . وقد بين رسول الله ﷺ في بعض ألفاظ الحديث المذكور - ما ذلك الفعل المذكور - وهو أنه ذكر عليه السلام : أن الله عز وجل يأمر ملكاً ينادي في ذلك الوقت بذلك . وأيضاً فإن ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغرب ، يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه ، فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى في ذلك لأهل كل أفق .

وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله ، في إبطال القول بالجسم بعون الله وتأييده . ولو انتقل تعالى لكان محدوداً ، مخلوقاً ، مؤلفاً ، شاغلاً لمكان ، وهذه صفة المخلوقين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٨٤) سورة الأنعام : ١٢ .

(٨٥) سورة آل عمران : ٢٨ .

(٨٦) المائدة : ١١٦ .

(٨٧) وقد روى هذا الحديث بروايات متعددة ، وأقرب الروايات إلى ما رواه ابن حرم هي رواية مسلم : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول من يدعوني فأستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له . ٢٤ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، والإجابة فيه ، ورقم الحديث ٧٥٨ ورواه أيضاً البخاري في التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، وأخرجه ابن ماجه باب : ما جاء في أي ساعات الليل أفضل .

(٨٨) في (خ) : « تنزل » .

(٨٩) في (أ ، ب) : (ما لم يزل) وهو تحريف .

وقد حمد الله عز وجل لإبراهيم^(٩٠) خليله ، ورسوله ، وعبدته ﷺ ، إذ بين لقومه بنقلة القمر أنه ليس رباً . قال تعالى : « فلماً أفَلَّ قال : لا أُحِبُّ الآفلين^(٩١) » .

وكل منتقل عن مكان فهو آفل عنه . تعالى الله عن هذا . وكذلك القول في قوله تعالى : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^(٩٢) » .

وقوله تعالى : « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ^(٩٣) » .

فهذا كله على ما بينا من أن المجيء والإتيان ، يوم القيامة فعل يفعله الله عز وجل في ذلك اليوم ، يسمَّى ذلك الفعل مجيئاً وإتياناً ، وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : « وَجَاءَ رَبُّكَ » إنما معناه : وجاء أمر ربك .

قال أبو محمد : لا تعقل الصفة^(٩٤) والصفات في اللغة التي بها نزل القرآن وفي سائر اللغات ، وفي وجود العقل ، وضرورة الحس ، إلا أعراضاً محمولة في الموصوف^(٩٥) بها ، فإذا جَوَّزوها غير أعراض بخلاف المعهود فقد تحكَّموا بلا دليل إذ إنما صاروا^(٩٦) إلى مثل هذا فيما ورد به النص ، ولم يرد قط نصٌ بلفظ الصفات ، ولا بلفظ الصفة ، فمن المحال أن يؤتى بلفظ لا نصٌ فيه يعبر به عن خلاف المعهود . وقال تعالى : « لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وهو العزيز الحكيم^(٩٧) » .

ثم قال تعالى : « فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٩٨) » . فلو ذكروا الأمثال مكان الصفات لذكر الله تعالى لفظة المثل لكان أولى . ثم قد بين الله تعالى غاية البيان بأن قال : « فلا تضربوا لله الأمثال » .

وقد أخبر تعالى : بأن له المثل الأعلى ، فصَحَّ ضرورة أنه لا يضرب له مثل إلا ما أخبر به تعالى فقط ، ولا يحل أن يزداد على ذلك شيء أصلاً . وبالله تعالى التوفيق .

(٩٠) في (أ) : « إبراهيم » .

(٩١) سورة الأنعام : ٧٦ .

(٩٢) سورة الفجر : ٢٢ .

(٩٣) سورة النقرة : ٢١٠ .

(٩٤) في (خ) : لم تذكر كلمة (الصفة) .

(٩٥) في (أ ، ب) : في الموصوفين .

(٩٦) في (أ ، ب) : « يصار » .

(٩٧) سورة النحل : ٦٠ .

(٩٨) سورة النحل : ٧٤ .

« الكلام فى الماهية^(١) »

قال أبو محمد : ذهبت طوائف من المعتزلة إلى أن الله تعالى لا ماهية له وذهب أهل السنة ، وضرار بن عمرو إلى أن الله تعالى ماهية قال ضرار : لا يعلمها غيره .

قال أبو محمد : والذى نقول به . وبالله تعالى التوفيق : أن له تعالى ماهية ، وهى أُنَيْتُهُ نفسها ، وأنه لا جواب لمن سأل : ما هو البارى .. ؟

إلا ما أجاب به موسى عليه السلام إذ سأل فرعون : وما ربُّ العالمين ؟

ونقول : إنه لا جواب هاهنا إلا فى علم الله تعالى ، ولا عندنا إلا ما أجاب به موسى عليه السلام لأنَّ الله تعالى حمد ذلك منه ، وصدَّقه^(٢) فيه . ولو لم يكن جوابًا صحيحًا تامًا لا نقص فيه لما حمده الله .

واحتجَّ من أنكر الماهية بأن قال : لا تخلو الماهية من أن تكون هى الله عزَّ وجل ، أو تكون غيره ، فإن كانت غيره ، والماهية لم تنزل ، فلم يزل مع الله تعالى غيره ، وهذا كفر^(٣) .

وإن كانت هى^(٤) هو ، وكنا لا نعلمها ، فقد صرنا لا نعلم الله عزَّ وجل ، وهذا إقرار بأننا نجهله ، والجهل بالله تعالى كفر به .

(١) فى (أ) : « المائية » بالهمزة وهو تحريف شنيع ، ومن العجب أن هذا التحريف تكرر فى هذا الفصل كثيرًا .

(٢) فى (خ ، ب) : « صدَّق فيه » .

(٣) فى (أ ، ب) : « شرك وكفر » .

(٤) فى (أ ، ب) : « هو وهى » .

وقالوا : لو أمكن أن تكون له ماهية لكانت له كيفية .

قال أبو محمد : وهذا من جهلهم بحدود الكلام ، ومواقع الأسماء على المسميات . وماهية^(٥) الشيء إنما هي الجواب في سؤال السائل بما هو . وهذا سؤال عن حقيقة الشيء وذاته ، فمن أبطل الماهية فقد أبطل حقيقة الشيء المسئول عنه بما هو ؟ لكن أول مراتب الإثبات فيما بيننا هي الأنية ، وهي إثبات وجود الشيء فقط ، وهذا أمر قد علمناه وأحطنا به ، ولا يتبع العلم بذلك فيعلم بعضه ، ويجهل بعضه بل^(٦) يتلو الأنية ، التي هي جواب السائل بهل فيما بيننا^(٧) السؤال بما هو .. ؟ .

وأما الباري عز وجل فالسؤال عنه بما هو .. ؟ هو السؤال بهل ، وهو والجواب في كليهما واحد . فنقول : هو حق واحد ، أحد^(٨) ، أول ، لا يشبهه شيء من خلقه . وإنما اختلفت الأنية ، والماهية في غير الله تعالى لاختلاف الأعراض في المسئول عنه ، وليس الله تعالى كذلك ، ولا هو حامل أعراضاً أصلاً . هاهنا نقف ، ولا نعلم أكثر ، ولا هاهنا أيضاً شيء غير هذا إلا ما علمنا ربنا تعالى من سائر أسمائه ، كالعليم والقدير ، والمؤمن ، والمهيمن ، وسائر أسمائه . وقد أخبر تعالى على لسان نبيه ﷺ : « أن له تسعة وتسعين اسماً ، مائة غير واحد^(٩) » .

وقال تعالى : « وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا^(١٠) » .

قال أبو محمد : وهذا كلام صحيح على ظاهره ، إذ كل ما أحاط به العلم فهو متناه محدود وهذا منفي عن الله عز وجل ، وواجب في غيره لوقوع العدد المحاط به في أعراض كل ما دونه تعالى ، ولا يحاط بما لا حدود له ، ولا عدد له ، فصحح يقيناً أننا نعلم الله عز وجل حقاً ، ولا نحيط به علماً ، كما قال تعالى .

قال أبو محمد : فالأنية في الله تعالى هي الماهية التي أنكرها أهل الجهل بحقائق القرآن^(١١) والسنن . نحمد الله عز وجل على ما من به علينا من تيسيرنا لاتباع كلامه^(١٢) ، وتدبره وطلب سنن نبينا محمد ﷺ والوقوف عندهما ، ومعرفتنا بأن العقل لا يحكم به على خالقه ، لكن نفهم به أوامره تعالى ، نميز به حقائق ما خلق فقط ، وما توفيقنا إلا بالله .

(٥) في (أ ، ب) : « إد ماهية » .

(٦) في (أ) : « ثم » بدلا من (بل) .

(٧) في (أ) : « بيننا » .

(٨) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (أحد) .

(٩) ورد هذا الحديث في البخاري في باب التوحيد : ١٢ ، وفي الدعوات : ٦٩ . وجاء في مسلم في باب الذكر : ٥ ، ٦ وجاء في الترمذي

في باب الدعوات : ٨٣ ، وفي ابن ماجه في الدعاء : ١٠

(١٠) سورة طه : ١١٠ .

(١١) في (أ ، ب) : « محتق الأمور وبالقرآن » .

(١٢) في (أ ، ب) : (كتابه) .

وأما قولهم : لو كانت له ماهية لكانت له كيفية ، فكلام قوم جهالٍ بالحقائق ، وقد بينا وبان لكل ذى عقل أنَّ السؤال بما هو الشيء ؟ غير السؤال بكيف هو الشيء ؟ وأنَّ المسئول عنه بأحدى اللفظتين المذكورتين ، غير المسئول عنه بالأخرى . وأنَّ الجواب عن إحداهما غير الجواب عن الأخرى .

وبيان ذلك : أنَّ السؤال بما هو الشيء^(١٣) .. ؟ إنما هو سؤال عن ذاته واسمه . وأنَّ السؤال بكيف .. ؟ إنما هو سؤال عن حاله وأعراضه . وهذا لا يجوز أن يوصف به البارئ تعالى ، فلاح الفرق ظاهراً . وبالله تعالى التوفيق .

* * *

(١٣) فى (أ ، ب) لم يذكر كلمة (الشيء) .

« الكلام في السُّخْطِ ، والرِّضَا ، وَالْعَدْلِ ، والصِّدْقِ ، والمُلْكِ
والخَلْقِ

والجُودِ ، والإِرَادَةِ ، والسَّخَاءِ ، والكَرَمِ ، وما يُخْبِرُ عَنْهُ تعالى
بالْقُدْرَةِ عليه ، وكيفَ يَصَحُّ السُّؤَالُ في ذلك كُلِّهِ .. ؟

قال أبو محمد : نقول : لم يزل الله تعالى عالماً بأنه سيسخط على الكفار ، وسيرضى
على المؤمنين ، وسيعذب بالنَّار من عصاه ، وسينعم بالجنة من أطاعه ، وسيعدل إذا حكم ،
وسيصدق إذا أخطأ ، ولم يزل عالماً بأنه سيخلق ما يخلق ، وأنه رب ما يخلق من العالمين ، ومالك
كل شيء ، ويوم الدين ، وأن له ملك كل ما يخلق ، لأن كل ما ذكرنا يقتضى وجود كل ما علق
به ، وكل ما علق به محدث لم يكن ثم كان . ولم يزل تعالى عليمًا بكل ذلك ، وأنه سيكون كل
ما يكون على ما هو كائن عليه إذا كونه . وأما الإرادة فقد أثبتها قوم من صفات الذات وقالوا : لم
تزل الإرادة ، ولم يزل الله تعالى .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لبرهانيين ضروريين .

أحدهما : أن الله تعالى لم ينص على أنه مريد ، ولا على أن له إرادة ، وقد قدّمنا البرهان
فيما سلف من كتابنا هذا^(١) ، على أنه لا يجوز أن يشتق لله تعالى أسماء ولا صفات ، وأوردنا

(١) في (أ ، ب) : لم يذكر كلمة (هذا) .

من ذلك ، أنه لا يقال : إنه تعالى متبارك ، ويقال : تبارك الله ، ولا يقال إنه مستهزئ ، ويقال : « الله يستهزئ بهم » . ولا أنه عاقل وكذلك لا يجوز أن يقال : إنه تعالى باق ، ولا دائم ، ولا ثابت ، ولا سخي ، ولا جواد لأنه تعالى لم يُسمَّ به نفسه ، لكن يقال : المتعالي ، كما قال تعالى ويقال^(٢) : هو الكريم الغني ، ولا يقال : الموسر ، ويقال : هو القوى ، ولا يقال : الجلد ، ويقال : لم يزل ، ولا يزال^(٣) ، هو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، ولا يقال هو : الخفي ، ولا الغائب ، ولا البارز ، ولا المشتهر . ويقال : هو الغالب على أمره ، ولا يقال هو الظافر . والمعنى في كل ما ذكرنا من اللغة واحد ، فمن أطلق عليه تعالى بعض هذه الصفات والأسماء ، ومنع من بعضها فقد أُلحِد في أسمائه عز وجل ، وأقدم إقداماً عظيماً . نعوذ بالله من ذلك .

وأيضاً : فإن الإرادة من الله تعالى لو كانت لم تزل ، لكان المراد : لم يزل بنص القرآن ؛ لأن الله عز وجل قال : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٤) » .

فأخبر تعالى : أنه إذا أراد الشيء كان ، وأجمع المسلمون على تصويب قول من قال : ما شاء الله كان . والمشية هي الإرادة ، فصح بما ذكرنا صحة لا شك فيها ، أن الواجب أن يقال : أراد الله كما قال تعالى : « إذا أراد شيئاً » .

ونقول : إنه تعالى : يريد ما أراد ، ولا يريد ما لم يرد . كما قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر^(٥) » .

وقال تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ^(٦) » .

« وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له^(٧) » .

وقال تعالى : « فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا^(٨) » .

فنحن نقول كما قال الله تعالى : أراد ، ويريد ، ولم يرد ، ولا يريد . ولا نقول : إن له تعالى إرادة ، ولا أنه يريد ، لأنه لم يأت نص من الله تعالى بذلك ، ولا من رسوله ﷺ . ولا جاء ذلك

(٢) في (خ) : سقطت كلمة (ويقال) .

(٣) في (أ) : (ولا زال) .

(٤) سورة يس : ٨٢ .

(٥) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٦) سورة المائدة : ٤١ .

(٧) سورة الرعد : ١١ .

(٨) سورة الأنعام : ١٢٥ .

قط من أحد من السلف الصالح^(٩) رضى الله عنهم . وإنما أطلق هذا الإطلاق الفاحش قوم من الخولاف المسمين بالمتكلمين . الخوف عليهم أشد^(١٠) من رجاء السلامة لهم ، لا قدم صدق لهم في الإسلام ، ولا في الورع ، ولا في الاجتهاد في الخير ، ولا في العلم بالقرآن ، ولا بسنن رسول الله ﷺ ، ولا بما أجمع المسلمون عليه ، ولا بما اختلفوا فيه ، ولا بأقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، ولا بحدود الكلام ، ولا خفائى ماهيات المخلوقات ، وكيفياتها ، فهم يتبعون ما تراءى لهم ، ويقتحمون المهالك بلا هدى من الله عز وجل . ونعوذ بالله من ذلك ، وقد قال تعالى : « وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ^(١١) » .

فنص تعالى على أن من لم يردَّ ما اختلف فيه إلى كتابه ، وإلى كلام رسوله ، ﷺ ، وإلى إجماع العلماء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ، ولا من سلك سبيلهم بعدهم ، فلم يعلم ما استنبطه بظنه ورأيه ، وليس ننكر الحاجة على القصد إلى تبين الحق وتبينه ، بل هذا هو العمل الفاضل الحسن وإنما ننكر الإقدام فى الدين بغير برهان من قرآن أو سنة ، أو إجماع ، بعد أن أوجبه برهان الحس ، وأول بديهية العقل ، والنتائج الثابتة من مقدماته الصحيحة ، من صحة التوحيد ، والنبوة . فإذا ثبت^(١٢) ما ذكرنا ، فضرورة العقل توجب الوقوف عند جميع ما قاله لنا الرسول الذى بعثه الله تعالى إلينا ، وأمرنا بطاعته ، وألا يعترض عليه بالظنون الكاذبة ، والآراء الفاسدة ، والقياسات^(١٣) السخيفة ، والتقليد المهلك .

فإن قال قائل : وما الذى يمنع من أن نقول : لم يزل الله مريدًا لما أراد كونه إذا كونه . ؟ قلنا وبالله تعالى التوفيق : يمنع من ذلك أن الله عز وجل أخبر نصًّا : بأنه إذا أراد شيئًا كونه فكان ، فلو كان تعالى لم يزل مريدًا ، لكان لم يزل ما يريد وهذا إلحاد . ويقال لهم أيضًا : ما الفرق بينكم وبين من عكس قولكم ، فقال : لم يزل الله تعالى غير مريد لأن يخلق حتى خلق ، وهذا لا انفكاك منه .

(٩) وى (أ ، ب) . لم يذكر كلمة (الصالح) .
(١٠) وى (أ ، ب) . أقوى (بدلًا من) أشد .
(١١) سورة النساء ٨٣ .
(١٢) وى (أ ، ب) : (ثنا بما ذكرنا) .
(١٣) وى (ح) : سقطت كلمة (والقياسات) .

قال أبو محمد : ولو أن قائلًا يقول إن الخلق هو المراد كونه من الله تعالى فهو مراد الله تعالى ، وهو الإرادة نفسها ، وأنه لا إرادة له إلا ما خلق لما أنكرنا ذلك وإنما ننكر قول من يجعل الإرادة صفة ذات لم تزل ، لأنه يصف الله تعالى بما لم يصف الله تعالى به نفسه ، وقول من يجعلها صفة فعل ، وأنها غير الخلق لأنه يلزمه أن تلك الإرادة إمّا مرادة مخلوقة ، وإما غير مرادة ، ولا مخلوقة .

فإن قال : هي مرادة مخلوقة .

قيل له : أهي مرادة بإرادة هي غيرها ، ومخلوقة بخلق هو غيرها .. ؟ أم لا بإرادة ولا بخلق .. ؟

فإن قال قائل^(١٤) : هي مراده لا^(١٥) بإرادة ، وأتى بالمحال الذي يبطله العقل ، ولم يأت به نصٌّ . فيلزمه الوقوف عنده ، وكذلك قوله : مخلوقة بغير خلق .

وإن قال : هي مرادة بإرادة هي غيرها ، ومخلوقة بخلق هو غيرها ، لزمه في إرادة الإرادة ، وخلق خلقها ما ألزمناه في الإرادة وفي خلقها وهكذا^(١٦) أبدًا . وهذا يوجب وجود محدثات لا نهاية لعددها أبدًا^(١٧) ، وهذا هو قول الدهرية الذي أبطله الله تعالى بضرورة العقل ، والنص على ما بينا في صدر كتابنا^(١٨) هذا ، وبالله تعالى التوفيق .

وإن قال قائل^(١٩) : إن الإرادة ليست مرادة ، ولا مخلوقة أتى بقول يبطله ضرورة^(٢٠) العقل لأن القول بإرادة غير مرادة محال ، غير موجود ، ولا يعقل^(٢١) ولا يحسُّ فيما بيننا ، ولا بدليل فيما غاب عنهم^(٢٢) . فهو قول مجرد^(٢٣) الدعوى ، فهو باطل ضرورة . وكذلك يلزمه إن قال : إنها محدثة غير مخلوقة ما يلزم من قال : إن العالم محدث لا مُحدث له ، وقد تقدّم بطلان هذا القول بالبراهين الضرورية . وبالله تعالى التوفيق .

وأما تسمية الله عز وجل جوادًا ، أو سخيا^(٢٤) ، أو وصفه^(٢٥) تعالى : بأن له جودًا ،

(١٤) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (قائل) .

(١٥) في (أ ، ب) : « هي مرادة بلا إرادة » .

(١٦) في (خ) : سقطت كلمة (وهكذا) .

(١٧) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (أبداً) .

(١٨) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (هذا) .

(١٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (قائل) .

(٢٠) في (خ) : سقطت كلمة (ضرورة) .

(٢١) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (يعقل) .

(٢٢) في (أ ، ب) : (عنا) .

(٢٣) في (أ ، ب) : (مجرد) .

(٢٤) في (أ ، ب) : حوادا سخيا بغير (أو) .

(٢٥) في (أ ، ب) : (صفته) .

وسخاء ، فلا يحل ذلك ألبتة . ولو أن المعتزلة المقدمين على تسمية ربه : جوادًا ، وأن له^(٢٦) جودًا - يكون لهم علم بلغة العرب ، أو بحقيقة^(٢٧) الأسماء ، ووقوعها على المسميات ، أو بمعاني الأسماء ، الصفات - ما أقدموا على هذه العظيمة ، ولا وقعوا في الاقتداء^(٢٨) بالكفار القائلين : إن علة خلق الله تعالى لما خلق إنما هي جوده حتى أوقعهم ذلك في القول بأن العالم لم يزل ، ولكن المعتزلة قوم^(٢٩) معذورون بالجهالة^(٣٠) عذرًا يبعدهم عن الكفر ، ولا يخرجهم عن الإيمان لا عذرًا يسقط عنهم الملامة لأن التعليم^(٣١) لهم معروض ممكن ، ولكن لا هادى لمن أضل الله عز وجل . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : والمانع لهم^(٣٢) من ذلك وجهان :

أحدهما : أنه تعالى لم يسم بذلك نفسه ولا وصف به نفسه ، ولا يحل لأحد أن يتعدى حدود الله تعالى ، لا سيما فيما لا دليل فيه إلا النص فقط .

والوجه الثانى : أن الجود ، والسخاء ، في لغة العرب التى بها خاطبنا الله تعالى ، وبها نتفاهم مرادنا إنما هما لفظان واقعان على بذل الفضل عن الحاجة ، لا يعبر بلفظ الجود والسخاء إلا عن هذا المعنى ، وهذا المعنى مبعد عن الله عز وجل ، لأنه تعالى لا يحتاج إلى شيء فيكون له فضل يبذله ، فيسمى ببذله له سخيا ، وجوادا ، ويوصف من أجل ذلك^(٣٣) بجود وسخاء . أو يكون بمنعه بخيلا ، أو شحيحا ، أو موصوفاً ببخل أو بشح .

قال أبو محمد : ولا يختلف اثنان^(٣٤) من كل من في العالم في أن أمراً له ماءً عذبٌ حاضرٌ كثير^(٣٥) ، لا يحتاج إليه ، وطعام عظيم فاضل به إليه ، ورأى رجلاً من عرض الناس ، أو عبداً من عبيده يموت جوعاً أو^(٣٦) عطشاً فلم يسقه ، ولا أطعمه فإنه في غاية البخل والشح ، والقسوة ،

(٢٦) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (وأن له جوداً) .

(٢٧) في (ح) : (تحقيق) .

(٢٨) في (أ) ، (ح) : « الايتا » هو تحريف طاهر .

(٢٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (قوم) .

(٣٠) في (أ ، ب) : (بالجهل) .

(٣١) في (أ ، ب) : (التعلم) .

(٣٢) سقطت كلمة (لهم) من (أ ، ب) .

(٣٣) في (أ ، ب) : « بذله » .

(٣٤) في (خ) : « إسان » .

(٣٥) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (كثير) .

(٣٦) في (أ ، ب) : (و) بدلاً من (أو) .

والظلم ، والله تعالى يرى كثيراً من عباده ، وأطفالاً من أطفالهم لا ذنب لهم ، وهم يموتون جوعاً أو عطشاً ، وعنده مخارج^(٣٧) السماوات وخزائن الأرض ، ولا يرحمهم بنقطة ماء ، ولا لقمة طعام حتى يموتوا جوعاً وعطشاً^(٣٨) ولا يوصف لذلك ببخل ، ولا بظلم ، ولا بقسوة بل هو أرحم الراحمين^(٣٩) والرحمن ، والكريم ، الذي لا يظلم ، ولا يجور ، كما سمى نفسه - فبطل قياسهم الفاسد في الصفات الغائب على الشاهد . وبطل أن يوصف الله عز وجل بشيء من كل^(٤٠) ذلك ، وليس لأحد أن يحيل الأسماء اللغوية عن موضعها في اللغة إلا أن يأتي نصٌ بإحالة شيء من ذلك عن موضوعه^(٤١) فيوقف عنده ، ومن تعدَّى هذا الحكم فإنه مبطل للتفاهم كله ، نعم ، وللحقائق بأسرها ، لأنه^(٤٢) لا يعجز أحدٌ أن يسمي الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، وأن يحيل الأسماء كلها عن موضوعها ، وهذا خروج عن الشرائع والمعقول ولكننا نقول : إنه كريم ، كما قال تعالى . ولا يبعد عنا أن تسمى نعم الله تعالى على عباده كرماً ، وأن الله تعالى كريم - نستحسن إطلاق ذلك ، ونسميها أيضاً فضلاً - قال الله عز وجل : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^(٤٣) » .

وقد ثبت النص بأن^(٤٤) له تعالى كرماً ، وحديثنا عبد الرحمن^(٤٥) بن عبد الله بن خالد حدثنا إبراهيم^(٤٦) بن أحمد ، أنبأنا الفريرى ، حدثنا البخارى قال : لى خليفة^(٤٧) بن خياط ، حدثنا يزيد^(٤٨)

(٣٧) فى (أ ، ب) : « مخارج » .

(٣٨) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (جوعاً وعطشاً) .

(٣٩) فى (خ) : سقطت كلمة (أرحم الراحمين) ، وفى (أ ، ب) (والرحيم) بدلاً من (والرحمن) .

(٤٠) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (كل) .

(٤١) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (عن موضوعه) .

(٤٢) فى (أ ، ب) : (إلا أنه) .

(٤٣) سورة الحديد : ٢١ .

(٤٤) فى (خ) : (لأن) .

(٤٥) هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حكيم بن حزام الأسدى ، روى عن عمرو بن شعيب ، وعنه روى انه المغيرة .

(تهذيب التهذيب : ٢٠٦ / ٦) .

(٤٦) هو : إبراهيم بن أحمد البلخى المعروف بالمستعمل ، فاضل من أهل بلخ ، له كتاب معجم الشيوخ توفى سنة ٣٧٦ هـ .

(الأعلام : ١ / ٢٥٧) .

(٤٧) هو : خليفة بن خياط بن حليفة الشيبانى البصرى ، أبو عمرو ، ويعرف بخباب ، محدث نسابه ، من تصانيفه : التاريخ عشرة أجزاء ،

والطبقات ثمانية أجزاء ، وكان مستقيم الحديث ، من متيقضى رواته . توفى عام ٢٤٠ هـ . (الأعلام : ١ / ٣٦١) .

(٤٨) هو : يزيد بن زريع ، أبو معاوية البصرى ، محدث البصرة فى عصره ، قال عنه أحمد بن حنبل : ما أتقنه وما أحفظه !! لقد كان رجاءه

البصرة . وقال عنه ابن سعد : كان ثقة حجة ، كثير الحديث ، وقد اشتغل أبوه فى ولاية الأبله . توفى سنة ١٨٢ هـ . (الأعلام : ٩ / ٢٣٥) .

ابن زريع ، حدثنا سعيد^(٤٩) عن قتادة^(٥٠) ، عن أنس^(٥١) بن مالك وعن معتمر^(٥٢) بن سليمان قال : سمعت أبا يحدث عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « لا يزال يلقي فيها ، وتقول هل من مزيد ، حتى يضع فيها رب العالمين قدمه ، فيزوي بعضها إلى بعض وتقول قد قد ، وعزنت ، وكرمك^(٥٣) » .

قال أبو محمد : وقد اضطرب الناس في السؤال عن أشياء ذكروها وسألوا : هل يقدر الله عليها أم لا .. ؟

واضطربوا أيضاً في الجواب عن ذلك .

قال أبو محمد : ونحن إن شاء الله تعالى مبينون بحوله وقوته وجه تحقيق السؤال عن ذلك ، وتحقيق الجواب فيه دون خلط^(٥٤) ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فنقول وبالله تعالى التوفيق : إنَّ السؤال إذا حقق بلفظ يفهم السائل منه مراد نفسه ، ويفهم المسئول مراد السائل عنه فهو سؤال صحيح . والجواب عنه لازم ومن أجاب عنه بأن هذا سؤال فاسد ، وأنه محال فإنما هو جاهل بالجواب ، منقطع متسلل عنه .

وأما السؤال الذي يفسد بعضه بعضاً ، وينقض آخره أوله فهو سؤال فاسد لم يحقق بعد ، وما لم يحقق السؤال عنه فلم يسأل عنه ، وما لم يسأل عنه فلا يلزم فيه^(٥٥) جواب على تمثله^(٥٦) ، فهاتان قضيتان جامعتان ، وكافيتان في هذا المعنى ، لا يشذ عنهما شيء منه إلا أنه لابد من جواب ببيان حالته لا على تحقيقه ، ولا على تشككه ولا على توهمه . وبالله تعالى التوفيق .

ثم نُجِدُّ المسئول عنه في هذا الباب^(٥٧) بِحَدِّ جامع بحول الله وقدرته ، فيرتفع الإشكال في هذه المسألة إن شاء الله . فنقول وبالله تعالى نتأيد :

(٤٩) هو : سعيد بن حبيب أبو عبد الله ، تابعي ، كان أعلمهم على الإطلاق ، وهو حبشي الأصل من موالى بنى والبة بن الحارث ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ، ثم كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستعنتونه ، قال : أنسألونني وفيكم ابن أم دهماء يعني (سعيد بن حبيب) خرج مع عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان فقتله الحجاج بواسط عام ٩٥ هـ رحمه الله . (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢) .

(٥٠) راجع ص

(٥١) راجع ص

(٥٢) هو : معتمر بن سليمان بن طرخان ، من موالى بنى مرة ، أبو محمد ، كان في اليمن ، وانتقل إلى البصرة ، وصار محدثاً لها في عصره ، وكان حافظاً ثقة ، نقل ابن حجر عن ابن خراس أنه ثقة . له كتاب في المعازي ، حدث عنه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل . توفي سنة ١٨٧ هـ . (الأعلام : ٩ / ٢١٧) .

(٥٣) سبق تخريج هذا الحديث ص

(٥٤) في (أ ، ب) : « تخليط » .

(٥٥) في (أ ، ب) : « عنه » .

(٥٦) في (أ ، ب) : « مثله » .

(٥٧) في (ح) : (نجد السؤال ... يُحَدُّ بِحَدِّ) .

إنَّ الشَّيْءَ الْمَسْئُولَ عَنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ إِنْ كَانَ إِنَّمَا سَأَلَ السَّائِلُ عَنْ الْقُدْرَةِ عَلَى إِحْدَاثِ فِعْلٍ مُبْتَدَأً ، أَوْ عَلَى إِعْدَامِ فِعْلٍ مُبْتَدَأً فَالْمَسْئُولُ عَنْهُ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ ، وَلَا نَحَاشَى شَيْئًا ، وَالسَّوْأَلُ صَحِيحٌ . وَالْجَوَابُ عَنْهُ بِنَعْمٍ لَا زَمَ .

وإنَّ كَانَ الْمَسْئُولُ عَنْهُ مَا لَا ابْتِدَاءَ لَهُ : فَالسَّوْأَلُ عَنْ تَغْيِيرِهِ أَوْ إِحْدَاثِهِ أَوْ إِعْدَامِهِ سَوْأَلٌ مُتَفَاسِدٌ ، لَا يُمْكِنُ السَّائِلُ عَنْهُ فَهَمَّ مَعْنَى سَوْأَلِهِ ، وَلَا تَحْقِيقُ سَوْأَلِهِ وَمَا كَانَ هَكَذَا فَلَا يَلْزَمُ الْجَوَابُ عَنْهُ عَلَى تَحْقِيقِهِ ، وَلَا عَلَى تَشْكِلِهِ ، لِأَنَّ الْجَوَابَ عَنِ التَّشْكِلِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ جَوَابٍ^(٥٨) عَنْ سَوْأَلٍ ، وَلَيْسَ هَاهُنَا سَوْأَلٌ أَصْلًا ، فَلَا جَوَابٍ^(٥٩) .

ثُمَّ نَقُولُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ : إِنَّ مَنْ الْوَاجِبُ أَنْ نَبَيِّنَ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ : مَا الْمَحَالُ .. ؟ وَعَلَى أَى شَيْءٍ^(٦٠) تَقَعُ هَذِهِ اللَّفْظَةُ . وَعَنْ مَاذَا يَعْبُرُ عَنْهَا^(٦١) .. ؟ فَإِنْ مِنْ قِطْعٍ^(٦٢) بِشَيْءٍ وَلَمْ يَعْرِفْ تَحْقِيقَ مَعْنَاهُ فَهُوَ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ الْجَهْلِ ، فَنَقُولُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى نَتَأَيَّدُ :

إِنَّ الْمَحَالَّ يَنْقَسِمُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ لَا خَامِسَ لَهَا :

أَحَدُهَا : مَحَالٌ بِالْإِضَافَةِ .

وَالثَّانِي : مَحَالٌ بِالْوُجُودِ^(٦٣) .

وَالثَّلَاثُ : مَحَالٌ فِيمَا بَيْنَنَا فِي بَنِيَةِ الْعَقْلِ عِنْدَنَا .

وَالرَّابِعُ : مَحَالٌ مُطْلَقٌ .

فَالْمَحَالُّ بِالْإِضَافَةِ مِثْلُ : نَبَاتِ اللَّحْيَةِ لِابْنِ ثَلَاثِ سَنِينَ ، وَإِحْبَالِهِ أَمْرًا ، وَكَلَامِ الْأَبْلَهَةِ الْغَبِيَّةِ فِي دَقَائِقِ الْمُنْطَقِ ، وَصَوْغِهِ الشَّعْرَ الْعَجِيبَ ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا . فَهَذِهِ الْمَعَالِي مَوْجُودَةٌ فِي الْعَالَمِ مِنْ هِيَ مُمَكِّنَةٌ مِنْهُ ، مُمْتَنِعَةٌ^(٦٤) مِنْ غَيْرِهِمْ .

وَأَمَّا الْمَحَالُّ فِي الْوُجُودِ : فَكَانْقِلَابُ الْجَمَادِ حَيَوَانًا ، وَالْحَيَوَانُ جَمَادًا ، أَوْ حَيَوَانًا آخَرَ ، وَكُنْطَقُ الْحَجَرِ ، وَاخْتِرَاعُ الْأَجْسَامِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ هَذَا النَّوعَ^(٦٥) لَيْسَ مُمَكِّنًا عِنْدَنَا أَلْبَتَةً ، وَلَا مَوْجُودًا ، وَلَكِنَّهُ مَتَوَهَّمٌ فِي الْعَقْلِ ، مُتَشَكِّلٌ فِي النَّفْسِ كَيْفَ يَكُونُ لَوْ كَانَ . وَهَذَيْنِ الْقَسْمَيْنِ يَأْتِي الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي مُعْجَزَاتِهِمُ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ فِي النَّبَوَةِ .

(٥٨) فِي (أ ، ب) : سَقَطَتْ كَلِمَةُ (جَوَابٌ) .

(٥٩) فِي (أ ، ب) : سَقَطَتْ كَلِمَةُ (فَلَا جَوَابٌ) .

(٦٠) فِي (أ ، ب) : (وَعَلَى أَى مَعْنَى) .

(٦١) فِي (أ ، ب) : (بِهَا) .

(٦٢) فِي (أ ، ب) : (قَامَ) .

(٦٣) فِي (أ ، ب) : (فِي الْوُجُودِ) .

(٦٤) فِي (أ) : سَقَطَتْ كَلِمَةُ : « مُمْتَنِعَةٌ مِنْ غَيْرِهِمْ » .

(٦٥) فِي (أ ، ب) : (هَذَا كَلَمَةً) .

وأما المحال فيما بيننا في بنية العقل : فككون المرء قائماً قاعداً معاً في حين واحد وكسؤال السائل : هل يقدر الله تعالى على أن يجعل المرء قاعداً لا قاعداً معاً .. ؟ وسائر ما لا يتشكل في العقل فيما يقع فيه التأثير لو أمكن فيما دون الباري عز وجل - فهذه الوجوه الثلاثة من سأل عنها أيقدر الله تعالى عليها فهو سؤال صحيح مفهوم ، معروف وجهه ، يلزم الجواب عنه بنعم أن الله قادر على ذلك كله . إلا أن المحال في بنية العقل فيما بيننا ، لا يكون ألَبَتَةً في هذا العالم لا معجزة لنبي ولا غير ذلك ألَبَتَةً ، هذا واقع في النفس بالضرورة ، ولا يبعد أن يكون الله تعالى يفعل هذا في عالم له آخر .

وأما المحال المطلق : فهو كل سؤال أوجب على ذات الباري تغييراً فهذا هو المحال لعينة الذى ينقض بعضه بعضاً ، ويفسد آخره أوله ، وهذا النوع لم يزل محالاً في علم الله تعالى ، ولا هو ممكن فهمه لأحد ، وما كان هكذا فليس سؤالاً ، ولا سأل سائله عن معنى مفهوم^(٦٦) أصلاً ، وإذا لم يسأل فلا يقتضى جواباً على تحقيقه أو توهمه ، لكن يقتضى جواباً بنعم ، أو بلا . لئلا ينسب بذلك إلى وصفه تعالى بعدم القدرة الذى هو العجز بوجهه أصلاً .

وإن كنا موقنين بضرورة العقل بأن الله تعالى لم يفعله قط ، ولا يفعله أبداً . وهذا مثل من سأل : أيقدر الله تعالى على نفسه ؟ أو على أن يجهل ، أو على أن يعجز ، أو على أن يحدث مثله .. ؟ أو على إحداث ما لا أول له .. ؟ فهذه سوالات يفسد بعضها بعضاً تشبه كلام المرويين ، والمجانيين ، وكلام من لا^(٦٧) يفهم . وهذا النوع لم يزل الله تعالى يعلمه محالاً ممتنعاً باطلاً قبل حدوث العقل وبعد حدوثه .

وأما المجال في العقل فهو القسم الثالث : الذى ذكرنا قبل ، فإن العقل مخلوق ، محدث خلقه الله تعالى بعد أن لم يكن ، وإنما هو قوة من قوى النفس ، عرض محمول فيها أحدثه الله تعالى ، وأحدث رتبة على ماهى عليه ، مختاراً لذلك تعالى . وبضرورة العقل نعلم أن من اخترع شيئاً لم يكن قط لا على مثال سلف ، ولا عن ضرورة أوجبت عليه اختراعه لكن اختار أن يفعله^(٦٨) ، فإنه قادر على ترك اختراعه ، قادر على اختراع غيره مثله ، أو خلافه ، ولا فرق بين قدرته على بعض ذلك ، وبين قدرته على سائر ، فكل ما خلقه تعالى محال في العقل فقط ، فإنما كان محالاً مذ جعله الله تعالى محالاً ، وحين أحدث صورة العقل لا قبل ذلك ، فلو شاء الله تعالى ألا^(٦٩) يجعله محالاً لما كان محالاً .

(٦٦) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (مفهوم) .

(٦٧) في (خ) : (مالا) .

(٦٨) في (خ) : لم يذكر كلمة (لكن اختار أن يفعله) .

(٦٩) في (خ) : (أن يجعله) .

وكذلك من سأل هل يقدر الله تعالى على أن يجعل شيئاً موجوداً معدوماً معاً في وقت واحد .. ؟ أو جسمًا في مكانين .. ؟ أو جسمين في مكان .. ؟ وكل ما^(٧٠) أشبه هذا - فهو سؤال صحيح ، والله تعالى قادر على كل ذلك ، لو شاء أن يكونه لكونه . ومن البرهان على ذلك ما نراه في منامنا مما لا شك^(٧١) أنه محال في حال اليقظة ممتنع يقينًا ، ونراه^(٧٢) في منامنا ممكنًا محسوسًا مرئيًا ببصر النفس^(٧٣)، مسموعًا بسمعنا فبالضرورة يدري كل ذى حسٍّ سليم^(٧٤) أن الذى جعل المحال ممكنًا في النوم قادر على أن يوجدّه ممكنًا في اليقظة .

وكل من سأل : هل الله تعالى قادر على أن يتخذ ولدًا .. ؟

فالجواب : أنه تعالى قادر على ذلك ، وقد نصَّ عزَّ وجل على ذلك في القرآن قال الله تعالى : « لو أراد أن يتَّخِذَ وَلَدًا لا اصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^(٧٥) » .

وقال تعالى : « لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ^(٧٦) » .

قال أبو محمد : ومن لم يطلق أن الله عزَّ وجل يقدر على ذلك ، وحسَّن قوله ، بأن قال لا يوصف الله بالقدرة على ذلك فقد قطع بأن الله عزَّ وجل لا يقدر ، إذ لا واسطة فيمن يقدر^(٧٧) ولا يقدر ألبتة ، فلا بدَّ من أحدهما ضرورة ، فمن قدر^(٧٨) على شيء ما ، ثم وصف في شيء آخر بأنه لا يقدر عليه فقد خرج من أنه لا يقدر عليه ، وإذا وصف في شيء بأنه لا يقدر عليه ، فقد خرج بأنه يقدر عليه^(٧٩)، وإذا وجب أنه لا يقدر عليه فقد ثبت أنه عاجز ضرورة عما لا يقدر عليه ، ولا بدَّ . ومن وصف الله عزَّ وجل بالعجز فقد كفر .

وأيضًا فإن من قال : لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال فقد جعل قدرته سبحانه وتعالى متناهية ، وجعل قوته عزَّ وجل منقطعة محدودة وملزومة بذلك ضرورة أن قوته تعالى متناهية ، عرض ، وأنه تعالى فاعل بطبيعة فيه متناهية ، وهذا تحديد للبارى عزَّ وجل ، وكفر به مجرد وإدخال له في جملة المخلوقين .

(٧٠) في (ح) : « أو أشبه ذلك » .

(٧١) في (خ) : « نشك » .

(٧٢) في (خ) : « فنراه » .

(٧٣) في (خ) : العين .

(٧٤) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (سليم) .

(٧٥) سورة الزمر : ٤ .

(٧٦) سورة الأنبياء : ١٧ .

(٧٧) في (أ ، ب) : « فيمن يوصف بالقدرة » .

(٧٨) في (أ ، ب) : سقط الكلام من قوله : « ولا يقدر ألبتة ، فلا بد من أحدهما ضرورة فمن قدر » .

(٧٩) في (أ ، ب) : سقط الكلام : « وإذا وصف في شيء بأنه لا يقدر عليه فقد خرج بأنه يقدر عليه » .

ومعنى قولنا : « إن الله تعالى يقدر على المعلوم والمحال إنما هو على^(٨١) ما نبينه إن شاء الله تعالى : »

وهو أن سؤال السائل عن المحال ، والمعدوم - هو بلا شك سؤال موجود مسموع ملفوظ به . فجوابنا له هو أننا حققنا : أن الله تعالى قادر على أن يخلق لذلك اللفظ معنى يوجد به ، وهذا جواب صحيح معقول ، وهذا قولنا وليس إلا هذا القول . وقول على الأسواري الذي يقول : إن الله تعالى لا يقدر على غير ما علم أنه يفعله جملة^(٨٢) .

وأما كل^(٨٣) من خالفنا ، وخالف الأسواري فلا بد له من الرجوع إلى قولنا أو الوقوع في قول الأسواري ، وإن زعم أنه^(٨٤) متى وصف الله تعالى بالقدرة على شيء لم^(٨٥) يفعله من إبراء مريض ، أو خلق شيء ، أو تحريك شيء ساكن ، فإنه قد^(٨٦) وصفه بالقدرة على إحالة علمه ، وتكذيب حكمه ، وهذا هو المحال - فقد قال بقولنا ولا بد . أو^(٨٧) بقول الأسواري ولا بد .

وأما كل سؤال أدى إلى القول في ذاته عز وجل - فإننا نقول : إن كل ما سأل عنه سائل لا يحاشي شيئاً فإن الله تعالى قادر عليه ، غير عاجز عنه إلا أن من السؤالات سؤالات لا يستحل^(٨٨) سماعها ، ولا يحل^(٨٩) النطق بها ، ولا يحل^(٩٠) الجلوس حيث يلفظ بها ، وهي كل ما فيها كفر بالباري عز وجل أو^(٩١) استحقاف به ، أو بنى من أنبيائه ، أو بملك من ملائكته ، أو بآية^(٩٢) من آياته .

وقد قال تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذا مثلهم^(٩٣) » .

(٨٠) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (على) .

(٨١) في (خ) : سقط الكلام من (وقول على الأسواري إلى حملة) . والأسواري هو أبو عمرو بن فائد الأسواري ، من كبار المتكلمين من أهل البصرة ، وكان مقطوعاً إلى محمد بن سليمان بن علي الهاشمي ، وهو من الأساورة ، لقى عمرو بن عبيد وأخذ عنه ، وله مع عمرو مناظرات . توفي بعد المائتين بشيء يسير . قال عمرو بن فائد لأبي المنذر سلام القاري بحضرة محمد بن سليمان : ممن الحق . قال سلام : من الله . قال فمن الحق : قال : الله . قال : ممن الباطل ؟ قال : من الله . قال : فمن المبطل فسكت سلام وانقطع .. (المهرست - الفن الأول من المقالة الخامسة : ٢٠٥) .

(٨٢) في (أ) : سقطت كلمة (كل) .

(٨٣) في الأصل (لأنه) .

(٨٤) في (أ ، ب) : (ولم يفعله) .

(٨٥) في (أ ، ب) : (قدر) .

(٨٦) في (خ) : « ويقول الأسواري » .

(٨٧) في (ح) : « لا يستحل » .

(٨٨) في (أ ، ب) : (ولا يستحل) .

(٨٩) في (ح) : لم تذكر كلمة (يحل) .

(٩٠) في (أ ، ب) : (واستحقاف) بدلا من (أو) .

(٩١) في (خ) : لم يذكر كلمة (أو بآية) .

(٩٢) سورة النساء : ١٤٠ .

وقال عز وجل : « قُلْ أَبَا اللَّهِ وَأَيَّاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ^(٩٣) » .

قال أبو محمد : ولو أن سائلاً سألنا : هل الله قادر على أن يمسح هذا الكافر قرءاً أو ^(٩٤) كلباً .. ؟

لقلنا : نعم .

ولو أنه أراد أن يسألنا هذا السؤال : فيمن يلزمنا تعظيمه من ملك أو نبي ، أو صاحب نبي ، أو مسلم فاضل .. ؟

لم يحل لنا الاستماع إليه . ولكننا قد أجبناه جواباً كافياً ، بأن الله قادر على كل ما يُسأل عنه ، لا يحاشي شيئاً ، فمن تمادى بعد هذا الجواب الكافي - فإنما غرضه التشنيع فقط والإيهام ^(٩٥) ، وهذا ^(٩٦) من دلائل العجز في المناظرة ، والانقطاع . والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : والناس في هذا الباب على أقسام :

فمبدؤها من الطرف : قول من قال : لا يوصف الله تعالى بالقدرة على غير ما يفعل ، وهو قول عليّ الأسواري ^(٩٧) أحد شيوخ المعتزلة . واعلموا أنه لا بد لكل من منع أن يقدر الله تعالى على محال ، أو على شيء مما يُسأل عنه ، فلا بد له ^(٩٨) ضرورة من المصير إلى هذا القول . أو ظهور تناقضه وتفاسد قوله ، وخروجه إلى المحال البحث ^(٩٩) الذي فرّغه بزعمه على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قال أبو محمد : وقد قالت طائفة بمعنى هذا القول إلا أنها استشنت عبارة الأسواري فقالت : إن الله تعالى قادر على كل شيء . ولكن إن سألنا سائل فقال : أيقدر الله تعالى على أمر كذا مع تقدّم علمه بأنه لا يكون .. ؟ قالوا : فالجواب أنه تعالى لا يوصف بالقدرة على ذلك .

قال أبو محمد : وهذا الإخفاء لأنهم أوجبوا قدرته وأعدموها على شيء واحد ، وهو الباطل بلا خفاء .

(٩٣) سورة التوبة : ٦٥ ، ٦٦ .

(٩٤) في (أ ، ب) : (وكلبا) بدلا من (أو) .

(٩٥) في (أ ، ب) : « والتقويه » .

(٩٦) في (أ ، ب) : « وهذان » .

(٩٧) في (خ) : وهو قول « الأسواري » .

(٩٨) كلمة (له) سقطت من (أ) .

(٩٩) في (أ ، ب) : « البحث » .

وقالت طائفة : إنَّ الله تعالى قادر على غير ما فعل إلاَّ أنه لا يوصف بالقدرة على أصلح مما فعل بعباده ، وهو قول جمهور المعتزلة .

وقالت طائفة : إن الله تعالى قادر على غير ما فعل إلاَّ أنه لا يقدر على الظلم ، ولا على الجور ، ولا على اتخاذ الولد ، ولا على إظهار معجزة على يد كذاب ، ولا على شيء من المحال ، ولا على نسخ التوحيد - وهذا قول النظامي^(١٠٠) وأصحابه ، والأشعرية ، وإن كانوا مختلفين في ماهية الظلم .

وقالت طائفة : إن الله تعالى قادر على غير ما فعل ، وعلى الجور ، والظلم ، والكذب إلا أنه لا يقدر على المحال مثل : أن يجعل الشيء معدومًا موجودًا معًا ، وقائمًا قاعدًا معًا ، أو في مكانين معًا ، وهذا هو قول البلخي^(١٠١) ، وطوائف من المعتزلة .

قال أبو محمد : والذي عليه أهل الإسلام كلهم ومن سلف من الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم قبل أن تحدث هذه الضلالات ، وهذا الإقدام الشنيع الذي لولا ضلال من ضلَّ به ، ما انطلقت ألسنتنا به ، ولا سمحت أيدينا بكتابته ، ولكننا نحكيه حكاية الله (عن) ضلال^(١٠٢) من ضل ، فقال : « المسيح بن الله » ، و « العزيز بن الله » ، و « يد الله مغلولة » . و « الله فقير ونحن أغنياء » . و « إذ قال للإنسان اكفر » . وكما أُنذر رسول الله ﷺ بأن الناس لا يزالون يتساءلون فيما بينهم ، حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله .. ؟

فقول أهل الإسلام عامتهم وخاصتهم قبل ما ذكرنا ، هو أن الله تعالى : فعّال لما يشاء ، وعلى كل شيء قدير ، وهذا جاء القرآن ، وهذا نقول^(١٠٣) . وكل مسئول عنه ، وإن بلغ الغاية من المحال فهم أو لم يفهم ، فالله تعالى قادر عليه .

قال أبو محمد : وقال لى بعضهم : إنَّ القرآن إنما جاء بأنَّ الله تعالى يفعل ما يشاء ، ونحن لا ننكر هذا ، وإنما نمنع أن يوصف الله تعالى بالقدرة على ما لا يشاء ، وبالقدرة على ما ليس

(١٠٠) هو : إبراهيم بن سيار بن هاني . أبو إسحاق البطام من أئمة المعتزلة ، تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رحاها ، من طبيعيين وإلاهيين ، انفرد بأراء خاصة ، تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية نسبة إليه ، متهم بالردة ، وله كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال كتب عنه محمد عبد الهادي أبو ريده كتابه . إبراهيم بن سيار النظام . (الأعلام : ١ / ٣٦) .

(١٠١) هو : شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي ، البلخي ، أبو علي ، راهب ، صوفي من مشاهير المشايخ في خراسان ، ولعله أول من تكلم من الصوفية في علوم الأحوال بكورخراسان وكان من كبار المجاهدين . استشهد في غزوة كولان بما وراء النهر عام ١٩٤ هـ . (الأعلام ج ٣ - ٢٤٩) .

(١٠٢) في (خ) : لم يذكر : « ولكننا نحكيه حكاية الله عن ضلال »

(١٠٣) روى هذا الحديث في البخاري باب الاعتصام : ٣ ، بدء الخلق : ١١ ، وفي مسلم في باب الإيمان : ٢١٢ ، ٢١٤ وفي أبي داود : السنة : ١٩ ، وقد جاء في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث أنه في داود في باب السنة : ١٨ ، ولكنني وجدته في السنة : ١٩ باب في الجهمية والحديث رقم ٤٧٢١ ولفظه كما جاء في أبي داود . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله .

(١٠٤) في (أ ، ب) : سقطت (وهذا نقول) .

بشيء . فقلت له : « يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ^(١٠٥) » فعمَّ عز وجل ، ولم يخص ، فلا يحل لأحد تخصيص قدرته تعالى أصلاً .

وقال تعالى : « قل إن الله قادرٌ على أن ينزل آية ^(١٠٦) » .

وقال تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ^(١٠٧) » .

وقال تعالى : « إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم ، وما نحن بمسبوقين ^(١٠٨) » .

وقال تعالى : « وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ^(١٠٩) » .

وقال تعالى : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ، ومعارج عليها يظهرون ^(١١٠) » .

وقال تعالى : « أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ^(١١١) » .

وقال تعالى : عن نوح النبي ﷺ أنه قال : « استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهاراً ^(١١٢) » .

مع قوله تعالى : « إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ^(١١٣) » .

وقال تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، أو يلبسكم شيعاً ، ويذيق بعضكم بأس بعض ^(١١٤) » .

وقال تعالى : « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ^(١١٥) » .

(١٠٥) سورة الرعد : ٢٦ ، وقد جاءت هذه الآية معرفة في الأصل حيث ذكرها : « يرق من يشاء ويقدر » .

(١٠٦) سورة الأنعام : ٣٧ .

(١٠٧) سورة الحاقة : ٤٤ .

(١٠٨) سقطت هذه الآية من (أ) . وهي رقم ٤٠ ، ٤١ سورة المعارج .

(١٠٩) سورة الواقعة : ٦١ . وقد جاءت هذه الآية معرفة في الأصل حيث ذكرها : « إنا لقادرون على أن نبدل أمثالكم » .

(١١٠) سورة الزخرف : ٣٣ .

(١١١) سورة يس : ٨١ .

(١١٢) سورة نوح : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(١١٣) سورة هود : ٣٦ .

(١١٤) سقط من (أ ، ب) قوله تعالى : « أو يلبسكم شيعاً ، ويذيق بعضكم بأس بعض » سورة الأنعام : ٦٥ .

(١١٥) سورة التحريم : ٥ .

فهذا نص على أن يفعل خلاف ما قد سبق في علمه من هَدْيٍ من علم أنه لا يهديه ومن تعذيب من علم أنه لا يعذب أبداً ، وتبديل أزواج قد علم أنه لا يبدلهن أبداً ، وكل هذا نص على قدرته تعالى على إبطال علمه الذي لم يزل ، وعلى تكذيب قوله الذي لا يكذب أبداً . ومثل هذا في القرآن كثير . فمن أعجب قولاً ، وأتم ضلاله ممن يوجب بقوله : إن الله تعالى كذب ، وإنه تعالى مع ذلك غير قادر على الكذب . مع قوله تعالى : « عِنْدَ مَلِيكِ مُقْتَدِرٌ ^(١١٦) » .

وقال تعالى : « وهو العليم القدير ^(١١٧) » .

وقوله تعالى : « فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً قَدِيرًا ^(١١٨) » .

فأطلق تعالى لنفسه القدرة ، وعمم ولم يخص ، فلا يجوز تخصيص قدرته بوجه من الوجوه . قال أبو محمد : فإن قال قائل منهم ^(١١٩) : فما يؤمنكم إذ هو تعالى قادر على الظلم والكذب والمحال من أن يكون قد فعله ، أو لعله سيفعله فتبطل الحقائق كلها ، ولا تصح ، ويكون كل ما أخبرنا به كذباً .

قال أبو محمد : وجوابنا في هذا هو أن الذي أمّنا من ذلك ضرورة المعرفة التي قد وضعها ^(١٢٠) الله تعالى في نفوسنا ، كمعرفتنا أن ثلاثة أكثر من اثنين ، وأن المميز ممّيز ، وأن البغال لا تتكلم ^(١٢١) في النحو ، والشعر ، والفلسفة ، وسائر ما استقر في النفوس علمه ضرورة ، وإلا فليخبرونا ما الذي أمّناهم ما ذكرنا ، ولعله قد كان أو سيكون ولا فرق ، فإذا قد صحّ إطباق كل من يقر بالله من جميع الملل ^(١٢٢) أن هذا العالم ليس في بنيته كون المحال المذكور فيه مع موافقته أكثر المخالفين لنا - على أن هذا كله - فإن الله تعالى قادر عليه ولكن لا يفعله ، فالذي أمّناهم من أنه تعالى يفعله هو الذي أمّنا من أن يفعل ^(١٢٣) ما قالوا لنا فيه ، لعله قد فعله ، أو سيفعله ، ولا فرق - وأن هذا العالم ليس في بنيته كون المحال المذكور فيه . وأنه تعالى لا يجوز ، ولا يكذب .

(١١٦) سورة القمر : ٥٥

(١١٧) في (خ) : (عليما قديرا) . سورة الروم : ٥٤ ، وقد جاءت هذه الآية محرفة في الأصل حيث ترك الواو هكذا (هو العليم

القدير) .

(١١٨) سورة النساء : ١٤٩ . وقد جاءت هذه الآية محرفة في الأصل هكذا (وكان الله عفواً قديراً) .

(١١٩) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (منهم) .

(١٢٠) في (أ ، ب) : (وصفها) بالصاد .

(١٢١) في (أ ، ب) : (لا تحمل) .

(١٢٢) في (ج) : سقط الكلام من قوله : « وإلا فليخبرونا ما الذي أمّناهم ما ذكرنا ، ولعله » إلى قوله (من جميع الملل) .

(١٢٣) في (أ ، ب) : « نفعل » .

والضرورة^(١٢٤) الموجبة علينا^(١٢٥) القول بحدوث العالم ، وبأن له صانعاً لا يشبهه لم يزل ، وبأن ما ظهر من الأنبياء عليهم السلام فمن عنده تعالى ، وأن تلك المعجزات موجبة تصديقهم ، وهم أخبرونا أن الله تعالى لا يكذب ولا يظلم ، وأنه تعالى قد أخبرنا بأنه قد تمت كلماته صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته ، وأنه تعالى قادر ، وليس كل ما يقدر عليه يفعله ، وأيضاً فإن كان السائل عن هذا متدينًا بدين الإسلام أو النصرى ، أو اليهود أو المجوس ، أو الصائين أو البراهمة ، أو كل من يدين بأن الله حق فإنهم مجتمعون على أن الله تعالى لا يظلم ، ولا يكذب . وكل من نفى الخالق فليس فيهم أحدٌ يقول إنه يظلم أو يكذب ، فقد صح إطباق جميع سكان الأرض قديماً وحديثاً لا نحاشي أحداً على أن الله تعالى لا يظلم ولا يكذب ، فلو لم يكونوا مضطرين إلى القول بهذا لوجد فيهم ، ولو واحد يقول بخلاف ذلك ، ومن المحال أن تجتمع طبائعهم كلهم على هذا إلا لضرورة وضعها الله عز وجل في نفوسهم كضرورتهم إلى معرفة ما أدركوه بحواسهم ، وبداية عقولهم .

وأيضاً فنقول لمن سأل هذا السؤال : إيمان أن يكون إنسان في الناس قد توسوس ، وأوهمته ظنونه الكاذبة ، وتحيله الفاسد ، وهوسه أن الأشياء على خلاف ما هي عليه .. ؟ وأن الناس على خلاف ما هم عليه .. ؟ ويُتصور عنده هذا الظنُّ الفاسد أنه حق لا شك فيه ، أم ليس يمكن أن يكون هذل في العالم .. ؟

فإن قالوا : لا يمكن أن يكون هذا في العالم - أتوا بالمحال البحت ، وكابروا .

فإن قالوا : بل هو ممكن موجود في الناس كثيرٌ من هذه^(١٢٦) صفته .

قيل لهم : فما يؤمنكم من أن تكونوا بهذه الصفة .. ؟

ونقول : لمن يؤمن بالله العظيم منهم : أيقدر الله تعالى على أن يُحيل حواسك^(١٢٧) كما فعل بصاحب الصفراء الذي يجد العسل مرّاً كالعلقم ، وبصاحب ابتداء الماء النازل في عينيه فيرى خيالات لا حقيقة لها ، وكمن في سمعه آفة فهو يسمع طنيناً لا حقيقة له أم لا يقدر .. ؟
فإن قالوا : يقدر .

قيل له : فما يؤمنك من أنك بهذه الصفة .. ؟

(١٢٤) في (أ ، ب) : وبالضرورة .

(١٢٥) في (أ ، ب) : (علمنا) .

(١٢٦) في (ج) : (من هذه الصفة) .

(١٢٧) في (أ) : (حواسه) .

فإن قالوا : كل من يحضر^(١٢٨) يخبرني أنني لست^(١٢٩) من أهل هذه الصفة .
 قيل له : وهكذا يظن ذلك الموسوس ، ولا فرق ، فإنه لابد أن يقول^(١٣٠) : إنني أرى أنني بخلاف هذه الصفة ضرورة ، وعلمًا يقينًا .
 قلنا له : بمثل هذا سواء بسواء ؛ آمنا أن يكون الله تعالى يظلم أو يكذب أو يحيل طبيعة لغير نبي ، أو يحيل ما لا يستحيل^(١٣١) ولا فرق .
 قال أبو محمد : ويقال لجميع هذه الفرق ، حاشا من قال بقول « على الأسواري » هل شنعتم على عليّ الأسواري إلا^(١٣٢) أنه وصف الله تعالى : بأنه لا يقدر على غير ما فعل .. ؟ فقد وصفه بالعجز ولابد .
 فلا بد من : نعم .
 فيقال لهم : فإن هذا نفسه يلزمكم^(١٣٣) في قوله^(١٣٤) : بأنه لا يقدر على الظلم ، والكذب ولا على المحال ، ولا على نفسه ، ولا^(١٣٥) على أصلح مما فعل بعباده ضرورة . ولا ينفكون من ذلك .
 فإن قلتم : إن^(١٣٦) هذا لا يلزمنا .
 قيل لكم : ولا يعجز عليّ الأسواري عن أن يقول أيضًا : إن هذا لا يلزمني وهذا ما انفكاك منه .
 ويقال لهم : إذا أخبر الله عز وجل أنه سيقم الساعة ، وسيميت زيدًا يوم كذا ، أيقدر على أن لا يميته في ذلك اليوم ، وعلى أن يميته قبل ذلك اليوم أم لا .. ؟
 فإن قالوا : لا . لحقوا بقول الأسواري .

(١٢٨) في (خ) : (حضري) . وفي (ب) : (إن كل من يحضر) .

(١٢٩) في (أ ، ب) : (بأن لست) .

(١٣٠) في (خ) : (فإذ ... تقول) .

(١٣١) في (أ ، ب) : « أو يفعل المحال مع قدرته على ذلك » .

(١٣٢) في (ب) : (لأنه) .

(١٣٣) في (أ ، ب) : (لازم لكم) .

(١٣٤) في (أ ، ب) : (في قولكم) .

(١٣٥) في (أ ، ب) : (أو لا) .

(١٣٦) في (خ) : (لم يذكر (إن)) .

وإن قالوا : نعم . أقرؤا بأنه^(١٣٧) يقدر على تكذيب قوله ، وهذا هو القدرة على الكذب الذى^(١٣٨) أبطلوا .

ونسألهم أيضاً : إذا أمرنا الله تعالى بالدعاء ومنه ما قد عُلم : أنه لا يجيب الداعى به . هل أمرنا بالدعاء من ذلك فيما لا يستطيع ولا يقدر عليه .. ؟ أم فيما يقدر عليه .. ؟
فإن قالوا : فيما لا يقدر عليه ، لحقوا بالأسوارى ، وأوجبوا على الله تعالى القول بالحال ، إذ زعموا أنه أمرنا بأن نرغب إليه فى أن يفعل ما لا يقدر عليه - تعالى الله عن ذلك .
وإن قالوا : بل فيما يقدر عليه ، أقرؤا أنه يقدر على إبطال علمه والذى يدخل على^(١٣٩) قولهم هذا الذى هو الكفر المجرد من إبطال دلائل التوحيد وإبطال حدوث العالم ، وخلاف لإجماع غير قليل .

فإن قال : على الأسوارى : لا يلزمنى إثبات العجز بنفى القدرة بل أنفى عنه الأمرين جميعاً كما قلت أنتم : إن نفيكم عنه تعالى الحركة لا يلزمه السكون ، ونفى السكون لا يلزمه الحركة ، كما تنفون عنه الضدين جميعاً من الشجاعة والجن وسائر الصفات التى نفيتموها ، وأضدادها .
قال أبو محمد : فنقول وبالله التوفيق : إن هذا تمويه ضعيف لأننا نحن فى نفى هذه الصفات عنه تعالى جارون على سنن واحد فى نفى جميع صفات المخلوقين عنه كلها ، وأنتم قد أثبتتم له قدرة على أشياء ، ونفيتم عنه قدرة على غيرها ، فثبت^(١٤٠) ضرورة إثبات العجز عنه فى الأشياء التى وصفتموها بعدم القدرة عليها ، وأما نحن فلو وصفناه بالشجاعة فى شيء أو بالحركة فى وجه ما ، أو وصفناه بالعقل فى شيء ما^(١٤١) ثم نفينا عنه هذه الصفات فى وجه آخر للزمننا حيث وصفناه بشيء منها - نفى ضدها وللزمننا حيث نفينا عنه ضدها أن نثبتها له ولابد ، كما فعلنا فى الرحمة والسخط فإننا إذا وصفناه بالرحمة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد نفينا عنه عز وجل السخط عليه . وإذا نفينا عنه الرحمة^(١٤٢) لأبى جهل فقد أثبتنا له بذلك السخط عليه ، وهذا برهان ضرورى ، فإن مؤه مؤه فقال : أستم تقولون إن الله تعالى لا يعلم الحى ميتاً ، فهل تثبتون له بنفى العلم هاهنا الجهل .

قلنا له : وهذا أيضاً تمويه آخر ، بل أوجبنا له بذلك العلم حقاً ، لأننا إذا نفينا عنه العلم

(١٣٧) فى (ب) : (أنه) .

(١٣٨) فى (أ ، ب) : (التى) .

(١٣٩) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (على قولهم) .

(١٤٠) فى (أ ، ب) : « فوجب » .

(١٤١) فى (خ) : سقط الكلام من قوله : « أو بالحركة فى وجه ما ، أو وصفناه بالعقل فى شيء ما » .

(١٤٢) فى (أ ، ب) : سقطت كلمة (الرحمة) .

بخلاف ما الأشياء ، أثبتنا له العلم بحقيقة ما الأشياء^(١٤٣) . وهل هاهنا شيء يجهل أصلاً .. ؟ وإنما الجهل بشيء حق لا يعلمه^(١٤٤) الجاهل فقط .

قال أبو محمد : وقد قلنا لمن ناظرنا منهم : إنكم تثبتون لله تعالى علماً لم يزل ، فأخبرونا هل يقدر الله تعالى على أن يميت اليوم من علمه أنه لا يميت إلا غداً .. ؟ وهل يقدر ربكم على أن يزيل الآن بنية عن مكان قد علم أنها لا تزل إلا غداً .. ؟ وعلى رحمة من مات مشركاً ، مع قوله تعالى : إنه لا يرحمه أصلاً ، أم لا يقدر على ذلك .. ؟

فقال لنا منهم قائل : إنه يقدر على ذلك .

فقلنا له : قد أقررتم أنه يقدر على إحالة علمه الذي لم يزل ، وعلى تكذيب كلامه وهذا إبطال قولكم صراحاً .

وقال منهم قائلون : إنه تعالى قادر على ذلك ، ولو فعله لكان قد سبق في علمه أنه سيكون كما فعله .

قلنا لهم : لم نسألهم إلا هل يقدر على ذلك مع تقدّم علمه أنه لا يكون .. ؟ فضجروا هاهنا ، وانقطعوا ، ولجأ بعضهم إلى القطع بقول الأسواري في أنه لا يقدر على ذلك .

فقلنا لهم : إذا كان تعالى لا يقدر على شيء غير ما فعل ، ولا على نقل بنية عن موضعها ، فهو إذا مضطر مجبر ، أو ذو طبيعة جارية على سنن واحد !! نعم . ويلزم الأسواري ومن قال بقوله : أن استطاعة الله ليست قبل فعله ألبتة ، وإنما هي مع فعله ولابد ، لأنه لو كان مستطيعاً قبل الفعل لكان قادراً على أن يفعل ، في الوقت الذي علم أنه لا يفعل فيه ، وهذا خلاف قوله نصاً . وهو يقول : إن الإنسان مستطيع قبل الفعل ، فهو أتم طاقة وقدرة من الله تعالى ويلزمه أيضاً القول بحدوث قدرة الله تعالى ، ولابد ، إذ لو كانت قدرته لم تزل لكان قادراً على الفعل قبل أن يفعل ولابد . وهذا خلاف قوله ، وهذا كفر مجرد إذ يقول : إن الإنسان قادر على غير ما علم الله تعالى أن يفعله ، والله تعالى لا يقدر على ذلك ، فإن هؤلاء جمعوا إلى^(١٤٥) تعجيز ربه تعالى القول بأنهم أقوى منه تعالى . وهذا أشد ما يكون من الكفر والشرك ، والحماقة .

قال أبو محمد : وكلهم يقول بهذا المعنى ، لأن جميعهم يقول : إن كل مخلوق فهو قادر

(١٤٣) يقصد أننا إذا نفينا عنه سبحانه وتعالى العلم بخلاف ما وجدت عليه الأشياء فقد أثبتنا له العلم بحقيقة هذه الأشياء ، لأن (ما) سأل بها عن حقيقة الشيء وماهيته .

(١٤٤) سقطت في (أ) : (لا يعلمه) .

(١٤٥) في (خ) : (على) .

على كل^(١٤٦) ما يفعله ، من اتخاذ ولد ، وحركة وسكون ، وغير ذلك ، وإن الباري لا يقدر على شيء من ذلك . وهذا كفر وحشيتي جدًا .

قال أبو محمد : وسألناهم أيضًا فقلنا لهم : أتقرون أن الله تعالى لم يزل قادرًا على أن يخلق .. ؟ أم تقولون : إنه لم يزل غير قادر على أن يخلق ثم قدر .. ؟
فقول كل من لقينا منهم ، وقول جميع أهل الإسلام : أن الله عز وجل لم يزل قادرًا على أن يخلق .

قال أبو محمد : وهم وجميع أهل الإسلام منكرون على من قال من أهل الإلحاد أن الله تعالى لم يزل يخلق^(١٤٧) . قاطعون بأن لم يزل يخلق محال فاسد^(١٤٨) .

قال أبو محمد : وصدقوا في ذلك إلا أنهم إذا أقرروا أن قول من قال : إنه لم يزل يخلق محال ، وأقروا أنه لم يزل قادرًا على ذلك ، فقد أقرروا بصحة قولنا وأنه تعالى قادر على المحال ، ولابد من هذا أو الكفر ، أو^(١٤٩) القول بأنه تعالى لم يزل غير قادر . والحمد لله على هداه لنا إلى الحق .

قال أبو محمد : وسألناهم أيضًا فقلنا لهم : هل يجوز عندكم أن يدعى الله تعالى في أن يفعل ما لا يقدر على سواه ، أو في ألا يفعل ما لا يقدر على فعله^(١٥٠) ؟

فإن قالوا : نعم . أتوا بالمحال .

وإن قالوا : لا يجوز ذلك .

قيل لهم : فقد أمرنا الله تعالى أن ندعوه فنقول : « ربنا^(١٥١) احكم بالحق » « وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ^(١٥٢) » .

وهو عندكم لا يقدر على الحكم بغير الحق ، ولا على^(١٥٣) أن يحملنا ما لا طاقة لنا به .

قال أبو محمد : ومن عجائب الدنيا أنهم يسمعون الله تعالى يقول : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ بُنُ اللَّهِ^(١٥٤) ، وَأَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثِهِ^(١٥٥) ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ^(١٥٦) ، وَاللَّهُ فَقِيرٌ وَنَحْنُ

(١٤٦) في (خ) : سقطت كلمة (كل) .

(١٤٧) في (أ ، ب) : (خالقا) .

(١٤٨) في (أ ، ب) : (متفاسد) .

(١٤٩) في (أ ، ب) : (والقول) .

(١٥٠) في (خ) : « على سواه » .

(١٥١) في (أ ، ب) : (رب) . والنص : « رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ » : ١١٢ الأنبياء .

(١٥٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(١٥٣) في (أ ، ب) : سقطت (على) .

(١٥٤) سورة التوبة : ٣٠ .

(١٥٥) سورة المائدة : ٧٣ . والنص : « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » .

(١٥٦) سورة المائدة : ١٧ . والنص القرآني : « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ » .

أَغْنِيَاءُ^(١٥٧). وَيَدُّ اللَّهُ مَغْلُولَةً^(١٥٨). وَكَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ^(١٥٩) .

ولا يشك مسلم في أن هذا كله كذب ، فأى حماقة أشنع من قول من قال : إن الله قادر على أن يقول كل ذلك حاكياً ، ولا يقدر أن يقوله من غير أن يقول ما قيل . هذه الأقوال من إضافتها إلى غيره ، وهذا قول يغنى ذكره وسخافته عن تكلف^(١٦٠) الرد عليه .

قال أبو محمد : ثم سألناهم فقلنا لهم : من أين علمتم أن الله تعالى لا يقدر على الكذب أو المحال ، أو الظلم ، أو غير ما فعل .. ؟

فلم تكن لهم حجة أصلاً إلا أن قالوا : لو قدر على شيء من ذلك لما أمنا أن يكون فعله أو لعله سيفعله .

فقلنا لهم : ومن أين أنتم أن يكون قد فعله أو لعله سيفعله .. ؟ فلم تكن لهم حجة أصلاً ، إلا أن قالوا : إن الله لا يقدر على فعله .

قال أبو محمد : فحصل من قولهم^(١٦١) هذا أن حجتهم أنه تعالى لا يقدر على الظلم والكذب والمحال ، وغير ما فعل ، أنه لا يقدر على شيء من ذلك ، فاستدلوا على قولهم بذلك القول نفسه ، وهذه سفسطة تامة ، وحماقة ظاهرة ، وجهل قوى لا يرضى به لنفسه إلا سخييف العقل ، ضعيف الدين ، فلا بد لهم^(١٦٢) ضرورة من أن يرجعوا إلى قولنا ؛ في أنه بالضرورة علمنا أنه لا يفعل من ذلك ، كما علمنا أن زريعة العنب لا يخرج منها الجوز ، وأن ماء الفرس لا يتولد منه جمل .

قال أبو محمد : وأما نحن فإن برهاننا على صحة قولنا أن البرهان قد قام على أنه تعالى لا يشبهه من خلقه شيء^(١٦٣) من الأشياء ، والخلق عاجزون عن كثير من الأمور جملة^(١٦٤) والعجز من صفات المخلوقين ، فهو منتف عن الله^(١٦٥) عز وجل جملة . وليس في الخلق قادر بذاته على كل مسؤل عنه ، فوجب أن البارئ تعالى هو الذى على كل مسؤل عنه ، وكذلك لما كان^(١٦٦)

(١٥٧) سورة آل عمران : ١٨١ . والنص : « لقد سمع الله قول الذين قالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » .

(١٥٨) سورة المائدة : ٦٤ . والنص القرآني : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » .

(١٥٩) سورة الحشر : ١٦ . والنص القرآني : « كمثل الشيطان » بدون (الواو) .

(١٦٠) في (خ) : (تكليف) .

(١٦١) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (قولهم) .

(١٦٢) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (لهم) .

(١٦٣) في (خ) : « في شيء » .

(١٦٤) في (أ) : سقطت كلمة (جملة) .

(١٦٥) في (أ ، ب) : (منفي) .

(١٦٦) في (أ ، ب) : سقطت (لما كان) .

الكذب والظلم من صفات المخلوقين ، وجب يقيئاً أنهما منفيان عن البارئ تعالى فهذا هو الذى آمننا من أن يكذب أو يظلم أو يفعل غير ما علم أنه يفعله . وإن كان تعالى قادراً على كل ذلك .

وقلنا لهم أيضاً : إذا كان عز وجل لا يوصف بالقدرة على إبطال علمه ، ولا يوصف^(١٦٧) بالقدرة على إمامته اليوم من علم أنه لا يميتة إلا غداً ، لأنه لا قدرة له على ذلك ، ولو كان له قدرة على^(١٦٨) ذلك لوصف بها ، فإذا جاء غد فأماته فله قدرة على إمامته حينئذ ، فقد حدث له قدرة بعد أن لم تكن . وهذا يوجب أن قدرته تعالى حادثة ، وهذا خلاف قولهم .

قال أبو محمد : وفي هذا أيضاً محال آخر ، وهو أنه إذا حدث له قدرة بعد أن لم تكن فمن أحدثها له .. ؟ أهو أحدثها لنفسه .. ؟ أم غيره أحدثها له .. ؟ أم أحدثت بلا مُحدث .. ؟

فإن قالوا : هو أحدثها لنفسه سئلوا : بلا قدرة أحدث لنفسه القدرة .. ؟ أم بقدرة أخرى .

فإن قالوا : أحدث لنفسه قدرة بلا قدرة أتوا بالمحال .

وإن قالوا : بل بقدرة . أثبتوا قدرة لم تزل ، بخلاف قولهم .

وإن قالوا : غيره أحدثها له ، أو حدثت بلا محدث - لحقوا بقول الدهرية ، وكفروا ، وفي قولهم هذا من خلاف المعقول ، وخلاف القرآن ، وخلاف البرهان ما تضيق به نفوس المؤمنين . والحمد لله على معافاته لنا مما ابتلاهم به .

وإن قالوا^(١٦٩) : لو فعل تعالى كل ذلك كيف كان يسمى .. ؟

قلنا : هذا سؤال سخيف عما لا يكون أبداً ، وهو كمن سأل : لو طار الإنسان كم ريشة كانت تكون له .. ؟ وما أشبه هذا من حماقة المأمون كونها . وتسمية الله^(١٧٠) تعالى نفسه المقدسة إليه لا إلينا . وبالله تعالى التوفيق .

وقال أبو هذيل العلاف^(١٧١) : إنَّ لِمَا يَقْدِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ كُلُّهُ وَآخِرُهُ - كَمَا لَهُ أَوَّلُهُ ؛

(١٦٧) في (أ ، ب) : بزيادة (فكان لا يوصف) .

(١٦٨) في (أ ، ب) : « على ذلك قدرة » .

(١٦٩) في (أ ، ب) : « وقالوا » .

(١٧٠) في (أ ، ب) : « البارئ تعالى إليه لا إلينا » وسقطت كلمة (نفسه المقدسة) .

(١٧١) مرث ترجمته في ص

فلو خرج آخره إلى الفعل - ولا يخرج - لم يكن الله تعالى قادراً على شيء أصلاً ، ولا على فعل شيء بوجه من الوجوه .

وقال عبد الله بن أحمد بن محمود^(١٧٢) الكعبي : ما نعلم أحداً يعتقد هذا اليوم إلا يحيى^(١٧٣) بن بشر الأرجائي . وادّعى أن أبا الهذيل تاب عن هذا القول .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرد لا خفاء به ، لأنه يجوز على ربه تعالى الكون في صفة الجماد ، أو المخدور ، أو المفلوج ، مع صحة الإجماع المتيقن^(١٧٤) على خلاف هذا القول الفاسد مع خلافه للقرآن ولموجب العقل ، وبديهته كذا عنده . وأظنه^(١٧٥) قد شبهه تعالى بالخلقين .

قال أبو محمد : وأما الأسواري فجعل ربه تعالى مضطراً بمنزلة الجماد ولا فرق . لا قدرة له على غير ما فعل . وهذه حال دون حال البق والبراغيث .

وأما أبو الهذيل : فجعل ربه تعالى قدرته متناهية ، بمنزلة المختارين من خلقه ، وهذا هو التشبيه حقاً .

وأما النظام والأشعرية : فكذلك أيضاً ، وجعلوا قدرة ربه تعالى متناهية يقدر على شيء ، ولا يقدر على آخر . وهذه صفة أهل النقص .

وأما سائر المعتزلة : فوصفوه تعالى بأنه لا نهاية لما يقدر عليه من الشر ، وأن قدرته على الخير متناهية ، وهذه صفة شر ، وطبيعة خبيثة جداً نعوذ بالله منها إلا بشر^(١٧٦) بن المعتز ، فقوله في هذا كقول أهل الحق ، وهو ألا تتناهى قدرته أصلاً والحمد لله رب العالمين .

« تم بحمد الله الجزء الثاني من كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم ، ويليهِ الجزء الثالث وأوله الكلام في الرؤية » .

وبالله التوفيق

(١٧٢) هو : عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي من بني كعب ، البلخي الخراساني ، أبو القاسم ، أحد أئمة المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى (الكعبية) ، وله آراء ومقالات في الكلام انمرد بها ، وهو من أهل بلخ ، أقام ببغداد مدة طويلة ، وتوفى ببلخ ، له كتب منها « التفسير » و« تأييد مقالة أبي الهذيل » و« أدب الجدل » و« تحفة الوزراء » و« محاسن آل طاهر » و« مفاخر خراسان » و« الطعن على المحدثين » أثني عليه أبو حيان التوحيدى . وقال الخطيب البغدادي : صنف في الكلام كتباً كثيرة ، وانتشرت كتبه ببغداد . وقال السمعاني : من مقالاته أن الله تعالى ليس له إرادة وأن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها . طبقات المعتزلة

(١٧٣) هو : من أصحاب أبي الهذيل ، ورد ذكره في طبقات المعتزلة في غير موضع ، وقد عدّ من الطبقة السابعة التي منها ثمانية بن الأشرس ، وأبو عبد الله الدباغ ، وروى عن أبي الهذيل : القول بتناهي الحركات ثم روى أنه تاب من ذلك ، وحكى عنه : أن لأبي الهذيل ستين كتاباً في الرد على المخالفين في دقيق الكلام وجليله . (فرق وطبقات المعتزلة : ٥٥ ، ٥٧ ، ٨٣) .

(١٧٤) في (أ ، ب) : سقطت كلمة (المتيقن) .

(١٧٥) في (خ) : سقطت كلمة (وأظنه) .

(١٧٦) هو : بشر بن المعتز ، البغدادي ، أبو سهل ، فقيه معتزلي ، مناظر ، من أهل الكوفة . قال الشريف المرتضى يقال : إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستحبيه ، تنسب إليه الطائفة البشرية ، له مصنفات في الاعتزال . مات ببغداد سنة ٢١٠ هـ . طبقات المعتزلة .

فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
١	ولا تزر وزر أخرى	فاطر	١٨	٧
٢	كل نفس بما كسبت رهينة	المدثر	٣٨	٧
٣	يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل	الزمر	٥	٩
٤	كل في فلك يسبحون	الأنبياء	٣٣	٩
٥	والشمس تجري لمستقر لها	يس	٣٨	٩
٦	قل إنما الآيات عند الله	الأنعام	١٠٩	٨٣
٧	وكفرت طائفة	الصف	١٤	٩١
٨	وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين	الأعراف	٣٧	٩٨
٩	قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون	الأعراف	٥٣	٩٨
١٠	سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم	المنافقون	٦	١٠٢
١١	فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا ، قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ، قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت : أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ، فحملته فانتبذت به مكائا قصبيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا - إلى قوله تعالى : فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هارون ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا ، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من			

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
	كان في المهد صبياً ، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً .	مريم	١٧ - ٣١	١٤٨
١٢	إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون	يس	٨٢	
١٣	من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله . فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .	الصف	١٤	٢٠٩
١٤	إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .	آل عمران	٥٥	٢٠٩
١٥	قال تعالى : وجاء ربك والملك صفاً صفاً .	الفجر	٢٢	٢٠٩
١٦	قال تعالى : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة .	البقرة	٢١٠	٢٠٩
١٧	قال تعالى : لو أنفق ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم .	الأنفال	٦٣	٢٣١
١٨	قال تعالى : وجادلهم بالتى هي أحسن .	النحل	١٢٥	٢٣٦
١٩	قال تعالى : يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا .	هود	٣٢	٢٣٦
٢٠	قال تعالى : قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٢٣٧
٢١	قال تعالى : فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان .	الرحمن	٣٣	٢٣٧
٢٢	قال تعالى : وبأى الله إلا إن يتم نوره ولو كره الكافرون	التوبة	٣٢	٢٣٨
٢٣	قال تعالى : يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل	الزمر	٥	٢٤١
٢٤	قال تعالى : وجعلنا آية النهار مبصرة	الإسراء	١٢	٢٤١
٢٥	قال تعالى : سبع سماوات طباقاً	الملك	٣	٢٤٢
٢٦	قال تعالى : ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق	المؤمنون	١٧	٢٤٢
٢٧	قال تعالى : وسع كرسيه السموات والأرض	البقرة	٢٥٥	٢٤٢
٢٨	قال تعالى : الرحمن على العرش استوى	طه	٥	٢٤٣
٢٩	قال تعالى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد	الصفافات	٧٢٦	٢٤٣
٣٠	قال تعالى : ألم ترو كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً	نوح	١٥ ، ١٦	٢٤٤
٣١	قال تعالى : تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً	الفرقان	٦١	٢٤٤
٣٢	قال تعالى : وكل فى فلك يسبحون	يس	٤٠	٢٤٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
٣٣	قال تعالى : والشمس تجري لمستقر لها	يس	٣٨	٢٤٤
٣٤	قال تعالى : الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن	الطلاق	١٢	٢٤٦
٣٥	قال تعالى : وجدها تغرب في عين حمئة	الكهف	٨٢	٢٤٨
٣٦	قال تعالى : وجنة عرضها السموات والأرض	آل عمران	١٣٣	٢٤٩
٣٧	قال تعالى : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار	يس	٤٠	٢٥٣
٣٨	فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب	الحديد	١٣	٢٥٣
٣٩	وجنة عرضها كعرض السماء والأرض	الحديد	٢١	٢٥٤
٤٠	وجنة عرضها السموات والأرض	آل عمران	١٣٣	٢٥٤
٤١	ولن خاف مقام ربه جنتان	الرحمن	٤٦	٢٥٥
٤٢	وسع كرسيه السموات والأرض	البقرة	٢٥٥	٢٥٥
٤٣	الذين يحملون العرش ومن حوله	غافر	٧	٢٥٥
٤٤	ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم	الكهف	٥١	٢٥٧
٤٥	لا يصدعون عنها ولا ينزفون	الواقعة	١٩	٢٥٩
٤٦	ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا	الحجر	٤٧	٢٦٠
٤٧	يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات	إبراهيم	٤٨	٢٦٢
٤٨	يوم نظوى السماء كطلى السجل للكتب	الأنبياء	١٠٤	٢٦٢
٤٩	وفتحت السماء فكانت أبوابا	النبا	١٩	٢٦٢
٥٠	يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن	المعارج	٩	٢٦٢
٥١	وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والمملك على أرجائها	الحاقة	١٤ - ١٧	٢٦٢
٥٢	إذا السماء انشقت	الأنشقاق	١	٢٦٢
٥٣	وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت	الأنشقاق	٣ - ٥	٢٦٢
٥٤	وإذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت	الانفطار	١ - ٣	٢٦٢
٥٥	وإذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا البحار سيرت	التكوير	١ - ٣	٢٦٢
٥٦	أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما	الأنبياء	٣٠	٢٦٢
٥٧	كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين	الأنبياء	١٠٤	٢٦٢
٥٨	خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ	هود	١٠٨	٢٦٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
٥٩	يأتهم الله في ظلل من الغمام والملائكة	البقرة	٢١٠	٢٧٧
٦٠	تجلى ربه	الأعراف	١٤٣	٢٧٧
٦١	الله نور السماوات والأرض	النور	٣٥	٢٧٩
٦٢	إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى .	النجم	٢٣	٢٨٣
٦٣	ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه	الطلاق	١	٢٨٤
٦٤	سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين	الصفات	١٨٠	٢٨٥
٦٥	ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم	المجادلة	٧	٢٨٧
٦٦	ونحن أقرب إليه من حبل الوريد	ق	١٦	٢٨٧
٦٧	ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون	الواقعة	٨٥	٢٨٧
٦٨	الرحمن على العرش استوى	طه	٥	٢٨٨
٦٩	ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه	الطلاق	١	٢٨٩
٧٠	ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمة وعلمًا	القصص	١٤	٢٩١
٧١	ثم استوى إلى السماء وهي دخان	فصلت	١١	٢٩١
٧٢	ألا أنه بكل شيء محيط	فصلت	٥٤	٢٩١
٧٣	ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية	الحاقة	١٧	٢٩١
٧٤	آمنّا به كل من عند ربنا	آل عمران	٧	٢٩١
٧٥	الذين يحملون العرش ومن حوله	غافر	٧	٢٩١
٧٦	ويفعلون ما يؤمرون	النحل	٥٠	٢٩١
٧٧	إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولكن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده	فاطر	٤١	٢٩٢
٧٨	أنزله بعلمه	النساء	٢٦٦	٢٩٣
٧٩	ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين	محمد	٣١	٢٩٥
٨٠	حتى نعلم المجاهدين منكم	محمد	٣١	٢٩٧
٨١	فقلوا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى	طه	٤٤	٢٩٧
٨٢	ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه	الأنعام	٢٨	٢٩٨
٨٣	أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن	هود	٣٦	٢٩٨
٨٤	ليبلوكم أيكم أحسن عملاً	المملك	٢	٢٩٩
٨٥	ثم لتكونوا شيوخاً	غافر	٦٧	٢٩٩
٨٦	عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون	الأعراف	٢٩	٣٠٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
٨٧	وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا	الإسراء	٤ - ٨	٣٠٠
٨٨	ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء	البقرة	٢٥٥	٣٠٠
٨٩	وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً	الإسراء	٨٥	٣٠١
٩٠	هذا خلق الله	لقمان	١١	٣٠١
٩١	ولا يحيطون به علماً	طه	١١٠	٣٠١
٩٢	فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون	النحل	٦١	٣٠٢
٩٣	قال رب احكم بالحق	الأنبياء	١١٢	٣٠٢
٩٤	والسماء بنيناها بأيدي	الذاريات	٤٧	٣٠٧
٩٥	صبغة الله	البقرة	١٣٨	٣٠٧
٩٦	ليس كمثله شيء	الشورى	١١	٣٠٧
٩٧	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه	الأعراف	١٨٠	٣٠٨
٩٨	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	البينة	٥	٣٠٨
٩٩	ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه	الطلاق	١	٣٠٨
١٠٠	ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	الشورى	١١	٣١١
١٠١	لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون .	الأعراف	١٧٩	٣١٢
١٠٢	أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبض ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير .	الملك	١٩	٣١٢
١٠٣	يعلم السر وأخفى	طه	٧	٣١٣
١٠٤	إننى معكمم أسمع وأرى	طه	٤٦	٣١٤
١٠٥	وهو يدرك الأبصار	الأنعام	١٠٣	٣١٤
١٠٦	والله يسمع تحاوركما	المجادلة	١	٣١٤
١٠٧	وربك يخلق ما يشاء ويختار	القصص	٦٨	٣١٥
١٠٨	يعلم السر وأخفى	طه	٧	٣١٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
١٠٩	وأكيد كيدًا	الطارق	١٦	٣١٦
١١٠	الله يستهزئ بهم	البقرة	١٥	٣١٦
١١١	وهو خادعهم	النساء	١٤٢	٣١٦
١١٢	فأمنوا مكر الله	الأعراف	٩٩	٣١٦
١١٣	ومكروا مكراً ومكرنا مكراً	النمل	٥٠	٣١٧
١١٤	ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين	آل عمران	٥٤	٣١٧
١١٥	قل لله المكر جميعاً	الرعد	٤٢	٣١٧
١١٦	نسو الله فنسيهم	التوبة	٦٧	٣١٧
١١٧	سخر الله منهم	التوبة	٧٩	٣١٧
١١٨	إنك بأعيننا	الطور	٤٨	٣٢٢
١١٩	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون	الأعراف	١٨٠	٣٢٣
١٢٠	قل ادعوا الله أودعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى	الإسراء	١١٠	٣٢٣
١٢١	هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى	الحشر	٢٤	٣٢٣
١٢٢	والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم	يس	٣٩	٣٢٥
١٢٣	وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمّ أمثالكم	الأنعام	٣٨	٣٢٧
١٢٤	إن نحن إلا بشر مثلكم	إبراهيم	١١	٣٢٧
١٢٥	كأنهن الياقوت والمرجان	الرحمن	٥٨	٣٢٧
١٢٦	فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور	الحج	٤٦	٣٢٧
١٢٧	وتوكل على الحى الذى لا يموت	الفرقان	٥٨	٣٣٢
١٢٨	لا تأخذه سنة ولا نوم	البقرة	٢٥٥	٣٣٢
١٢٩	لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين	يس	٧٠	٣٣٥
١٣٠	وعلم آدم الأسماء كلها	البقرة	٣١	٣٤٥
١٣١	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام	الرحمن	٢٧	٣٤٧
١٣٢	إنما نطعمكم لوجه الله	الإنسان	٩	٢٤٧
١٣٣	فأينما تولوا فثم وجه الله	البقرة	١١٥	٣٤٨
١٣٤	يد الله فوق أيديهم	الفتح	١٠	٣٤٨
١٣٥	لما خلقت بيدي	ص	٧٥	٣٤٨
١٣٦	مما عملت أيدينا أنعاماً	يس	٧١	٣٤٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
١٣٧	بل يدها مبسوطتان	المائدة	٦٤	٣٤٨
١٣٨	ولتصنع على عيني	طه	٣٩	٣٤٨
١٣٩	فإنك بأعيننا	الطور	٤٨	٣٤٨
١٤٠	يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله	الزمر	٥٦	٣٤٩
١٤١	وما ملكت أيمانكم	النساء	٣٩	٣٤٩
١٤٢	أن لهم قدم صدق عند ربهم	يونس	٢	٣٥٠
١٤٣	يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود	القلم	٤٣	٣٥١
١٤٤	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله	يونس	٣٩	٣٥٢
١٤٥	فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون			
	بالله واليوم الآخر	النساء	٥٩	٣٥٢
١٤٦	وكان أمر الله مفعولا	النساء	٤٧	٣٥٢
١٤٧	والله غالب على أمره	يوسف	٣١	٣٥٢
١٤٨	لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا	الطلاق	١	٣٥٣
١٤٩	قل الروح من أمر ربي	الإسراء	٨٥	٣٥٤
١٥٠	يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له			
	الرحمن وقال صوابا	النبأ	٣٨	٣٥٤
١٥١	ألا له الخلق والأمر	الأعراف	٥٤	٣٥٤
١٥٢	يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك			
	فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك	الإنفطار	٨	٣٥٤
١٥٣	خلقكم ثم رزقكم ثم يميئكم ثم يحييكم	الروم	٤٠	٣٥٤
١٥٤	سبحان ربك رب العزة عما يصفون	الصافات	٨٠	٣٥٥
١٥٥	فدله العزة جميعا	فاطر	١٠	٣٥٥
١٥٦	فدله المكر جميعا	الرعد	٤٢	٣٥٥
١٥٧	قل لله الشفاعة جميعا	الزمر	٤٤	٣٥٥
١٥٨	أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة	فصلت	١٥	٣٥٦
١٥٩	كتب على نفسه الرحمة	الأنعام	١٢	٣٥٧
١٦٠	ويحذركم الله نفسه	آل عمران	٢٨	٣٥٧
١٦١	تعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام			
	الغيوب	المائدة	١١٦	٣٥٧
١٦٢	فلما أفل قال لا أحب الآفلين	الأنعام	٧٦	٣٥٨
١٦٣	وجاء ربك والملك صفا صفا	الفجر	٢٢	٣٥٨
١٦٤	هل ينظرون إلا أن يأتهم الله في ظلل من الغمام والملائكة			
	وقضى الأمر	البقرة	٢١٠	٣٥٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
١٦٥	لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	النحل	٦٠	٣٥٨
١٦٦	فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	النحل	٧٤	٣٥٨
١٦٧	وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا	طه	١١٠	٣٦٠
١٦٨	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ	يس	٨٢	٣٦٤
١٦٩	أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ	المائدة	٤١	٣٦٤
١٧٠	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ	البقرة	١٨٥	٣٦٤
١٧١	وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ	الرعد	١١	٣٦٤
١٧٢	فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا .	الأنعام	١٢٥	٣٦٤
١٧٣	وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ أَوَّلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ	النساء	٨٣	٣٦٥
١٧٤	ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ .	الحديد	٢١	٣٦٨
١٧٥	لَوْ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .	الزمر	٤	٣٧٢
١٧٦	لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ	الأنبياء	١٧	٣٧٢
١٧٧	وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ	النساء	١٤	٣٧٣
١٧٨	لَكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ .	التوبة	٦٥ ، ٦٦	٣٧٤
١٧٩	قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ .	الرعد	٢٦	٣٧٦
١٨٠	يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ	الأنعام	٣٧	٣٧٦
١٨١	قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ آيَةٌ	الحاقة	٤٤	٣٧٦
١٨٢	وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ	المعارج	٤٠ ، ٤١	٣٧٦
١٨٣	إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَنْ نَبْدِلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِعْكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ	الواقعة	٦١	٣٧٦
١٨٤	وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ	الزخرف	٣٣	٣٧٦
١٨٥	أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ	يس	٨١	٣٧٦
١٨٦	اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنَزِّلَ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا	نوح	١٠ - ١٢	٣٧٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
١٨٧	إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن	هود	٣٦	٣٧٦
١٨٨	قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض	الأنعام	٦٥	٣٧٦
١٨٩	عسى ربه إن طلقن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن	التحریم	٥	٣٧٦
١٩٠	عند مليك مقتدر	القمر	٥٥	٣٧٧
١٩١	وهو العليم القدير			
١٩٢	فإن الله كان عفواً قديراً			
١٩٣	رب احكم بالحق	الأنبياء	١١٢	٣٨٢
١٩٤	ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به	البقرة	٢٨٦	٣٨٢
١٩٥	وقالت اليهود عزيز بن الله	التوبة	٣٠	٣٨٢
١٩٦	إن الله ثالث ثلاثة	المائدة	٧٣	٣٨٢
١٩٧	لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم	المائدة	١٧	٣٨٢
١٩٨	إن الله فقير ونحن أغنياء	آل عمران	١٨١	٣٨٣
١٩٩	وقالت اليهود يد الله مغلولة	المائدة	٦٤	٣٨٣
٢٠٠	كمثل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر	الحشر	١٦	٣٨٣

فهرس الأحاديث النبوية

رقم	فهرس الحديث	الصفحة
١	فاسألوا الله الفردوس الأعلى فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن	٢٤٢
٢	مستقرها تحت العرش	٢٤٥
٣	ويحك أما تدري ما الله ؟؟.. إن عرشه على سماواته وأرضه وهكذا وقال بأصابعه مثل القبة	٢٤٧
٤	إن أرواح الشهداء طير خضر تعلق في ثمار الجنة	٢٤٩
٥	البحر من جهنم أحاط به سراقها	٢٥٠
٦	إن آخر أهل الجنة دخولاً فيها بعد خروجه من النار يعطى مثل الجنة عشر مرات	٢٥٤
٧	إن الدنيا في الآخرة كإصبع في اليم	٢٥٤
٨	أن للجنة ثمانية أبواب	٢٥٤
٩	فاسألوا الله الفردوس الأعلى فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن	٢٥٤
١٠	ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض	٢٥٧
١١	بعثت والساعة كهاتين	٢٥٨
١٢	هي صفة الرحمن فأنا أحبها فأخبره رسول الله ﷺ : أن الله يحبه	٢٨٤
١٣	ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن	٣١٥
١٤	ما بينهم وبين أن يروه إلا رداء الكبراء على وجهه لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره	٣١٥
١٥	إن الله تسعة وتسعون إسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة . إنه وتر يجب الوتر	٣٢٣
١٦	إن الله تسعة وتسعين إسماً مائة إلا واحداً	٣٤٥
١٧	المقسطون عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين	٣٤٨
١٨	إن جهنم لا تمتلئ حتى يضع فيها قدمه	٣٤٩
١٩	إن جهنم لا تمتلئ حتى يضع فيها رجله	٣٤٩
٢٠	إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله تعالى	٣٥٠
٢١	أن الله تعالى يبدو للمؤمنين يوم القيامة في غير الصورة التي عرفوه عليها	٣٥٠
٢٢	خلق الله آدم على صورته	٣٥٠
٢٣	إن الله عز وجل يكشف عن ساق فيخرون سجداً	٣٥١

الصفحة	فهرس الحديث	رقم
٣٥٣	 إن الله يحدث من أمره ما يشاء	٢٤
٣٥٤	 سبوح قدوس رب الملائكة والروح	٢٥
٣٥٥	 وعزتك في حديث خلق الجنة والنار	٢٦
٣٥٥	 إن الله خلق مائة رحمة فقسّم في عباده رحمة واحدة فيها يتراحمون ، ورفع التسع والتسعين ليوم القيامة	٢٧
٣٥٥	 يرحم بها عبادة أو كما قال عليه السلام	
٣٥٦	 اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك	٢٨
٣٥٧	 ينزل الله تعالى كل ليلة إذا بقى ثلث الليل إلى سماء الدنيا	٢٩
٣٦٩	 لا يزال يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه ، فيزوي بعضها إلى بعض	٣٠
٣٧٥	 وتقول قَدِ قَدِ ، وعزتك وكرمك	
٣٧٥	 الناس لا يزالون يتساءلون فيما بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟..	٣١

فهرس الفرق

- ١ - الأزارقة ٢٦٦
- ٢ - الإسماعيلية ٢٧٤
- ٣ - الأشاعرة ٢٦٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥
- ٤ - أهل السنة : ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣٥٩
- ٥ - البطحية : ٢٦٧
- ٦ - الجهمية : ٢٦٥ ، ٢٩٤
- ٧ - الخوارج : ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥
- ٨ - الدهرية : ٢٩٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٨٤
- ٩ - الروافض : ٢٧٦
- ١٠ - السفسطائية : ٢٧٩
- ١١ - الشيعة : ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥
- ١٢ - العجارية : ٢٧٦
- ١٣ - القرامطة : ٢٧٤
- ١٤ - الكرامية : ٢٦٥
- ١٥ - المجسمة : ٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٨
- ١٦ - المرجئة : ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥
- ١٧ - المجوسية : ٢٧٤
- ١٨ - المعتزلة : ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣٣٤ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥

فهرس الأماكن والبلدان

١ - الأردن : ٤١	
٢ - أرمينية : ٢١٩	
٣ - استيه : ١٣	
٤ - اقاية : ١٣	
٥ - أنطاكية : ١٣ ، ٢٠٣	
٦ - أورشليم : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٥٧	
٧ - أيحا : ١٤٥	
٨ - بحيرة الطبرية : ١٣٠	
٩ - البحرين : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٤	
١٠ - بحر القلزم : ٢١٢	
١١ - برشلام : ٣٦ ، ٦٤ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٦٩	
١٢ - البصرة : ٢١٢	
١٣ - تبوك : ٢٢١ ، ٢٢٥	
١٤ - تنفيا : ١٠٧	
١٥ - تفتالى : ٤١	
١٦ - جبل الزيتون : ١٠٧	
١٧ - جلجال : ٤١ ، ٤٢ ، ١٢٨ ، ١٣١	
١٨ - الحبشة : ٢٢٤	
١٩ - خراسان : ٢١٦ ، ٢٩٧	
٢٠ - الخندق : ٢٢١	
٢١ - دمشق : ٢٠٦	
٢٢ - الروم : ٢١٣	
٢٣ - زابلون : ٤١	
٢٤ - السودان : ٢١٦	
٢٥ - السند : ٢١٦ ، ٢١٩	
٢٦ - الشام : ١٣ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧	

- ٢٧ - صنعاء : ٢١٤ ، ٢٢٤
- ٢٨ - الصين : ٣٠
- ٢٩ - ططقة : ٣٠
- ٣٠ - الطائف : ٢١٢ ، ٢١٣
- ٣١ - طليطلة : ٨٣
- ٣٢ - عمان : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٤
- ٣٣ - العراق : ٢١٦
- ٣٤ - غلاديه : ٢٠٢
- ٣٥ - فارس : ٢١٣ ، ٢١٦
- ٣٦ - الفرات : ٢١٧
- ٣٧ - القسطنطينية : ١٦ ، ٢٠٥ ، ٢٢٥
- ٣٨ - قرطبة : ٢٦١
- ٣٩ - كابل : ٢١٦
- ٤٠ - الكوفة : ٢١٢ ، ٢١٦
- ٤١ - كفر ناحوم : ٤١ ، ١٥١
- ٤٢ - مصر : ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧
- ٤٣ - المدينة : ٢١٢
- ٤٤ - الناصرة : ٤١ ، ١٤٧
- ٤٥ - الهند : ٣٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦١
- ٤٦ - اليمن : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٤
- ٤٧ - اليمامة : ٢١٤

فهرس الأعلام

حرف النون

٣٥١ ، ٢٧١ ، ٢١ ، ٤ :	آدم عليه السلام
٣٠ :	آرام بن حصروم
٣٦٨ ، ٣٥٦ :	إبراهيم بن أحمد
٢٠٧ ، ١٧ :	إبراهيم بن أدهم
٢٤٥ :	إبراهيم بن حزم
٣٠ :	إبراهيم بن داود
٣٨٥ ، ٣٧٥ :	إبراهيم بن سيار النظام
٢٦١ ، ١١٠ :	إبراهيم عليه السلام
٣٥٦ :	إبراهيم بن المنذر
٢٢٧ :	أبرهة الحبشي
٢٦٧ :	أحمد بن باسوس
٢٥٨ ، ٢٨٥ :	أحمد بن حنبل
٢٦٧ :	أحمد بن حابط
٢٥١ ، ٢٥٠ :	أحمد بن خالد
٢٤٧ :	أحمد بن عبد البصير
٢٥٠ :	أحمد بن عبد الله عبد الرحيم
٢٤٩ :	أحمد بن عبدان الحافظ
٢٥٠ ، ٢٤٥ :	أحمد بن عمر بن أنس
٢٧٤ :	أحمد بن عون الله
٢٢٦ ، ٢٢٥ :	أريد بن جزء
٢٤٣ ، ٢٣٧ :	أرسطاطاليس
١٨ :	أرميا
٢٢ :	أرفخشاذ
٣٠ :	إسحاق بن ابراهيم

٢٧٣ :	استيا بن
٣٠٠ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ :	إسرائيل
٢٠٥ :	إسرافيل الملك
٢٧١ :	إسماعيل بن محمد الحميري
٢٢٥ ، ٢١٥ ، ٢١٤ :	الأسود العنسي
٢٤٨ :	الإسكندر الأكبر
١٦ :	أشطين بكر الشهداء
١٩١ ، ٤١ ، ١٨ :	أشعيا
٥٧ ، ٤٧ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٦ ، ٥ :	أندرياش
٣٦٩ ، ٦٠ :	أنس بن مالك
٣١ :	أنشاي بن عوبيد
٢٧٤ :	أنو شروان قباذ
٢٤٥ :	إياس بن معاوية
٢١ ، ٤ :	إينوش بن شيت

حرف الباء

٢٧٣ :	بابك الخرمي
٧٥ ، ٦٥ ، ٥٧ ، ٥٥ ، ٥٠ ، ٤٧ ، ٦ ، ٥ :	باطرة
٩٤ ، ٩٣ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ :	
١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٠٦ ، ١٠٣ ، ٩٨ :	
٢٠٥ ، ٢٠٢ ، ١٣٥ ، ١٣٠ ، ١٢٩ :	
٢٠٩ ، ٢٠٦ :	
٢٥١ :	بشر بن شعاف الضبي
٢٦٦ :	بشر بن غياث المريسي
٣٨٦ :	بشر بن المعتمر
٢٤ ، ٢١ :	بطليموس
١٢٨ :	بلاطش
٢٠٧ ، ١٧ :	بهرام بن بهرام
١١٣ ، ٨١ ، ٥٥ ، ١٦ ، ١٥ ، ٧ ، ٦ ، ٤ :	بولس البنياميني
٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ١٤٩ :	
٢٠٧ ، ٢٠٦ :	
٢٧٢ :	بولس بن سمعان

حرف التاء

٢٣ :	تارح بن ناحور

حرف الفاء

- ثابت بن مسلم البناني : ٦٠
ثمامه بن أثال الحنفى : ٢١٥

حرف الجيم

- جابر بن عبد الله : ٣٥٦ ، ٢٢٦
جبيل عليه السلام : ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٢٠٥ ، ١٤٥
جبير بن محمد بن جبير بن مطعم : ٢٤٦
جعفر بن حرب : ٣٠٩
جهم بن صفوان : ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٦٩ ، ٢٦٥

حرف الحاء

- الحارث بن سريج : ٢٩٧
حاطب بن أبى بلتعة : ٢٢٢
حام بن نوح : ٢٢
الحجاج بن المنهال السلمى : ٢٥٢ ، ٢٥١
الحسن بن بقى : ١٠٨
الحسن بن صالح بن حى الهمداني : ٢٦٦
الحسن بن على بن أبى طالب : ٢٩٩ ، ٢١٧
الحطيئة العيسى : ٢٢٥ ، ٢١٥ ، ٢١٤
حصروم بن زارح : ١٠
حماد بن سلمة : ٢٥٢ ، ٢٤٥
الحسين بن محمد بن النجار : ٢٦٦
الحسين بن منصور الخلاج : ٢٧١ ، ٢٠٧

حرف الخاء

- الخضر عليه السلام : ٣٠١
خليفة بن خياط : ٣٦٨
خنوخ بن يارد : ٢٢

حرف الدال

داود عليه السلام	: ١٦ ، ١١١ ، ١٤٥ ، ١٤٦
داود الجوارى	: ٢٦٩
داود على الأصفهاني	: ٣٠٩
داود بن علي بن داود بن خلف	: ٢٥٢
الدجال	: ١١٨
ذكريد الملك	: ١٥ ، ٤

حرف الذال

ذاروند الفارس	: ٢١٥
ذو الكلاع	: ٢٢٤

حرف الراء

راغو بن قانع	: ٢٣

حرف الزاي

زارح بن يهوذا	: ٣٠
زكريا الكوهن	: ١٤٥
زكريا بن يحيى الساجي البصري	: ٢٤٦
زهير بن أبي سلمى	: ٢١٦
زيد بن ثابت	: ٢١٣

حرف السين

سليمان عليه السلام	: ١٦ ، ١٨ ، ٣٣
سام بن نوح	: ٢٢
سجاح المنتبعة	: ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٥
سراقة بن مالك	: ٢٢٧
سعيد بن أبي هلال	: ٢٨٤ ، ٢٨٥
سعيد بن جبير	: ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٦٩

٢٥٤ :	سعيد الخدري
٢٥٢ :	سعيد بن المسيب
٢٩٧ :	سلم بن أحوذ
٢٤٦ :	سلمة بن شبيب
٢٤٥ :	سليمان بن حرب
٢٤٧ :	سليمان الأعمشى
٢٦ :	سليمان بن مهران الأسدى

حرف الشين

٢٢ :	شاخ بن أرفخشاذ
٢٣ :	شاروع بن راغو
٢٥٢ :	شبيب بنت سعيد
٢٤٧ :	شعبة بن الحجاج
٢٢٢ :	شماى
٢٢٢ :	شمعون
٣٧٥ :	شفيق بن إبراهيم البلخى
٢٥٢ :	شفيق بن سلمة الأسدى
٤٧ ، ٤٢ ، ٤١ ، ١٧ ، ١٥ ، ١٣ ، ٦ ، ٣ ، ٢٢٣ ، ١٤٧ ، ١٣٠ ، ٨١ :	شمعون باطرة
٢٠٢ ، ١٤٩ ، ١٢٣ :	شمعون القيروانى
١١٣ :	شمعون بن يونا
١٦ :	شموال
٢٢٤ :	شهر بن باذام ملك صنعاء
٢٠٧ ، ١٧ :	شيبان الراعى
١١٣ ، ١٠٥ :	شيذاى

حرف الصاد

٣٥١ :	صالح عليه السلام
١٠٧ :	صهيون

حرف الضاد

٢٤٩ :	الضحاك بن مخلد

الضحاك بن مزاحم	: ٢٣٥
ضرار بن عمرو	: ٣٥٩ ، ٢٦٦

حرف الطاء

الطفيل بن عمرو الدوسي	: ٢٦٦
طليحة الأسدي	: ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٥
طوما	: ١٣

حرف العين

عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها -	: ٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٣١٦
عابر بن شائع	: ٢٢
عاصم صاحب القراءة المشهورة	: ٥ ، ٨ ، ٢١٢
عامر بن الطفيل	: ٢٢٥
عباد بن الجلودى	: ٢٢٤
عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى	: ٢٤٩
عبد بن حميد	: ٢٤٥
عبد الأعلى بن مسهر الغسانى	: ٢٤٦
عبد الرحمن بن أبى الموالم	: ٣٥٦
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني	: ٣٥٦ ، ٣٦٨
عبد الصمد بن الوارث	: ٢٤٧
عبد العزيز بن سالم الكنانى	: ٣١٠
عبد الله بن أبيه بن عبد الله بن خالد	: ٢٤٩
عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخس	: ٢٤٥
عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى	: ٣٨٥
عبد الله بن الحسن	: ٣٥٦
عبد الله بن ربيع التميمى	: ٢٥١ ، ٢٤٦
عبد الله بن سبأ الحميرى	: ٩٠ ، ٢٧٤
عبد الله بن سلام	: ٢٥١
عبد الله بن عباس	: ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٠
عبد الله بن محمد بن عثمان الأسدى	: ٢٥٨
عبد الله بن محمد الهروى	: ٢٤٥
عبد الله بن مسعود	: ٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٥٣
عبد الله بن المبارك	: ٢٧
عبد الله بن وهب	: ٢٥٢ ، ٢٨٤

٢٦٦ :	عبد الله بن يزيد الأباضي الكوفي
٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ :	عثمان بن عفان
٢٧٤ ، ٢١٦ :	عثمان
٢٥ :	عثمان بن غياث
٢٤ ، ٢١ :	عزرا الوراق
٣٧٥ :	عزيز عليه السلام
٢٥ :	عكرمة بن عبد الله البربري
٨٩ ، ٩٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ،	علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ :	
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ،	علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن الأشعري
٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٨ :	
٣٧٣ ، ٣٥٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ :	علي الأسواري
٢٥ :	علي بن عبد العزيز
٩٠ :	علي بن الفضل
٩٠ :	علي بن النجار
٢٧٣ :	عمار الملقب خدّاش
٦٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٧٢ :	عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
٢٧٤ :	عمرو بن عبد الله بن الحارث الكندي
٢٨٤ :	عمرو بن الحارث
٢٨٤ :	عمرة بنت عبد الرحمن
٣٠ :	عمينا ذاب بن آرام
٣١ :	عويذ بن بوعز
١١٨ :	عيسى عليه السلام

حرف الغين

٢٢٥ :	غورث بن الحارث

حرف الفاء

٢٩٩ ، ٣٥٩ :	فرعون
٢٧٦ :	الفضل الحدثي
٤٧ ، ٥٧ ، ١٩٣ :	فلبس
٢١٥ :	فيروز الفارسي

حرف القاف

٢٦٠ ، ٢٤٧ :	قاسم بن إصبع
٢٣ :	قالغ بن عابر
٦٠ :	قتادة بن عمرين
٣٦٩ :	قتادة
٢٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢٠٦ ، ١٧ ، ١٦ ، ٤ :	قسطنطين الملك
٢١ :	قينان بن أيتوس

حرف الكاف

٢٣٤ :	كعب الأخبار
٢٥ :	كعب بن ماته الحميري
٢٣٦ :	الكلبي صاحب كتاب الأصنام
١٥٧ :	كلوباش

حرف اللام

١١٠ :	لوط عليه السلام
٢٢ :	لاخ بن متوشاخ
٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ :	لوقا الأنطاكي
	لوقا صاحب الإنجيل

حرف الميم

١٧ :	مانى
١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ، ٢٠٦ :	مارقس
٢١٥ :	مالك بن نويرة

متى اللاوانى	: ٣ ، ٥ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ،
	٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ،
	٥٠ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ،
	٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٥ ،
متى الشرطى	: ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
	٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
	١١١ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
	١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ،
	١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ٢٠٩ ،
متو شالح بن خنوخ	: ٢٢ ، ٢٣ ،
محمد بن أبى زينب	: ٢٧٢ ،
محمد بن أحمد بن محمد السمنانى	: ٣٠٣ ، ٣٥١ ،
محمد بن إدريس الشافعى	: ٣٠٩ ،
محمد بن إسحاق	: ١٤٦ ،
محمد بن إسماعيل البخارى	: ٢٤٩ ، ٣٦٨ ،
محمد بن بشار بن دار	: ٢٤٧ ، ٢٥٠ ،
محمد بن جبير بن صفوان	: ٢٤٩ ،
محمد بن جعفر الكوفى شيطان الطاق	: ٢٦٩ ،
محمد بن الحسن بن فورك	: ٣٠٣ ، ٣٢٤ ، ٣٥١ ،
محمد بن سيرين	: ٢٩٩ ،
محمد بن سعيد بن بنات	: ٢٤٧ ،
محمد بن سهل القرشى	: ٢٤٩ ،
محمد بن الطيب الباقلاانى	: ٢٩٤ ، ٣٠٣ ، ٣٢٤ ،
محمد بن عبد الرحمن بن حارثة	: ٢٨٤ ،
محمد بن عبد السلام الحشنى	: ٢٤٧ ، ٢٥١ ،
محمد بن عبد الله بن مسرة	: ٢٩٣ ،
محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر	: ٢٥٨ ،
محمد بن عبيد الله بن أبى يعقوب	: ٢٥١ ،
محمد بن معاوية القرشى	: ٢٤٦ ، ٢٥٨ ،
محمد بن كرام السجستانى	: ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
محمد بن المنكدر	: ٣٥٦ ،
محمود بن سبكتكين	: ٢٥٨ ،
المختار بن أبى عبيد	: ٩٠ ،
مرقس الهارونى	: ٣ ، ٥ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ،
	٥٦ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٣ ،
	٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٧ ،
	١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
مرعقيا	: ٢٢٢ ،

٨٢ ، ٨١ :	مريم عليها السلام
١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ :	مريم المجدلانية
١٣١ ، ١٢٩ :	مريم أم يعقوب
٢٧٤ :	مزدك
٢٢٥ ، ٢١٥ ، ٢١٤ :	مسيلمة الكذاب
٢٤٧ :	مسلم البطين
١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٦١ ، ٣٠١ ، ٣٥١ ، ٣٧٥ :	المسيح عليه السلام
٦٠ :	معبد بن هلال العتري البصري
٣٥٦ :	معبد بن عيسى
٣٦١ :	معتمر بن سليمان
٢٧٢ :	المغيرة بن أبي سعيد العجلي
١١٨ :	المغيرة بن شعبة
٢٦٩ ، ٢٣٥ :	مقاتل بن سليمان
٢٧٣ :	المقنع الخرساني
٢٧٣ :	منقاد
٢٢٤ :	المنذر بن ساوى ملك البحرين
٢٥٢ :	مهدى بن ميمون
٢٥٢ :	المهلب الأسدي
٢٢ ، ٢١ :	مهلال بن قينان
١٤٨ ، ١١٨ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٢٤ ، ١٦ ، ١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢٠٤ :	موسى عليه السلام

٣٥٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٠

: ٢٠٥

ميكائيل الملك

حرف النون

: ٢١٦

النابعة الذبياني

: ٢٢٤

النجاشي ملك الحبشة

: ٢٣

ناحور بن شاروع

: ٣١

نحشون بن عمينا ذاب

: ٢٩٧

نصر بن سيار

: ٢٦٥

النعمان بن ثابت

: ٢٩٨

نوح عليه السلام

: ٢٢

نوح بن لائح

حرف الهاء

: ١٦

هارون عليه السلام

: ٣٠٩ ، ٢٩٣ ، ٢٦٩

هشام بن الحكم

: ٢٩٤

هشام بن عمرو الفوطي

: ٢٢٢

هلال

: ١٤٥

هير دو

حرف الواو

: ٢٦٠

وكيع بن الجراح

: ٢٤٧ ، ٢٤٦

وهب بن جرير بن حازم

: ٢٣٤

وهب بن منبه

حرف الياء

: ٢٢

يارد بن مهلال

: ٢٢

يافث بن نوح

: ١٤٥

اليثبان

: ٣٨٦

يحيى بن بشر الارجاني

٢٥ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٧ ،	يحيى بن زكريا
٦٨ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،	
١٧٣ ، ١٧٥ ،	
٢٥٠ :	يحيى بن سعيد القطان
٥٧ ، ٦٩ ، ٧٣ :	يحيى بن سبداى
٢٤٥ :	يحيى بن عبد الحميد
٢٨٥ :	يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعيد
٢٦ :	يحيى بن مسعود
٣٦٩ :	يزيد بن زريع
٢٧٢ :	يزيد الحائك
٣٠ :	يعقوب بن اسحاق
٢٤٥ :	يعقوب بن جعفر
٤١ ، ٤٢ ، ٥٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١١٣ ،	يعقوب بن سبداى
٢٤٦ :	يعقوب بن عتبة
٤ ، ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ٥٥ ، ٨١ ، ١١٣ ،	يعقوب بن يوسف النجار
١٤٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،	
٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤١ ،	يوحنا بن سبداى
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٨٢ ،	
٨٣ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٣ ، ١٢٢ ،	
١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،	
١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ،	
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،	
١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،	
١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ،	
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ،	
٢٠٦ ، ٢٠٩ ،	
٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،	يوسف النجار
١٤٩ ، ١٥١ ،	
١٢٧ ، ١٢٨ :	يوسف الامازى العريف
١٦ :	يوشع
٢٥٢ :	يونس بن عبد الأعلى
٧٧ ، ٧٨ :	يونس عليه السلام
٣٠ :	يهودا بن يعقوب
٤ ، ٧ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٨١ ،	يهودا بن يوسف
٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٤٥ ،	
١٤٩ ، ١٨٥ ، ٢٠٢ ،	

الكنى

٢٦٧ :	أبو إسماعيل البطيحي
٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ :	أبو بكر الصديق
٨٩ :	أبو الخطاب الأجدع
٩٠ :	أبو زكريا الخياط
٢٦٠ :	أبو ظبيان
٩٠ :	أبو عبد الله العجاني
١١٨ :	أبو العجب
٢٠٧ ، ١٧ :	أبو مسلم الخولاني
٢٧٣ :	أبو مسلم السراج
٢٦٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ٣٤٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ :	أبو الهذيل العلاف

ثبت بالمراجع

اسم المرجع	المؤلف والطبعة
١ القرآن الكريم	كتاب الله جل من أنزل
٢ فتح الباري بشرح صحيح البخارى	رقم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب من المكتبة السلفية
٣ صحيح مسلم	حقق نصوصه ورقم أبوابه محمد فؤاد عبد الباقي
٤ سنن الترمذى	نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف [دار الفكر ١٣٨٤ هـ]
٥ سنن ابن ماجه	حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي [عيسى البابى الحلبي وشركاه]
٦ سنن الدارمى	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى [دار الفكر ش سليمان الحلبي القاهرة ١٣٩٨ هـ]
٧ سنن أبى داود	راجعته على عدة نسخ محمد محبى الدين عبد الحميد [دار إحياء السنة النبوية]
٨ جامع الأصول فى أحاديث الرسول	حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤطى [مكتبة دار لبنان ١٣٩٢ هـ]
٩ كشف الخفا ومزيل الألباس	أحمد القلاص [مكتبة التراث الإسلامى - حلب]
١٠ المسند للإمام أحمد بن حنبل	شرحه - أحمد محمد شاكر [دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ]
١١ الموطأ للإمام مالك	صححه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي [دار إحياء الكتب العربية]
١٢ سنن النسائى	بشرح الحافظ السيوطى [المكتبة التجارية ١٣٤٨ هـ]
١٣ الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة	الشوكانى - تحقيق عبد الرحمن بن يحيى [مطبعة جدة ١٣٨٠ هـ]
١٤ مفتاح كنوز السنة د . ا . ي فنسنت	نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي إدارة ترجمان السنة - لاهور ١٣٩٧ هـ

المؤلف والطبعة	اسم المرجع
ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره [أ. ي. ونسك و. ي. ب. منسخ] مطبعة بريل لندن ١٩٦٧ [	١٥ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي
الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف بيروت	١٦ البداية والنهاية لابن كثير
أصدرها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية جماعة من المستشرقين	١٧ دائرة المعارف الإسلامية
النسخة العربية إعداد إبراهيم زكي خورشيد [دار الشعب بالقاهرة]	
تحقيق على محمد البيجاوي [مكتبة نهضة مصر بالقاهرة]	١٨ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر
دار التحرير للطباعة والنشر - القاهرة	١٩ الطبقات الكبرى لابن سعد
حققه محمد محيي الدين عبد الحميد [مكتبة نهضة مصر ١٩٤٨ م]	٢٠ وفيات الأعيان لابن خلكان
للإمام ابن حجر العسقلاني	٢١ تهذيب التهذيب لابن حجر
حققه محمد محيي الدين عبد الحميد [مطبعة المدنى بالقاهرة]	٢٢ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد
الطبعة الثالثة	٢٣ الإعلام للزركلي
تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون [دار المعارف ١٩٦٢ م]	٢٤ جمهرة أنساب العرب لابن حزم
تحقيق الدكتور إحسان عباس [دار المعارف بمصر]	٢٥ جوامع السيرة لابن حزم
تحقيق الدكتور الطاهر مكي [دار المعارف بمصر]	٢٦ طوق الحمامة في الألفة والآلاف
تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني [بيروت سنة ١٩٤٠ م]	٢٧ المفاضلة بين الصحابة لابن حزم
تحقيق الدكتور شوقي ضيف القاهرة سنة ١٩٥١ م	٢٨ نقط العروس لابن حزم
الطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨ هـ	٢٩ أعلام النساء لعمر كحالة
لسان الدين الخطيب تحقيق عبد الله عنان القاهرة ١٩٥٥ م	٣٠ الإحاطة في أخبار غرناطة
أحمد بن يحيى العتبي دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م	٣١ بغية الملتبس
محمد عبد الله عنان [مكتبة الخانجي]	٣٢ تراجم إسلامية
الذهبي [طبعة حيدر أباد الهند]	٣٣ تذكرة الحفاظ
الخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت	٣٤ تاريخ بغداد
ترجمة الدكتور حسين مؤنس [القاهرة ١٩٥٥ م]	٣٥ تاريخ الفكر الأندلسي
بركلمان الطبعة السابعة دار العلم للملايين	٣٦ تاريخ الشعوب الإسلامية
الشيخ محمد أبو زهرة [دار الفكر العربي]	٣٧ ابن حزم - حياته وعصره وآراؤه وفقهه
الدكتور زكريا إبراهيم - القاهرة سنة ١٩٦٦ م أعلام العرب	٣٨ ابن حزم الأندلسي
الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الرابعة ١٣٨٩ هـ	٣٩ دولة الإسلام في الأندلس
تحقيق عبد الله الجابوري بغداد ١٣٩١ هـ	٤٠ طبقات الشافعية للأسنوي
دار مكتبة الحياة بيروت	٤١ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة

المؤلف والطبعة	اسم المراجع
طبعة دار المأمون	٤٢ معجم الأدباء لياقوت الحموى
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - كتاب التحرير سنة ١٣٨٦ هـ	٤٣ مروج الذهب للمسعودى
تحقيق محمد العريان - القاهرة - سنة ١٣٦٨ هـ	٤٤ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب للمراكشى
حققه محمود محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م	٤٥ تفسير الطبرى : لابن جعفر محمد بن جرير الطبرى
طبع دار احياء الكتب العربية	٤٦ تفسير القرآن العظيم : لأبى الغداء اسماعيل ابن كثير
المطبعة العامة الشرقية ١٣٠٨ هـ	٤٧ التفسير الكبير : للإمام محمد الرازى
دار المعرفة للطباعة - بيروت - لبنان	٤٨ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين السيوطى
للإمام محمود بن عمر الزمخشري - ط مصطفى حسين أحمد مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ	٤٩ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل
ط . دار الكتب العربية - القاهرة ١٣٨٧ هـ	٥٠ الجامع لأحكام القرآن : لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى
المكتب الإسلامى - على نفقه الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى - أمير دولة قطر المعظم	٥١ زاد المسير فى علم التفسير - عبد الرحمن ابن الجوزى
سيد قطب دار الشروق ١٣٩٤ هـ بيروت	٥٢ فى ظلال القرآن
محمد عبد المنعم خفاجى - مكتبة النجاح الطبعة الأولى	٥٣ تفسير القرآن الحكيم
للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى : مكتبة محمد على صبيح ١٣٨٥ هـ	٥٤ تفسير النسفى
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى - تحقيق محمد على النجار القاهرة ١٣٨٩ هـ	٥٥ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز
د . محمد حسين الذهبى - دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٣٨١ هـ	٥٦ التفسير والمفسرون
للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى - تحقيق : على محمد البجاوى - دار الفكر العربى	٥٧ معترك الأقران فى أعجاز القرآن
شرحه ونشره : السيد أحمد صقر - الطبعة الثانية - دار التراث - القاهرة ١٣٩٣ هـ	٥٨ تأويل مشكل القرآن
تأليف : محمد بن على الشوكانى : دار الفكر ١٣٩٣ هـ	٥٩ فتح القدير : الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير

المؤلف والطبعة	اسم المرجع
كتب العقيدة	
للقاضي : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي . الطبعة الأولى : مطبعة السعادة بمصر - ١٣٢٥ هـ	٦٠ المواقف
سعد الدين التفتازاني . نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحمل رقم ٥٣٣١٣ علم الكلام	٦١ المقاصد
نشر وتحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٩٥٩ م	٦٢ التقريب لحد المنطق والمدخل إليه
تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار العروبة - ١٣٨٠ هـ	٦٣ الرد على ابن النغيلة اليهودي لابن حزم
تحقيق الاستاذ سعيد الأفغاني سنة ١٩٦٠ دمشق	٦٤ رسالة في ابطال القياس والرأى والاستحسان لابن حزم
د . عبد اللطيف محمد العبد - مكتبة الأنجلو سنة ١٩٧٧ م	٦٥ أصول الفكر الفلسفي عند الرازي
د . علي عبد الواحد وافي - دار نهضة مصر سنة ١٩٧١ م .	٦٦ الأسفار المقدسة
عمار طالبي : الشركة الوطنية - الجزائر	٦٧ آراء ابن العربي الكلامية
لابن القيم الجوزية - تحقيق محمد حامد الفقي	٦٨ إغاثة اللفهان
للبغدادى : الطبعة الأولى - استنبول - مطبعة الدولة	٦٩ أصول الدين
١٣٤٦ هـ	
للبيروني ط حيدر أباد بالهند ، ١٣٧٧ هـ	٧٠ تحقيق ما للهند من مقولة
لابن عساكر : ط دار الكتاب العربي : بيروت ١٣٩٩ هـ	٧١ تبين كذب المفتري
ظفر الإسلام خان ط . الثالثة - دار النفائس	٧٢ التلمود
ترجمة الكاهن السامري - تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا	٧٣ التوراه السامرية
- دار الأنصار : الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ	
لحجة الإسلام الغزالي - طبعة دار المعارف تحقيق الدكتور سليمان دنيا	٧٤ تهافت الفلاسفة
للحميدى : الدار القومية - ١٩٦٦ م	٧٥ جذوة المقتبس
للرازي : منشورات دار الإنسان الجديد : بيروت ١٣٩٣ هـ	٧٦ رسائل فلسفية
للغزالي : ط مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٣ هـ تقديم وتحقيق الأستاذ : عبد العزيز عبد الحق .	٧٧ الرد الجميل
ط دار المعارف . تحقيق د . سليمان دنيا	
د . حسن ظاظا : ط . معهد البحوث سنة ١٩٧١ هـ	٧٨ الإشارات لابن سينا
للبغدادى - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح - القاهرة	٧٩ الفكر الديني الإسرائيلي
د . عوض الله حجازي : سنة ١٣٨٠ هـ	٨٠ الفرق بين الفرق
د . زاهر عواض الألمعي : مطابع الفرزدق التجارية - الرياض	٨١ ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي
د . جميل صليبا - دار الكتاب اللبناني - بيروت	٨٢ مناهج الجدل في القرآن الكريم
	٨٣ المعجم الفلسفي

اسم المرجع	المؤلف والطبعة
٨٤ محاضرات في النصرانية	للشيخ محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي
٨٥ الملل والنحل	للشهرستاني : تخریج الدكتور محمد بن فتح الله بدران مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٣٦٦ هـ
٨٦ المسيحية	للدكتور أحمد شلبي : الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ م مكتبة النهضة
٨٧ مقالات الإسلاميين	لأبي الحسن الأشعري : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - ط ثانية ١٣٨٩ هـ
٨٨ المغنى	للقاضي عبد الجبار - الدار المصرية للتأليف والترجمة - بإشراف د . طه حسين
٨٩ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام	د . علي سامي النشار . دار المعارف الطبعة السابعة - ١٩٧٧ م
٩٠ مذاهب الإسلاميين	د . عبد الرحمن بدوي . دار العلم للملايين بيروت ط الثانية - ١٩٧٩ م
٩١ معارج القبول لشرح سلم الوصول في التوحيد	لشيخ حافظ بن أحمد الحكمي من مطبوعا الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية
٩٢ الحقيقة في نظر الغزالي	د . سليمان دنيا : دار المعارف بمصر ط الثالثة
٩٣ الحكيم الترمذی ونظريته في الولاية	د . عبد الفتاح عبد الله بركة . من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية
٩٤ فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد	للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية بيروت
٩٥ المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية	للاستاذ الدكتور محمد الصادق - دار التراث الإسلامي - بيروت
٩٦ في التوحيد ، ديوان الأصول	لأبي رشيد سعيد بن محمد النيسابوري : تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة . مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م
٩٧ الصلة بين التصوف والتشيع	د . كامل مصطفى الشيبى - دار المعارف مصر ط ثانية
٩٨ الجانب الإلهي من التفكير الإسلامى	د . محمد البهى - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر
٩٩ الابانة عن أصول الديانة	لأبي الحسن الأشعري . تقديم وتحقيق د . فوقية حسين محمود - دار الأنصار - مصر
١٠٠ شرح العقيدة الطحاوية	حققها جماعة من العلماء : المكتب الإسلامى ط : الرابعة ١٣٩٩ هـ
١٠١ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسوانى الهندى - مطابع نجد التجارية - الرياض

فهرس الموضوعات

عدد مسلسل	الموضوع	الصفحة
١	توطئة	٣
٢	ابتداء ذكر الأناجيل	١٣
٣	ذكر ما تثبته النصارى بخلاف نص التوراة وتكذيبهم لنصوصها التى بأيدى اليهود	٢١
٤	ذكر مناقضات الأناجيل الأربعة والكذب الظاهر الموجود فيها	٢٧
٥	فصل	٣٥
٦	فصل	٣٩
٧	لقاء باطره وأندرياش بالمسيح	٤١
٨	فصل	٤٥
٩	فصل	٤٩
١٠	فصل	٥١
١١	فصل	٥٣
١٢	إحياء المسيح الموقى بإذن الله	٥٥
١٣	أسماء الحوارين وإعطائهم سلطائنا	٥٧
١٤	فصل	٥٩
١٥	فصل	٦٣
١٦	فصل	٦٥
١٧	الكلام فى يحيى عليه السلام	٦٧
١٨	فصل	٦٩
١٩	فصل	٧١
٢٠	فصل	٧٣
٢١	فصل	٧٥

عدد مسلسل	الموضوع	الصفحة
٢٢	مطالبة المسيح عليه السلام بآية	٧٧
٢٣	فصل	٧٩
٢٤	النبي لا يعدم حرمة إلا في بلده	٨١
٢٥	تضارب الأقوال حول باطره	٨٥
٢٦	بيان أن ما يسميه النصارى بالحواريين هم غير الحواريين المنصوص عليهم في القرآن	٨٩
٢٧	تنبؤات المسيح عما يلقاه من أتباعه	٩٣
٢٨	دعوة المسيح أتباعه إلى الإيمان	٩٧
٢٩	فصل	١٠١
٣٠	الدعوة إلى التسامح	١٠٣
٣١	فصل	١٠٥
٣٢	فصل	١٠٧
٣٣	فصل	١٠٩
٣٤	فصل	١١١
٣٥	فصل	١١٣
٣٦	فصل	١١٥
٣٧	التحذير من أدعياء النبوة	١١٧
٣٨	فصل	١١٩
٣٩	جحد بعض التلاميذ للمسيح	١٢١
٤٠	روايات الأناجيل وما تدعيه من صلب المسيح	١٢٥
٤١	روايات الأناجيل بشأن قيام المسيح وحديثه مع أتباعه	١٢٧
٤٢	قولهم لا يدخل الجنة غنى	١٣٣
٤٣	شراء الدنيا بالآخرة	١٣٥
٤٤	تضارب أقوال الأناجيل	١٣٧
٤٥	فقدان الإنجيل الذي أتى به المسيح عليه السلام	١٣٩
٤٦	فصل	١٤١
٤٧	إثبات تأليف الأناجيل	١٤٣
٤٨	فصل	١٤٥
٤٩	فصل	١٤٧
٥٠	فصل	١٥١
٥١	فصل	١٥٣
٥٢	فصل	١٥٥
٥٣	فصل	١٥٧
٥٤	فصل	١٥٩
٥٥	فصل	١٦١

الصفحة	الموضوع	عدد مسلسل
١٦٣	فصل	٥٦
١٦٥	ادعاء النصارى أنهم جميعاً أبناء الله	٥٧
١٦٧	فصل	٥٨
١٦٩	فصل	٥٩
١٧١	أوصاف النصارى للمسيح	٦٠
١٧٣	فصل	٦١
١٧٥	ادعاء النصارى أن المسيح تسلم مقاليد الكون	٦٢
١٧٧	فصل	٦٣
١٧٩	فصل	٦٤
١٨١	من معجزات المسيح عليه السلام	٦٥
١٨٣	فصل	٦٦
١٨٥	فصل	٦٧
١٨٧	فصل	٦٨
١٨٩	فصل	٦٩
١٩١	إثبات أن المسيح رسولاً نبياً	٧٠
١٩٣	ادعاء النصارى أن المسيح هو الإله	٧١
١٩٥	فصل	٧٢
١٩٧	فصل	٧٣
١٩٩	ادعاء النصارى أن المسيح يشرف الله	٧٤
٢٠١	ذكر بعض ما في كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس	٧٥
٢١١	الكلام في بعض اعتراضات النصارى وبيان فسادها	٧٦
٢١٥	إبطال ما تمسكت به النصارى من بعض أقوال الرافضة	٧٧
٢١٩	كيف تم نقل القرآن وأمر الدين	٧٨
٢٣٣	ذكر فصول يعترض بها جهال الملحدين على ضعفة المسلمين	٧٩
٢٤١	مطلب بيان كروية الأرض	٨٠
٢٥٧	كذب من ادعى لمدة الدنيا عدداً معلوماً	٨١
٢٦٥	الفرق الإسلامية	٨٢
٢٦٩	ذكر ما اعتمدت عليه كل فرقة من هذه الفرق فيما اختصت به	٨٣
٢٧٣	خروج أكثر هذه الفرق عن دين الإسلام	٨٤
٢٧٧	الكلام في التوحيد ونفى التشبيه	٨٥
٢٨٣	مطلب إطلاق الصفات	٨٦
٢٨٧	الكلام في المكان والاستواء	٨٧
	الكلام في العلم	٨٨
٣٠٩	الكلام في سميع ، بصير ، وفي قديم	٨٩

عدد مسلسل	الموضوع	الصفحة
٩٠	فصل فيما أحدثه أهل الإسلام في أسماء الله عز وجل القديم	٣٢٥
٩١	الكلام في الحياة	٣٢٩
٩٢	الرد على من سمى الله بغير نص	٣٤١
٩٣	الكلام في الوجه ، واليد ، والعين ، والقدم ، والتنزل ، والعزة ، والرحمة ، والأمر ، والنفس ، والذات ، والقوة والقدرة ، والأصابع	٣٤٧
٩٤	الكلام في الماهية	٣٥٩
٩٥	الكلام في السخط ، والرضا ، والعدل ، والصدق ، والملك ، والخلق ، والجود ، والإرادة والسخط والكرم وما يخبر عنه تعالى بالقدرة عليه ، وكيف يصح السؤال في ذلك كله	٣٦٣
٩٦	فهرس الآيات القرآنية	٣٨٧
٩٧	فهرس الأحاديث النبوية	٣٩٧
٩٨	فهرس الفرق والوقائع	٣٩٩
٩٩	فهرس الأماكن والبلدان	٤٠١
١٠٠	فهرس الإعلام	٤٠٣
١٠١	ثبت بالمراجع	٤١٧
١٠٢	فهرس الموضوعات	٤٢٣